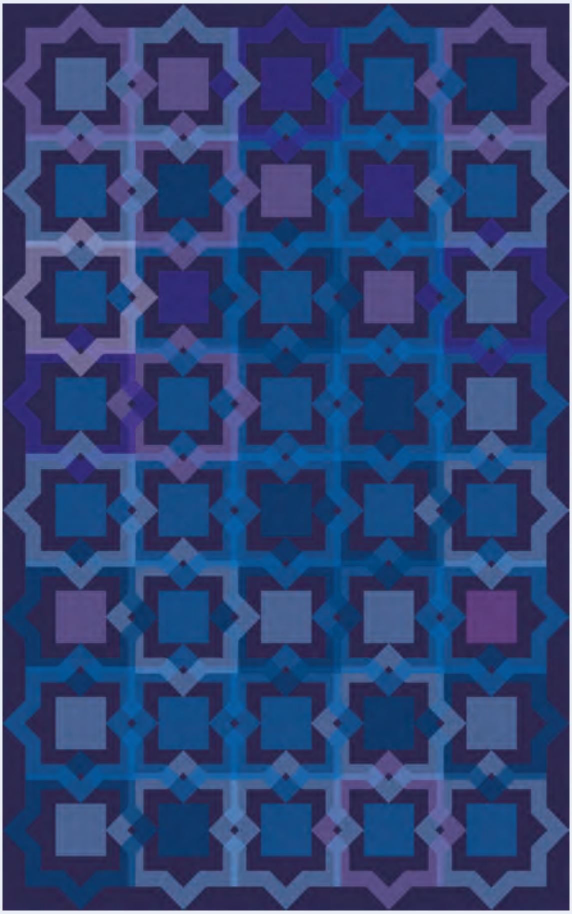
عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



حكمة الشرق وعلومه

دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر

(الجزء الثاني)

جيرالد جيمس تومر
ترجمة: أحمد الشيمي

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

449
يونيو
2017

عالم المعرفة
حكمة الشرق وعلومه
(الجزء الثاني)
جيرالد جيمس تومر
ترجمة: أحمد الشيمي

المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923 - 1990) ود. فؤاد زكريا (1927 - 2010)

حكمة الشرق وعلومه

دراسة العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر

(الجزء الثاني)

تأليف: جيرالد جيمس تومر
ترجمة: أحمد الشيمي

يونيو 2017
449

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي :
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : 28613 – الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
هاتف : (965)40713422
www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ
وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 555 - 6

العنوان الأصلي للكتاب

Eastern Wisdome and Learning

The Study of Arabic in Seventeenth-Century England

By

G. J. Toomer

Oxford University Press, 1996

First Edition was originally published in English in 1996. This translation is published by arrangement with Oxford University Press.

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

رمضان 1438 هـ ـ يونيو 2017

المحتوى

7

الدراسـات العربية في أثناء الثورة الإنجليزية

مصطلح «الثورة الإنجليزية» مصطلح مريح في دلالته على الحرب الأهلية نفسها، وعلى تلك الفترة المملوءة بالقلاقل والاضطرابات التي سبقت هذه الحرب، بدءا من دعوة البرلمان الطويل إلى الانعقاد، وما أعقب ذلك من صراع مرير على السلطة، انتهى بتولي أولِفر كروموِل سدَّة الحكم بوصفه «حامي الكومونولث» أو حامي مملكة الرب Lord Protector كما كان يحب أن يسموه. وكانت هذه الفترة فترة عصيبة فيما يتصل بمجال البحوث الأكاديمية والدراسات العلمية في إنجلترا. فقد اهتزت الجامعتان لهذه الأحداث اهتزازا شديدا، لا بسبب الاضطرابات التي سببتها الحرب، ولكن أيضا بسبب تدخلات البرلمان في شؤونهما، ما أسفر عن فقدان الكثيرين مناصبهم الأكاديمية، ومصادر أرزاقهم. تأثر – بالتالي – القائمون على

«على الرغم من الاضطرابات التي سببتها الحرب الأهلية، وما أعقبها من أحداث خطيرة، فإن دراسة اللغة العربية وآدابها قد تطورت ولم تتوقف، ليس في الجامعتين الكبيرتين وحدهما، بل في لندن أيضا لبعض الوقت»

الدراسات العربية، والراعون للمهتمين بها. فقد أُدين لـود بالخيانة العظمى في الثامن عشر من ديسمبر من العام 1640، وأُودِع سجن البرج، واستقال من منصبه كرئيس لجامعة أكسفورد في الثامن والعشرين من العام 1641؛ ثم أُعدِم في أوائل العام 1645. وأما أشر، فقد حرمته السلطات الجديدة من أغلب مصادر دخله بعد اندلاع الثورة الإيرلندية في العام 1641، وقضى أغلب سني حياته بعد ذلك لاجئا إلى أمكنة متعددة في إنجلترا، حتى وافته المنية في العام 1656. على أن ذلك لم يمنعه من نشر الكثير من الكتب المتخصصة، وأعانه على ذلك جون غريفز، كما أدّى سِلدِن دورا مهما جدا بوصفه راعيا للدراسات الأكاديمية، بما في ذلك الدراسات العربية في تلك الفترة. وقد انتخبه البرلمان الطويل ممثلا عن جامعة أكسفورد[1]، وكان واحدا من أكثر الأعضاء اعتدالا. وبينما نجده يوافق على الكثير من الإجراءات التي تحد من تعسف سلطة القصر، ونجده أيضا يعارض إساءة استخدام البرلمان لسلطاته في الوقت نفسه. كما كان أحد القلائل في مجلس العموم الذين كانوا يصوتون ضد حرمان سترافورد من حقوقه المدنية، لا لأنه كان يوافق على تصرفات ذلك الوزير المكروه في حكومة تشارلز الأول، ولكن لأن مشروع قرار الحرمان من الحقوق المدنية يستهين بالقانون الذي يحترمه. وعندما ظهرت العداوات صريحة واضحة، آثر البقاء في لندن مع البرلمان بدلا من الارتحال مع أعضاء الحزب الملكي إلى الملك في أكسفورد. كان يحظى باحترام البرلمان، وكان يتمتع بعلاقات طيبة مع أعضائه من أصحاب النفوذ، ما مَكّنه من مد يد العون للجامعتين وتخفيف معاناة بعض الأساتذة بسبب بطش الذين كانوا يضطهدونهم.

(1) الحرب الأهلية وحال اللغة العربية في أكسفورد

استطاع لود - قبل أن يفقد سلطاته - أن يجعل كرسي العربية في أكسفورد منصبا دائما لا يقبل الإلغاء، كما أكمل نقل مخطوطاته إلى مكتبة البودليان[2]. كان غريفز وبوكوك يتواصلان مع أستاذهما المعزول، فلدينا رسالة من لود إلى غريفز كتبها وهو في سجن البرج في 13 يناير 1642، تُظهر أن الرجلين كانا يتبادلان المشورة بشأن نقل العملات والمخطوطات التي وهبها لود للمكتبة[3]. وقد رأينا كيف سعى خصوم لود إلى استغلال رسالة كان قد كتبها له غريفز من إيطاليا، لإلقاء التهم

على رئيس الأساقفة[4]، بيد أن بوكوك كان أجرأ من غريفز على المخاطرة، فقد حمل رسالة شفوية من غروشيوس إلى لود عندما زاره في البرج في مارس من العام 1641. كان غروشيوس يحث رئيس الأساقفة على استثمار الفرصة ليهرب من السجن ويركب البحر إلى خارج البلاد[5]، غير أن لود رفض إعطاء خصومه الفرصة لتأكيد تهمهم، وفضل البقاء ومواجهة مصيره[6].

عاد بوكوك إلى حياته العادية في أكسفورد، كما عاد إلى زمالته في كلية كوربس وأستاذية العربية. وفي العام 1643 أضاف إلى هذه المهمات منصب كاهن بلدة تشلدري، وهي قرية فاتنة على مشارف سهول بركشاير على بعد اثني عشر ميلا من أكسفورد، أقام فيها بفضل هبة من الكلية. وفر له ذلك – إلى جانب القرب من أصدقائه من آل فتِبليس – ميزة سهولة السفر إلى أكسفورد لإلقاء محاضراته في اللغة العربية في أثناء العطلات، ومنحه ذلك أيضا فرصة للزواج، وهو أمر لم يقم به إلا بعد سنوات طوال. ففي أوائل العام 1646 وجدناه يتزوج من السيدة ماري بيردوت من شرق ورلدهام في هامبشاير، ويُرزق منها بستة أبناء وثلاث بنات بين العامين 1648 و1661. وبشكل استثنائي لذاك الزمان لم يمت منهم إلا واحدٌ لم يمتد به العمر حتى سن البلوغ، أما أبناؤه الخمسة وابنتاه فقد عاشوا حتى وفاته في العام 1691[7]. وسوف ينصب اهتمامنا من الآن فصاعدا على الابن الأكبر وهو إدوارد بوكوك الابن.

ولكن هذه «الحياة العادية» في أكسفورد لم تستمر طويلا، ففي العام 1642 أُشهِرت الأسلحة، وتحرك جيش الملك لمواجهة جيش البرلمان، وكان المئات من المنتسبين إلى الجامعة جنودا في جيش الملك، أغلبهم من الطلاب، أعانهم على الالتحاق بالصفوف الأولى بعض المناصرين للملكية. كان من بين أولئك بيتر تيرنر، الذي كان في الخامسة والخمسين من عمره، وقد سُجل في فرقة الفرسان تحت إمرة السير جون بايرون. سِيق تيرنر إلى السجن بالقرب من بلدة «ستو على نهر وولد» في العاشر من ديسمبر من العام 1642، وقضى في السجن فترة ما في بانبري وفترة أخرى في نورثآمبتون، حتى أُطلِق سراحه في شهر يوليو من العام 1643. احتلت قوات البرلمان مدينة أكسفورد في شهر سبتمبر من العام 1642 لفترة قصيرة، وبعد موقعة «إدجهِل» أعاد الملك احتلالها في 29 أكتوبر 1642، ونصب محكمته هناك.

كانت تلك الأعوام، التي امتدت بدءا من هذا الاحتلال إلى استسلام المدينة في 24 يونيو 1646، أكثر مجلبة للاضطراب لحياة الجامعة من حملات التطهير التي أعقبت ذلك كلـه. كانت الجامعة ساحة للحرب بين الفريقين، وكانت تصرفات أنصار الملكيين غير المسؤولة من أسباب الفوضى التي شاعت في أرجائها. وبطبيعة الحال لم يستطع الطلاب مواصلة دراستهم، سواء بسبب انضمام بعضهم إلى صفوف القوات الملكية، أو لأن آباءهم آثروا الخروج بأبنائهم إلى خارج أسوار الجامعة التي دب فيها فساد الأخلاق، ومن هنا نقصت أعداد المقيدين فيها إلى درجات قصوى[8]. توقف التدريس أيضا: يقول جون غريفز في رسالة يكتبها إلى أشر في التاسع عشر من سبتمبر من العام 1644، معلقا على المحاضرة التي كان يلقيها بوصفه أستاذ كرسي سافيل: «حتى الآن لا أستطيع إلقاء محاضرتي»[9]. كانت الكليات على شفا الإفلاس، وقد كان الملك يطالب هذه الكليات بالتبرع بالأموال، وتبرعت أغلب هذه الكليات بالفعل بأغلى ما عندها، وهذا ما وجدناه في كلية واحدة، وهي كلية مِرتون، وذلك في شهادة أدلى بها توماس غريفز عندما اتهم المفتشون أخاه جون في العام 1648 باستخدام أموال الكلية في دعم الملك: «أشهد أنا توماس غريفز بأن السيد جون غريفز، زميل كلية مِرتون، عندما طلب الملك أموالا من الكلية، حبس نفسه في حجرته لعدة أيام، ولم يظهر على الملأ، ولم يجهر بالموافقة، ولم يرحل إلى الخارج، حتى سمع أن التبرع قد تم»[10]. ونجد عند أنتوني وود رواية أقوى لأسباب تراجع الجامعة الذي شهدته في أثناء الاحتلال الملكي:

> توقفت المحاضرات والدروس العملية في أغلب المقررات، واستُخدمت حجرات الكليات مخازن للمؤن الخاصة بجماعات الجند، مما نجد أنه العلة وراء تقاعد الكثير من الأساتذة بعد استسلام المدينة... وأما القليلون الذين بقوا فكانوا من صغار السن المنغمسين في الملذات، يريدون تزجية أوقات الفراغ في الانضمام إلى الجيش، ومصاحبة جنود الملك أصحاب الطبيعة الفظة... شاع الخراب في الكليات كلها بسبب إهمال الجنود، وتصرفات الملكيين، وآخرين ممن مكثوا في ساحاتها، ووصلت حالة بعض حجراتها إلى أسوأ ما يمكن أن يصل إليه الخراب، نجت منه بعضها، وهي الحجرات التي كانت تُسْتخدم كمكاتب للأساتذة الذين نُهِبت أموالهم،

وتعرضت الكتب في مكتباتهم للسرقة، وقل عدد الأساتذة، ونضبت أموالهم، وأما القاعات التي كانت تُباع فيها الخمور وتدار فيها الكؤوس على جنود المدفعية، فقد دب فيها الخراب المريع، وأصبحت حالها كحال الكليات نفسها، وظلت كذلك، فيما عدا قاعة مغدلين و الـ «نيو إن» (اللتين امتلأتا بجماعات المشيخيين بعد الاستسلام) لأعوام متعددة بعد ذلك. أضف إلى ذلك أيضا... أنها استُؤجرت للموظفين بعد أن خلت القاعات إلا من المشرفين. باختصار، لم يبق من الجامعة شيء، فقد شاعت الفوضى، ودب الاضطراب في كل أرجائها[11].

أما الموقف المتوتر في لندن قبل اندلاع الاضطرابات، فيظهر عرضا في رسالتين أرسلهما نيكولاوس بترِي من المدينة إلى بوكوك في أكسفورد في آخر العام 1641[12]. وقد رأينا فيما سلف كيف أن رافيوس قد أغراه - وهو في القسطنطينية - بالمجيء إلى أوروبا ليكون ناسخا لكتبه. أراد رافيوس أن يستعرضه مباهيا، ويتوج به الرحلات، وكان يسميه: «صديقي العربي[13]». ولكن ظن نيكولاوس برافيوس قد خاب بعد أن نكص بعهوده، وبعد أن رأى سيده وقد ضربه الفقر، وأذله الإفلاس، يبحث عن عمل فلا يجد، وعن مصدر رزق فيعود بخفي حنين، فيكتب إلى بوكوك رسائل باللغة العربية الدارجة، التي تستعصي على الأفهام في بعض الأمكنة، فينبئه بشقائه كغريب في لندن، عاجز عن الحديث بالإنجليزية، وعن الإفصاح باللاتينية، وبفقر رافيوس، وحاجته إلى المعين، وسوء معاملته لـه. وكان الأمل يحدو رافيوس في أن يكسب بعض المال من بيع مخطوطة أبولونيوس الثمينة، أو بالإيعاز إلى نيكولاوس أن ينسخها ليبيع منها بعض النسخ لقوم يعيشون في فرنسا[14]. غير أن ناسخه أبى:

ولكني لعنت الكتاب وصاحبه، فالكتاب ليس كغيره من الكتب: فخطه سيئ جدا... وأوراقه بالية رثة، وحروفه صغيرة، وحبره باهت متلاش، وأغلب محتواه في الحواشي، ولا يُقرأ إلا بعد جهد جهيد[15]. ثم إنه طلب مني الجلوس، وأن أبدأ في مراجعته، بعد أن أغراني بأنه سيعطيني ست عثمليَّات (ليرات عثمانية) في اليوم[16]. ولم يكن يمتلك هذه الأموال... ثم إنه كان مضطربا لا يعرف كيف يتصرف، فكان يبحث

عن مشترٍ يشتري منه الكتاب[17] بأي سعر، أو بحفنة من قروش، ومن فرط يأسه وقلة حيلته لم يعرف ماذا يقول، وفجأة قال: «أريد أن أرحل إلى هولندا»، ثم أردف: «أريد أن أرحل إلى فرنسا»، بيد أنه كان عاجزا عن السفر إلى أي مكان، فلم يكن لديه من المال ما يكفيه[18].

أما الموقف في لندن فقد شرحه في الرسالة التالية:

> كان مقصدنا الذهاب إلى أرض الفرنجة (فرنسا)؛ لأن لندن مضطربة أشد الاضطراب في ذلك الوقت، فكان الجنود يتجولون في كل مكان ليلا ونهارا، شاهرين الأسلحة، وكنا نخشى أن تندلع الحرب في المكان في أي لحظة[19].

وعلى الرغم من عدم ترابط رسائل نيكولاوس، فمن الممكن أن نستخلص منها صورة واضحة. زار رافيوس وناسخه بوكوك حال وصولهما إلى إنجلترا، ثم عادا إلى لندن، ومكثا في كلية غرشم. وأرسل نيكولاوس إلى بوكوك رسالته الأولى، مصحوبة بهدية عبارة عن مخطوطة مكتوبة بالخط الكوفي، وفي الرسالة الثانية وعده بكتاب في الجغرافيا باللغة العربية[20]. كما أرسل إلى بوكوك، والذي عبر عن إعجابه بفهمه للعربية بقدر ازدرائه لمعرفة رافيوس بها، قائمة بمخطوطات الرسائل (وهو سر لم يُطلع عليه سيده). وكان حامل المخطوطات إلى أكسفورد هو جون غريفز[21]، الذي عاد برسالة وهبة (بعض المال) من بوكوك إلى نيكولاوس. ثم صَحِب رافيوس أيضا نيكولاوس ليرى رجلا من ذوي النفوذ في لندن، لا يكاد اسمه يظهر في الرسالة[22]، ونظن أنه لم يكن إلا سِلدِن؛ فقد قال نيكولاوس إن رافيوس ذهب إليه فيما بعد يطلب مالا، وقد علمنا – يقينا – أن سِلدِن أعطى رافيوس خمسة عشر جنيها إسترلينيا في 15 فبراير 1642[23]. وقبل أن يذهب إلى الباخرة لتسلم مخطوطته مكث رافيوس تسعة أيام في كيمبردج، وأتم بذلك إرسال ثلاثة كتب صغيرة الحجم إلى كيمبردج، الأول هدية منه للجامعة[24]، وأما الكتابان الآخران فلشخص حاولت أن أقرأ اسمه (أو ربما لقبه) فلم أستطع[25]، وربما كان يريد منه أن يجد لرافيوس وظيفة في كيمبردج.

خاب أمل رافيوس في الظفر بهذه الوظيفة في إنجلترا، كما خاب أمله في البحث عن كل وظيفة. وفي 9 فبراير 1642 أعطى باترك يونغ، أمين مكتبة الملك، رافيوس خطاب توصية إلى بيتر تيرنر، يطلب منه – بوصفه أستاذ كرسي سافيل في جامعة

أكسفورد – إتاحة الفرصة أمام رافيوس للاطلاع على مخطوطة يونانية لكتاب أبولونيوس المعنون بـ «القطوع المخروطية» في المكتبة «السافيلية» في أكسفورد، ليعقد مقارنة بينه وبين ترجمته العربية. وأغلب الظن أن هذا المسعى لم ينتهِ إلى شيء معلوم، فلم يمض وقت طويل حتى وجدنا رافيوس، ولايزال نيكولاوس بتري معه، يرحل إلى لايدن، لينالا إعجاب لوي دو ديو لقدرتهما على الحديث بالعربية والتركية، وذلك قبل الخامس والعشرين من مارس (الخامس عشر من مارس بالتقويم القديم). اضطُر رافيوس إلى ترك نحو مائتين من مخطوطاته في إنجلترا رهنا لديونه هناك[26]. ومرت خمس سنوات قبل أن يعود إلى لندن ظافرا ليبدأ في استعادة هذه المخطوطات، ويبدأ في تدريس العربية.

ليس لدينا ما يكفي من المعلومات عن النشاط البحثي الذي كان يقوم به بوكوك، ومعلوماتنا قليلة عن النشاط البحثي الذي كان يقوم به جون غريفز في أثناء الحرب الأهلية. وأسباب ذلك واضحة، منها أن الموقف السياسي كان عقبة أمام النشر الأكاديمي، ومنها أن الرجلين كليهما كانا يسكنان في أكسفورد نفسها، أو قريبا جدا منها، وكان التواصل بينهما يتم وجها لوجه وليس من طريق الرسائل. وفي العام 1642 كان جون غريفز لايزال يسافر بين أكسفورد ولندن، ليلقي محاضراته في كلية غرشم، بيد أن عدد مرات غيابه كانت نادرة. وقد تغير ذلك أيضا في نوفمبر من العام 1643، عندما تُوفي بِنْبرِدج ووقع الاختيار على غريفز ليتولى المنصب الذي شغر: كرسي سافيل في الفلك. وبعد انتخابه بيوم فُصل من منصب الأستاذية في كلية غرشم، وذلك بسبب الغياب كما ادعوا، ولكن السبب وفق رافيوس (وربما سمع ذلك من غريفز نفسه) هو «الإفراط في طاعته للملك في أكسفورد، ولأنه رهن الطبق الفضي لكليته من أجل المال الذي أعطاه للملك»[27]. والأرجح أن هذا التصرف هو السبب في أن مكتبه في كلية غرشم تعرض للعبث من قبِل جنود البرلمان الذين راحوا يبحثون عن منشورات هدّامة[28]. صُودرت جميع كتبه وأوراقه، وعلى الرغم من أن سِلدِن تدخل وأعادها فيما بعد، فقد ضاع بعضها، ومنها المخطوطة المصورة لأبي معشر بعنوان «المُدخل الكبير» باللغة العربية، وهي المخطوطة التي أهداها له بوكوك، والتي تعرضت للإتلاف والتمزيق، فقد رأى بوكوك بنفسه أوراقا قليلة منها في مجموعة «النوادر الشرقية» في لندن[29].

رأينا منذ قليل أن غريفز كان مشغولا في ترتيب مجموعات لـود في مكتبة البودليان في العام 1642، وقد نظفر بلمحات عن دراساته وخططه للنشر في أثناء الأعوام من 1642 إلى 1644، من رسالتين كتبهما في تلك الفترة. في رسالة إلى يوليوس، مكتوبة في يونيو من العام 1642، يوصي فيها بأخيه الأصغر، وكان ذاهبا إلى لايدن لدراسة الطب، أرفق قائمة بالمخطوطات الشرقية أعدها بناء على طلب من كلود هاردي[30]. في المقابل طلب من يوليوس أن يرسل إليه بعض الملاحظات الفلكية الموجودة في مخطوطة تمتلكها لايدن باسم ابن يونس، ويورد مقتبسا باللغة العربية من كتاب لجلال الدين السيوطي يتصل بهذا المؤلف[31].

ليس لدينا دليل على أن يوليوس كان أكثر حماسا للاستجابة لهذا الطلب منه عندما استجاب لطلب بِنبردج قبله، وربما كان خطاب غريفز إلى أشر في 19 سبتمبر 1644 أكثر فائدة[32]. بعد أن أعاد غريفز طلب بِنبردج الأول لعله يجد عند أشر أي معلومات عن النسخة الأسطورية المتصلة بكتاب هيبارخوس «حول طول السنة»، في مكتبة الإسكوريال في الفاتيكان، كتب يقول:

> عند مراجعة المخطوطات العربية والفارسية عندي، وجدت بعض الملاحظات الفلكية، وهي ملاحظات ربما تفضي إلى جلاء هذا الجدل. إمكانياتي لا تسمح في الوقت الحالي لأن أرسل إلى سيادتكم النتائج التي توصل إليها الهنود في «كيبه» و«قندهار»، أو تلك النتائج الأخرى التي توصل إليها الفرس قبل عهد «يزدجرد»، وفي عهد «يزدجرد» نفسه، وبعده بزمن طويل في عهد المأمون، كما وجدت لهم ذكرا فيما كتب الهاشمي المؤلف العربي[33]. وكذلك تلك التي في الشيشان، ونتائج ناصر الدين وعلي كوزجي، ونتائج الأول أكثر دقة من الثاني، وهي ملاحظات لا أملك إلا أن أرسلها إلى سيادتكم مع الطمع في الرضا.

ثم يعطينا قائمة بطول مدة السنين حسبما وردت عند جماعة من الفلكيين الشرقيين

طول السنة الشمسية عند المقدونيين والأشوريين» De Macedonum et Asianorum anno solari Dissertatio. أما فيما يتصل بخططه في النشر، فيقول إنه استكمل – بصعوبة كبيرة بسبب التلف في مخطوطته – طبعة كتاب

«الفروضات» لأرشميدس وترجمته[34]. ثم إنه أكمل معجما في اللغة الفارسية يضم نحو ستة آلاف كلمة[35]. وأراد أن يكمل هذا العمل، لأغراض أخرى، فعقد العزم على السفر إلى لايدن ليطَّلع على المخطوطات هناك، ويطلب مساعدة أشر في الحصول على التصريحات اللازمة. ومن بين الأعمال التي كان ينوي نشرها الكتاب الذي ألفه بِنبردج عن الدورة السوثية Sothic Period. وسوف نرى كيف أنه أظهر ذلك في العام 1648، بإضافات معتبرة من عنده، بيد أنه لم ينجز رحلته التي كان ينوي القيام بها إلى لايدن، على الرغم من أنه ظل يكرر وعده بالقيام بها على مدى العامين المنصرمين[36]. كانت الدعاوى القضائية المتصلة بمصير ممتلكات زوجة بِنبردج، وهو الذي رفعها، ثم المتاعب الخاصة به، من أسباب بقائه في إنجلترا إلى أن وافاه الأجل.

كان غريفز أيضا مشغولا بالصراعات السياسية في داخل كلية مِرتون نفسها، وهي صراعات تعود إلى ما قبل العام 1638، عندما طالب لود بحقه - بوصفه رئيس أساقفة كانتربري - في التفتيش على كلية مِرتون، وانحاز إلى الفصيل الذي كان يناصب السير ناثانيال برِنْت عميد الكلية العداء (وكان بيتر تيرنر من أبرز أعضائه)[37]. وعند اندلاع الحرب الأهلية قرر برِنْت ونفرٌ من أتباعه الوقوف في صف البرلمان. غادر برِنْت أكسفورد قبل أن يحتلها الملك في أكتوبر من العام 1642. ولم يلبث أن تقدم غريفز بشكاة للملك، ممهورة بعبارة: «الزملاء المخلصون لكلية مِرتون» يلتمسون منه عزل برِنْت من عمادة الكلية[38]، وهذا ما أمر به الملك تشارلز في 27 يناير 1645. وفي أبريل أصبح مرشح غريفز للعمادة، وهو الطبيب المعروف وليام هارفي، هو العميد المنتخب للكلية، ومن ثم اشتد العداء بين برِنْت وغريفز، وأصبح برِنْت بعد ذلك كبير مفتشي الجامعة الذين نِيط بهم إصلاح جامعة أكسفورد، فكأنها فرصته. لم يكتفِ غريفز بالتخلص من العميد، بل أدى دورا أساسيّا في التخلص أيضا من اثنين من مساعدي برِنْت من بين الزملاء، وهما إدوارد كوربت ورالف بَتن[39]. ولكن الاثنين عادا في العام 1647 لينتقما من غريفز، أصبح كوربت أحد المفتشين، فأصبح بَتُن من كبار مساعدي التفتيش، وفي العام 1648 أصبح هو نائب الرئيس[40].

(2) بوكوك في أثناء الثورة

كانت لبوكوك اقتناعاته الخاصة به، وكانت توجهاته السياسية مختلفة عن توجهات غريفز وتيرنر، فنجده لا يَخِف إلى تشجيع المظاهرات المثيرة التي تناصر حزب الملكيين والقضية الملكية. وبين العامين 1641 و1646 اضمحلت الدلائل على نشاطه الأكاديمي، فلا نجد إلا سِلدِن في كتابه المعنون بـ «أوتيخيوس» الصادر في العام 1642، يشكره على أنه ساعده في نسخ فقرة من مخطوطة في مكتبة البودليان لكتاب لابن خلكان صاحب كتاب «وفيات الأعيان»[41]. ولسوء الحظ أنه لم يستشره في الترجمة، وهي ترجمة شابتها أخطاء. في العام نفسه طلب سِلدِن من برايان توين بعض الفقرات من محاضر قسم اللغة العربية لتُنسخ من مخطوطة «رو» الموجودة في أكسفورد، ولم يكن توين من المتضلعين من العربية، فطلب العون من بوكوك في البداية، ثم استشار جون غريغوري في الموضوع نفسه[42]. ومن أجل الدقة في النقل طلب توين العون من اثنين من أصحاب الشهادات الجامعية في الآداب: هاملتون الحاصل على ليسانس الآداب من كلية برانسِنوز، ودافيز الحاصل على ليسانس الآداب من كلية بيليول، ومن المرجح أنهما كانا من تلاميذ بوكوك في ذلك الوقت (على الرغم من أننا لم نسمع عنهما بعد ذلك، ولا بعلاقتيهما باللغة العربية). لكننا نعرف توماس مارشال الذي كان من تلاميذ بوكوك الذين كانت لهم إسهامات في الدراسات العربية في ذلك الوقت، وكان توماس مارشال من الحاصلين على ليسانس الآداب من كلية لنكِن في العام 1645؛ وأيضا صامويل كلارك، الحاصل على ليسانس الآداب من كلية مِرتون في العام 1640، والمُسَجَّل للماجستير في الآداب في العام 1648. ظل الاثنان صديقين حميمين على الرغم من السنوات الطويلة التي قضاها مارشال في المنفى في البلاد المنخفضة. ونذكر رجلا آخر نظن أنه كان يحضر محاضرات بوكوك في أثناء تلك السنوات، وهو توماس جونز الحاصل على ليسانس الآداب من كلية أوريل Oriel في العام 1638، وفي العام نفسه أصبح زميلا لكلية مِرتون، حيث انعقدت الصلة بينه وبين برِنْت. أَلّف توماس جونز كتابا سمّاه «المقدمات الأكاديمية» Prolusiones Academicae[34] في العام 1660، نطلع فيه على معرفة ما بالعربية، وكان السيد إدموند كاستل يمتدح جهوده الأكاديمية[44]. وأما فيما يتصل بدراسات بوكوك في تلك الفترة أيضا، فالمحقق أنه كان مشغولا بدراسة العصر الجاهلي والتاريخ الإسلامي،

وانعكست هذه الدراسة على كتابه المعنون بـ «لُمَع من تاريخ العرب»، والذي من أجله قضى ثلاث سنوات في القسطنطينية. ولم تكن هذه الموضوعات همه الأوحد، فقد وجدنا بعض وريقات متفرقات نجت بالمصادفة من التلف، تحتوي على ترجمة لـه تكشف عن أنه كان في ذلك الوقت مشغولا جدا بكتاب عربي في الفلسفة. ولم يكن هذا العمل إلا «حي بن يقظان» لابن طفيل. وسوف نطيل النظر في هذا العمل بعد حين في معرض الحديث عن صدوره في العام 1671، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أنه في شهر يوليو من العام 1645 أنتج بوكوك ترجمة إنجليزية لجزء على الأقل من هذا العمل المخطوط الذي كان يمتلكه[45].

واجه بوكوك سلسلة من الصعوبات الشخصية، وضروبا من الاضطهاد بداية من العام 1644[46]. في البداية حُرم من راتبه الذي كان ينبغي أن يتقاضاه عن عمله كأستاذ للغة العربية لنحو ثلاثة أعوام. حرمه من راتبه أولئك الذين وضعوا أيديهم على أطيان لـود وعقاراته بأمر من البرلمان، وهم الذين صادروا العقارات التي أوقفها لود للجامعة للصرف منها على كرسي اللغة العربية، وهي العقارات التي عادت بعد ذلك بفضل جهود سِلدِن، وبعد إلحاح كثير من جون غريفز وجيرارد لانغبين الذي كان قائد شرطة كلية الملكة، والذي قاد احتجاجات الجامعة. ويظهر لانغبين من تلك اللحظة بوصفه واحدا من أخلص أصدقاء بوكوك. وفي العام 1647، وبعد احتلال أكسفورد وضواحيها من قِبل قوات البرلمان، تعرض جنود البرلمان لبوكوك بالأذى، وعبثوا بمكتبه في أبرشية تشلدري، ونهبوا بعض محتوياته، وأقاموا بين جنباته مدة ما، فخفف غريفز مرة أخرى إلى نجدته، مستثمرا نفوذ صديقه جورج إنْت لقربه من قائد قوات البرلمان في ذلك الوقت السير توماس فيرفاكس، فاستصدر منه أمرا بحماية بوكوك كقيمة علمية. ثم حدث ما هو أسوأ عندما أصدر البرلمان قرارا ببدء التفتيش على جامعة أكسفورد، وعلى الرغم من أن العمل بهذا القرار لم يبدأ إلا في الأول من مايو من العام 1647، فقد استغرق المفتشون زمنا ليس بالقصير قبل تحقيق إنجاز ما، فقد شغلتهم في البداية أحقادٌ وإحنٌ أخرى أهم من بوكوك. ولكن الأنظار اتجهت إليه عندما عُيِّن أستاذا لكرسي العبرية بعد أن تُوفيَ جون موريس، شاغل المنصب، في 27 مارس 1648، فقام الملك (وكان منفيّا إلى جزيرة وايت) بتسمية بوكوك لهذا المنصب نزولا عند نصيحة قساوسته، وخصوصا

غلبرت شلدن وهنري هاموند. وربما كان ذلك كافيا في الأزمنة المطردة، والأحوال العادية، ولكن سِلدِن الذي كان عضوا في لجنة البرلمان المكلفة بتنظيم الجامعات، آثر الحيطة في حمل اللجنة على إصدار الأمر لبوكوك بتولي المنصب. ووفق مرسوم صدر في أثناء رئاسة لود للجامعة، وكان أستاذا ملكيّا لكرسي العبرية، أُلْحِق إلى المنصب منصب كاهن في الكاتدرائية، مما استدعى استصدار قانون آخر محترم يقضي بأحقية شاغل المنصب في السكن في كلية المسيح هو وأفراد عائلته. ولكن الأمور تمضي على النقيض؛ فبدلا من إسناد منصب القس الذي كان يشغله موريس إلى بوكوك، أقدمت اللجنة على إصدار أمرٍ لم يكن يتمناه على الإطلاق، وهو أن يخلفه في ذلك الدكتور بين (الذي كانت اللجنة قد قررت طرده). لم يستفِد بوكوك من قرار السكن في ذلك الوقت، فلم ينتقل إلى أكسفورد، بل كان حريصا على ألا يقابل أحدا من المفتشين بقدر الإمكان. على أنه كان من الأساتذة القلائل الذي أذعنوا للمفتشين[47]: يعني أنه أجاب بالإيجاب عن السؤال الذي يقول: «هل تذعن لسلطة البرلمان في التفتيش الحالي؟» لقد أذعن لانغبين أيضا، ولم يذعن غريفز ولا تيرنر، فقد كانا يعلمان علم اليقين أن الإذعان لن ينجيهما من الطرد.

كانت سياسة بوكوك في تجنب المواجهة مع المفتشين، بقدر ما يسمح به ضميره، كفيلة بأن تقصيه عن الأذى فترة ما. ولكن الأمور جرت في عكس الاتجاه، فقد أُعدم الملك في الثلاثين من يناير من العام 1649، وأُلغِي مجلس اللوردات، وصمم البرلمان على إظهار سلطاته كاملة، فأصدر قانونا يقضي على كل فرد بـ «الالتزام»، أي أن يتعهد كل فرد بأن يكون مخلصا للحكومة القائمة[48]. فُرِض هذا القانون على الجامعات فرضا، وصدرت الأوامر للمفتشين بأن يقدموا أسماء جميع الذين رفضوا أو أخفقوا في «الالتزام». وأما بوكوك – ونزولا على نصيحة سِلدِن وغريفز اللذين استمرا يجتهدان في لندن نيابة عنه – فقد نأى بنفسه عن مواجهة المفتشين. غير أن الأحداث في النهاية غلبته. ففي الرابع والعشرين من أكتوبر من العام 1650 استبعدته اللجنة عن منصب القس في كلية المسيح، ولم تلبث أن عيَّنت بيتر فرنش (وكان صِهْر كرومولِ) في المنصب. توقع بوكوك أن يُطرَد من المنصبين كليهما[49]، وقد أُجري تصويتٌ في شهر ديسمبر من العام نفسه داخل اللجنة ليقضي بذلك فعلا. ولكن مذكرة عُرِضت على اللجنة – على الفور – ممهورة بتوقيع نائب

رئيس الجامعة، ولفيف من عمداء الكليات، والمراقبَيْن اللذين كانا يشرفان على الامتحانات، وآخرين كثيرين، حثت اللجنة – احتراما لعِلم بوكوك، لكونه رجلا مسالما - على تعليق البدء في التصويت على الأقل حتى يظهر من هو جدير بمن يخلفه في المنصب. ومن المثير أن نجد – كما يلاحظ توِلز – أن الحضور جميعا، فيما عدا لانغبين، كانوا ممن آذتهم أعمال المفتشين في مكاتبهم، وكان منهم عدو غريفز رالف بَتُونْ. وليس من شك في أن تلك المذكرة التي دعمها سِلدِن، وربما هو الذي أوعز بها، كان لها تأثيرها، فقد استمر بوكوك في منصبه كأستاذ لـلغتين العبرية والعربية، حتى استعاد جميع سلطاته بعد انتهاء عهد كرومِول وعودة الملك تشارلز الثاني. لم تُبذل محاولة للبحث عن خلف مناسب لـ بوكوك. اقترح توِلز أن يخلفه رافيوس الذي كان يسعى إلى ذلك سعيا حثيثا، ورجع عن مسعاه بسبب تأنيب سِلدِن وأشر. ولكن على الرغم من أن رافيوس ربما كانت تراوده هذه الآمال في وقت أبكر من ذلك، ففي وقت تصويت اللجنة كان يعمل أستاذا في جامعة سويدية منذ زمن، وربما كان من حسن حظ بوكوك أن رافيوس لم يكن موجودا في إنجلترا.

قضى بوكوك السنوات العشر التالية في تشلدري، مسافرا إلى أكسفورد (حيث يبيت في كلية بيليول) ليلقي محاضراته. ولكن حتى في معتزلـه الريفي في بيركشاير لم يُترك لحاله، فقد أقدم بعضٌ من أهل أبرشيته الناقمين عليه بسبب الضرائب العشرية، على التشنيع به أمام أعضاء مجلس المحافظة المحلي؛ لأنه أقدمَ على «فصل بعض القساوسة من السذج الجهلاء الكسالى المروجين للفضائح»، الذين تم عُينوا وفق قانون أصدره كرومِول في العام 1654. وأضاع بوكوك عدة أشهر مشغولا في دفع التهم الكيدية السخيفة التي أثيرت ضده[50]. توفي سِلدِن، حامي بوكوك وراعيه، في الثلاثين من نوفمبر من العام 1654، ولكن بوكوك لم يعدم من يحميه ويدعمه، ففي اجتماع المفوضين في «وانتج» في السابع والعشرين من مارس من العام 1655 كان تشارلز فِتِبليس وثلاثة من أعضاء أسرته من بين الشهود المتعددين الذين كانوا يشهدون مع بوكوك. وفي النهاية استوجب الأمر التدخل الشخصي من قِبل بعض البارزين من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، يؤمهم جون أوين، وهو نائب رئيس الجامعة، ومن المتطهرين، وكان هو نفسه أحد أعضاء مجلس المحافظة الذين عينهم كرومِول، لإقناع مجلس المحافظة بأن «عزل بوكوك سوف يجلب لهم

الكثير من الازدراء والعار، عندما يُقال إنهم طردوا رجلا لعدم كفاءته العلمية، في حين أن الوسط العلمي ليس في إنجلترا وحدها، ولكن في أوروبا كلها، يعرف قدره العلمي، ومكانته الأكاديمية، واطلاعه الواسع، وإنجازاته الاستثنائية[51]».

والحق أن بوكوك في ذلك الوقت كان قد حاز شهرة واسعة كواحد من أبرز الأكاديميين في أوروبا كلها، فقد كانت تلك السنوات – على رغم الخطوب – من أكثر الفترات إنتاجا في رحلته العلمية. كان بوكوك ينتمي إلى ذلك الضرب من الأساتذة الذين كان الوسط الأكاديمي يعرفهم جيدا: علم غزير، ومعرفة لا تُبارى، مع إحجام عن النشر، ويقين دائم بأن الأفضل آتٍ في الطريق؛ ثم تجدهم يُقْدِمون على النشر بعد إلحاح من صديق، أو نصيحة صادقة من زميل. وكان ذلك ما حدث مع بوكوك عندما وافق على نشر كتابه الذي أسماه «لُمع من أخبار العرب». وعندما ظهر هذا الكتاب في العام 1650 كان بوكوك قد بلغ الخامسة والأربعين من عمره من دون أن ينشر شيئا غير «الرسائل الشامية» التي نشرها قبل ذلك بعشرين عاما. وحتى كتاب «لُمع من أخبار العرب» لم يُقدم على نشره إلا بعد إلحاح من صديقه جيرارد لانغبين، الذي كتب إلى أشر في العشرين من مارس من العام 1648 يقول: «ألححت على السيد بوكوك أن يدفع بهذا الكتاب المهم إلى المطبعة، وهو كتاب للقاضي صاعد عن طوائف العرب، والذي أتوفر على تحريره قبل الدفع به إلى المطبعة[52]». وهو إشارة إلى كتاب «لُمع من أخبار العرب» والذي يحتوي الجزء العربي منه على مقتطف من كتاب أبي الفرج المعنون بـ «جمهرة النسب»، وهو الجزء الذي توفّر فيه على تاريخ العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. والقاضي «صاعد» هو صاعد الأندلسي صاحب كتاب «طبقات الأمم» الذي استفاد منه أبو الفرج في مستهل المقتطف[53]. وأما عنوان الكتاب الذي ألّفه بوكوك: «لمع من أخبار العرب» فهو – في ظني – لا يدل على وصف المقتطف فقط، ولكنه يدل أيضا على وصف ملاحظات بوكوك عليه (وهي ملاحظات تشكل أغلب الكتاب)[54].

(3) كتاب بوكوك: «لُمَــع من أخبار العرب»

أنفق بوكوك في دراسة كتاب أبي الفرج ما لا يقل عن اثنتي عشرة سنة، فليس من المستغرَب إذن أن يكون هذا الحصاد الفذ – الذي يحتوي على الحكم الصائب

والدراسة المتأنية – مما يُتَوَقع من عالم قد نضج واكتملت أدواته. ولكن هناك ما هو أبعد من ذلك بكثير: فليس من الإسراف أن نقول إن الكتاب يُعَدُّ ثورة في الدراسات العربية، فقد امتلأ بهوامش وشروح تبين الآليات التي اتبعها أبو الفرج في سرده، وما اكتنف هذا السرد من ثروة في المعلومات في التاريخ والجغرافيا والأساطير والدين والنزعات الطائفية، محصول اطلاع على عدد كبير من المصادر الأصلية، لا تتوافر إلا من خلال المخطوطات، وعدد كبير جدا منها لم يُستثمر قبل بوكوك من قِبل أي أوروبي[55]. اختير عنوان «لُمع من أخبار العرب» للتأكيد على الطبيعة التصويرية للكتاب. إنه محاولة مرموقة للإعلان عن أن مجال الدراسات العربية والإسلامية في التاريخ والأدب والثقافة أحد المجالات التي يمكن – ويجب – التعامل معها بالقدر نفسه من الاهتمام والشرعية التي نتعامل بها مع الثقافة اليونانية والرومانية التي أصبحت في ذلك الوقت نبراس الباحثين الأوروبيين، وتقييمه بالمعايير التاريخية، ومعايير فقه اللغة نفسها التي نُقَيِّم بها الثقافة اليونانية والرومانية. والحق أن بوكوك كان يعتبر البلاغة العربية دون البلاغة اليونانية واللاتينية، وكان يردد وصف كالِغولا الذي كان يطلقه على النثر الذي كان يكتبه سِنِكَا Seneca، فكان يقول: «أرى رملا ولا أرى حجرا» [56]. من جهة أخرى، كان بوكوك يؤكد أن العرب لا تنقصهم القدرة على إنتاج الفلسفة، وكان يستشهد بدور الخليفة المأمون في تطوير هذا النشاط البشري[57]، ويردد موافقا أحكام هنري سافيل، وفحواها أن العرب الذين أنتجوا هذه الفلسفة يجب ألا نعتبرهم دون الإغريق والرومان في مجال الآداب والفنون الجميلة. ثم إنه في تصديره للكتاب يمعن في تبيان أن العرب يمتلكون «كنوزا لم تُكْتشف في كل مجال من مجالات الأدب»[58]، وهو يدلل على ذلك بما كتبه المؤرخون والشعراء وكُتّاب السير والفلاسفة وعلماء الجغرافيا وعلماء الحيوان والأدباء ومصنفو المعاجم وعلماء النحو، كما يدلل عليه بالنصوص الكثيرة والمتنوعة في كتب الدين والأخلاق. على أن المقارنة بالثقافة الكلاسيكية نجدها في الصفحات الأخيرة في الكتاب:

> إن كان منا من تأخذه الدهشة لأن أولئك العرب الذين تميزوا بالحكمة في العصور الغابرة، وغيرهم أيضا من الأعراق القديمة والأمم الدارسة، ممن تميزوا بالحكمة، وقدَّروها حق قدرها، قد اعتنقوا مثل

> هذه الخرافات السخيفة، فعليه أن يتوجه بالشكر إلى الله أن نشأ في حضن ثقافة أفضل، وأن تعلم التعلق بهذه الثقافة التي نشأ في كنفها، وأن التزم الحكمة في اعتدال، لئلا يسقط مثلهم – بميزان الله العادل – في مثل هذه المعتقدات التي لا تقل سخفا. وأنا أكثر خشية على هذا الذي يبالغ في الإعلاء من شأن حكمته وعلمه، أن يُبتلى بالمصير نفسه، عندما يدهشه أن أصحاب العقائد الدينية السخيفة، لا تنقصهم الحكمة في شؤون الدنيا، وأنهم ليسوا أدنى شأنا من الأمم الأخرى في الحكمة البشرية، والعبقرية في العلم والبصر بالأمور[59].

وقد لاحظ العلامة توِلز في الكتاب وجود إشارة معاصرة تُذَكِّر القارئ بملاحظة أوردها بوكوك فيما يتعلق بتلك «المخلوقات الشوهاء» التي عاشت في زمانه (‘apud nos homunciones’)، الذين يحتقرون التَعَلُّم، ويزعمون أن العلم بلغات أخرى إلى جانب الإنجليزية لا غنى فيه، ولا فائدة تُرجى منه لفهم المسيحية، وينبغي أن يكون ذلك مُحَرَّما قطعا[60]. ولكنّ في الكتاب جزءا لا بأس به عن الفِرَقْ الإسلامية[61]، وما كان يحدث بينها من معارك وخصومات حول الإيمان والعمل، مما يفهمه القارئ الواعي على أنه إسقاط مباشر على الخلافات الطاحنة التي كانت تجري بين المسيحيين أنفسهم، خصوصا: في إنجلترا. وهذا الجزء يعتمد في الأغلب على «كتاب المِلل والنحل» للشهرستاني، مع إضافات من مصادر أخرى كثيرة (ومن المعروف أن بوكوك كان من أوائل الأوروبيين أصحاب الاطلاع الواسع في علم الكلام، يعود في أغلبه إلى قراءته في كتاب «المواقف» للإيجي). وعلى رغم أن بوكوك كان موضوعيّا في روايته على الإجمال، فإن النزاعات بين الفرق الإسلامية التي اختار الحديث عنها ووصفها، متصلة الوشائج في طبيعتها بنزاعات كانت تدور في عصره بين الفِرَقْ المسيحية، كتلك المعارك التي كانت دائرة بين المؤمنين بالإرادة الحرة، والمؤمنين بالقضاء والقدر، وكذلك المعارك التي كانت دائرة حول المرجعية في الأمور الدينية، خصوصا فيما يتعلق بوضع الكتاب المقدس؛ وإن كان من حق المؤمن أن يقتل أولئك الذين يعتبرهم زنادقة، وما الحجة الشرعية (إن وجدت) التي تجعلنا نحكم على الناس بالطرد الأبدي من رحمة الله؟ ونقرأ أن بوكوك كان يكرر باستحسان واضح الجواب الذي أفحم رجلا من رجال الدين عندهم كان لا

يتورع في تكفير المختلفين معه، وحرمانهم من رحمة الله: «وهل ترى أن الجنة، التي عرضها السماوات والأرض، مدخرة لك وحدك أنت والثلاثة الذين يتفقون معك في الرأي؟ [62]»، ومن دواعي المتعة أن نقرأ هذا المقتطف الطويل في كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، في تجاوزات بعض فرق المدعين للتصوف ممن يتصلون بشبه مع فرق إنجليزية معاصرة من المتنطعين والمتشدقين[63]:

> حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب... وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع، إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا: هذا إنكار مصدره العلم والجدال، والعلم حجاب، والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق[64].

فور صدوره أصبح كتاب «لُمع من أخبار العرب» في عداد الإنجازات المهمة، وأسهم في التمكين لـ بوكوك حتى ظفر بشهرة سرت في دوائر المثقفين في أوروبا كلها. ولا شك في أن بوكوك كان ينوي تحقيق تاريخ أبي الفرج كلـه وترجمته، ولكنا نشك في أنه كان ينوي دعم الكتاب بحواشٍ وتفسيرات كما فعل في كتابه «اللُمع»، فقد كان لـه في سِلدِن ووالتون شغلا. وعندما أصدر العمل كاملا في العام 1663، أضاف بعض التعليقات الهينة، بعيدا عن الرواية الفعلية للتاريخ الإسلامي، استمدها من كتابات مؤرخين عرب آخرين، حتى يصبح كتابه استئنافا لرواية مؤلفه إلى يوم الناس ذاك[65].

(4) طبعات عربية أخرى يصدرها بوكوك

كان كتاب «لُمع من أخبار العرب» (ربما باستثناء كتاب «الكانكيولاريا» لمؤلفه بِنْبردج)[66] Canicularia أول كتاب يُطبع في أكسفورد بحروف الطباعة العربية التي حصلت عليها الجامعة في العام 1636. فلم تكن للجامعة مطبعة خاصة بها في ذلك الوقت، ولكنها كانت تستعين بفنيين في الطباعة لطباعة بعض الأعمال تحت رعايتها، وكان هنري هول من بين أولئك الفنيين، وكانت تُقْرِضه تلك الحروف العربية الغريبة

التي كانت تمتلكها عند الضرورة. وبعد صدور الكتاب مباشرة في العام 1650، شرع بوكوك في إصدار طبعة أخرى لا نشك في أنه كان يفكر في إصدارها منذ فترة. وكان ذلك أول كتاب يُطبع بالحروف العبرية التي تمتلكها الجامعة في الوقت نفسه الذي امتلكت فيه الحروف العربية. على أن الكتاب لم يكن مكتوبا بالعبرية بل بالعربية، وكان عنوانه «بوابة موسى»، ويتألف من ستة أجزاء استهلالية من تفسير موسى بن ميمون لكتاب «المشناة»، مع ترجمة لاتينية، وفيض وافر من الحواشي والتعليقات المتعمقة[67]. كانت العربية هي اللغة التي كان يتحدث بها موسى بن ميمون، وأغلب اليهود الآخرين الذين كانوا يعيشون على الأراضي الإسلامية بداية من القرن العاشر، وكانت العربية هي اللغة التي كُتِبت بها أغلب الكتابات اليهودية الأكاديمية منذ أوائل العصور الوسطى، وإن كانت الحروف عبرية. وكان بوكوك[68] يعيب على معاصريه من اليهود إهمالهم هذا التراث المكتوب بالعربية، فقد كان مهتما بصفة خاصة بهذا التراث العربي[69]، وكان نشره في ذلك الوقت عملا من أعمال السبق والريادة المضيئة في تاريخ الفكر [70]. وفي السادس عشر من مارس من العام 1652، حكى لانغبين لـسِلدِن عن الحروف العربية[71]، وفي الحادي والثلاثين من مارس، ومن خلال جهود لانغبين، وقّع على اتفاقية مع صاحب محل سك حروف الطباعة المدعو نيكولاس نيكولاس لصناعة حروف عبرية على نمط مصفوفات الجامعة[72]، غير أن الكتاب لم يصدر إلا بحلول العام 1655[73]. وليس من شك في أن السبب الرئيس في تأخير إصدار هذا الكتاب هو أن بوكوك كان مشغولا – على غير ما كان يرغب – بالسعي إلى إصدار كتاب آخر.

كان المحرك الأساس في هذا الموضوع هو سِلدِن الذي كان يسعى إلى إصدار طبعة لترجمة كاملة لـ «حوليات أوتيخيوس» التي كانت تربطه بها صلة عشق قديم[74]. وقد هم ذات يوم بأن يصدرها بنفسه، فقد كان يحتفظ بترجمته اللاتينية لجزء كبير من العمل بين مخطوطاته في مكتبة البودليان[75]. غير أنه في أبريل من العام 1652 عرض على لانغبين اقتراح إصدار الطبعة عن جامعة أكسفورد، وعلى حسابه الخاص، ولكن بإشراف لانغبين وبوكوك، مشفوعة بترجمة لاتينية سينجزها بوكوك لهذا الغرض[76]. وفي الحادي عشر من مايو تقدم بالطلب إلى بوكوك نفسه، وكان بوكوك محجما، ولكن لم يكن يسعه الرفض؛ فقد كان سِلدِن من أشد المتحمسين لتشجيعه والدفاع عنه[77]. وقد خاض تولِز في نقاش طويل حول

أسباب إحجام بوكوك، والذي كان يعزوه – في البداية – إلى سعي سِلدِن (في كتابه «أوتيخيوس»، 1642 – إلى استخدام أوتيخيوس للتأثير في حكم الأساقفة للكنيسة، وهي محاولة لم يستسغها تولِز نفسه في نهاية المطاف[78]. والحق أن بوكوك كان يمقت الجدل من صميم القلب، خصوصا في شؤون اللاهوت، ولكن الكتاب الذي شرع سِلدِن في إصداره كان يخلو من الجدل، ومن العبث أن نفترض أنه كان يشعر بأن أعمال سِلدِن الأخيرة يمكن أن تُحسب عليه. بالعكس، ربما كره أن يتأخر إصدار كتاب «بوابة موسى» الذي ستكون المهمة الجديدة سببا من أسبابه. أضف إلى ذلك أن سِلدِن كان لديه مذهبه الغريب في التحقيق، فعلى رغم أنه كان يحتفظ بثلاث مخطوطات للعمل المتاح، فإنه كان يصر على أن يكون النص المطبوع مطابقا لإحداها مطابقة تامة، مع بعض التغييرات في المخطوطتين الأخريين لما تقتضيه الحاجة إلى الحواشي والهوامش[79]؛ ومن الواضح أن بوكوك لم يكن يطمئن إلى هذا المذهب في التحقيق، ولكنه لم يكن يملك إلا أن يحتذيه في إنجاز العمل المطبوع. أضف إلى ذلك كلـه أنه كان يعرف أن «حوليات أوتيخيوس» [80] لم تكن لها أهمية كمصدر تاريخي إذا قُورِنت بكتاب أبي الفرج، ولا بد أنه كره أن يضيع وقته فيما يكتبه هذا الكاتب في وقت لم يتمكن من نشر الكتاب الأول كاملا.

كان بوكوك يعمل على ترجمة كتاب «أوتيخيوس» وتحقيق نصه بين إقبال وإدبار، وذلك في الفترة من العام 1652 إلى العام 1654، وعندئذٍ كان الكتاب قد اكتمل من الناحية الشكلية، وطُبعت صفحة غلاف المجلد الثاني منه بالفعل[81]. لم يكتفِ سِلدِن بتوفير الورق اللازم لإصدار الطبعة، بل دفع المال اللازم لشراء الحروف العربية التي طلب أن تُسَكَّ على غرار حروف الجامعة. ويذكر تولِز أن بوكوك أضاف إلى مصفوفته حرفا جديدا من حروف العربية[82]. وذكر ذلك لانغبين وبوكوك في مراسلاتهما مع سِلدِن (وتكشف هذه الرسائل أن هذا الحرف هو حرف «الدال»)[83]. ولكن شكل هذا الحرف في كتاب «أوتيخيوس» يظهر مطابقا بحرف يشبهه في نصوص أقدم خرجت من مطبعة أكسفورد، (كتب جون غريفز على سبيل المثال) فلا بد أنه قد تم التخلي عن الخطة. لقد تأخر إصدار الكتاب بسبب وفاة سِلدِن في الثلاثين من نوفمبر من العام 1654. وفي قصاصة ملحقة بوصيته الأصلية يعهد بطبعة كتاب أوتيخيوس كلها (خمسمائة نسخة) إلى لانغبين وبوكوك، ولكن الطبعة لم تصدر إلا في العام 1656،

بعد أن فرغ بوكوك من الملاحظات (أغلبها إشارات إلى قراءات متباينة)، وكذلك من كتابة التصدير، وجمع المادة العلمية لفهارس وحواشٍ كثيرة مع قائمة بالأخطاء وتصويبها. وفي الفترة الواقعة بين العامين 1656 و1654، وإلى جانب المشوِشات الناتجة عن تهم «عدم الكفاية»، والرغبة في إتمام كتاب «بوابة موسى»، كان بوكوك مشغولا أيضا بالإشراف على نقل مخطوطات سِلدِن الشرقية، ومخطوطات أخرى، إلى مكتبة البودليان، حيث تم التبرع بها. لم يظهر في تصدير بوكوك لكتاب «أوتيخيوس» عدم رضاه عن الكتاب الذي كان يعبر عنه في السابق، بل عبر عن عدم رضاه عن الأخطاء النَحْوية والإعرابية المنبثة في النص المطبوع، وكان سببها المنهج الذي اتبعه سِلدِن في التحقيق، أو التي فرضتها عليه المناهج التحقيقية التي اتبعها. ثم إنه أخذ على عاتقه توثيق قضية عدم الوثوق في سِلدِن كمؤرخ. على أن الترجمة يمكن الاعتماد عليها، وبالمقارنة بشح المطبوعات التي كان يصدرها مؤرخو اللغة العربية في ذلك الوقت، يُعتبر الكتاب إنجازا كبيرا.

وعلى رغم أن بوكوك، كما سنرى بعد حين، ساعد في إتمام الإنجيل متعدد اللغات، فإن النص العربي الآخر الوحيد الذي عمل هو نفسه على إصداره قبل عودة الملك تشارلز الثاني كان عملا مهما أيضا، وهو عبارة عن كُتَيب قصير مجهول المؤلف بعنوان: «طبيعة شراب القهوة كما يشرحها لكم طبيبٌ عربي»، وهو مقال قصير مأخوذٌ من كتاب كبير مؤلف بالعربية في القرن السادس عشر، وقد أشار العلامة مرغليوث إلى أن مؤلفه يُدعى داوود بن عمر الأنطاكي[84]. وأما المقال الذي اقتطفه بوكوك من هذا الكتاب فقد صدر عن دار «هنري هول» في أكسفورد في العام 1659، واستُخدمِت فيه حروف الطباعة العربية، مشفوعا بترجمة إلى الإنجليزية. كان بوكوك نفسه من عشاق القهوة في أثناء إقامته في الشرق، واستمر يشرب القهوة طوال حياته بعد ذلك. وقد كان مسرفا في شرب القهوة حتى أنه حين أُصِيب في أواخر حياته بشلل في يده وجد من يعزو هذه الإصابة إلى إدمانه القهوة[85]. وقد أيقظ هذا العمل القصير فضول بعض المهتمين بالعلوم[86]، ففي الخامس من أبريل من العام 1659 شكر هارتلِب بويل لأنه أرسل إليه نسخة (ومن الجائز أن بوكوك هو الذي أعطاه النسخة؛ فقد أصبحت تربطه علاقة صداقة بـبويل في أكسفورد في خمسينيات القرن السابع عشر)[87]. وما اطّلع عليه هارتلب حتى جعل ينسخ الجزء

المكتوب بالإنجليزية أكثر من مرة[88]، وأرسل هذه النسخ إلى آخرين منهم ورثنغتون في كيمبردج، وراح يشرح لـه كيف أن السيد بوكوك ترجم هذا المقتطف من كتاب عربي ألفه طبيب عربي وأداره حول القهوة وفوائدها وآثارها الجانبية، ويقول لـه: إنه يرسل إليه نسخة بعد معاناة في نسخها بيده[89]. وفي العام 1668 أصبح الكتاب في حكم النادر، عندما طلب إدموند كاستل من صامويل كلارك أن يبحث لـه عن نسخة في أكسفورد، وعرض لقاء ذلك أربعة قروش، أو حتى ستة قروش ثمنا لـه[90]. وفي أواخر العام 1671 كان الطبيب الهامبورغي المدعو مارتن فوغل يسعى إلى الظفر بكتاب بوكوك من خلال أولدنبورغ، ولم يكن أمام جون واليس، الذي طلب منه أولدنبورغ الكتاب، غير أن يلجأ إلى بوكوك نفسه للحصول على نسخة[91]. وأما المقتطف فيمتدح آثار البن، ولكنه يحذر من مخاطرها، بعد أن يصفه وصفا مفصلا، حيث يقول:

> إنه يُحَسِّن الدورة الدموية، ويعالج الجدري والحصبة، ويفيد في علاج الدمامل؛ وهو يجلب الصداع الدوري، والهزال الشديد، ويورث السهر، ويولد البواسير، ويقطع الشهوة الباءة، وأحيانا ما يسبب الشجن.

عادت أكسفورد في أثناء عقد الخمسينيات من القرن السابع عشر، وبعد سنوات الاضطراب الذي حدث في أثناء الحرب الأهلية، والأعوام الأولى التي كان يجري فيها التفتيش عليها، إلى درجة من الهدوء السطحي. فقد أسفرت حملات التفتيش على الجامعة أن اضطُر بعض أفضل تلاميذ بوكوك في الأربعينيات إلى مغادرة الجامعة في بدايات حملات التفتيش[92]، فقد ظهر في الخمسينيات جيل جديد من التلاميذ الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية. وكان أبرز أولئك التلاميذ، وأهمهم فيما بعد إدوارد برنارد (الحاصل على الليسانس من كلية القديس يوحنا العام 1659)، ومنهم روبرت هنتنغتون (الحاصل على الليسانس من كلية مِرتون العام 1658)، ومنهم نارسِسس مارش (الحاصل على الليسانس من كلية مغدلين في العام 1658). ومن هؤلاء أيضا، وكان أصغرهم سنا بقليل، ولكنه كان صديقا للثلاثة، توماس سمِث الذي كان قد التحق بكلية الملكة في العام 1657، وتخرج فيها بدرجة الليسانس بعد عودة الملك تشارلز الثاني مباشرة، ويبدو أنه درس اللغات الشرقية في أثناء الأعوام التي قضاها في الكلية.

(5) المطبوعات الشرقية التي أصدرها غريفز

كانت المطبوعات العربية التي أصدرتها جامعة أكسفورد في أثناء الثورة من إعداد جون غريفز وتشجيعه. وعلى رغم أن جميع الكتب – ما عدا كتابا واحدا – لم تُطبع في أكسفورد، بل طُبِعت في لندن، وعلى رغم أن غريفز نفسه كان قد استُبْعِد من الجامعة في العام 1648[93]، فإنه من المناسب جدا أن ننظر في جهوده في إشاعة العربية؛ فقد مهد الطريق لدراسة هذه اللغة في أكسفورد، أضف إلى ذلك أن حروف الطباعة العربية التي كانت موجودة في أكسفورد كانت لها فائدة قصوى في طباعة أغلب الكتب التي ألفها بعد ذلك. والحق أن هذه الكتب لم يُنشر منها شيء في أثناء احتلال قوات الملك لمدينة أكسفورد، غير أن غريفز كان يُعِد أول هذه الكتب للطباعة في ذلك الوقت، وقد ظهر في العام 1646 بعد أن استسلمت أكسفورد لقوات فيرفاكس، وكان ذلك الكتاب هو كتاب «وصف أهرام مصر»[94]. ويعود الفضل في ظهور هذا الكتاب إلى جهود غريفز في الاستكشاف والسفر، فقد سافر إلى مصر بين العامين 1638 و1639، وزار الأهرام، وجعل يقيسها شبرا شبرا. ولكنه في الجزء الأول منه يبدأ بإطلالة عامة على تاريخ الأهرام المصرية، متكئا على سجلات بينها مصادر مكتوبة باللغة العربية، على الرغم من أنه لم يُعَوِّل عليها كثيرا، لأن ثقته بالروايات التي وجدها في تلك المصادر لم تكن كبيرة. كانت الكتب العربية التي اقتطف منها هي «مرآة الزمان» و«ابن عبدالحكم»، وهو مؤرخ عربي كرس أغلب جهوده لوصف عجائب مصر[95]. اقتبس أيضا من مؤلف فارسي أسماه «أمير كوند»: وهو المؤرخ الفارسي المعروف «مير خواند»[96]. كما أثمرت جهوده عن كتاب آخر في العام التالي بعنوان «بحث في القَدَمْ الروماني والدينار»[97]، ومحتويات هذا الكتاب متنوعة غاية التنوع، ربما أكثر مما يُوحي به العنوان، فهو يصول ويجول في مساحات واسعة من المعرفة بأحوال العالم القديم والوسيط، ثم يحدثك عن علم القياس والموازين الحديثة، وكان من الدراسات المحببة إلى نفس غريفز، والتي كرس لها - كما يقول مزهوا - جل جهوده البحثية في أثناء سفراته الخارجية. كما استقطب المنكوب بوكوك للسعي في هذا العمل الشاق. يعطينا تولِز (ص72) عينة من التعليمات التي أرسلها إليه: «أريدك أن تعرف مساحة الجزء الغربي من كنيسة «آيا صوفيا» بالقياس الدقيق، واستخدم لذلك سلكاً نحيفاً صغيرا من الحديد».

وفي رسالة أخرى كتبها إلى بوكوك في القسطنطينية يملأها غريفز بتوجيهات كثيرة ودقيقة للقيام بموازين وقياسات مختلفة، يكفي أن نقتطف منها اقتباسين على سبيل التمثيل:

> استخدم للقياس الدقيق عصا مستقيمة جافة، لقياس طول البيت الفارسي (الديرة)، خاصة في بغداد، حيث كان بيت الخليفة المأمون، وبتلك الأداة كان يقيس الأرض؛ وأذكر أن صبيك اليهودي أخبرني بأنه يعرف وزن «الشيكل» المصنوع من معدن الرصاص، فإذا لم يكن رحل مع شيكله، اعرف وزنه بميزان دقيق حساس، بقطعة أخرى من الرصاص على الكفة الأخرى، واحرص كل الحرص على ألا يضيع شيء من وزنه[98].

يشير المقتبس الأول إلى أن غريفز كان مهتما اهتماما خاصا بالقياسات العربية الخاصة بالطول، وبما لذلك من صلة بالقياسات المشهورة التي تُعرف بمعرفة الدرجة الواحدة من الدائرة الكبرى للأرض، بإشراف الخليفة المأمون نفسه [99]. ولقد ظل الحجم الدقيق للأرض بعيدا عن اليقين طوال القرن السابع عشر كلـه[*]، ولم يكن غريفز وحده الذي كان يعتقد أن قياس محيط الأرض في القرن التاسع الميلادي الأقرب إلى القياسات الحديثة. وفي أثناء عمله حول القَدم الرومانية يذكر روايتين لهذه المقاييس، الأولى «لـمحمد بن مسعود في كتابه المعنون بـ «جهاندانش» وهي كلمة فارسية»[100]. عرف غريفز هذا الكتاب المشهور في الفلك، وهو كتاب «الجهاندانش»، لمؤلفه محمد بن مسعود بن محمد المسعودي، من خلال المخطوطة التي يمتلكها [101]. ثم إنه ترجم جزءا من الوصف المسهب للقياس الذي ورد في كتاب «الجغرافيا» لأبي الفداء[102]، وهو عمل اشترك في تحقيقه. وعلى رغم أن كتاب غريفز يركز في الأساس على الطول الدقيق للقَدَم الرومانية، فإن هناك

(*) قرر المأمون إيجاد طول الدرجة الواحدة من الدائرة الكبرى للأرض بالقياس واضعا خطة مفصلة لتجربة علمية لحل المعضلة، ففي توسعة لتجربة الرياضي اليوناني القديم أراتوسينس أرسل المأمون فريقين من علماء الفلك والمسَّاحين وصانعي الآلات إلى سهل سنجار الصحراوي، بالقرب من الموصل، حيث أخذوا القراءات لارتفاع الشمس قبل أن ينقسموا فريقين: فريق اتجه صوب الشمال، وفريق آخر صوب الجنوب الأصلي، ومع تحركهم كانوا يسجلون بدقة ما قطعوا من مسافة واضعين في الأرض علامات خاصة على الدرب؛ وعندما كانت مجموعة ثانية من القراءات الشمسية تشير إلى أنهم قطعوا درجة على دائرة خط الطول يتوقفون ويعودون أدراجهم للتثبت من المسافة التي قطعوها، ثم تحلل المجموعتان المستقلتان النتائج وتقارن الواحدة بالأخرى لتعطيا رقما نهائيا دقيقا إلى حد لافت. كان حساب بحاثة المأمون قريبا جدا مما يُعرف اليوم. [المترجم].

مراجع جانبية أخرى وإشارات إلى أبحاث أخرى مكتوبة بالعربية والفارسية، منها رسالة علي القوشجي الذي كان يساعد أولوغ بيك في جمع الجداول الفلكية التي كان يكتبها بالفارسية[103]، والذي سيعود إليه غريفز بعد حين. ولعل أهم ملمح في الكتاب تلك القائمة من الجداول التي ألحقها المؤلف في نهايته، وهي جداول قياسات مختلفة، بوحدات قياس مترية، كان غريفز قد أجراها على بعض الآثار المعروفة والخالدة، ومنها الأهرام المصرية. وقد ذكر أن غرضه من هذه القياسات هو تمهيد الطريق أمام بحاثة الغد لئلا يواجهوا صعوبات في تحديد الطول الدقيق للقَدَم الإنجليزية كالتي واجهها في تحديد الطول الدقيق للقَدم الرومانية. لم يكن الأوروبيون يعتقدون أن أبحاث الماضي يمكن أن تفيد في تطور علوم الغد إلا في القرن السابع عشر.

أشرف غريفز في العام 1648 في جامعة أكسفورد على طباعة كتابه عن المُذَنّب Canicularia الذي ألَّفَه جون بِنبردج، فقد اتفق أشَر على طباعة الكتاب مع بِنبردج، ثم طلب من غريفز أن يُتِمه. يتصل موضوع الكتاب بالدورة السوتية عند قدماء المصريين، بعد نحو 1460 سنة من التقويم اليولياني، والمتصل بالشروق الشمسي لنجم الشعرى (مجموعة نجوم الكلب الأكبر). وقد استمد بِنبردج أغلب حججه ومناقشاته من مصادر يونانية ولاتينية على سبيل التحديد. بيد أن غريفز قد استثمر الفرصة فأضاف أشياء من عنده، وهي أشياء تشي بقراءاته المتعمقة في كتب علماء الفلك العرب والفرس. ففي الصفحات من 43 إلى 48 يذكر عددا من حسابات الميل في الكسوف استمدها من مؤلفين من العصر الوسيط، منهم ابن الشاطر وكتابه المعنون بـ «الزيج الجديد» الذي كان غريفز يمتلك مخطوطته، وقد ملأها بالحواشي والهوامش والملاحظات[104]، وكان يمتلك أيضا كتاب «دليل النجوم» لـ عبدالرحمن بن عمر الصوفي، الذي رجع إليه في مخطوطة يمتلكها بوكوك؛ والكتاب الذي ألفه علي القوشجي بعنوان «رسالة دار علم الحياة الجديدة»[105]. وهو مساعد باحث في مرصد أولوغ بيك؛ وهنا يشير كتاب نصير الدين الطوسي المكتوب بالفارسية بعنوان: «زيج الإيلخاني»، وشروح محمود شاه خلجي من علماء القرن الخامس عشر الميلادي[106]. وقد نشر غريفز أيضا مقتطفات في مجلة «نصوص فلكية» Astronomica quaedam[107] من كتاب آخر بالفارسية من تأليف محمود

شاه خلجي بعنوان: «زِيج الجامي» (انظر الصفحات التالية). وفي النهاية، لم يشِر فقط إلى جداول أولوغ بيك، لكنه يعطينا في الصفحات من 82 إلى 116، قائمة بإحداثيات مختارة من فهرست النجوم في هذا الكتاب الفذ للحقبة في العام 841 هـ ويوافق 1437م، وهذا مسبوق بوصف موجز لأولوغ بيك وبحاثة آخر يرصد من سمرقند، ووعد بإخراج طبعة لـ «فهرست النجوم» كله. ولم يعش غريفز لينشر هذا كلـه، ولكننا سنرى أن جهده واضح في الطبعة التي أخرجها «توماس هايد» (أكسفورد، 1665).

وفي الثلاثين من أكتوبر من العام 1648، وبعد أن رفض الرد على التهم التي وجهها المفتشون[108]، حُرِم غريفز رسميا من زمالة كلية مِرتون وأستاذية كرسي سافيل، وطُرِد من الجامعة نهائيّا. بيد أنه لم يترك الجامعة من دون أن يبذل جهده في سبيل البقاء، فقد سجلت محاضر التفتيش آنذاك أنه سعى إلى العودة. وفي العام 1649 رفعت النصوص القانونية التي اتُّهِم بموجبها[109]. أخفق في العودة، ولكنه نجح في الحصول على بعض متأخرات مرتبه. كان خَلَفَه في كرسي سافيل سيث وارد، الذي عين بتأثير من غريفز نفسه كما زعم بعضهم، وردا للجميل، تنازل وارد عن مرتبه لـ غريفز مادام الأخير على قيد الحياة. مهما يكن من أمر فإننا نظن أن هذه الرواية لا تخلو من تحيز، ومرجعها الوحيد هو وارد نفسه كما يزعم كاتب سيرته المؤيد لـه[110]. انتقل غريفز إلى لندن، وعاش هناك وتزوج من السيدة إلِزابث غيبون في العام 1650، ثم وافته المنية بعد ذلك بعامين من دون أن ينجب منها. ولكن بين فصله من جامعة أكسفورد ووفاته، تمكن من إصدار أربعة كتب[111]، وذلك على الرغم من العوامل التي كان يمكن أن تصرفه عن العمل، مثل: مواجهاته مع المفتشين، والأعوام الكثيرة التي شُغِلَ في أثنائها بقضايا رفعها ضده عدوه اللدود السير ناثانيال برِنت الذي نصب نفسه قاضيا في أمور الوصايا [112]. فقد كان غريفز وصيّا على إرث بنبرِدج، ثم إرث زوجته بعد ذلك. ثم إنه قضى زمنا ليس بالقليل يدفع عن نفسه تُهَما أفضت به إلى الفصل من منصب الأستاذية في كلية غرِشَم.

راح غريفز «والمكلفون بطباعة كتبه» يبحثون عن حروف الطباعة العربية والفارسية لطباعة المقتطفات التي اقتبسها بهاتين اللغتين في كتابيه الأولين. طبع المقتطفين اللذين وردا في كتابه الذي خصصه لوصف الأهرام المصرية بالحروف

التي جلبها سِلدِن[113]، لكنه كتب المقتطفات العربية التي تضمنها كتابه «القَدَم الرومانية» بالحروف التي جلبها جون فِكرز، وحروف الطباعة العربية التي كانت موجودة في جامعة أكسفورد [114]. يبدو أن لوحة مفاتيح الطباعة العربية لم تكن موجودة في ذلك الوقت في لندن على وجه الخصوص، ولذا كان القائمون على الطباعة مضطرين إلى استخدام تلك الحروف الغريبة التي وجدوها ملقاة هنا وهناك، أو التي كان يمكن لـ غريفز أن يقترضها من جامعة أكسفورد. ولم يكن هذا المنهج المتصل بالحاجة نفسها مما يكفي غريفز لطباعة كتبه التي كان يريد إصدارها بعد ذلك، وكانت نصوصا بالعربية والفارسية، وتتطلب لوحات مفاتيح كاملة. ولذا وجدنا غريفز يقترض من الجامعة الحروف العربية التي كانت تمتلكها (وكان لانغبين، رئيس الأرشيف، هو المؤتمن عليها)، وينقلها إلى لندن؛ كما طلب من السيد نيكولس، وهو صاحب مسبك حروف، أن يصنع لـه الحروف العربية والفارسية، ويعطيها للسيد يعقوب فلشر صاحب المطبعة الذي تولى إصدار كتب غريفز في لندن بين العامين 1648 و1652. ووفق ما يروي لنا جيرارد لانغبين، فقد خدع غريفز الجامعة حين ادعى أن دافعه لاستعارة لوحة الحروف العربية لا شيء غير فحصها وإصلاح عيوبها، وأن طلبه من فلِشَر أن يصنع لـه منها مصفوفة كاملة لم يكن مصرحا به من قِبَل الجامعة على الإطلاق[115]. وعلى رغم أن الوسيلة التي حصل بها غريفز على الحروف مشبوهة، فإن الفائدة كانت كبيرة بالنسبة إلى الدارسين والعلماء، فقد يسرت نشر كتب غريفز، ويسرت نشر ما بعد ذلك من كتب سِلدِن، على سبيل المثال كتابه المعنون بـ «كتاب السانهدرين الثالث» De Synedriis Liber Tertius (طُبع في مطبعة فلِشَر في العام 1655)[116].

وعندما نشر غريفز ذلك المقتطف من خارطة النجوم لـ أولوغ بيك في العام 1648، أعلن أن الحروف الهجائية لم تكن صحيحة؛ لأن بعض حروف اللغة الفارسية لم تكن متاحة أمام صاحب المطبعة. وفي العام التالي أصلح هذه الحروف (يقال إنه نصح نيكولس بإصلاح الخرامات)؛ لأنه في العام 1649 نشر كتابا في قواعد اللغة الفارسية. قال لـسِلدِن [117]: إنه كان قد أعد هذا الكتاب منذ زمن بعيد، وتأجل نشره لأنه لم يجد الإمكانات الضرورية لطباعته، وبعدها

ذهب في رحلة إلى الشرق. وأما التاريخ الدقيق لتأليف هذا الكتيب فقد حدده غريفز في تصديره لكتيب آخر نُشر معه (على رغم أن صفحة الغلاف والإهداء بتاريخ 1648). وكان هذا الكتيب - مجهول المؤلف - رسالة بالفارسية، يشرح فيها الاختصارات المكتوبة باللغة العربية والفارسية للأعمال الفلكية، التي وجدها غريفز في القسطنطينية. ثم إنه يذكر - وهو يخاطب كلود هاردي - أنه ألّف كتابه في النحو الفارسي في باريس قبل ذلك بكثير، بناء على نصيحة من هاردي نفسه، ولا بد أن ذلك كان في العام 1635، وفي ذلك الوقت لم يكن يوجد أي كتاب في النحو الفارسي. لكنه في الوقت نفسه، استبق غريفز المشهد بتأليف كتاب بعنوان «أساسيات قواعد اللغة الفارسية»[118].

ظل غريفز سنوات متعددة يعمل على تحقيق كتاب «الجغرافيا» لأبي الفداء، وهو الكتاب الذي كان يتطلع إليه علماء الجغرافيا الأوروبيون منذ أن أطلعهم بوستل على بعض أخبار مخطوطته في القرن السادس عشر[119]، وراح إربِنيوس يَعِدُ بإخراج طبعات منه، ثم وعد بذلك فلهلم شيكارد Wilhelm Schickard، الذي استفاد بعض الشيء من نسخة كانت موجودة في ورق البردي في فِيينا وفرها لـه تنغناغل [120]. وعبر غريفز عن نيته في إنتاج طبعة منه في أوائل العام 1638[121]. وقد رأينا قبل حين أن أحد أسباب زيارته لمكتبة الفاتيكان في العام 1639 كانت رغبته في التأكد من صحة مخطوطة بوستل الموجودة هناك. وبحلول العام 1645 كان قد أحرز تقدما كبيرا، لكنه واجه بعض الصعوبات كذلك، نعرفها من رسالة كتبها إلى بوكوك في السابع من أغسطس جاء فيها:

> أريد أن أطبع كتاب أبي الفداء في الجغرافيا، ولكن تواجهني بعض الصعوبات، وأخشى أن تسير الأمور ببطء في جامعة كيمبردج، إلا إذا حصلت على النسخة الموجودة في لايدن. أضف إلى ذلك أن النص نفسه به بعض المشكلات، فهناك صفحات أدركها التلف، ولا أستطيع أن أقرأ أرقام الصفحات في الجزء الأكبر منها، وحتى في مخطوطتك التي هي من أيسرها قراءة، أرقام مختلفة وخاطئة إلى أقصى درجات الاختلاف والخطأ (فقد وجدت المدن لا تتسق مع الخرائط)، مما يجعل تصحيح هذا الجزء من الكتاب مستعصيا على الإصلاح. وقد ثبت لدي ما كتبه

> إليّ شافينيوس Schavenius منذ فترة، بأنه يكاد من المستحيل أن ندرج خرائطه[122].

ولم يمضِ عامٌ حتى أدركته بعض الشـــكوك في أهمية ذلك العمــل نفسه لعلوم الجغرافيا الحديثـــة، فكتـــب إلى بوكوك في الثامن والعشرين من أكتوبر من العام 1646:

> أصدقك القول إن هذه الخرائط التي نريد أن نرسمها لكتاب أبي الفداء لن تكون دقيقة كما كنت أتوقع عند مقارنة بعضها بأفضل خرائطنا وأحدثها. ففي وصفه للبحر الأحمر، وهو من البحار القريبة منه، أخطأ خطأ جسيما؛ فما بالك بالأماكن الأخرى البعيدة؟ بيد أن الكتاب لم يخلُ من فائدة للكتاب العرب[123].

لا بد أن هذه الشكوك هي التي أَثَّرت في اختياره للمقتطفات التي اقتبسها من كتاب الجغرافيا التي نشرها آخر الأمر. فوصفها لأجزاء من العالم كانت مجهولة عند الأوروبيين، على ما انطوت عليه إحداثيات أبي الفداء وأوصافه من أخطاء، كانت أفضل من لا شيء. وفي العام 1650 صدرت طبعة غريفز وترجمته للجزأين الخامس والعشرين والسادس والعشرين من كتاب «الجغرافيا»، اللذين يتناولان منطقتين في وسط آسيا وهما خوارزم وما وراء النهر، (ولعله نهر جيحون). كما احتوى الكتاب على مقدمة كتبها أبو الفداء للكتاب كلـه، وتصدير كتبه غريفز خصيصا للقارئ، وفيه يبين أن العمل الراهن ما هو إلا عينة من طبعة كاملة سوف تظهر قريبا، حصاد تأليف من خمس مخطوطات: نسخة كانت في مكتبة بالاتين (مكتبة الفاتيكان الآن)، والنسخة التي كانت مع إربِنيوس (موجودة الآن في مكتبة كيمبردج)، ومخطوطتين كان يمتلكهما بوكوك، ومخطوطة كانت مع غريفز نفسه[124]. ثم إنه يتحدث عن العمل ومؤلفه حديثا ثريا بالمعلومات، لا يفسده إلا التواريخ الخاطئة التي أوردها في المقدمة لتولي أبي الفداء حكم حماة، ثم عام الوفاة والذي يقول إنه إما العام 743 أو 746 من الهجرة. كان بوكوك قد توصل إلى التاريخ الصحيح لتولي أبي الفداء حكم حماة وهو 710 هجرية[125]. ونجد أن تولِز - وقد غاظه القدح في دقة بوكوك التي استدعاها ذلك التناقض في قاموس بيلي - يشرح خطأ غريفز بالتفصيل[126]. كان قد أخذ التواريخ من كتاب يسميه «السكردان»[127]،

الذي يشير إلى أبي فداء آخر يختلف عن الأول اختلافا تاما، يبدو أنه يعود إلى أحد سلاطين مماليك مصر(*).

أتم غريفز ترجمته لجزء آخر من كتاب الجغرافيا، وهو الجزء الذي يصف الجزيرة العربية، ولكن الأجل لم ينتظره ليراه منشورا. غير أن نسخة من هذا الجزء بخط يده موجودة الآن في مكتبة البودليان، حيث طُبعت ضمن مجموعة كتب الجغرافيا التي أخرجها هدسون[128]. وأما الحواشي التي أضافها إليه فإنها تشي بأن الإعياء قد نال منه، وأن العمل - كما يقول - قد أرهقه. ثم إنه استخدم معرفته بكتاب أبي الفداء ليعمل في تحقيق كتاب آخر من كتب الجغرافيا أصدره في العام 1648، وكان يحتوي على قوائم قصيرة لإحداثيات جغرافية كانت موجودة في مجموعتين من الجداول الفلكية باللغة الفارسية، وهما كتابا «زيج الإيلغاني» للطوسي، و«زيج سلطاني جديد» لـ أولوغ بيك. في هذا العمل يشير أيضا إلى رسالة الإدريسي في الجغرافيا، ويزعم أنه وبوكوك يمتلكان مخطوطات منها[129].

وفي العام 1650 نشر غريفز النص الفارسي والترجمة اللاتينية لمقتطف طويل من كتاب الفلك المعروف بـ «زيج الجامي» لمؤلفه محمد شاه خَلَجي[130]. وقد أُعيد طبع هذا الكتاب في العام 1652 مع بعض الإضافات اليسيرة استمدها من كتاب آخر من كتب مبادئ علم الفلك باللغة العربية للفرغاني، ومصادر أخرى. وهناك طبعات أخرى كان يخطط لإصدارها، منها كتاب أبي الفداء في الجغرافيا كاملا، وخارطة النجوم من كتاب الزيج لـ أولوغ بيك، وهي مشروعات لم يتمها بسبب وفاته المبكرة في الثامن من أكتوبر من العام 1652. وقد ذكرنا منذ حين ترجمته التي صدرت بعد وفاته لكتاب «المداخل» Lemmata المنسوب إلى أرشميدس، والجزء العربي من جغرافية أبي الفداء، وأعمال أخرى مجهولة المؤلف نشرها بيرتش في الأعمال الكاملة لـ غريفز.

كان منهج غريفز في تناوله للنصوص العربية والفارسية منهجا عتيقا إذ قورن بمنهج بوكوك. وعلى رغم أنه كان يعي أنها نصوص تاريخية وثقافية في المقام الأول، فقد كان دافعه الأساس لدراسة هذه النصوص ونشرها، هو نفسه دافع أستاذه

(*) انظر: هولت، مراجعة ص: 553، يلاحظ أن هذا الحاكم كان يُكنى دائما بـــ الصالح إسماعيل (من ملاحظات تومر).

بِنْبرِدج، وفي النهاية يعود هذا المنهج إلى السير هنري سافيل. كان هدفه أن يستفيد من هذه النصوص في النهوض بالدراسات المعاصرة في مجالي الفلك والجغرافيا. ولم يكن ذلك بالشيء الهين في ذلك الوقت، فقد كانت المعلومات التي كان يمكن استنباطها من هذا النوع من النصوص قديمة في أغلبها، أو غير ذات صلة على أقل تقدير، خصوصا في أوروبا في أربعينيات القرن السابع عشر، وبنهاية القرن أصبحت متخلفة عن التقدم السريع الذي تم في مجالات العلوم والاستكشاف. وأما اليوم فليست لكتب غريفز أهمية إلا بوصفها إسهامات في تاريخ العلم عند المسلمين. وأما معرفته بعلم الفلك الإسلامي فقد فاقت جميع أسلافه الأوروبيين، ولم يكن لـه ندٌّ حتى القرن التاسع عشر[131].

لم تكن اهتمامات غريفز بعلوم الشرق مقصورة على الأعمال العلمية، لكنه أنتج - كما رأينا - معجما في اللغة الفارسية وقواعدها، ثم شرع في تأليف قاموس تركي كما كتب في رسالة بعث بها إلى بوكوك في الخامس عشر من نوفمبر من العام 1649 جاء فيها[132]: «أنا والسيد سيمِن نتعاون الآن في تأليف قاموس في اللغة التركية». فهل نفسر هذا التعاون على أنه جهدٌ مشترك، أم ضمن جهود منافسة بين غريفز ووليام سيمن[133]، على أي حال لم أجد لهذا العمل أثرا على رغم البحث. بيد أن هناك ترجمة أدبية بقلم غريفز يكتب فيها: «هذه مسائل عبد الله بن سلام اليهودي، وجواب محمد عليها، كتبها بالعربية عبد الله بن عباس، وترجمها إلى الإنجليزية جون غريفز»[134]. وينبئنا وارد أن غريفز ترجم هذه الوثيقة الإسلامية الدفاعية إلى اللغة اللاتينية:

Quaestiones Abdallae Ebn Salan Judaei cum Mohammedis responsis, a Johanne Gravio ex Arabica lingua in Latinam traductae, et notis illustratae

وهناك مخطوطة غريبة بالعربية واللاتينية، هي اليوم ملك السير رتشارد إلِس، تحتوي على مسائل معينة مأخوذة من الشريعة اليهودية التي كان يدين بها ابن سلام، والتي تقدم بها إلى محمد، ولما أجاب عنها رسول الإسلام، أصبح هذا الحبر من أخص مريدي رسول الإسلام[135]. ولما كان غريفز قد كتب هذه الرسالة بالحروف العربية، فأنا أزعم أنه نقلها من مخطوطة موجودة فعلا في مكتبة البودليان[136].

(6) مجموعة غريفز للمخطوطات الشرقية

يقودنا هذا إلى موضوع المخطوطات الشرقية التي جمعها غريفز، وهي الموجودة الآن في مكتبة البودليان باسم «مجموعة غريفز»، وقد سُمِّيت كذلك لأن المكتبة اشترتها في العام 1678 من عزبة توماس غريفز المتوفى في العام 1676 [137]. بيد أن كثيرا من الباحثين لايزالون يرون أن أغلب المخطوطات الشرقية في هذه المجموعة تنتمي لأخيه السيد جون غريفز، وسوف نرى أن هذا الرأي لـه وجاهته أيضا. يخبرنا ويكفيلد بأن المجموعة تضم إحدى وعشرين مخطوطة باللغة العربية، وسبع عشرة باللغتين التركية والفارسية، وهو يبدي استغرابه لهذا العدد القليل من المخطوطات التركية والفارسية[138]. والحق أن هذه المخطوطات لم تكن إلا ما تبقى من مجموعة أكبر بكثير كان السيد جون غريفز يمتلكها. ترك غريفز ما تبقى من ممتلكاته بناء على وصية بتاريخ 5 يونيو 1651، ومسجلة بالشهر العقاري بتاريخ 19 أكتوبر 1652، مع متروكات أخرى، منها كتبه، قسمة بين إخوته الثلاثة[139]. ووفق هذه القسمة كانت المخطوطات الشرقية من نصيب توماس غريفز، الذي كان يبدي اهتماما كبيرا بالعربية والفارسية. غير أن سِلدِن سارع بالاتصال بالسيد توماس غريفز في أوائل العام 1636، وفي الخامس والعشرين من أكتوبر من العام 1652 كتب لانغبين إلى سِلدِن، ردا على رسالة أرسلها لـه سِلدِن ينبئه فيها بوفاة غريفز، جاء فيها: «تعلم أنه كان يحتفظ ببعض الكتب العربية والفارسية التي - على مبلغ علمي - لن تجد مثلها في أوروبا كلها اليوم، إلا إذا اتخذت القرار الحكيم بشرائها بنفسك، والحق أني أفكر جديّا في ضمها إلى مكتبة الجامعة»[140]. وقد فعل سِلدِن ذلك بالضبط كما قال صمويل كلارك لـ رافيوس في الخامس والعشرين من مارس العام 1656، ردا على استفساره عما حدث لكتب غريفز، فقد أخبره بأن المكتبة كلها قد آلت إلى أخيه توماس غريفز، وأنه باع، أو تنازل عن، كثير من الكتب العربية للسيد سِلدِن[141]. وقد ألمحنا قبل حين إلى العديد من المخطوطات في مجموعة سِلدِن في مكتبة البودليان والتي تنتمي إلى جون غريفز. ويمكن للقائمة أن تطول من مصادر أخرى. وفي رسالة إلى كلود هاردي في مايو 1641، يتحدث فيها عن أنشطته في الشرق، يذكر غريفز نجاحه في الحصول على بعض المخطوطات، وخصوصا: مخطوطة «في قطع الخطوط على النسب»[142]. وهي النسخة العربية من كتاب أبولونيوس

المعنون بـ «في تقسيم النِّسَب»، وهو اليوم ضمن مخطوطات الأسقف الأكبر سِلدِن الرقم (A7)، ومنها أصدر هالي مؤخرا أول ترجمة منشورة للكتاب. وفي رسالته إلى أشر بتاريخ 19 سبتمبر العام 1644 يقول غريفز إنه استخرج بعض الملاحظات حول الهنود والفرس من مخطوطة يمتلكها الهاشمي، وهو مؤلف عربي[143]. وهذا يُظْهِر أنه كان مالكَ المخطوطات الحالية المحفوظة باسم الأسقف الأكبر سِلدِن بالرقم (A 11)، والتي تضم النسخة الفريدة التي يمتلكها الهاشمي بعنوان «علل الزيْجَات» أو «العلل وراء الجداول الفلكية»، وهو كتاب ذو أهمية كبيرة في تاريخ الفلك الإسلامي. ويضم هذا المخطوط الذي زوده غريفز بكثير من الهوامش والحواشي أيضا كتاب الفرغاني الملقب بـ «أصول علم الفلك»، والذي استخرج منه غريفز بعض المقتطفات ونشرها في العام 1652. وفي رسالته إلى أشر التي نُشِرت بعد وفاته عن خطوط عرض بيزنطة وردوس، ويذكر غريفز «جغرافية سعيد بن علي الجرجاني»[144]. ومن المرجح جدا أنها الرسالة الفارسية المعنونة بـ «مسالك الممالِك» لصاحبها أبي الحسن عايض بن علي الجرجاني (هي اليوم ضمن مجموعة مخطوطات سِلدِن 95). والحق أن ما ذكرته هنا ما هو إلا حالات قليلة، صادفتني وأردت توثيقها، من مخطوطات سِلدِن التي تعود ملكيتها في الأساس إلى جون غريفز؛ وليس من شك عندي في أن أغلب مخطوطات سِلدِن العربية والفارسية في مجال العلوم (وهي أكثر عددا مما ذكرنا) قد أتت من ذلك المصدر نفسه.

أضف إلى ذلك أن سِلدِن لم يكن الشخص الوحيد الذي باع لـه توماس غريفز عددا من المخطوطات بعد وفاة أخيه. ففي الثالث والعشرين من مايو العام 1668 أرسل حقيبة مملوءة بالكتب إلى صامويل كلارك، مشفوعة برسالة[145]. يبين لـه فيها أنه كان يبيع مخطوطات من ميراث والده، ولم يذكر من أسماء هذه المخطوطات إلا «القاموس»، وهو نسخة من قاموس الفيروزآبادي المعروف بالقاموس المحيط، ولعله أحد المعاجم التي قال غريفز لـ هاردي إنه اشتراها عندما كان في الشرق، وقد عرضه جون غريفز بمبلغ أربعين كورونا، وعلى رغم عدم وجود دليل على هذا البيع لا في «حوليات مَكري» ولا في كتاب فيليب المعنون بـ «مكتبة البودليان في القرنين السابع عشر والثامن عشر»، فإن هناك شكا قليلا في أن كلارك كان يشتري الكتب لحساب الجامعة بصفته كبير موظفي المطبعة، في وقت كانت الجامعة تسعى فيه

إلى امتلاك حروف طباعة حديثة، ومزيد من المخطوطات كجزء من برنامج الدكتور جون فِل لإحياء مشروع مطبعة الجامعة. فالمخطوطة التي كان يمتلكها غريفز، وانتهت إلى مكتبة البودليان من طريق آخر نطلق عليها «مخطوطات البودليان»، الرقم (516)، ونضرب مثالا على ذلك كتاب البيروني المهم في الفلك وهو بعنوان: «القانون المسعودي». إن غريفز يشير إلى مخطوطة البيروني في كتاب بِنبردج المعنون بـ Canicularia ص44، وإلى جدول ارتفاع النجوم فوق مدينة غُزنة الأفغانية من كتاب القانون في الجداول الجغرافية، من ص 30 إلى ص 62. لقد وصلت المخطوطة إلى مكتبة البودليان بالشراء من ميراث إدوارد برنارد في العام 1698، ولكن كيف حصل برنارد عليها؟ هذا ما لم يتم التأكد منه. كان يستطيع أن يشتريها من توماس غريفز في العام 1672، وفي ذلك الوقت كان الاثنان يتراسلان فيما يتصل بسعي برنارد (وكان أستاذ مساعد الفلك) إلى الظفر ببعض أدوات غريفز ليضعها في متحف سافيل[146]. والأرجح من ذلك أنه اشتراها من ميراث توماس غريفز بعد وفاته. وفي السادس والعشرين من أكتوبر من العام 1676 كتب جون لامفير من أكسفورد إلى برنارد (وكان في باريس) يقول: «أرسلت إليكم قائمة بمخطوطات زوجة الدكتور غريفز الذي كان أستاذا في كلية كرستي»[147]، ونستطيع أن نخمن أن برنارد اشترى بعض الأشياء الموجودة في القائمة لنفسه، ومن ثم راح يقنع الجامعة بشراء جميع - أو أغلب - الموجود في القائمة. من المرجح أن تكون بعض المخطوطات العربية المتصلة بعلم الفلك، التي وصلت إلى مكتبة البودليان من طريق مكتبة برنارد، كانت ملكا لغريفز في السابق.

وإذا تذكرنا أن غريفز كان متحمسا عندما كان في القسطنطينية لِما كان لـود يطلبه منه، سواء من حيث شراء المخطوطات، أو من حيث الإشراف على هذه المخطوطات أو شحنها إلى الغرب عبر سفن شركة الشام، لعرفنا أن مكتبة البودليان تدين له بالفضل على جزء كبير من المخطوطات الشرقية العظيمة التي وضعها المؤرخون من آثار القرن السابع عشر. وفي هذا المجال هو يأتي في المرتبة التالية بعد بوكوك وهنتنغتون فقط. ولقد فُقِد الكثير من الأوراق التي كانت تضمها مجموعته وهو على قيد الحياة، حين اقتحم الجنود مكتبه، وعبثوا به أشد العبث، وحين تفرقت مجموعته في كل مكان بعد وفاته حتى لم يبقَ أمل في جمع أشلائها في

منظومة واحدة[148]، إلا إذا أعاننا الحظ على أن نعثر على الفهرست الذي عمل على تصنيفه بطلب من كلود هاردي ثم أرسله إلى يوليوس[149]، فلعله مُلقىً في مكان ما لا ينتبه إليه أحد.

(7) الدراسات العربية في كيمبردج في أثناء الثورة

تعرضت كيمبردج أيضا لاضطرابات في أثناء الحرب الأهلية وما بعدها، على رغم أن هذه الاضطرابات لم تكن بالقسوة التي كانت عليها في أكسفورد، فقد كان البرلمان يحكم هذه المنطقة منذ البداية تقريبا. كان ويـلُكْ يعرف من أين تؤكل الكتف، وكيف يذعن لكل سلطة، فاحتفظ بمناصبه (بما في ذلك منصبه كمحاضر في اللغة العربية) لا يعكر صفوه شيء، على رغم أن آخرين ممن كانت تربطه بهم صلات ما، لم يذعنوا، ولم يحالفهم الحظ كما حالف غيرهم. كان رتشارد هولدزورث من بين هؤلاء، وكان رتشارد هذا من الأسباب المهمة التي ساعدت إربِنيوس على الحصول على مخطوطاته والتبرع بها لجامعة كيمبردج، ثم يصبح بعد ذلك من المتبرعين الأساسيين لمكتبة الجامعة[150]. وكان رتشارد أيضا رئيسا لكلية عمانويل منذ العام 1637، وفي أوائل الأربعينيات أصبح هو نائب رئيس جامعة كيمبردج، ولكنه سُجِن في لندن، وطُرد من مكتبه. وعلى رغم وجود عدد ما من العلماء في جامعة كيمبردج في تلك الفترة إلى جانب ويلُكْ الذي كان يتقن اللغة العربية، ورغم الدور الكبير الذي لعبه علماء كيمبردج - كما سنرى - في إنتاج الإنجيل متعدد اللغات، فلم تظهر إصدارات من جامعة كيمبردج تتصل باللغة العربية من قريب أو بعيد[151]. ومن أسباب ذلك على وجه اليقين غياب أدوات الطباعة المناسبة لطباعة الكتب المطلوبة. والحق أن الجامعة ظفرت بإرث بِدوِل من حروف الطباعة العربية، مشفوعا بوعد ضمني بطباعة قاموسه بهذه الحروف. ولكن هذه الحروف لم تكن تناسب طباعة أي نصوصٍ عربية، كما هو واضح من التعليقات التي كتبها المعاصرون. كتب توماس سمِث الأستاذ بكلية المسيح إلى هارتلب في الحادي عشر من أكتوبر العام 1647 يقول:

> طلب مني السيد رافيوس الحديث مع السيد ويلُكْ بشأن طباعة معجم السيد بِدوِل الضخم، وتحدثت معه والسيد كدورث[152] وآخرين

من زملائه، واجتمع رأيهم جميعا على أن يُكَرَّس الجهد كله في الوقت الراهن للانتهاء من طباعة القرآن... وما كنت قلته للسيد رافيوس فيما يتصل بالحروف العربية التي كان يمتلكها رفلنغيوس قلته لأصدقائنا هنا، وفحواه أن هذه الحروف لا تناسب طباعة القرآن، وأقلها مناسبة حروف بِدوِل. وقال السيد كدورث إنها ستتلِف الورق، وأبدى السيد ويلُك رغبته في أن أتحدث إلى السيد رئيس الجامعة (صديقي المفضل)، للحصول على موافقته بالعمل على أن تُصنع حروفٌ صغيرة خصيصا للجامعة وعلى نفقتها، وأعجبه اقتراحي ووافق عليه، وآمل أن أحصل من زملائي على تصويت لتكليف دار ريجنت بهذا العمل، فقد صُوِّت بالفعل على طباعة القرآن على نفقة الجامعة[153].

وقد رأينا بالفعل كيف أن ويلُك تخلى بعد ذلك عن خططه في الحملة على القرآن، ولم نسمع شيئا عن السعي إلى استبدال حروف عربية أصغر حجما وأكثر ملاءمة بحروف رفلنغيوس. أيضا وجدنا أن ويـلُـكْ يجبر هارتلب على استخدام نفوذه للحصول على الحروف العربية من كيمبردج. وفي رسالة كتبها في ذلك الوقت نفسه تقريبا تتصل بعمله في إنجاز طباعة القرآن، يقول: «أرجو أن نظفر بحروف عربية مريحة من خلال متبرع من أهل الخير ومحبي الثقافة»[154]. وفي الفترة نفسها رأينا رسالة أخرى تحمل رجاء صريحا بإنشاء مطبعة، مرسلة من نقابة التجار بلندن، تقول: «جامعتنا في حاجة إلى مطبعة بالحروف العربية والسريانية والسامرية إلى جانب اللغة العبرية... فيا أيها السيد الفاضل، نرجوك تبرع لنا لإنشاء هذه المطبعة... لقد أصبحت لندن اليوم مقصد الحكماء، ووجهة العلماء.. ولن يذهب الفضل سدى... وسوف يشكر أهل لندن الله أن أُنْفِقَتْ الأموال في هذه الجهة»[155]. ولم تأتِ أي فائدة من هذه المناشدات، لا من لندن ولا من غيرها من المدن، ومضى أكثر من خمسة وثلاثين عاما قبل أن تدخل الحروف العربية إلى كيمبردج.

نجحت محاضرات ويـلُـكْ في اللغة العربية في استقطاب بعض التلاميذ. دخل توماس سمِث[156] كلية المسيح من مدرسة القديس بولس (وهي من المدارس القليلة في إنجلترا التي كانت تُدرَّس فيها العبرية) في العام 1640، وحصل على ليسانس الآداب دفعة (1644/1643)، ثم عُيِّن محاضرا للبلاغة في الكلية نفسها، وأمينا لمكتبة

الجامعة في العام 1659، ولكنه قضى نحبه في أثناء هجمة الوباء في العام 1666، ولم يتجاوز الثلاثين من عمره. لم تكن مشروعاته فيما يتصل باللغة العربية (وسوف نتناولها عند الحديث عن رافيوس) معروفة إلا من خلال مراسلاته مع هارتلب، وكثير منها محفوظ ضمن أوراق هارتلب. لقد أشاد سلاتر - في خطاب جنازة ويلُك - بمحاضراته في اللغة العربية بقولـه: «لم يكن ضعيف الذاكرة، هو الذي قدم لنا الكثير من الخطط المفعمة بالأمل، لاتزال تريد من يحملها إلى النور في جامعة كيمبردج[157]». لدينا أيضا إسحق بارو، في خطاب ألقاه بعد وقت قصير من وفاة ويلُك [158]، يمتدح طلاب كيمبردج الذين تخصصوا لدراسة العربية، على رغم أنه لا يتوقع لجهودهم ثمارا تتجاوز إحياء علم قديم من خلال الترجمات العربية. لم يذكر سلاتر من تلاميذ ويلُك إلا اثنين هما رتشارد هَنْتْ وروبرت أوستن، وكلاهما من زملاء كلية الملك. أصبح هَنْتْ أستاذا في البلاغة في كلية غرشَم في نوفمبر العام 1654، وبناء عليه يعطينا وارد نُبذة عن حياته وعمله[159]. استنبطنا بعض ذلك من «شخصية» أرسلها إليه ابن اخت هَنْت، زعمت أن هَنْتْ لم ينشر شيئا قط، ولكنه أصبح في وقت قصير من ضمن النخبة الممتازة من مستشرقي العصر في اللغة العربية والعبرية أيضا (فقد درس على علماء يهود في هولندا)[160]، وفي أثناء زيارته إلى أكسفورد مع ابن اخته في العام 1676، أصبح «محط إعجاب عظماء الجامعة مثل الدكتور بوكوك وأليس وهايد وألستري والحبر الأعظم أبنداني... والدكتور مارشال». ويبدو أن أوستن لم يترك أثرا من آثار دراساته في العربية، ولكننا نعرف أنه عندما كان في العشرين أمعن ويلُك في مدحه في رسالة إلى بوكوك العام 1650 يقول فيها: «جاءني هذا الشاب ولم يكن يعرف حرفا واحدا من العربية ولا الفارسية في بُداءَةِ أمره، وأرسل إليّ رسالة وأنا في نورفوك فيها فقرات غريبة، ولذا فإني أقول إنه بالنسبة لسنه لم أرَ لـه مثيلا في نشاطه ودأبه وأمانته وعبقريته مما يتجاوز - في رأيي - قدراته الجسمية إذ صح ذلك»[161]. وينبئنا تولِز أن أوستن كان في ذلك الوقت يساعد ويلُك في إصدار طبعة الأناجيل باللغة الفارسية، وكان قد كلّفه إتمامه عند وفاته، ولكنه تعرض هو نفسه في العام 1653 لملهيات الحياة، ثم للوفاة التي قِيل إنها كانت بسبب انكبابه الشديد على الدراسات الشرقية[162]. كان أشهر تلاميذ ويلُك المشهورين توماس هايد الذي التحق بكلية الملكة في العام 1652، وتعاون في إخراج الإنجيل متعدد اللغات

قبل بلوغه العشرين. ولكن تدريس العربية والفارسية كان قد توقف في كيمبردج بعد وفاة ويلُك، وفي العام 1657 انتقل هايد إلى مجالات جديدة في أكسفورد، فقد أصبح محاضرا في اللغة العبرية في كلية الملكة، وحصل على الماجستير في الآداب في العام 1659، ثم أصبح أمينا لمكتبة البودليان في نهاية المطاف. وأما الرجل الذي قُدِّر له أن يضطلع بإحياء اللغة العربية في كيمبردج فهو إدموند كاستل، فلم يكن تلميذا لـ ويلُك، حيث حصل على الماجستير في الآداب في العام 1628، قبل أن يبدأ ويلُك في إلقاء محاضراته العربية بأربعة أعوام. كان كاستل، الذي يبدو أنه علم نفسه بنفسه في اللغات الشرقية، قد غادر الجامعة لجولات مختلفة في الريف قبل العام 1638، ولم يعد إلى كيمبردج إلا بعد أن عُيِّن أستاذا للغة العربية في العام 1666. وكما سنرى بعد حين، كان كاستل نشيطا إلى أبعد حدود النشاط في لندن في أثناء الخمسينيات، تجلى نشاطه في إتمام الإنجيل متعدد اللغات، ثم في إتمام المعجم ذي اللغات السبع.

وبعد انضمام مخطوطات إربِنيوس، لم تظفر مكتبة جامعة كيمبردج إلا بعدد قليل جدا من المخطوطات العربية خلال خمسة وعشرين عاما[163]، وفي أثناء تلك الفترة تضخمت مقتنيات المكتبة بانضمام مكتبة لامبث التي كانت ملكا لرئيس أساقفة كانتربري، وكان السبب الأساس في وصول كتب هذه المكتبة هو سِلدِن الذي تمكن من إيقافها من أن تؤول إلى مكتب كلية سيون، حسب موافقة البرلمان بالتصويت[164]. ولم تصل كتب هذه المكتبة إلى كيمبردج حتى العام 1649، على رغم أن الموافقة على نقل الكتب كانت قد اتُخِذت في العام 1647. والمرجح عندي أن رئيسي الأساقفة بانكروفت وآبوت (اللذين أوصيا بالجزء الأكبر من مجموعة لامبث)، لم يكن لهما اهتمام كبير بالعربية، فقد كانت المكتبة تضم القليل من الكتب بهذه اللغة[165]. مهما يكن، فقد اضطرت كيمبردج إلى إعادتها بعد عودة الملك تشارلز الثاني. كان سِلدِن أيضا المحرك الأساسي لتصويت البرلمان في مارس 1648 لتخصيص مبلغ خمسمائة جنيهٍ إسترليني لحساب جامعة كيمبردج لشراء مجموعة ضخمة من الكتب العبرية التي كان تاجر الكتب جورج توماسون قد استوردها من إيطاليا[166]، ولكن لم يدخل المكتبة عددٌ كبير من المخطوطات العربية والفارسية إلا بين العامين 1655 و1657، عن طريق نيكولاس هوبارت، زميل كلية الملك، والذي عمل على جمعها في أثناء خدمته أمينا لسر السفير البريطاني في القسطنطينية،

السير توماس بنديش، من العام 1647 وحتى العام 1650[167]. حتى مع انضمام هذا العدد الذي كان أقل بكثير من عدد مجموعة إربنيوس، ظلت كيمبردج على بعد خطوات كثيرة وراء أوكسفورد (حيث تحمس لـود للتبرع بعد وصية سِلدِن) في عدد المخطوطات العربية ومن حيث جودتها وجاهزيتها للدرس والتحقيق، وظلت تلك الهوة تتسع بين الجامعتين في عدد المخطوطات طوال القرن السابع عشر كلـه، ولم تضِق إلا في العام 1727، عندما تبرع جورج لويس بعدد كبير من المخطوطات الشرقية لجامعة كيمبردج [168].

(8) جون بل والعربية

جرت محاولات كثيرة في أثناء فترة الثورة، وتحديدا بين العامين 1645 و1647 لنشر نصٍ عربي مهم، وهذه المحاولة لم تكن في إنجلترا، وإنما كانت بيد رجل من الإنجليز. كان ذلك الرجل هو جون بِلْ John Pell، المشهور في مجال الرياضيات، وكان في ذلك الوقت أستاذا للرياضيات في أمستردام وبريدا. وفي أثناء إقامته في أمستردام قابل كرستيانوس رافيوس (وكان حينئذٍ يحاضر في اللغات الشرقية في أوترخت)، وبعد أن علم منه عن النسخة العربية التي كان يمتلكها لمخطوطة كتاب «المخروطات» لـ أبولونيوس، استعارها منه، وبعد موافقته ترجم منها إلى اللاتينية الكتابين الخامس والسابع. عرفنا ذلك من المصدر الرئيس لهذه المعلومات: الرسائل التي كان يبعث بها بِل إلى تشارلز كافندش[169]. كان التحدي الذي واجه بِلْ هو أن يوليوس كان قد وعد بترجمة كتاب أبولونيوس (ولو من نسخة عربية مختلفة)، وكانت المنافسة بينهما تنطوي على بعض التعقيد. سنستشهد هنا ببعض الفقرات التي تبين سير الأحداث. ففي السابع أو ربما السابع عشر من أغسطس من العام 1644 كتب بِلْ إلى كافندش في هامبورغ يقول: «أخبرنا السيد هاردي في رسالة سابقة أن ديكارت قابله في باريس، ولامه على المبلغ الكبير من المال الذي قدمه لأستاذ اللغة العربية في أوترخت لشراء مخطوطته العربية لكتاب أبولونيوس»[170]. وأغلب الظن أن هذا الخطاب الذي كتبه هاردي قد ألهب حماس بِلْ للمخطوطة. مهما يكن من أمر، فقد شرع في الترجمة في التاسع عشر أو التاسع والعشرين من أكتوبر من العام نفسه. كتب إلى كافندش:

بخصوص هذا الأمر تحت يدي كتاب أبولونيوس وستة وثلاثين كتابا آخر لمؤلفين آخرين، وأستطيع أن أقول إن هذه المخطوطات في مجموعها أهم من كتاب أبولونيوس بكثير. إن الكتب السبعة والثلاثين كلها باللغة العربية. أراك تبتسم الآن ولا تصدق أن لديّ من اللغة العربية رصيدا يكفي لتعليم أي من أولئك الذين لا يتقنون غير اللاتينية، وفي وقت قصير. ولتعلم أن محاولة رسم هذه الجداول المخروطية ليس بالأمر الهين، وليس من السهل أن نجد صاحب مطبعة يمكنه طباعة مثل هذا العمل المعقد والمكلف. غير أن بعض هذه الصعاب قد انتهت الآن. يخبرني الدكتور بلاو[171] أنه مستعد لطباعة كتاب ديوفانتوس، وكتاب أبولونيوس أو أي كتاب آخر أريد وبأي كيفية، سواء بالعربية أو اللاتينية إذا أردت: فلدى الرجل حروف طباعة عربية جيدة، وفني طباعة ذو دربة في تنضيد الحروف وما إلى ذلك. على أي حال لقد قررت تقنين الأمر، أي نشر الأجزاء الخامس والسادس والسابع (ولن أكرر الجزء الرابع من كتاب العناصر لإقليدس)، وهذه باللغة اللاتينية فحسب، وملحقة بها أرقام دقيقة، وفيها «فرضيات بابوس» في الكتب الخامس والسادس والسابع والثامن، على رغم أن الكتاب العربي يحتاج إلى الثامن. كلها تحتاج إلى ما يقرب من مائتي رسم بياني. لهذا الغرض يقع بين يدي الكتاب الخامس كله مترجما إلى اللاتينية، ولكنه مكتوب بطريقة سيئة، وليس فيه رسم واحد من الرسوم التوضيحية قد أُتقِن رسمه كما أريد وكما سوف أفعل[172].

ثم أعطى بِلْ عينة لـ كافندش مما سماه: «عبدالملك من شيراز بلاد فارس الذي يكتب العربية»، أي الفرضية الأولى من الكتاب السابع، ليقارنها بنسخة هذه الفرضية نفسها التي أرسلها يوليوس إلى مرسين، والتي قام الأخير بطباعتها[173].

وفي التاسع أو التاسع عشر من مايو من العام 1645 كان بِلْ قد فرغ من الترجمة، مما أزعج يوليوس[174]. أخبر بِلْ كافندش:

فرغت اليوم من ترجمة الكتب الثلاثة الأخيرة من اللغة العربية، ويفكر الدكتور بلاو في طباعتها وإعادة طباعة كتاب «العناصر»، وخاصة الكتب الأربعة الأولى مع ملاحظات من تأليفي. وقد سمع السيد يوليوس

> عن أننا بدأنا الحديث بجدية تامة عن الشروح والجداول، فقام برحلة من لايدن بغرض منعي والدكتور بلاو من تنفيذ مقصدنا. لقد رأيته أكثر من مرة هنا في المدينة، يسأل عن مكان سكني، ولكنه لم يأتِ لزيارتي قط؛ ومضت ستة أيام وهو على هذه الحال. أحضر معه الكتب السبعة لـ أبولونيوس باللغة العربية، في مخطوطة سليمة حصل عليها منذ ثمانية عشر عاما وهو في حلب، أعطاه إياه واحدٌ من أصحاب الفضل في هذه البلاد[175]، والذي قال إنه أعطاه وعدا صادقا لنشرها وإلا عهد إليّ بها وأمدني بكل ما يستطيع أن يمدني به من عون في أمر نشرها. وإلى جانب هذا الوعد، عرض أن يتحمل تكلفة الرسومات البيانية، وقد رُسمت بعناية فائقة على الورق بواسطة زملاء لـه[176]، وبعضها محفور.

وأجاب بِلْ بأنه يعلم أن يوليوس أقدر منه على إنجاز الترجمة، ولكنه يفضل أن يقوم بها بنفسه بدلا من ألا تُنجز على الإطلاق. ورد يوليوس بأنه يعلم أن رافيوس لا يستطيع إنجاز ترجمة مفهومة، وأنه على رغم أن بِلْ يستطيع أن يخرج ترجمة يفهمها المتخصصون لعلم الحساب، فإنه لن يستطيع استحضار أسلوب أبولونيوس من مخطوطة رافيوس، وذلك لأنه كما يقول هو: «عندي النسخة العربية التي يمتلكها رافيوس، والتي تستخدمها أنت، وتعرف تمام المعرفة ماذا فعل هذا الفارسي مع أبولونيوس»[177]. ثم يقول بِلْ في ختام رسالته:

> لم يكن السيد يوليوس يبحث كثيرا عن المجد، وأنا لا أعرف ما الفائدة التي قد يجنيها من نشر كتاب أبولونيوس الآن أكثر مما كان سيجنيها منذ أكثر من ستة عشر عاما. وقد أستطيع أن أعرف مقصده الآن: أولا يريد أن يفرغ من معجمه العربي، فقد فرغ فعلا من ثماني صحائف مطبوعة؛ ثم يريد أن ينتهي من طباعة رسومه البيانية، ثم ألا يكتفي بترجمة كتب أبولونيوس الثلاثة، ولكنه سيترجم كتاب «الميكانيكا» Barulcum Heronis لهيرون السكندري وبعض الكتب الأخرى المفقودة في اليونانية، ولكنها حُفِظت في اللغة العربية، وهي الآن في يده، وهذا ما يفكر في فعله في أفضل أوقات فراغه في خلال عشرين عاما من الآن ربما لأنه لا يعتقد أن رجلا يمكن أن يمنعه. فيم العجلة التي

هو فيها الآن، لا أعرف، ولكن أبولونيوس في الوقت نفسه سيئ الحظ؛ فلم نمكنه نحن على الأقل من الذيوع والانتشار[178].

ولم يكن هذا ليحدث. ففي 21/11 مايو من العام 1646 أخبر بِلْ كافندش بأن يوليوس

كتب إليه أخيرا «بأن أدع كتاب أبولونيوس لـه وحده؛ فقد قرر إتمام ترجمته بعد أن أصبح على وشك الانتهاء من معجمه العربي. وزارني أمس مرافقه العربي[179]، وسألته عن التقدم الذي أنجزاه في المعجم، وأجابني بأنهما يعملان الآن على حرف الجيم. وسألته متى يمكن أن يفرغا من إتمام المعجم، قال: ربما في غضون ست أو سبع سنوات من تلك اللحظة[180]، وسألته: كم يبلغ يوليوس من العمر؟ وأجاب بأن يوليوس في الخمسين على الأقل، وهممت أن أطلب منه أن يقرضني مائة جنيه وأعيدها لـه مائتين عندما ينشر كتاب أبولونيوس، من ناحيتي لم أعِده بالانتظار[181].

ذلك آخر ما سمعناه من بِلْ فيما يتصل بهذا الأمر. وعلى رغم شكه المبرر في قدرة يوليوس على النهوض بنشر كتاب أبولونيوس، فإنه لم ينشر نسخته هو لهذا الكتاب قط، ومن الواضح أنه اختفى من دون ذكر إلى الأبد، والحق أن بِلْ لم يتخلَّ رسميّا عن نيته في نشر الكتاب، ففي الثالث والعشرين من ديسمبر من العام 1646 كتب قسطنطين هوغنز إلى مرسين مبديًا أسفه لمرور سبعة عشر عاما من دون أن ينشر يوليوس الكتاب، قائلا: إن بِلْ يريد أن يقوم هو بنشره[182] ولكن بحلول العام 1648، أبدى بِلْ قلقه فيما يتصل بالنسخة التي كان يمتلكها كلود رتشارد، وهي - بحسب المفترض - تتألف من الأجزاء الثمانية كلها[183].

كان موقف رافيوس من هذا الأمر ينطوي على شيء من الإثارة، فقد شجع بِلْ على إتمام المهمة، واستمر يفعل ذلك حتى تاريخ 24/14 أغسطس من العام (1651)، عندما كتب إلى بِلْ من ستوكهولم (وكان عندئذٍ في بريدا). ولقد دفعه امتنانه للملكة كرستيانا التي أمدته بالمال من أجل التوجه إلى منصبه الجديد في السويد، فعرض أن يدفع مائة «فلورينة» إيطالية من أجل إتمام صور الكتاب ورسومه البيانية التي كان بِلْ يريد أن يضعها في الكتاب[184]. ولكن بعد شهور قليلة، عند إرسال المخطوطة إلى يوهانس موريانوس في أمستردام لنقلها إلى هاردي، أخبره

بأنه لم يكن ليقدم على بيعها لو أن بِلْ أدى واجبه أمام جمهور القراء[185]. وهناك بعض العبارات التي صدرت من رافيوس فيما يتصل بترجمة كتاب أبولونيوس أقل ما تُوصَف به أنها غامضة. في الثالث من مارس من العام 1645 أذن حكام أوترخت لـ رافيوس أن يذهب إلى أمستردام لكي يشرف على طباعة بعض الأعمال التي قيل إنها جاهزة للطباعة، ومنها كتاب «المقطوعات المخروطية» لمؤلفه أبولونيوس البرجاوي، الجزء السابع Apollonij Pergaei Conicarum Sectionum libros VII[186]. وفي الحادي والعشرين من أكتوبر العام 1645 أخبر مرسين بأنه هو نفسه الذي ترجم الكتب السبعة كلها إلى اللاتينية، وتكلف الكثير من النفقات، فقد كان عليه أن يدفع لـ نيكولا بطرس[187]. ولما كان بِلْ عاكفا على ترجمته، ولما كان قد حصل بالفعل على وعد بالنشر في أمستردام في أي من هذين التاريخين، ولما كان قد أتم الكتب من الخامس إلى السابع على الأقل في التاريخ الثاني، فإن الباحث لا يستطيع أن يتجنب النتيجة التي فحواها أن رافيوس أراد أن ينسب جهد بِلْ إلى نفسه (وهو ضرب من التضليل يتسق مع شخصيته). الأغرب من ذلك أيضا أنه عندما تم لـه نشر ترجمته لكتاب أبولونيوس في كيل Kiel في العام 1669، زعم أنه إنما أتمه في أيام قلائل في العام 1646[188]. كان ذلك عندما كان كلٌ من رافيوس وبِلْ لايزالان يعيشان في أمستردام. سيكون من المغري أن نظن أن رافيوس - ببساطة - قد استولى على ترجمة بِلْ لطبعته التي نشرها في العام 1669، لو أن الأخير لم يكن من الغباء بحيث يبدو من المستحيل أن ننسب الترجمة إلى متخصص للرياضيات يمتلك مؤهلات بِلْ. لا أعرف ما الذي نفهمه من الصمت الذي حافظ عليه كلٌ من رافيوس وبِلْ فيما يتصل بـ أبولونيوس البرجاوي في الرسالة التي تُبودلت بينهما في العام 1671[189]. ليس لدينا إذن وسيلة لتقييم براعة بِلْ كمستعرب[190]. لقد فقدنا الدليل المباشر الذي يدلنا على كيف تعلم العربية ومتى(*)، ولئن صدق وود [191] فيما ذهب إليه بأن العربية كانت لغة من اللغات الكثيرة التي كان بِلْ يعرفها عند التحاقه بجامعة أكسفورد في العام 1631، ولما يتجاوز العشرين من عمره، فلا بد أنه تعلم العربية في كيمبردج بين العامين 1624 و1630، قبل أن يصبح ويلُكْ أستاذا للغة العربية هناك.

(*) وإنما علم نفسه العربية في العام 1641، مالكوم وستيدال، جون بل، ص: 94. (من ملاحظات تومر)

(9) مدرسة لندن للغات الشرقية

يذكرنا الحديث عن رافيوس بواقعة شديدة الإثارة فيما يتصل بتاريخ دراسة العربية في أثناء الثورة، وهي واقعة تتصل بالسعي الحثيث إلى إنشاء مدرسة لتدريس اللغات الشرقية في لندن. ويحق لنا أن ننظر في هذا الأمر في سياق الدعوات التي كان يتنادى بها المتحمسون لكسر احتكار الجامعتين الكبيرتين للدراسة العالية، وهي دعوات كانت متكررة ومطردة في تلك الفترة[192]، وهو موضوع رحب منبسط لا يسعنا هنا إلا التركيز على مثالين دالَّيْن عليه. فمن بين أطروحات توماسون في المكتبة البريطانية رسالة قصيرة[193] غفلٌ من اسم مؤلفها، يعود تاريخها المكتوب بخط توماسون إلى السابع من يناير العام 1646[194]:

> دوافعنا للرغبة في إنشاء جامعة في حاضرة لندن الكبرى مستلهمة من أمر الله وكلمته، وعلى شرف العلم وفائدته ولذته: ورَدُّنا موجود على الذين يعترضون الطريق (لجهلهم) في سبيل العلم. اقتراح نقدمه بين يدي سموكم (بدلا من تلك الهدايا التي يقدمها أصحابها الغارقون في الخرافة والجهل، في أعياد الميلاد) معالي اللورد عمدة لندن المبجل، وأعضاء المجلس المحلي الأفاضل ومن جاورهم من المواطنين الشرفاء الحريصين على خير البلاد، والذين اختارهم مجلس المدينة، ليشكلوا مجلس عموم لهذا الغرض في العام المقبل، ونعني به العام 1647.
>
> من عاشق صادق لهذه الأمة، وللمدينة المعنية. طُبِع في لندن العام (1647).

وفي ص 3 يجادل الكاتب بأنه:

> لا توجد مدينة في أي أمة متعلمة بحجم مدينة لندن وعِظَم قدرها ومهابتها، تخلو من جامعة في قلبها، وإذا أنشأنا جامعة في لندن، تكون إرادة الله جل شأنه قد قضت بإتاحة الفرصة الذهبية لعلاج النقص، وتدارك الخطأ المؤسِف، خاصة في زمننا الحاضر، حيث يمكن (أو تم) تحويل البيوت الكبيرة إلى كليات ببعض التغيير اليسير، فقد تحولت كنيسة القديس بولص وبيت لندن إلى مدارس عمومية، ونظرا إلى ظروف الحروب المندلعة في أقطار أخرى، يمكنكم اليوم استقدام أفضل الأساتذة في الآداب والفنون وبشروط يسيرة غاية اليسر.

هل كانت مصادفة أنه بعد أشهر قليلة يحاضر أستاذٌ ألماني في بيت لندن، بينما كانت حرب الثلاثين عاما لاتزال محتدمة في ألمانيا؟ في الصفحة الخامسة من الرسالة يقترح الكاتب إنشاء ثلاث كليات جديدة، واحدة يتخصص فيها الطلاب للاتينية ولا يتحدثون غيرها، وأخرى لليونانية، وثالثة للعبرية. وأما السبب الذي ذكره لتدريس العبرية فهو أن اليهود كانوا على وشك ترك دينهم وهجرة الشرق والتوجه إلى إنجلترا واعتناق النصرانية، (وكان ذلك يعكس التوقعات الألفية التي شغلت الناس في سنوات الثورة)[195].

ثم إننا نقرأ عريضة كانت مقدَّمة إلى مجلس مدينة لندن (المجلس الموقر) تتضمن التماسا من أعضاء المجلس المحترمين ذوي الحكمة... موقعة بالموعد المتفق عليه وباسم جمعية كلية سيون في الثاني عشر من يناير من العام 1647، جزءٌ منها ورد مطبوعا في الصفحة 19 من كتاب رافيوس المعنون بـ «خطاب اللغات الشرقية» المنشور في العام 1648. وهناك بعض أوجه الشبه اللافتة في العريضة مع الرسالة التي ذكرناها آنفا، وعلى رغم أن الباحث قد يمكنه قراءة التاريخ على أنه الثاني والعشرون وليس الثاني عشر من يناير للعام 1648 وفقا للحساب الحديث، فإني أميل إلى الاعتقاد أن التاريخ - كسابقه - مكتوب بحسب التقويم الغريغوري[196]. تبدأ العريضة بتوقع تحول اليهود عن دينهم إلى النصرانية، وهي استهلالة ضرورية للمجيء الثاني للمسيح، وهو مجيء وشيك، ثم يمضي كاتبها في التأكيد على الرغبة في تدريس اللغات الشرقية في مكان آخر غير الجامعتين الكبيرتين، ثم يعدد الفوائد المرجوة ويصفها على النحو التالي:

> بذلك تتجلى أمام ذوي الهمم والمثابرة الحقيقة الواضحة، ويرون بعيون رؤوسهم تجلي حكمة الله في ذلك اللسان الذي نطق الحق نفسه به، من دون أن تقتصر الحقيقة على ما نترجمه عنه، وتنهض قدرتنا على فهم النسخ القديمة للكتاب المقدس في تلك اللغات التي سنتعلمها بأنفسنا، وفهم ما كتبه آخرون مما يستحق القراءة والإمعان في الدرس، فتتحقق الفائدة، خصوصا حين يدور الحديث معهم بلغاتهم، ويجري تبادل المنافع مع هذه الأمم الشرقية بلغاتها، وهو ما يغري أهل الأمم الأخرى على الدخول في ديننا، من الذين يحملهم إلينا البحر، من أجل

السياحة أو التجارة. أضف إلى ذلك أن تعليم اللغات الشرقية من شأنه أن ينشر هذا الضرب من العلم الذي لن تقتصر فائدته على أهل عصرنا الذي نعيش فيه، وإنما ستمتد إلى الأجيال القادمة حين يفيدون من تحول اليهود إلى المسيحية، وربما أضافوا إلى ذلك آفاقا أخرى.

ولما كان - كما سنرى بعد حين - منصب الأستاذية في اللغات الشرقية الذي تأسس بعد ذلك بالفعل في العام 1647 تحت رقابة الهيئة الكنسية في لندن في كلية سيون، يصبح من المغري أن نفسر العريضة على أنها التحرك الأول الوحيد في هذا الاتجاه.

توجد نسخة من الرسالة آنفة الذكر بين أوراق هارتلب[197] تؤيد تأسيس جامعة في لندن. وكان صامويل هارتلِب من الشخصيات البارزة في الجدل الذي كان محتدما حول التعليم في لندن، وكان يتمتع في ذلك الوقت في العام 1647 بنفوذ كبير في البرلمان، وكان نفوذه مفيدا. فليس من شك في أنه كان من المشجعين الأساسيين على تعيين رافيوس محاضرا في اللغات الشرقية في لندن. بدأت علاقة هارتلب بـ رافيوس قبل ذلك بثمانية أعوام على الأقل، عندما عمل في لندن همزة وصل بين أشر (وكان حينئذ في أيرلندا) ورافيوس فيما يتصل بدفع الإعانة المالية التي خصصها أشر لـ رافيوس في أثناء رحلته إلى الشرق في العام 1639 والعام 1640. وفي العام 1646 ناقش دوري Dury مع هارتلب إمكانية الاستفادة من تعيين رافيوس وآدم بوريل ومنشة بن إسرائيل في العمل على تحويل اليهود عن دينهم[198]. وكان دوري وهارتلب على صلة وثيقة بـ يوهانس مثايا[199] مؤدب الملكة كرستيانا ملكة السويد، والذي أصبح فيما بعد أسقف مدينة سترانغناس السويدية، وكان رافيوس يدين له بالحصول على منصبه الأخير في السويد، وتزوج حفيدته بعد ذلك في العام 1651.

لاتزال جوانب كثيرة تتصل بتاريخ مدرسة لندن للغات الشرقية التي أُنشِئت بين العامين 1647 و1649 غامضة بالنسبة إليَّ، ولكني سأحاول فيما يلي من صفحات أن أقدم الحقائق كما استطعت تجميعها بشيء من التفصيل، فقد جرى تجاهل هذا الحدث إلى حد كبير في كتب التاريخ النمطية المتصلة بتلك الفترة. في يونيو من العام 1647 عاد رافيوس إلى إنجلترا بعد خمسة أعوام قضاها في البلاد المنخفضة، وفي أثناء ذلك الوقت كان يسعى إلى الظفر بمنصب مدرس اللغات الشرقية في أوترخت في

البداية، ثم في أمستردام[200]، لكنه أخفق في مسعاه. كان هدفه الظاهر من قدومه إلى إنجلترا هو استرداد المخطوطات التي كان قد تركها وراءه كضمانات لديونه، وجعل يحث أصدقاءه في أمستردام على حشد مجلس الأمناء لمصلحته[201]. وفي الثامن من أبريل عبر لـ أشر عن تفاؤله بأنه سيُمنح منصب أستاذ اللغات الشرقية في أمستردام بشكل دائم[202]. ولكن يوجد سبب معقول يجعلنا نظن أنه ربما تلقى تأكيدات خاصة من هارتلب بأن المنصب سوف يُستَحدَث من أجله في لندن. وربما أراد أن يثبت جدارته بتدريس اللغات الشرقية في إنجلترا، فعمَد إلى الإسهام بكتابة مقدمة بالإنجليزية لكتاب نُشِر في أمستردام[203]، وكان ذلك الكتاب من تأليف جون أدول وعنوانه: «مفتاح اللغة المقدسة»، والذي صدر أول مرة في لايدن في العام 1593. كان أول كتاب في النحو العبري يُنشر بالإنجليزية، ولم يكن إلا ترجمة لكتاب بطرس مارتينوس المعنون بـ «قواعد اللغة العبرية: الكتاب الثاني»[204]. وفي ختام مقدمته تلك تعمد رافيوس، الذي أصبح يكتب اسمه كرستيان رافيس ليُشعِر القارئ بأنه إنجليزي الأصل، أن يكتب: «هذا أول ما كتبته باللغة الإنجليزية»[205].

من المؤكد أن الترتيبات التي أُعِدَّت لرافيوس لإلقاء محاضراته في لندن قد اكتملت في أغسطس[206]، ففي 14 أغسطس لاحظ توماسون إعلانا صغيرا مستطيل الشكل، من الواضح أنه كان موجها إلى أعضاء هيئة الإكليروس في لندن:

> السادة الأفاضل، نحيطكم علما بضرورة إخبار الشعب يوم الرب القادم (الأحد) 15 أغسطس، بأن الأستاذ كرستيانوس رافيوس، الذي يعمل حتى اللحظة أستاذا للغات الشرقية في بعض الجامعات فيما وراء البحار، يزمع إلقاء محاضرة في تلك اللغات في «بيت لندن»، إن شاء الله، رجاء الحضور يوم الخميس القادم في السابعة مساء 26 أغسطس الحالي، وسوف يستهل هذه المحاضرة الخميس القادم في الثالثة عصرا في المكان المذكور أعلاه[207].

كانت المحاضرات تُلْقى في «بيت لندن» في باحة كنيسة القديس بولص، والتي كانت في سابق عهدها سكنا لأسقف لندن، ولكن بعد إلغاء الأسقفية أصبحت الكنيسة تُستخدم استخدامات أخرى. كانت الهيئة المكلفة بالإشراف على هذه المحاضرات هي هيئة الإكليروس في لندن، وكان مقرها الذي تعقد فيه اجتماعاتها

في كلية سيون، وهو مقر يحتوي على مكتبة أيضا، ولم يكن بعيدا في ذلك الوقت عن سور لندن[208]. ويفسر هذا ارتباط رافيوس بكلية سيون التي - كما نعرف - تبرع لها بأحد مخطوطاته في 5 يونيو 1648، وكانت المحاضرات تدور حول: «مجد الله، نشر كلمة الله، أهمية الدراسات الشرقية، تاريخ صاحب المجد، كرامة إنجلترا، أشراف لندن من القساوسة ورجال الدين الذين يشجعون هذه الدراسات»[209]. في العام نفسه، وهذا بالتأكيد لـه علاقة بتعيين رافيوس في الوظيفة، أهدى السير توماس روث نحو عشرين مخطوطة بالعربية والفارسية والتركية، بالإضافة إلى كتابين مطبوعين بالعربية، لكلية سيون[210]. وفي العام 1647 خُصِّصَت الكلية لتكون مقرا لمكتبة كاتدرائية القديس بولص، ومن الواضح أن ذلك كان نوعا من التعويض عن ضياع «مكتبة لامبيث» التي ذهبت إلى كيمبردج. وعلى الرغم من أن هذه المكتبة عادت أيضا بعد عودة الملكية، بدأت كلية سيون تبدو كأنها مركز للدراسات الأكاديمية الجادة.

الدليل على تدخل هارتلب في استحداث الوظيفة لرافيوس موجود في مراسلات توماس سمِث، رئيس كلية المسيح. ففي 11 أكتوبر 1647 كتب إلى هارتلب (مع رسالة أخرى بالألمانية إلى رافيوس طلب من هارتلب تسليمها)، يقول:

> السيد الفاضل، اسمح لي أن أعبر لا عن امتناني وحدي، ولكن عن امتنان وشكر دولة العلم كلها، امتنان وشكر دائمين إلى يوم الدين، وذلك لجهودكم الحثيثة، وسعيكم الموفق إلى الارتقاء بكل ضروب المعرفة والعلوم وخصوصا اللغات الشرقية، مما يرضي ربنا الرحمن، فنحن الآن لا نضطر إلى الرحيل مع كلينارد إلى بلاد العرب، ولا مع أي أحد آخر إلى أي بلد آخر غريب لنتعلم اللغة العربية، إن اللغة العربية بثقافتها وثرائها هي التي ستنتقل إلينا في بيت لندن[211].

لم نفهم ما فعله هارتلب، ظل تصرفه غامضا، ولكننا نستطيع أن نقدر أنه كان يمارس بعض النفوذ مع المجمع الإقليمي المشيخي المقدس في لندن، الذي قابله في كلية سيون من العام 1647 وما بعدها.

وفيما يتصل بمحاضرات رافيوس، فإن مصدر المعلومات المعاصر حولها نجده في قصيدة مكتوبة باللغة اللاتينية تحتفل بهذه المحاضرات، كتبها جون سبنسر،

وكان أمينا لمكتبة كلية سيون، نشرها رافيوس في كتابه المعنون بـ «خمس عشرة رسالة» Sesqui- Decuria الصفحات 33 – 35. وهو يتوجه بخطابه إلى رافيوس بوصفه «أستاذا للغتين العبرية والعربية في لندن»[212]، وهو لقبه الرسمي كما هو مفترض. وفيما يتصل بالمحاضرات يمعن سبنسر في امتداحها في الصفحة 34 بقوله شعرا باللاتينية:

> «الشكر واجب لأعضاء مجلس الشيوخ الذين يعرفون قدر العربية، والأهمية الكبرى لإنشاء كرسي العربية والعبرية، وهذه المكانة العالية التي تتبوأها هاتان اللغتان اللتان تستحقان مكانهما على جبل صهيون تكريما وإجلالا».

وهو مدح اعتبره وسيلة شعرية للتذكير بأن رافيوس يدرِّس العبرية والعربية – بدعم من جميع أعضاء هيئة الإكليروس في لندن ومن البرلمان - [213] في كلية سيون[214] في لندن وفي بيت لندن المجاور لكنيسة القديس بولص. ويمضي سبنسر في القول - وأرجو أن أنجح في تفسير ما يقول - إن المحاضرات تُلقى يومين في الأسبوع (من المفترض أنها كانت تُلقى يومي الثلاثاء والخميس) في الساعة الثالثة عصرا، وأن المحاضر كان موجودا أيضا في جميع أيام الأسبوع للحوار مع الجمهور، وهذا ما أكده خطاب كتبه رافيوس إلى سِلدِن من دون تاريخ، ولكن من المؤكد أنه مكتوب في العام 1648، يقول فيه إنه يلقي محاضراته خمسة أيام في الأسبوع، مرتان باللغة اللاتينية، وثلاث مرات باللغة الإنجليزية مع جمهور خاص[215]. ويعطينا سبنسر مفتاحا نلج به إلى الدافع لاستحداث هذا المنصب: إن الله يرضى عن هذه الجهود: Omnipotens faveat conatibus hisce Jehovah, Vt convertantur pia per commercia gentes ويعني بذلك الأمل في تحويل اليهود والمسلمين عن دينهم بسلام. وقد تأكد هذا الدافع في العريضة المقدمة للبرلمان، والتي سنأتي على ذكرها بعد حين، التماسا للدعم «لهذا المنحى الجديد في التعليم الذي يعتمد عليه كل الاعتماد فهمنا الأنقى لكتبنا المقدسة، ومنفعتنا التي سنجنيها من إذاعة العهد الجديد، كل هذا يتوقف على فهمنا لهذه اللغات، ومعرفة أهمية فائدتها لنا»[216].

ربما نخرج بتصور ما عن مضمون محاضرات رافيوس في الكتب التي نشرها في لندن. وينبغي في البداية التأكيد على أمر مهم هو أنه بينما كُتِبت جميع كتبه

الأخرى قبل هذا المنصب وبعده باللغة اللاتينية، فإن هذه المحاضرات بالذات نُشِرت كلها بالإنجليزية (كما هو الشأن في محاضراته غير الرسمية). كانت الحاجة إلى استبدال اللغة الإنجليزية العامية باللاتينية في التعليم العالي مطروحة بقوة للنقاش بين المفكرين المهتمين بإصلاح التعليم في ذلك الوقت، ولم يكن أقلهم صامويل هارتلِب صديق رافيوس وأستاذه المشرف على رسالته للدكتوراه. وقد ذكرنا قبل حين مقدمة رافيوس التي كتبها بالإنجليزية في كتاب النحو العبري الذي أَلَّفَه أورول. ومن ضمن منشوراته العبرية الأخرى صحيفة أسماها «بحث في قواعد إملاء اللغة العبرية واشتقاقاتها وتركيباتها»، تسلمها توماسون في 20 أبريل 1648[217]. هي صحيفة كبيرة تزعم الاحتواء على جميع المعلومات الضرورية الخاصة بقواعد الإملاء في اللغة العبرية في عمود، والاشتقاق في العمود الثاني، ثم يأتي التركيب في العمود الثالث. وعلى الرغم من أن الصحيفة كانت غفلا من اسم المؤلف، فإن النسبة إلى رافيوس في فهرست مكتبة المتحف البريطاني ظهر أنها صحيحة من خلال ملحوظة مكتوبة أسفل العمود الثاني تقول: «انظر ملاحظاتي في كتاب «بطرس مارتينيوس» في النحو العبري المكتوبة باللغة الإنجليزية، والمطبوع في أمستردام في العام 1646». وقد نشر رافيوس - حسبما يذكر هو نفسه - نسخة مزيدة من هذا الكتاب بعنوان «أساسيات النحو العبري بالإنجليزية» في العام 1648[218]. غير أن أكثر كتب رافيوس غنى بالمعلومات عن طريقة تدريسه للعربية ولغات شرقية أخرى هو المعنون بـ «النحو العام لتعليم اللغات العبرية السامرية والكلدانية والسريانية والعربية والحبشية في فترة وجيزة»[219]. وأما الجانب الإبداعي الأساسي لرافيوس، والذي ظهر أيضا في كل ما نُشِر له في هولندا[220]، فهو أنه كان يرى أن اللغات الست التي وردت في عنوان الكتاب لا يتصل بعضها بالبعض الآخر وكفى، وإنما هي لغة واحدة في الواقع. ومن هنا إذا تعلم الطالب اللغة العربية (وهي اللغة التي زعم وهو لا يزال طالبا في لايدن[221] أنها تأتي بشكل طبيعي)، أذعنت لـه العبرية إذعانا. وهذه النقطة مشروحة بشكل أفضل في كتاب «الخطاب»، الذي جعله كنوع من التمهيد لدراسة النحو:

> الحق أقول لكم إنه إذا قُدِّر للأمة الإنجليزية أن تلتحق - بالجهد والمثابرة - بالعلم اللاهوتي الصحيح، ولا تركن كثيرا إلى ترجماتها عن

> اللغات الأخرى، وتدرك جيدا (وهذا يمكن أن يتم في بحر عام) أن العبرية هي العربية، وأن العربية لاتزال حية في ألسنة ناطقيها، وهي يسيرة التَعَلُّمْ، وسهلة المنال، وأن العلم بها والإحاطة بقواعدها وبلاغتها معناه الوصول السهل إلى تفسير الكتاب المقدس المكتوب بالعبرية، وهو أسهل بكثير من الركون إلى لغة الحاخامات القديمة، عندئذ سوف يغير القائمون على ثقافتنا طرائق تعليمنا، ويتوقفون عن الدراسة في هذه الكتب التي ماتت، والتحول إلى الدراسة مع أناس يعيشون الآن في كوكبنا، في آسيا وأفريقيا، هكذا فعل نيكولاس كلناردس، وحذا حذوه السيد بوكوك والسيد غريفز، وهم من أكرم علمائنا[222].

وعلى الرغم من أن بعض فرضيات رافيوس تنطوي على أخطاء، وشيء من السُخف، فإن النتائج التي توصل إليها لم تكن تافهة دائما، مثل إصراره على أن الخطأ كل الخطأ أن نتصور أن قواعد النحو العربي والنحو العبري تجري على نمط النحو في اللغتين اللاتينية واليونانية[223].

لم أعثر على ما يدلنا على من كان يدفع مرتبا لـرافيوس، على الرغم من أنه يذكر فعلا أن توماس آدمز هو الذي كان يقوم على رعايته[224]، فربما كان رجال الدين هم الذين كانوا يجمعون التبرعات لهذا الغرض، من أهل الخير والثراء في لندن. لكن سرعان ما ظهر أنه إذا تطورت مدرسة اللغات الشرقية في لندن، فإن الطلاب أنفسهم سيحتاجون إلى الدعم المالي[225]، ولم يكن هناك من مصدر للتمويل سوى البرلمان. وهذا ما شرحه خطاب من رافيوس إلى سِلدِن، من دون تاريخ، ولكن بالتأكيد ليس قبل وقت طويل من العريضة التي قُدِّمت إلى مجلس العموم في يونيو من العام 1648، والتي سوف نتناولها بعد قليل. فبعد أن أفاض في شرح الطريقة التي تترتب بها محاضراته، وزعم أنه في محاضراته الخاصة باللغة الإنجليزية يؤم أربعين طالبا مستمعا (على الرغم من أن بعضهم من رجال الإكليروس)، يقول إنه الأستاذ الوحيد للغات الشرقية في الوقت الراهن، وأن المدرسة سوف تحتاج إلى المزيد. أضف إلى ذلك أن المدرسة ليست كالجامعات التي يضطر فيها طلاب البكالوريوس والسنة التمهيدية للماجستير إلى حضور مثل هذه المحاضرات اضطرارا، وأن المدرسة في لندن لا تمنح الشهادات، ولذا فجمهورها قليل، وسنضطر إلى دعم طلاب البكالوريوس في الجامعة للحصول

على الشهادات في اللغات الشرقية، على الأقل اثنا عشر تلميذا أو عشرون. ثالثا، تحتاج هذه الدراسات إلى مطبعة، وهو مطلب ضروري جدا. وواضح جدا أن الخطاب مصمم بحيث يصلح دفاعا عن سِلدِن وسعيه إلى الحصول على المال من البرلمان، ولكنه موجز في سؤالين: 1 - ما المبلغ السنوي الذي نريد من البرلمان أن يخصصه في كل عام؟ 2 - هل نطلب هذا المبلغ مباشرة من مخصصات العمداء والرهبان؟[226] ويلاحظ رافيوس أن «القساوسة والكهنة وأعضاء السينود» وَعَدُوه بألا يعترضوا على هذه الإجراءات.

وبكل أسف لم نحصل على رد فعل سِلدِن على هذه المبادرة، ولكن لدينا عريضة عليها تاريخ يونيو من العام 1648 موجهة إلى مجلس العموم «وموقعة مما يقرب من أربعين من الكهنة، وستين من المواطنين من ذوي الحيثية في لندن وضواحيها»[227]. ورد في افتتاحيتها أنه:

> في شهر أغسطس الماضي، في بيت لندن، انطلقت أول محاضرة بتوفيق الله لنشر الإيمان والتقوى، وإذاعة العلم، وكانت في اكتشاف اللغات الشرقية (وهي لغات لاتزال غامضة على أهل أمتنا) ويلقى بانتظام شديد مرتين في الأسبوع، من ذلك الوقت، ما يقرب من ثمانين محاضرة باللاتينية، حظيت بقبول أولئك المثقفين والقراء وأصحاب الفضل والعلم الذين يختلفون إلى مثل هذه المحاضرات. ويخشى الملتمسون أن ينتهي عمل تلك طبيعته، هدفه النهوض بالعلم والتعليم والمعرفة باللغات، إلى الإخفاق التام، بسبب نقص الرعاية، وضعف التأييد من ذوي السلطان. ولما قيَّمنا الحاجات، وتقدير المتطلبات، من الأموال وغيرها من الأمور التي تعمل على ضمان بقاء الأساتذة، والطلاب، والحاجة الماسة إلى إنشاء مطبعة، وهو مطلب ضروري لاستمرار تعليم هذه اللغات التعليم الفعّال من أجل تحقيق الأهداف المرجوة، ...

لم تذكر العريضة المبلغ المطلوب، ولكنها تعبر عن ثقة في استعداد أصحاب السمو والمعالي لدعم هذا الضرب من التعليم، وتطلب منهم تشكيل لجنة لمناقشة الأمر.

إن المحاضر المنشورة للسجالات البرلمانية في ذلك الوقت مشهورة بالنقص الشديد، ولذا لم أتمكن من الحصول على أي ذكر لهذا الموضوع في تلك المحاضر،

وهذا لا يعني أنها لم تُذكر في البرلمان، ولكن من المؤكد أن مسألة الدعم المالي لم تُطرح للتصويت، فبعد تسعة أشهر رحل رافيوس الذي أُصِيب بخيبة أمل في أن يقدم له «برلمان التقوى والورع... كل ما كان يرغب فيه من دعم»[228]، وغادر إلى أكسفورد ليشغل وظيفة مدرس في جامعتها، وبرحيل المحاضر الوحيد انهارت مدرسة اللغات الشرقية في لندن انهيارا بعد أن استمرت ما يقرب من العام ونصف العام. وليس من شك في أن رافيوس قد أدرك أنه من دون رصد مبلغ كبير من المال بصفة وقف دائم لدعم هذا المشروع العلمي، يصبح استمرار هذا المشروع وصموده في حكم المستحيل. كان لديه أصدقاء في البرلمان، أعضاء في لجنة التعليم، ومسؤولون عن مناقشة ملف الجامعات. في البداية كان يتوقع أن يشغل منصبا من تلك المناصب التدريسية التي يشغلها بوكوك الذي يتوقع الفصل، ولكنه عدل عن مثل هذه التوقعات بفضل نصائح راعييه: أشر وسِلدِن. كان البديل أنه في 5 مارس 1649 وقع اختيار المفتشين عليه ليكون من بين زملاء كلية مغدلين الذين انتهكوا حرمتها، واستبدلوا – في الأغلب – كل أعضاء مجلسها في ذلك الوقت[229]. أيضا عُيّن محاضرا في اللغة العبرية وأمينا على مكتبة الكلية. لا تتوافر معلومات كثيرة عن أنشطته في أثناء الفترة القصيرة التي قضاها في كلية مغدلين. في شهر يوليو من العام 1649 اكتشف الزملاء الجدد خبيئة من العملات الذهبية في حجرة محفوظات الكلية، تركها أصحابها - على ما يبدو - كنوع من التمويل، وعلى الفور تفرق المبلغ على جميع أعضاء المؤسسة. حصل كل زميل على ما قيمته ثلاثون جنيها إسترلينيّا. كانت فضيحة هذا الاختلاس من الأسباب التي دعت سِلدِن إلى أن يغير رأيه في إهداء مكتبته كلها للجامعة كما كان ينوي[230]. وبصرف النظر عن هذه الفضيحة، والتي لم يكن رافيوس فيها إلا مجرد مشارك، أعلم ما تعرض لـه رافيوس من هجوم، بناء على ما نشره جون هارمر، بوصفه جزءا من «حثالة أجناس الأرض التي أُسقِطت على أكسفورد في الآونة الأخيرة»، وهو يستحق أن نقتبسه كله هنا:

> غادر رافيوس مورافيا أولا إلى لندن، ومكث هناك فترة طويلة في حي لوقا هارون[231] مع آخرين لهم نفس اهتماماته، ثم غادرها إلى أكسفورد، فقابل علماء في اللاهوت وبعض علماء في اللغة، ثم إنه تلقى رسالة من رئيس الأكاديمية يهنئه فيها على الرغم من رفضه تولي المنصب

والمشاركة مع جميع العلماء في ذلك الوقت في كلية مغدلين، مقدما رؤيته الواضحة فيما يتصل باكتشاف الأبعاد البلاغية من كتاب أودول[232]. وما لبث أن وجه رئيس الأكاديمية خطاب تهنئة (على الرغم من رفضه تولي المنصب والمشاركة مع زملائه في كلية مغدلين) قدم فيه رؤيته الواضحة في أمور البلاغة [233].

نستنبط من هذا كله أن رافيوس درَّس اللغة العبرية من كتاب أودول Udall، ومن كتابه الذي وضعه في النحو العبري، وألقى خطابا مكتوبا بأسلوبه الفضفاض – الذي سخر منه هارمر - أمام رئيس الجامعة في كلية مغدلين.

هناك مبادرة أخرى تقدم بها رافيوس ربما تعود إلى فترة زمالته في كلية مغدلين، ولكن الأرجح عندي أنها تعود إلى أيام عمله في لندن. هذه نسخة مكتوبة بخط اليد من «النشاط المتواضع للمسيحي رافيوس، المحاضر في اللغة العبرية» من دون تاريخ ومن دون عنوان، وجدناها بين أوراق هارتلب[234]. فحواها «أن بعض ذوي الدربة في العبرية واللغات الشرقية الأخرى، والقادرين أيضا على التعبير عن أنفسهم بهذه اللغة الإنجليزية، قد يجدون التشجيع من أجل الانضمام إلى محاولات فحص جميع التفسيرات المختلفة للنص العبري، من أجل تبيان المعنى الصحيح الحقيقي وراء كل عبارة وكلمة مظنون في صحتها». ومن بين أهداف هذا المشروع «التخلص من الكثير من مواطن الشك والأخطاء، والأغلاط وتصحيحها، ومنها الكثير من دواعي الجدل، وبعض مظاهر الهرطقة التي نمت وانتشرت مما يفضح الآباء واليهود والترك ويُكرِههم على الإيمان بالمسيحية»، ومن الأهداف أيضا «الحفاظ على سلطة الكنيسة وهيبتها، وتحصين كتبنا المقدسة من اعتراضات أصحاب المذاهب الإلحادية، وأعداء الأديان من كل لون». لقد انتهى هذا المسعى المخلص الداعم للعقيدة الذي سعى إليه رافيوس ليجد لنفسه وظيفة، إلى الإخفاق التام، وخلال أقل من عام من مجيئه إلى أكسفورد غادر إنجلترا إلى غير رجعة. وفي 10 أكتوبر 1649 كتبت إليه الملكة كرستيانا للمرة الثانية تعرض عليه وظيفة في السويد وهي تقول له بالحرف «العمل الذي تستحقونه بفضل ما لديكم من العلم والمعرفة»[235]. وفي 6 فبراير 1650 حصل رافيوس على إجازة من كلية مغدلين لمدة ستة شهور. ولا بد أنه رحل فعلا، فقد قرأنا تصريح سفره الممهور بتوقيع مجلس الدولة «للدكتور رافيوس، له ولخادمه وكتبه،

على أن يُنقل إلى السويد... والسبب هو العمل كأستاذ للغات الشرقية» وبتاريخ 9 يناير 1650[236]. وفي نهاية العام استقال من زمالته بكلية مغدلين. وأما عناؤه في أوبسالا وأستوكهولم فلا يهمنا هنا[237].

يذكر أنتوني وود أن رافيوس ترك أكسفورد لأنه لم يجد إلا عددا قليلا جدا من الطلاب في الكلية أو في جامعة أكسفورد من الذين كانوا، كما يقول: «يميلون إلى دراسة اللغات التي كان يبرع هو فيها»[238]. وربما كان السبب (إلى جانب المُرَتّب والفرص الأفضل التي قُدِّمت له في السويد) هو أنه كان مكروها جدا من قِبل الكثيرين الذين كانوا يريدون دراسة هذه اللغات، ومن بين هؤلاء البليغ جون غريفز والذي قابله في لندن أول مرة في أواخر العام 1641[239]. في ذلك الوقت كتب رافيوس إليه رسالة فيها الكثير من المدح والتزلف، يعرض عليه أن ينظر في مخطوطته الخاصة بكتاب أبولونيوس[240]. وأما غريفز فلم يكن يتحمل حماقات من هذا النوع من دون أن يرد، وراح يعبر عن ازدرائه في رسالة إلى بوكوك بتاريخ 7 أغسطس 1645 يقول فيها:

> أرسل إليكم هذه الأوراق (التي تلقيتها أخيرا من السيد رافيوس) للنظر من قبِلكم. لم أسعد كثيرا عندما تلقيت هذه الأوراق البائسة، فعند قراءتها، وعندما قرأت ما كتبه، ومنه أنها ستنال إعجابي، وأن العالم سيسعد بمزيد منها كما يقول ويعِد؟ فإذا كنت أنا قد ضحكت (مع شيء من الإشفاق على الرجل) عندما قرأت لغته الفارسية، فكيف يكون ابتسامك عندما تقرأ لغته الفارسية ولغته العربية؟ وقد تلقيت منه رسالة في الماضي القريب من يد صديق من رجالك الأفاضل، كتب فيها أنه قد أهدى لي كتابا[241]؛ عندما طالعت صفحاته الأولى أسلمتني إلى حالة من التوتر، ولكني اكتشفت بعد ذلك أنه أهداه إلى ما لا يقل عن ستين شخصا قبلي، وأن اسمك واسم صديقك من بينهم، تمالكت نفسي، واستسلمت للنوم[242].

وعندما قدِم رافيوس إلى لندن في يونيو من العام 1647 التقى الرجلان كصديقين، وقضيا معا ليلة في زيارة لقصر هامبتون كورت (حيث كانت الاستعدادات على أشدها لإزاحة الملك)[243]. على أنه في منتصف العام 1649، وكرد فعل على طلب من

كلود هاردي، الذي سمع أن رافيوس كان في لندن وكان مهتما بمخطوطة أبولونيوس التي كان يمتلكها، أبدى غريفز عدم اكتراثه وازدرائه للرجل ومخطوطه، يقول:

> أنت على حق حين قلت إنني رأيت رافيوس: نعم رأيته، ولي به معرفة لا ترقى إلى صداقة. ولا أعلم هل ضَيّع مخطوطة أبولونيوس أم باعها؟ لست متأكدا. منذ سنوات قليلة رأيت الجزء المفقود من كتاب «المخروطات» لـ أبولونيوس في مجموعته؛ ولكن الخط كان رديئا جدا، والحروف أكل عليها الدهر وشرب، لا تصلح طبعا للنشر أبدا، إلا إذا نُشرت بأخطائها، غير أن الرسومات البيانية والتخطيطات كانت أنيقة للغاية[244].

رد بوكوك بشيء من الأدب عندما أهداه رافيوس بعض كتبه بعد وصوله إلى إنجلترا[245]، ولكنا لا نجد دليلا على وجود تبادل منافع فيما بينهما، بعد أن أبدى رافيوس طمعه في منصب الأستاذية الذي كان يشغله بوكوك.

وأما كيمبردج فقد كانت أكثر حماسا في استقبالها لـ رافيوس، على الأقل في البداية. وقد رأينا فعلا كيف أسرف توماس سمِث في مدح رافيوس أمام هارتلب، والثناء على تعيينه في لندن. وعبّر ويلُك عن مشاعر متشابهة لـ رافيوس نفسه، مهنئا إياه بقولـه: «إنك أصبحت الآن منا وعلينا، في خدمة إخوانك ومواطنيك، فقد أصبحت مواطنا مثلنا، وأنك ستكرس جهودك لله وكنيستنا المنكوبة، وسوف يزدهر الأدب الشرقي في لندن على يديك»[246]. ووعده رافيوس ببدء صداقة عظيمة معه، ووعده بأن الاستفادة منه لن تقتصر على المخطوطات، بل سيستضيفه في لندن أيضا[247]. في الوقت نفسه راح ينتقد نسخة ويلُك من القرآن أمام هارتلب من جميع وجوهها[248]. وقد خاب أمل توماس سمِث أيضا من ناحية توقعاته من رافيوس. فقد أرسل إليه من خلال هارتلب بعض النصوص التدريبية في اللغة العربية ولغات أخرى، لعلها تشفع لـه عند رافيوس فيكتب لـه خطاب توصية يعينه على الظفر بزمالة كلية عمانويل[249]. ومن بين هذه النصوص التدريبية ترجمة سمِث لـ «أمثال علي»، وهي جزء من كتاب باللغة العربية كان يوليوس قد نشره في العام 1629 [250]، وأصبح من الكتب المقررة في تدريس اللغة العربية في هولندا وإنجلترا. وفي الثاني والعشرين من سبتمبر في العام 1648 ساور سمِث، الذي كان يأمل في نشر الترجمة، القلق بشأن ما حدث للترجمة. لم يعلق رافيوس على الترجمة إلا بأنه سبق

أن ترجمها هو نفسه[251]. ويروي سمث النهاية الحزينة لهذه القصة في رسالة إلى هارتلب بتاريخ 29 يناير 1649:

> أتعجب من أنني لم أسمع شيئا من السيد رافيوس الذي لايزال يحتفظ بكتاب قمتم - كرما منكم - بتسليمه له منذ عام مضى، وهو كتاب ترجمتي لـ «أمثال علي». أرسلت إليه رسائل متعددة أسأله عن مصير الكتاب، ولم أتلق أي رد... وهممت أن أكتب إليه للمرة الأخيرة فإذ برسالة أتسلمها من أستاذ جامعي طلبت منه أن يتحدث مع السيد رافيوس بخصوص موضوع كتاب «أمثال علي»، فأرسل معه عبارة واحدة: «لقد فُقِد»، ولم تكن معي نسخة أخرى[252].

فهل ضيّع رافيوس ترجمة سمِث عامدا متعمدا بقصد الاستيلاء عليها؟ لا نعرف[253]. ليس غريبا أن الشخص الوحيد - من بين جميع من عرفهم رافيوس - الذي احتفظ رافيوس بصداقته بعد هارتلب، واستمرت الرسائل معه، كان صامويل كلارك، الذي كان من بين المستعربين القلائل الذين لم تصبهم ناره، ولم يؤذوا منه في أثناء إقامته في لندن طوال عامين ونصف العام.

(10) القرآن التركي

نتناول في هذا الفصل موضوعا آخر تعود أهميته في تلك الفترة إلى أنه يسلط الضوء على موقف الحكومة والشعب إزاء كتاب كانت معرفته مهمة في مجال الدراسات العربية، وهو القرآن. ففي أوائل العام 1649 ظهرت نسخة من هذا الكتاب بالإنجليزية نشرها تاجر الكتب جون ستيفنسُن في لندن، عن ترجمة فرنسية سيئة ترجمها شخص يُدعى دو راير du Ryer في العام 1647 [254]. دان مجلس العموم الكتاب وهو لايزال في المطبعة، وكان مجلس العموم في ذلك الوقت حساسا جدا لأي مطبوعات تحمل - في رأيهم - آراء هدامة. وفي التاسع عشر من شهر مارس في العام 1649 صدر الأمر إلى قائد أمن المجلس لاصطحاب قوة والبحث عن المطبعة التي كانت تطبع القرآن في ذلك الوقت، والقبض على صاحبها ومصادرة الماكينات والأوراق واعتقال القائمين على الطباعة. سُجِن بائع الكتب بطبيعة الحال، وصُودرت جميع النسخ، وفي الواحد والعشرين من مارس أُحِيل الموضوع برمته إلى

مجلس الدولة... للحكم بتبرئة السجين أو استمرار حبسه أو اتخاذ أي اجراءات يراها المجلس الموقر من أجل إعدام النسخ أو مواصلة الطباعة[255]. وأما مجلس الدولة فيبدو أنه ترك الأطراف في حيرة، فقد حذَّر من «التدخل في مثل هذه الأمور، وأوصى بتركها للمتخصصين فيها»[256]. والحق أن الكتاب نُشر رسميّا في الثالث والعشرين من أبريل في العام 1649[257]، وطُبع مرتين في ذلك العام. وعلى رغم أن هدف الكتاب، وفق ما جاء في تصدير المترجم الذي وضع عنوانه: «إلى القارئ المسيحي»، هو التأكيد على «سلامة العقيدة المسيحية في عقله» خصوصا عند اطلاعه على حياة محمد المناوئة لتعاليم المسيح، والتي وضعها المترجم في آخر الكتاب، فقد اعتبره أحد القراء، على الأقل، هجوما مُقَنَّعا على المسيحية، ودانه بشدة، في رسالة نشرها بعنوان: «إجابة بلا سؤال، أو الطلب الانشقاقي من أجل التسامح الشيطاني مع الأديان الأخرى»، ومؤرخة في العام المبارك الذي سُمح فيه بنشر القرآن التركي في أرجاء المملكة في العام 1649»، ورُفِعت إلى رتشارد هولدزورث، الذي وافته المنية بسلام في شهر أغسطس من ذلك العام. يرى كاتب الرسالة نشر القرآن كمثال لما يحدث عند ممارسة هذا الضرب من التسامح الديني الذي دافع عنه العقيد برايد Colonel Pride. ويزعم أنه «في أيام الملكة إليزابيث، والملك جيمس، وطيب الذكر الملك تشارلز، كان جلب القرآن، ولا نقول ترجمته، من أعمال الخيانة، فضلا عن أن الترجمة الإنجليزية (بالاجتراء نفسه) تحذف، عن عمد، «جميع القصص المسرفة والسخيفة، والمضحكة، والمجدفة، والمستحيلة، التي من شأنها أن تجعل من هذا السفر كتابا مرفوضا من الناس جميعا». ومما لا شك فيه أن هذا رأي متطرف، لكنه يُظهِر الشك الذي كان يُستَقبل به كتاب المسلمين من قِبل أوساط المسيحيين على اختلاف مشاربهم، وهو ما كان من ضمن العقبات الرئيسة أمام إعادة طبعه، على رغم إجماع جميع المستعربين الذين لايزالون يقومون بواجباتهم، على أن طباعة القرآن لا غنى عنها لدراسة العربية[258].

(11) الكتاب المقدس متعدد اللغات

كان النشاط الآخر المهم المتصل بالدراسات العربية واللغات الشرقية الأخرى في تلك الفترة يتمركز أيضا في لندن، على رغم أن القائمين به علماء ودارسون من

الجامعتين الكبيرتين، وهو نشر الكتاب المقدس متعدد اللغات في خمسينيات القرن السابع عشر. كان برايان والتون هو أول من فكر في القيام بهذا المشروع والمشرف عليه بعد ذلك، وكان مساعدوه والمتعاونون معه كوكبة من العلماء المرموقين، وكان كثيرٌ منهم مثله من الذين فقدوا وظائفهم الكنسية أو مناصبهم الجامعية نتيجة لحملات التطهير التي نشطت إبان الثورة. ومن هؤلاء العلماء أغلب المعاصرين الذين تركوا بصماتهم على مجال الدراسات الشرقية، سواء في ذلك الوقت أو بعد ذلك. أُرِيد لهذا الإنجيل - وفق الخطة الموضوعة - أن يكون ردا إنجليزيّا على الكتاب المقدس متعدد اللغات الذي صدر في باريس، وأن يكون أكثر شمولا، وأكثر عمقا وتفصيلا من الكتاب المقدس الفرنسي، وذلك في احتوائه على النسخ الشرقية للنصوص المقدسة. لن أسعى هنا إلى أن أقدم استعراضا كاملا لهذا العمل[259]، فهو يستحق جميع مظاهر التقدير التي احتفلت به كأثر نفيس من الآثار النفيسة التي أنتجها الدرس الأكاديمي في القرن السابع عشر، وخصوصا تلك المتصلة بالدراسات الشرقية. سأكتفي هنا بالإشادة بجهود أولئك الذين شاركوا بدراسات تتصل بموضوع الكتاب، مع بعض الملاحظات على بنية الكتاب المقدس متعدد اللغات بأكمله، وشكله وحجمه.

كان والتون نفسه يمتلك معرفة كبيرة باللغات التي ظهرت في الكتاب، وهذا واضح من فهرست المزاد الذي عُرِضت فيه مكتبته للبيع، ويضم مجموعة متسقة – على رغم أنها ليست ضخمة - من الكتب العربية المطبوعة، وثلاثا وخمسين مخطوطة أغلبها مخطوطات عربية، لكن منها مخطوطات تركية وفارسية وروسية وأرمنية ويونانية[260]. على أن تمكنه من اللغات الشرقية يظهر أفضل ما يظهر في الكتاب الصغير الذي كتبه كدليل إرشادي لقراءة الإنجيل متعدد اللغات، بعنوان «مدخل لقراءة اللغات الشرقية»، الذي طُبِع طبعات متعددة[261] على الطريقة الشرقية في طباعة الكتب، أي من اليمين إلى الشمال. ويضم الجزء العربي منه (بين الصفحتين 56 و84) أساسيات اللغة العربية، وخطاب إربِنيوس الذي ألقاه في الثاني والعشرين من مارس في العام 1620، وتدريبا على فهم لغة القرآن من سورة المجادلة (النص العربي وترجمته إلى اللاتينية كلمة بكلمة). كان والتون من أساتذة كيمبردج، لكنه تخرج قبل أن يصبح ويلُك أستاذا للغة العربية، فقد حصل على ليسانس الآداب

من كلية بيترهاوس في العام 1619، والماجستير في العام 1623 من الكلية نفسها. ترك والتون الجامعة من أجل إغراءات إكليروسية، وفي العام 1626 عُين كاهنا لكنيسة القديس مارتن أورغار في لندن. ولكن موقفه الاستبدادي اللودوي من قضايا مثل دفع الضرائب العشرية، ووضعية مائدة عشاء الرب، جعلت أهل أبرشيته يَزْوَرُّون عنه، فنقموا منه في العام 1641 بتقديم عريضة ضده لمجلس العموم، كتبوا فيها:

> الدعاوى والاتهامات المثبتة في البرلمان ضد الدكتور والتون، كاهن كنيسة القديس مارتنز أورغار في شارع كانون. حيث أُميط اللثام عن ألاعيبه الخبيثة، وبِدَعِه البابوية الخرقاء، مثلما اكتُشِفَت مشاوراته والعون الذي تلقاه من رئيس أساقفة كانتربري، أسقف روتشستر، السيد براو والسيد بيكر للتأثير فيهما. وكذلك تطاولـه على السير الشخصية لأعضاء مجلس العموم الموقرين من خلال إطلاقه الافـتراءات، وثلم الأعراض، واستخدامه لغة الأدنياء التي تهدم الشخصيات المحترمة [262].

حُرِم والتون من جميع امتيازاته الكنسية في العام 1641، ونُقِل إلى أكسفورد، ليصبح أستاذا في علم اللاهوت في العام 1645. ونستطيع أن نستنبط من ذلك أنه قابل هناك أشر وبوكوك وكلارك وآخرين ممن اشتركوا في العمل في الإنجيل متعدد اللغات. وبعد سقوط أكسفورد في العام 1646، ذهب ليعيش في بيت حماه الدكتور وليام فوللر في لندن، وهناك أُعلن عن تدشين مشروع الكتاب المقدس متعدد اللغات في العام 1652.

اتخذ والتون احتياطاته لحمل مجلس الدولة على الموافقة على المشروع قبل البدء فيه[263]، وتقديم الدعم لأبرز علماء العصر، أشر وسِلدِن. تضمن الدليل الإرشادي المطبوع لهذا الإنجيل متعدد اللغات «قرار الموافقة»، مصحوبا بدعوة للاكتتاب (بتكلفة عشرة جنيهات إسترلينية للنسخة الواحدة)، بتاريخ 1652، وخطاب مُوَقّع من أشر ووالتون وويلُك وآخرين بتاريخ الأول من مارس في العام 1653[264]. وفي الاقتراحات الأولية للاكتتاب كان من بين الشخصيات التي ستقوم على إعداد النسخ وتصحيح الأخطاء المطبعية والإشراف على سير العمل في المشروع، بالإضافة إلى والتون وويلُك وبوكوك، توماس غريفز وجون فِكرز وتوماس سمِث. وما لبث ويلُك أن تُوفِّي، فلم يمهله القدر للمشاركة في إخراج الإنجيل متعدد اللغات مشاركة تُذكر لـه، واستُعين بعلماء آخرين من الشباب في أثناء العمل.

في الوقت نفسه أُخرجت عينة من شكل الطباعة الذي سيُطبع به الكتاب[265] في مطبعة يعقوب فلِشر في لندن الذي طبع أغلب كتب جون غريفز. لم أرَ هذه الطباعة، وأظن أن حروف الطباعة العربية التي استُخدمت لم تكن إلا تلك التي سرِقت من لوحة أكسفورد، لكنها لم تكن حروفا مرضية. وكتب ويلُك إلى نائب رئيس جامعة كيمبردج في الخامس من يناير من العام 1653 ليوصي خيرا بمشروع الكتاب المقدس متعدد اللغات، ويقول إنه صحّح ثمانين خطأ في الصحيفة. وكتب والتون في أسفل العينة التي عُرضت على تُدْ ملاحظة: «سنحصل على حروف أفضل من حروف الطباعة العبرية والسريانية، وتحتوي على إمكانية طبع النقط» we shall acquire better Hebrew and Syriac types, with points [266]. وفي النهاية لم تُستخدم حروف فلِشر. وكان الرجل الذي قام بمهمة طباعة الكتاب المقدس متعدد اللغات هو رويكروف، وصُنع طاقم كامل من الحروف الشرقية خصيصا لطباعة هذا العمل[267]. زُعِم أن طاقم حروف الطباعة قد ترتب على غرار حروف الطباعة التي كان يستخدمها سافاري دو بريف، وعلى رغم أنها أقل أناقة من الأولى، فإنها أرقى من أي حروف عربية استُخدمت قبل ذلك في إنجلترا قبل أو بعد حروف «كاسلون» في القرن الثامن عشر. كان والتون قادرا على تمويل استخدام هذه الحروف الطباعية[268]؛ لأنه كان قد نجح نجاحا ظاهرا في استقطاب المكتتبين. وحتى قبل أن يصدر الدليل الإرشادي، أوقَف أربعة آلاف جنيه إسترليني من الاكتتابات، وبحلول يوم الرابع من مايو من العام 1653، وقبل أن تبدأ الطباعة، وصل هذا المبلغ إلى تسعة آلاف جنيه إسترليني[269]، على رغم أن أغلبه كان على هيئة وعود ولم يكن نقودا عينية. على أنه مع بداية شهر أكتوبر من العام 1653 كان السِّفر الأول في المطبعة، ولا بد أن والتون قد أخذ في مقابل طباعة هذا السفر مبلغا قدره ألف وخمسمائة جنيه والذي قال إنه الشرط الأساس لبدء الطباعة. وقد كان والتون يأمل في الحصول على دعم لا يقل عن ألف جنيه من مجلس الدولة، كما كتب إلى بوكوك في الثامن والعشرين من يوليو من العام 1652 [270]، لكنه اضطُر آخر الأمر إلى أن يقنع بإعفاء الورق الذي جرى استيراده للطباعة من الضرائب، وتلك ميزة كان قد رسّخها أولِفر كرومِول زعيم الكومونولِث، والذي شكره والتون - عدلا وحقا - في تصديره للكتاب المقدس متعدد اللغات، ما سبب كثيرا من الحرج

لـ والتون بعد عودة الملكية، فما كان منه إلا أن عمد إلى انتزاع الصفحتين الأخيرتين، واستبدل بهما إهداء لـ تشارلز الثاني، في تلك النسخ التي لم تُبع[271].

يظهر واضحا أن الكتاب المقدس متعدد اللغات في نسخته الإنجليزية قد صُمم على أن يحتذي نظيره الباريسي، وعلى رغم أنه أدنى منه درجة في الفخامة وجمال الطباعة، فإنه يتفوق عليه في اعتبارات متعددة، (وبطبيعة الحال فاقت مبيعاته مبيعات سلفه الجليل، الذي كان سعر نظيره الفرنسي أعلى بأربعة أو خمسة أضعاف). كانت أسفاره الستة من القطع المتوسط أسهل في التناول والحمل من كتاب مايكل لو جي ذي الصحائف العشر. كذلك كان ترتيب مواده أفضل من وجهة النظر الأكاديمية، فقد كانت النصوص مطبوعة جنبا إلى جنب باللغات المتعددة في الصفحة الواحدة[272]، بدلا من الصفحات المنفصلة في الإنجيل الفرنسي. أضف إلى ذلك أن الصفحات مُعَانَة بحواش وتعليقات نقدية بالعدد نفسه من اللغات، وهذا ما لا نجده في الكتاب المقدس متعدد اللغات الباريسي[273]. ثم إنه كان يحتوي على قدر أكبر من الترجمات القديمة[274]، وجرى كثير من استدراك الأخطاء في النصوص العربية والسريانية والسامرية التي وردت في الطبعات الباريسية. اضطلع والتون بالدور الأهم، وهو الإشراف على العمل والتنسيق بين العاملين عليه من العلماء على اختلاف مشاربهم، وعلى استعارة المخطوطات[275]، والإشراف كذلك على عملية الإنتاج كلها بكل جدارة واقتدار، وإن كان ذلك بطريقة فيها كثير من الأوتوقراطية. خرج السفر السادس والأخير من المطبعة في العام 1657 [276]، أي أقل من ستة أعوام من بداية الطباعة، وهي مدة قصيرة جدا سببت دهشة للجميع، خصوصا عند مقارنتها بالمدة التي تزيد على العشرين عاما التي استغرقها العمل في النسخة الباريسية. يضم السفر الأول التوراة، التي نشرت (من دون التصدير) في العام 1654، ويظهر التنوع في حروف الطباعة العجيبة التي استخدمت: [277] العبرية (وهي التي استُخدمت في الكلدانية) والسامرية والسريانية والعربية (واستُخدمت في طباعة اللغة الفارسية مع إضافة بعض الحروف القليلة) واليونانية. كما طُبع النص العربي بالتلاوة وعلامات التشكيل كاملة. كانت اللغة العربية هي الأكثر شيوعا بعد اليونانية واللاتينية، فقد تُرجم الكتاب كلـه بعهديه القديم والجديد إلى العربية، فيما عدا بعض الكتب المحرفة من التوراة. وأما القراءات المختلفة لهذه

النسخ فقد جُمعت كلها في السفر السادس، مع عدد من المقالات النقدية المتباينة، منها إسهامات لـ بوكوك وتوماس غريفز.

كان المساعد الرئيس في الإشراف على الإنجيل متعدد اللغات هو إدموند كاستل، وكان أصغر سنا بقليل من والتون في كيمبردج، وكان في ذلك الوقت كاهن كنيسة وودهام والتر في إسِكسْ[278]. يعبر والتون في التصدير عن شكره وامتنانه لـ كاستل لجهوده في تصحيح النصوص السامرية والسريانية والعربية والحبشية، وترجمة نسخة الأناشيد الحبشية إلى اللاتينية. وقد أضاف تُدْ إلى هذه الأناشيد ترجمة لكتب متعددة من العهد الجديد، والنسخة السريانية من سفر أيوب[279]. ويبدو أن كاستل، قد أنفق أغلب وقته من العام 1654 وبعده في لندن مشغولا بعمل كثير يريد أن يدفع به إلى المطبعة، وفي تصحيحه بعد خروجه من المطبعة[280]. كان كاستل يتقاضى مرتبا في مقابل هذا الجهد، وفي العام 1658 (وربما قبل ذلك بكثير) تلقى كاستِل، الذي لم يكن عموما على علاقة طيبة مع والتون، إهانة من والتون الذي أَقدم على ذكر هذه «الأتعاب» في تصديره للكتاب المقدس متعدد اللغات، ولكن كاستل رغب عن أن يعبر عن مشاعره تلك، وخصوصا على الملأ ووالتون على قيد الحياة. غير أنه في تصديره لمعجمه ذي اللغات السبع ذكر أن ما كسبه منه إنما أنفقه كلـه على الكتاب المقدس متعدد اللغات، وأنه أوقف لـه ألف جنيه إضافية من حصيلة عمله في المحاماة ومصادر أخرى[281]. وأما بالنسبة إلى المعجم ذي اللغات السبع، والأعوام المتعددة التي قضاها في إعداده، وما كسبه من عمله في الكتاب المقدس متعدد اللغات، فسنتناوله في الفصل التالي، خصوصا أن المعجم السباعي لم يُنشر إلا بعد زمن طويل من عودة الملكية.

كان المساعد الرئيس الآخر في لندن أيضا هو صامويل كلارك. غادر كلارك أكسفورد، حيث كان يُعتبر من أذكى تلاميذ بوكوك، بيد أن علاقاته مع الملكيين حالت دون حصوله على زمالة كليته (كلية مِرتون) بعد العام 1648[282]. وبحلول العام 1650 أصبح ناظر مدرسة في إسلنغتون، وكان هناك في يونيو العام 1633 عندما كتب لانغبين إليه وإلى سِلدِن عن مساعدته في حصوله على نظارة مدرسة النحو في نورثليتش[283]، ويبدو أن كلارك رفض هذا المنصب، وانتقل قبل الخامس والعشرين

من مارس من العام 1656 إلى وسط لندن ليعمل في الكتاب المقدس متعدد اللغات بطريقة كاملة[284]. وواضح أنه كان قد فقد الأمل في الظفر بزمالة في أكسفورد، فقد تزوج. يمتدح والتون في مقدمته كلارك لإسهامه في ترجمة النص المكتوب بالعبرية، وشرح النص المكتوب بالكلدانية، والأناجيل الفارسية. وقد أسهم كلارك أيضا بحواشٍ نقدية في الأجزاء الملحقة به في السفر السادس. وفي معرض امتنانه لمساعدة كلارك في التعليقات على النسخة الحبشية من العهد القديم، يذكر ضلوعه لا في فقه اللغة وحده، ولكن في علوم الرياضيات أيضا. وهذا يتفق مع اهتمام كلارك الأخير بتحقيق كتاب أبي الفداء في الجغرافيا. وسنرى بعد حين كيف كانت علاقة كلارك بالكتاب المقدس متعدد اللغات سببا في علاقته بـ كاستل في المعجم ذي اللغات السبع، وأيضا بالسفر السابع من الكتاب المقدس متعدد اللغات.

ذكرنا في هذا الكتاب أسماء مثل جون فِكرز وتوماس سمِث في معرض ذكرنا للاقتراحات الأولى، على أنهما ممن استُعين بهم في إعداد النسخ وغير ذلك فيما يتعلق بالكتاب المقدس متعدد اللغات. ونحن لا نعلم طبيعة الدور الذي قاما به، فلم يذكرهما والتون في تصديره. هاجر فِكرز إلى أكسفورد(*) بعد طرده من محل سكنه في جنوب فامبردج في العام 1644، ويبدو أنه انتقل من أكسفورد (ربما بعد استسلامها) إلى لندن، فقد رأيناه يتبرع لمكتبة كلية سيون في العام 1650 [285]. صدر كتابه المعنون بـ «تفسير المزامير» Decapla in Psalmos في طبعته الثانية في العام 1655، ولكنه ربما لم يكن على قيد الحياة، فلم نسمع عنه بعد ذلك. من جهة أخرى، لا شك في أن توماس سمِث، زميل كلية المسيح كان على قيد الحياة، وكان يعمل في أثناء تلك الفترة، وفي العام 1653 أصدر ترجمة لكتاب جان ديل المعنون بـ «دفاع عن الكنائس التي جرى عليها الإصلاح». لا نعرف عنه إسهاما في الكتاب المقدس متعدد اللغات إلا أنه كان وسيطا بين والتون وجامعة كيمبردج فيما يتصل باستعارة الكتب. على سبيل المثال، في الثالث من أكتوبر في العام 1655 طلب والتون من لايتفُت أن يعطي معجم «بار بهلول السرياني/العربي» لـ سمِث، وكان على سمِث أن يرسله إلى لندن[286]، وأدى سمِث فيما بعد خدمات مشابهة لـ كاستل عندما كان

(*) لا يوجد دليل على أن فِكرز كان في أكسفورد في أربعينيات القرن السابع عشر (من ملاحظات تومر).

مشغولا في معجمه سباعي اللغة، فقد رتب لـه استعارة قاموس اللغة العربية الذي ألّفه بِدوِل[287]. وفي العام 1659 عُيّن سمِث أمينا لمكتبة الجامعة، ولكنه تُوفِيّ بعد تعيينه بعامين[288].

كان توماس غريفز قد حُرِم من زمالته في كلية كوربس، طرده المفتشون في العام 1648، لكنه استطاع الحفاظ على منصب كاهن أبرشية دَنْسْبي من أعمال لنكِنشاير، وكان المنصب المفضل عند لـود. وقد رأينا كيف عيّنه لـود أستاذا مساعدا للغة العربية عندما كان بوكوك غائبا في القسطنطينية، وأنه في أثناء ذلك الوقت نشر خطابا مُعَادا عن استخدام اللغة العربية في المجالات المختلفة. ويظهر عمله المنشور الأخير في السفر السادس من الكتاب المقدس متعدد اللغات[289]. يتضمن المدخل الأول بعض الملاحظات حول النسخة الفارسية للتوراة، وقال إنها مجرد بداية، ويأمل أن يتمكن من نشر جملة ما يجمعه منها. ويتمثل الإسهام الثاني في ملاحظات عن الترجمة الفارسية للأناجيل، وهو يعتذر عن ضآلة حجمها في رسالة بتاريخ 22 ديسمبر من العام 1657، بسبب وجوده على البعد في دَنْسْبي، ما حرمه من الإمكانات الموجودة في لندن أو ما فيها من جامعات[290]، لكنه قال إنه مشغول بعمل آخر، ففي رسالة إلى رتشارد باكستر في الخامس من أغسطس من العام 1656 يقول:

> إنه يعمل في أطروحة جدالية مناوئة للإسلام تتناول عقيدة المسلمين على أنها تعارض العقيدة المسيحية تمام المعارضة، لقد استنبطت ذلك من كتاباتهم، ومن الترجمات الموجودة الآن، فلدينا النسخ اليونانية واللاتينية لأقوال الرسول محمد، ونستطيع أن نقول إن جزءا كبيرا في عقيدته تنطوي على انحرافات خطيرة. وقد عرضت على أشر Usher بعض هذه الملاحظات، ووافق عليها، وكان يأمل في نشرها[291].

ولم تُنشر هذه الرسالة ولا تلك الملاحظات قط، ولم تنجُ من الاندثار أيضا، لكنها لها صلة بترجمة غريفز للقرآن وتعليقاته عليه، وهذه موجودة في المكتبة البريطانية اليوم بالرقم (21901)، وعلى رغم أنها مكتوبة بخط مقروء أنيق، فإنه يبدو أن الكاتب كتبها لنفسه، ليقرأها هو فقط. تحفل النسخة اللاتينية بكثير من التعليقات والحواشي والمقتبسات العربية المكتوبة في الهوامش. وقد وجدنا في النص أوراقا موضوعة بين الصفحات تمهيدا لمزيد من التعليقات، وهي - عادة - عبارة عن

مقتبسات عربية طويلة، وتدور في أغلبها حول موضوعات متصلة بالحياة نفسها اتصالا وثيقا. وبعد سورة الرعد حُذِفت بعض السور، ولا يوجد شيء بين سورتي العنكبوت والتكوير. إذن فالعمل بعيد كل البعد عن الاكتمال. حافظ غريفز على المراسلات الودية مع بوكوك، زميله في المكتب أيام الشباب، حتى وافته المنية في العام 1676، بيد أن حماسه الشبابي للدراسات العربية يبدو أنه كان قد تناقص ثم اندثر، وقد رأينا كيف تنازل عن كثير من مجموعة رائعة من المخطوطات الشرقية التي ورثها عن أخيه. ظل هذا الاهتمام الذي أظهره في أواخر حياته في إطار الحدود التقليدية التي تمليها «الدوغما» الدينية.

مارس بوكوك نفسه، على رغم أن اسمه وارد في المقترحات، دورا صغيرا في إنجاز الكتاب المقدس متعدد اللغات، على الرغم من مسعى تولِز للمبالغة في تضخيم دوره. في أثناء تلك السنوات كان مسكونا بكتاب «بوابة موسى وأوتيخيوس». يبدو من الراجح أنه لم يكن سعيدا باختيار النسخة العربية التي قررها والتون عليه، والمؤكد أنه لم يكن راضيا عن الترجمة اللاتينية المصاحبة لها(292). اقترح أن يضيف نسخة أخرى للأناجيل السريانية من مخطوطة كانت لديه، وقُوبل هذا الاقتراح بالرفض. لكنه نجح فعلا في إقناع والتون في استخدام نسخة الأناجيل الفارسية (في مخطوطة كان يمتلكها أيضا) مترجمة من اللغة السريانية، وليس من النسخة التي كان قد نشرها ويلُك من اليونانية. أيضا وجدناه يقترح إجراء بعض التحسينات على حروف الطباعة الجديدة المقطوعة للعبرية. وتتمثل الإسهامات الوحيدة المطبوعة لـبوكوك في الكتاب المقدس متعدد اللغات في تصديره الذي كتبه للتعليقات على القراءات المختلفة في النسخ العربية، وبعض القراءات المتباينة نفسها، في السفر السادس، القسم الثامن. بيد أنه اضطُر إلى استعارة كثير من المخطوطات المهمة، ويبدو أنه قرأ الصحائف التجريبية كما صدرت، وأرسل اقتراحاته إلى والتون، وهي خدمة جليلة سبقه إليها لايتْفُت في كيمبردج.

إن والتون في تصديره يغمر هايد بالمديح، ويقول إنه: «شاب لـه مستقبل واعد، وأنه حقق تقدما كبيرا في مجال الدراسات الشرقية يتجاوز سنه بكثير». من ناحية أخرى أتمّ هايد المهمة التي كلفه بها أستاذه ويلُك، بما في ذلك استدراك الأخطاء في النصوص المكتوبة باللغات العربية والسريانية والفارسية، وخصوصا في

نقل الترجمة الفارسية للتوراة التي قام بها يعقوب الطوسي من الأبجدية العبرية (وهي الحروف التي طبعها بها سونتشينو في القسطنطينية في العام 1646) إلى الكتابة الفارسية النمطية، وهو عمل كبير أثار دهشة أشر رئيس الأساقفة وإعجابه في آن. يقول تولِز: «كان بوكوك - وليس غيره - هو الذي أوصى والتون بـ هايد، وهي واقعة مثيرة إذا تذكرنا العلاقة الجافة، ولا نقول المتوترة، بين الاثنين بعد انتقال هايد إلى أكسفورد. كان زملاء هايد في كلية الملكة في جامعة أكسفورد التي التحق بها أخيرا يعجبون به أيما إعجاب بسبب تمكنه في العلم، وضلوعه في المعرفة، وحظه الوافر من الأدب، وكلها صفات يدل عليها إهداء وليام بيرتون لخطابه عن بقايا اللغة الفارسية القديمة ad Doctissimum Juvenem Thomam Hide Pentateuchi Persici restauratorem diligentissimum[293]. وجدنا هايد، الذي أبدى تفوقا بين أقرانه في العلم باللغات الشرقية في إنجلترا كلها في القرن السابع عشر، ينجذب إلى الفارسية دون غيرها من اللغات الشرقية الأخرى.

إذا تأملنا العشرين عاما التي اضطربت فيها إنجلترا بثورة عُرِفت بالثورة الإنجليزية من بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر، نستطيع أن نصل إلى نتيجة فحواها أن هذه السنوات تمثل قمة النشاط في مجال الدراسات العربية في إنجلترا في ذلك القرن. فعلى رغم الاضطرابات التي سببتها الحرب الأهلية، وما أعقبها من أحداث خطيرة، فإن دراسة اللغة العربية وآدابها قد تطورت ولم تتوقف، ليس في الجامعتين الكبيرتين وحدهما، بل في لندن أيضا لبعض الوقت. لقد استقرت الطباعة بالحروف العربية في لندن وأكسفورد، وظهرت إسهامات مهمة في دراسة العربية على هيئة كتب مطبوعة، منها جميع الكتب التي ألفها جون غريفز، وكتب بوكوك الأساسية، مثل «لُمع من تاريخ العرب» و«بوابة موسى». وأخيرا، أصبح الكتاب المقدس متعدد اللغات يمثل نوعا من الإعلان عن برنامج واضح معناه التزام العلماء والباحثين الإنجليز بدراسة اللغات الشرقية. وعلى رغم ظهور كثير من الأعمال المهمة في الدراسات الشرقية في أواخر القرن السابع عشر، فإن المقارنة بهذين العقدين تُظهِر أن العقود الأربعة التي تلت الثورة، تبدو فترة من الأفول التدريجي ثم المتسارع لهذه الدراسات.

8

دراسـة العربيـة بعد عودة الملكية

«يرتبط التاريخ الباكر لمطبعة جامعة أكسفورد ارتباطا وثيقا بخطط الجامعة لنشر الكتب باللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى»

من حق الدارس أن يستنبط من النجاح اللافت الذي حققته الدراسات العربية، في إنجلترا في أثناء الفترة الصعبة التي أعقبت الحرب الأهلية، أن ذلك النجاح سيرتاد آفاقا أرحب خلال الفترة التي أعقبت عودة الملكية، وهي الفترة التي يسمونها: «عصر العودة». والحق أن الأمور في البداية بدت مبشرة بخير كثير. فأغلب أولئك الذين فقدوا مناصبهم في الجامعات بسبب تعاطفهم مع الملكيين، أو بسبب إخفاقهم في الانضمام إلى الجمهوريين، عادوا إلى مناصبهم من جديد. استعاد بوكوك مناصبه الدينية التي فقدها وكانت من حقه بوصفه أستاذا ملكيا لكرسي العبرية[1]، ومن ثم استعاد مسكنه في كلية المسيح حتى وافته المنية، وقد رُقّي بمرسوم ملكي إلى درجة دكتور في اللاهوت في العشرين من ديسمبر من العام

1660[2]. أيضا عاد صامويل كلارك إلى أكسفورد، حيث كان قد عُيِّن في مايو من العام 1658، من خلال نفوذ لانغبين، مديرا لمطبعة الجامعة، بعد أن أصبح منصب أمين عام الجامعة، وهو المنصب الذي أُلحق به منصب مدير المطبعة، شاغرا. وما لبثت مطبعة الجامعة التي أصبح مسؤولا عنها أن مرت بتغيرات ملحوظة، وتحسينات مرموقة بسبب نفوذ الرجل الذي ترك بصمته على جامعة أكسفورد في عصر ما بعد العودة، وهو جون فِل[3]. نجح توماس مارشال في الانتخابات بوصفه زميلا في كلية لِنكن في العام 1668، ولكنه استمر يعيش في دوردرِكت، حيث كان واعظا للتجار الإنجليز سنوات أخرى متعددة. سنرى أنه - وهو في هولندا - أدى خدمات جليلة للجامعة عندما ظفر بحروف لمطبعة الجامعة وأمور أخرى. أضف إلى ذلك أن عددا من علماء العربية الجدد الواعدين، من الذين قَدِموا إلى أكسفورد في تلك الفترة الهادئة نسبيّا، وهي فترة جمهورية كرومِول[4]، كانوا على أهبة الاستعداد للعمل. كان هذا العدد يضم إدوارد برنارد، وروبرت هنتنغتون، وتوماس سمِث، ونارسِسس مارش، وتوماس هايد. في الوقت نفسه ظهرت علامات مقلقة على أن النظام يتعثر، وأن موجة من السخط العام بدأت تعلو[5]. كان جيل الشباب ساخطا، وكان الأمل في تحقيق الآمال الموعودة قد بدأ يخبو بشدة.

(1) بوكوك

مهما يكن من أمر، فقد تحقق الكثير خلال الأعوام الاثني عشر التي أعقبت عودة الملكية. كانت مهمة بوكوك الأساسية هي إصدار كتاب أبي الفرج كاملا مع ترجمته، ومن ثم تقديم خدمة جليلة لجمهورية الأدب: أول تاريخ موثوق به مكتوب باللغة العربية. وفي السادس عشر من مايو من العام 1660 جرى التصويت في اجتماع مجلس الجامعة على تخصيص الأموال الزائدة في ميزانيات الكليات لإنشاء مطبعة جامعية، وعلى أن يُخصص مبلغ المائة وأربعين جنيها الحالي لطباعة كتاب «غريغوريوس أبو الفرج» بالعربية واللاتينية[6]. وفي العام 1661 [7] كان الكتاب في المطبعة، غير أن حجمه ومشكلات المطبعة أخّرت صدوره حتى العام 1663. في الوقت نفسه كان بوكوك يعمل على إصدار كتاب آخر سمّاه «لامية العجم للطغرائي»، وقد صدر بالفعل في أكسفورد[8]. وكان هذا الكتاب – على

رغم أنه أصغر حجما - سببا في إثارة لم تنقطع، فقد كان الكتاب الدراسي الوحيد الذي قام على نشره. ومؤلف كتاب «لامية العجم» هو حسن بن علي الطغرائي، من أصول فارسية، وكان يعيش في أوائل القرن الثاني عشر. كتب قصيدة «لامية العجم» من تسع وخمسين فقرة شعرية، تنتهي كل فقرة بحرف اللام، وهو فن يستحسنه العرب أيما استحسان، لأناقة لفظه، ومضمونه الأخلاقي. قدمه يوليوس في أوروبا بوصفه كتابا مقررا باللغة العربية عندما أصدر طبعة منه تتضمن النص العربي وحده مع بعض المعلومات التي لا غنى عنها، ودرّسه في جامعة لايدن في العام 1629[9]، وبعدها أصبح، ولايزال، كتابا أساسيّا من كتب المقررات التي يدرسها طلاب العربية[10]. كان مغزى الطبعة - كما يشرح كلارك في التصدير - أن تكون كتابا يطالع فيه طلاب العربية نصوصا ماتعة وسهلة الفهم في الوقت نفسه. كان النص العربي الذي أعده بوكوك في عشر صفحات مُعانا بالتشكيل، وترجمة حرفية إلى اللاتينية على الصفحات المقابلة. وأما سائر صحائف الكتاب التي بلغت ثلاثا وثلاثين ومائتي صحيفة، فقد توافرت للتعليقات والشروح التي قُصِد منها إفادة الطالب المبتدئ. فكل كلمة - في الأغلب - كانت مشروحة، بما فيها مصطلحات مثل: «أبو». كانت أغلب التعليقات على موضوعات نَحْوِية ومعجمية، مع إحالات كثيرة إلى كتاب «النحو العربي» لإربِنيوس، والمعاجم التي أعدها كلٌّ من رافلنغيوس ويوليوس، وكذلك معاجم وتفسيرات أخرى باللغة العربية تُفَسِّر القصيدة وتشرحها. وهذا ليس معناه أن الموضوعات الأكاديمية المتعمقة كانت غائبة، فقد كان الكتاب يحفل بالكثير من الإحالات العرضية إلى مؤلفين عرب ربما لم يكن في طاقة الطالب المبتدئ قراءة كتبهم[11]، وهذه تقع في صلب سلسلة المحاضرات التي كان بوكوك يلقيها بانتظام شديد في الجامعة عن القصيدة[12]. وقد زُوِّد الكتاب بفهارس وافرة بالمفردات والموضوعات، تسبقها محاضرة استثمرها بوكوك تصديرا للمقرر[13]، وتتضمن فيما تتضمن كلمة عن الأسباب التي تجعلنا نحرص على دراسة العربية. وهو يورد السبب الذي ذكره العلماء العرب، وهو أن العربية هي لغة الله، ولغة أهل الجنة[14]. كما ذكر أسبابا أخرى أكثر قبولا، ومنها أننا ندرس العربية لما فيها من فصاحة وأناقة وثراء. وهو يمتدح أصوات العربية العذبة، ويعزو الخشونة التي تبدو عليها في آذان الإنجليز إلى عاداتهم في النطق

والكلام. وفيما يتصل بثراء اللغة العربية فإنه يورد ما ذكره حمزة الأصفهاني من أن عدد مفردات اللغة العربية يبلغ 12,305,345 كلمة (اثني عشر مليونا وثلاثمائة وخمسة آلاف، وثلاثمائة وخمسا وأربعين كلمة)، وهي دقة تثير إعجاب أولئك الذين يزدرون هذه الدراسات[15]. وبعد أن أمعن في شرح عشق العرب للشعر في الجاهلية، راح يحتفل بإسهامات العرب في الفلسفة والعلوم، وبدورهم في نقل التراث اليوناني وترجمته. وهو يستشهد بالسير هنري سافيل في معرض الحديث عن تفوق العرب على الإغريق في الرياضيات والطب، ويقول إنه سمع من بِنبردج أن الأرصاد الفلكية التي أنجزوها في الأزمنة الغابرة من الصعب أن يأتي بها تايخو براهي أو غيره من المحدثين[16]. وبعد أن استهجن الإهانات التي ابتُلي بها الفلاسفة العرب بسبب الترجمات البربرية التي ظهرت في العصور الوسطى، جعل يعبر عن أمله في أنه «ربما يحالفنا الحظ في يوم من الأيام ونقرأ الفارابي وابن سينا وابن باجة بلغتهم التي كتبوا بها تآليفهم، ثم نطلق العنان لأنفسنا للحكم على العرب وثقافتهم». ثم يمضي في القول: «من الضروري أن يتعلم المؤرخون القراءة بالعربية حتى يكفوا عن ترديد القصص السخيفة مثل القصص التي تتردد حول أن محمدا وعد بالعودة من جديد، وعن إلصاق الحماقات والأضاليل بالمسلمين. ربما أخطأ المسلمون، ولكننا حين نبالغ في الرد على تلك الأخطاء بالسخافات، يرتد مكرنا إلى نحورنا». ثم يمضي في تأكيد أن دراسة العلوم الإنسانية لا تعني شيئا عندما ننحاز إلى أنفسنا ضد العرب، وأن العرب كان لديهم الكثير الذي يجب أن يتعلمه الآخرون. وعندما وصل في حديثه عن علم الكلام، وهو الموضوع الذي كان يُثار دائما في القرنين السادس عشر والسابع عشر كلما احتدم الجدال حول تَعَلُّم العربية، كان يلقي حجته بشيء من الهدوء والالتباس في آن. ومما كان يقوله: «إذا كان من الضروري أن يعرف علماء اللاهوت المسيحيون العقائد الإسلامية ودحضها، فلن يحلموا بتحقيق هذا الهدف إلا إذا تعلموا العربية»[17]. ثم إنه كان أكثر إيجابية حين يذكر أن استخدام العربية يفيد في تعزيز دراسة النصوص العبرية المقدسة، خاصة منذ أيام موسى بن ميمون وبعض الثقات اليهود الذين كتبوا بالعربية. وفي نهاية الكتاب أراد أن يملأ صفحة بيضاء، فكتب فيها مقتبسا من المحاضرة الافتتاحية التي ألقاها بوكوك في العاشر من أغسطس من العام 1636 (ولولا ذلك لضاعت). تناقش المحاضرة، بشيء كثير من

الدقة، المكانة التي يدخرها العرب للشعر والشعراء على السواء. وقد تأكدنا من أنه قُدِّر لتلاميذ بوكوك أن يعثروا على الصفحة المطبوعة في العام 1673، والتي تحتوي على نص عربي هو قصيدة لأبي العلاء المعري، وبعض الأمثال العربية وما إلى ذلك، ليس منها إلا خمس نسخ اطَّلع عليها مادان في مكتبة البودليان[18].

وفي لامية الطغرائي أكبر دليل على فلسفة بوكوك في تدريس العربية، وتوجد أيضا بعض بقايا من تعليقاته على المحاضرات بين مخطوطات بوكوك في مكتبة البودليان. كان هولت Holt هو أول وآخر من أخضع هذه التركة للدراسة بشيء من التفصيل، وما سَيَلِي من الصفحات مأخوذ من رسالته[19]. كما رأينا، كان يوليوس قد أصدر مختارات من الأقوال المنسوبة إلى علي بن أبي طالب ضمنها كتابه الذي شرح فيه ديوان الطغرائي، وأصبح هذا الكتاب أيضا جزءا من مقررات القراءة للمبتدئين في دراسة العربية. كان بوكوك يلقي المحاضرات لشرح أقوال علي عندما بدأ في التدريس في العام 1636[20]، واستمر يفعل ذلك ربما إلى آخر يوم من حياته الأكاديمية. تضم مخطوطة بوكوك الرقم 424 بقية تعليقاته على المحاضرات التي كان يلقيها في شرح أقوال علي بن أبي طالب. كانت التعليقات أكثر اتصالا بالقواعد النحوية من أي شيء آخر، تصحبها إحالات إلى كتاب النحو الذي ألفه إربِنيوس المعنون بـ «كتاب الأجرومية والمائة عامل»[21]. ولكننا نرجح أن تكون هذه التعليقات بقلم أحد تلاميذ بوكوك. وأما مخطوطة بوكوك الرقم 427، ومخطوطته الرقم 428 [22] فتضمان أجزاء صغيرة من تعليقاته على طبعة يوليوس لكتاب إربِنيوس المسمى «جولة في اللغة العربية» Linguae Arabicae Tyrocinium في العام 1656. وتشمل المادة القرائية في هذا السفر المقامة الأولى من مقامات الحريري، وبداية محاضرة بوكوك حول هذا الأثر النفيس من آثار الأدب الجميل في اللغة العربية، محفوظة في المكتبة حتى اليوم[23]. وهي تركز أكثر ما تركز على تفسير النظام المعقد المتبع في تسمية الأشياء، وتتخذ من الحريري مثالا، ولكن – كما يذكر في تعليقاته على «لامية الطغرائي» – يتبدى حماس المؤلف، وتذوقه للشعر والأدب العربي[24] من خلال التفاصيل النَحْوية الدقيقة التي أوردها.

أيضا ظهرت ترجمة بوكوك لكتاب غروشيوس المعنون بـ «حقيقة الدين المسيحي» إلى العربية بعد عودة الملكية، ولكن كان قد دفع به إلى المطبعة في العام السابق

على العودة[25]. رأينا أن بوكوك كان قد أكمل العمل قبل ذلك بمدة طويلة، وأنه أخذ مشورة يوليوس نفسه في الأمر في العام 1641. وأما كونه يُنشر في هذا التاريخ فإنما يعود إلى شفاعة المبجل روبرت بويل، الذي اتصلت أسبابه بـ بوكوك عندما كان يسكن في أكسفورد في خمسينيات ذلك القرن. لم يكتفِ بويل بالمساعدة بالمال، بل أبدى حماسا لولاه لما أقدم بوكوك على النشر. كان بويل متضلعا من العبرية، متواضع المعرفة بالعربية حسبما نفهم مما جاء على لسانه في كتاب «تأملات في أسلوب النصوص المقدسة»(1661) إذ يقول: «أعترف بقدراتي القليلة جدا في اللسان العربي، وأن هذه القدرات لا تؤهلني للحكم على بلاغة القرآن، فقد كانت دراساتي وشؤوني الأخرى من أسباب انصرافي عن درس العربية، ونسيان أغلب المعرفة القليلة التي اكتسبتها ذات يوم من هذه اللغة الخصبة المزدهرة»[26]. ذُكِرتْ دوافع بويل في دعمه لترجمة بوكوك أفضل ما ذُكِرت في رسالة أرسلها إلى هارتلب وأملاها الأخير لـ ورثنغتون، يقول فيها:

> ما تكتبه فيما يتصل بترجمة الكتاب المقدس إلى اللسان التركي يستحق كل الترحيب(27)، ذلك لأننا حين نتحدث بلسان الوقت، أقول ما أحب أن أقولـه دائما، وهو ضرورة نشر الإنجيل في كل مكان، ولا ينتشر الإنجيل في كل مكان حين نعمل على تحويل المستقل إلى مشيخي، أو تحويل المشيخي إلى مستقل، بل ننشر الإنجيل حين ننجح في تحويل أولئك إلى النصرانية، فهم بين أعداء لها أو جهلاء بها... وليس من السهل أن نستمر في العيش من دون أن نهتم بهذا الأمر كل الاهتمام، فقد نزل السيد بوكوك عند نصحي وطبع ترجمة لكتاب غوليوس المعنون بـ «حقيقة الدين المسيحي» إلى اللغة العربية، وأصدقك القول، إن الرجل مناسب جدا للتصدي لمثل هذا العمل[28].

بعبارة أخرى، كان هدف بويل هو التبشير، أو تحويل غير المسيحيين إلى المسيحية. ولهذا راح يدعم عددا من مشروعات الترجمة والنشر، منها ترجمة العهد الجديد إلى اللغة التركية التي أنجزها وليام سيمن، وترجمة الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل إلى اللغة الملاوية التي صدرت عن جامعة أكسفورد في العام 1666 والطبعة الثانية في العام 1677[29]. والواقع أن بوكوك كان يفكر في احتمال تحويل المسلمين من خلال الكتاب عندما كان يتحدث مع غروشيوس [30]، ولكن في وقت صدور الكتاب أصبح

لا يثق كثيرا بهذا الاحتمال، وربما قلت الرغبة في تحقيقه[31]. ومن الراجح جدا أنه ركز جل تركيزه - كما كان في السابق - على أن الكتاب يمكن أن يعين النصارى الذين يتحدثون اللغة العربية كلغة أصلية على الثبات على عقيدتهم[32]، وصرف الفرق المختلفة عن الفُرْقَة والاختصام والتنازع فيما بينها. وبناء على هذه الغاية، من المؤكد أنه كان يرى الكتاب السادس، الذي يحمل على الإسلام، عقبة أمام تحول المسيحيين إلى الإسلام، وليس طريقة لتحويل المسلمين إلى المسيحية. وعلى رغم ذلك كان بوكوك تواقا إلى تجنب ظهور الكتاب بمظهر السخف في أذهان المسلمين، ولذلك حرص على إقصاء بعض الخرافات المضحكة والحكايات التافهة التي نسبها غروشيوس إليهم[33]، وليس لها من أساس في المصادر العربية. أعطى غروشيوس الإذن لـ بوكوك أن يفعل هذا، كما شرح لـبويل في رسالته في الخامس من أكتوبر من العام 1660:

> حرصت في الكتاب السادس على ألا أضع أمورا أخرى تتصل بالتاريخ إلا ما وافق ما أجمع عليه المسلمون، والحق أن غروشيوس وافق على هذا الرأي، ولذا فقد أسقطت ما تردد عن قصة الحمامة التي كانت تستقر في أذن محمد؛ وقصة الفأر الذي نشأ على روث الجمال؛ وأن نصف القمر قد استقر عند كمه؛ وأشياء من هذا القبيل، وبدّلت بعض الأمور الأخرى، فأحرى بهم أن يقبلوا الأمور التي يؤكدون عليها، من أن يقبلوا تلك القصص التي يزيد فيها الآخرون ويسرفون[34].

وحتى لا تُثار الشكوك والريب في الأقطار الإسلامية، اشتملت النسخ التي أُرسِلت إلى تلك البلاد على النص العربي وكفى، من دون أي إشارة إلى الأصل أو المؤلف أو الترجمة. ومع ذلك عندما كان روبرت هنتنغتون، قسيس حلب، يوزع نسخ الكتاب الذي أرسله بويل إليه، كان يحرص أحيانا على إقصاء الكتاب السادس تماما. كتب إلى بوكوك في الثالث عشر من مايو من العام 1675 يقول:

> تتوافر عندي كتب متعددة من تآليف غروشيوس، غير أن خشيتي من نقمة بعض المسيحيين (وهم أغلب الظن لن يسمحوا لرجل مختلف الرأي بأن يصبح من أكبر الناشرين للعقيدة الصحيحة) أكبر من خشيتي من الاتهام العفوي والخطر الحقيقي الذي يمثله الترك. وقد عمدت فعلا إلى اختصار الكتاب الأخير إلى نسختين أو ثلاث[35].

نشِط بوكوك في نشر هذا الكتاب وغيره من الكتب التبشيرية في بلاد المهجر من خلال العلاقات التي أنشأتها شركة الشام والشركات التجارية الأخرى. وقد استثمر الفرصة ليطلب من بويل أن يجلب لـه من حلب نسخا من كتب اليهود المكتوبة بالعربية، وهي الكتب التي كان يهتم بقراءتها[36].

ليس من شك في أن اهتمام بوكوك بخير المسيحيين الناطقين بالعربية كان الدافع الأساس لتنفيذه الترجمات التي أنجزها، وأولها كتيب صغير يحتوي على ترجمته العربية لكتاب «المبادئ المسيحية» وفق تعاليم الكنيسة المسيحية، والأرجح أنه طُبع في أكسفورد على حسابه الخاص[37]. وقد طلب منه هنتنغتون في حلب إرسال بعض النسخ من كتاب غروشيوس، وأرسل بوكوك هذه النسخ، ومعها العشرات من كتاب «المبادئ» باللغة العربية كما أخبر هنتنغتون في رسالة في الثالث والعشرين من أغسطس من العام 1671 [38]. وعلى ذلك جعل هنتنغتون يحثه على ترجمة كتاب «الصلوات» الخاص بالكنيسة الإنجليزية إلى العربية على حسابه الخاص، ووافق بوكوك على ذلك في النهاية، فأصدر الكتاب باللغة العربية مع شيء من التلخيص[39]. كان غرض هنتنغتون الرئيس من نشر هذا العمل هو الالتفات إلى تأثير البعثات التبشيرية الكاثوليكية الرومانية في المسيحيين اليونانيين، فمن الراجح أنه كان من بين أولئك من كانت تحدوهم الآمال في الوحدة بين الكنيستين اليونانية والأُرثُوذُكْسِية. لم نجد عند بوكوك ما يطلعنا على مشاعره بشأن هذا الصراع الفئوي بين الكنيستين، والذي كان يجري على النقيض من روح الدعوة التي كان يريد غروشيوس نشرها.

كان كتاب «الفيلسوف المعلم نفسه» الذي ظهر في العام 1671 هو الكتاب الوحيد من بين كتب بوكوك الذي أصبح معروفا خارج الأوساط الأكاديمية، والحق أن الكتاب كان لـه أثرٌ عميقٌ وبعيد المدى في الفكر الأوروبي. وإذا تحرينا الدقة فإن مؤلف الكتاب هو ابن بوكوك الأكبر إدوارد، وكان في الثالثة والعشرين من عمره، وطالبا في كلية المسيح. الواقع أن المشروع من بنات أفكار بوكوك الأب، وهو الذي أشرف على إنجازه، وهو الذي كان يمتلك المخطوطة التي استُمِدت منها الترجمة، وهو الذي كتب المقدمة، وأشرف على الترجمة نفسها[40]. وليس من شك في أن الزمن كان مواتيا لابنه الذي كان يراه خلفه في أستاذية العربية، لكي يصنع لنفسه اسما، ولكن ربما كانت هناك أسبابٌ أخرى جعلت بوكوك يرغب عن نشر الكتاب باسمه.

الأصل العربي للكتاب هو لابن طفيل[41]، الفيلسوف الأندلسي الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، والذي كان يُدَرِّس ابن رشد شابًّا. يتألف الكتاب من مقدمة فلسفية تعقبها قصة عن حياة حي بن يقظان الذي يظهر طفلا رضيعا في جزيرة مهجورة في المحيط الهادئ. في البداية نجد أن ظبية تقوم على إطعامه، ولكن شيئا فشيئا يتعلم، بالخبرة وبذكائه الفطري إعالة نفسه بنفسه، وإذ يدلف إلى مرحلة النضج يبدأ في تأمل الطبيعة من حولـه، وفي تأمل ذاته نفسها. ويمضي في استثمار قوته العقلية الفطرية في فهم طبيعة العالم (الذي يصفه في القصة بمصطلحات أرسطية) والعقل ثم الله في النهاية. وبذلك لا يكتفي بفهم العلوم الطبيعية، ولكنه يفهم الأخلاق وعلم الكلام من دون عون من شيء خارج الذات. في النهاية، يحقق - ولو مؤقتا - ضربا من الوحدة الصوفية بالصفات الإلهية، ثم تتعرض هذه الوحدة للاضطراب عندما يصل رجلٌ من الجزيرة المجاورة اسمه «أبسال» يلقن «حيّا» لغته، وتأخذه الدهشة عندما يجد أن صديقه الجديد قد اكتشف الحقائق بنفسه، وهي الحقائق التي كان قد تعلمها هو من خلال الدين الموحى به[42]. يصحب أبسال حيّا معه إلى بيته، ولكن حيّا يصاب بالهلع والفزع هناك عندما يجد أن أغلب الناس لا تتحكم فيهم العقول، بل الشهوات، وأن قوانين الحكومة والدين التقليدي أمورٌ لا بد منها للحفاظ على صورة السلم في دولة مدنية في ظاهرها. ويعود في النهاية مع صاحبه «أبسال»، مفعما بالنفور والتأفف إلى جزيرته، حيث حياة التأمل والاستبصار.

لا يقدم هذا الموجز للقصة إلا فكرة هزيلة عن رواية ابن طفيل المتقنة والدقيقة، والتي تخلو من الوعظ المباشر، وتحتمل القراءة من وجوه شتى، ومن قراء تتجاذبهم الانحيازات المتباينة. ولكن أيما كانت أهواء المرء وانحيازاته، من الصعب ألا نرى في الكتاب تهديدا للعقيدة المستقرة (سواء كانت الإسلام أو المسيحية)، في تعظيمه للعقل الفردي، ورفضه للوحي (سواء من خلال الأنبياء أو الكتب المُلْهَمة)، إلا كوسيلة لحكم الدهماء. فلا يُستغرب أن يكون الكتاب الأصلي هدفا لحملة رجال الدين الإسلامي، وأن تكون ترجماته هدفا لهجوم رجال الدين المسيحي. مهما يكن من أمر، فقد ضرب كتاب بوكوك على أوتار سرت أصداؤها في أرجاء الحركات الفكرية والدينية المعاصرة، فما لبث الكِتاب أن تُرجم من اللغة

اللاتينية التي ترجم منها الابن إدوارد بوكوك، إلى لغات أخرى منها الإنجليزية (مرتين) والهولندية (بعد عام من طبعة بوكوك)[43]. كان المترجم الأول إلى الإنجليزية هو جورج كيث George Keith من جماعة «الكويكريين»[*]، صَدَّرَ ترجمته بكلمة إلى القارئ أدرج فيها ما استماله هو وسائر أعضاء جماعته في هذا الكتاب في ذلك الوقت، يقول في التصدير: «يتحدث المؤلف عن مقدار من المعرفة معروف الطريق، لا يمر عبر الأطروحات وانتظار النتائج المستنبطة، الحقيقة فيه مضمونة، لأنها من خلال العلاقة الوثيقة بين عقل الإنسان بالعقل الأعلى»[44]، بعبارة أخرى، تتحقق المعرفة من خلال علاقة الإنسان بربه، وهي العلاقة التي يُعجب بها «الكويكريون» كل الإعجاب، ويفضلونها على أي طقوس أو عقائد جامدة. من جهة أخرى كان الربانيون يرون أن العقل وحده يكفي للحصول على هذه المعرفة بالله[45].

لا بد أن بوكوك كان يعرف أن مثل هذه التفسيرات الخلافية هي ما يُستمد من الكتاب، وقد بدأ اهتمامه به منذ زمن طويل[46]، ومن المرجح جدا أن يكون هو أول أوروبي يتصدى له بالدراسة المتعمقة. وعلى رغم أن الترجمة العبرية في العصور الوسطى، التي كانت جزءا متضمنا في التفسير الذي أنجزه موسى الناربوني Moses of Narbonne[47]، قد درسها بيكو ديلا ميراندولا Pico della Mirandola، فإن الكتاب لم يكن شائعا في أوروبا، أو كاد يُنسى في أوروبا نسيانا تاما حتى ظفر بوكوك بنسخته الخطية. شرع بوكوك في ترجمة الكتاب إلى الإنجليزية في العام 1645[48]، ولسنا نعرف عن الترجمة شيئا، هل أتمها بوكوك؟ أغلب الظن أنه أتمها فعلا، فسنرى بعد حين أنه في العام 1660 أو العام 1661 ثار لغط حول نشرها. ولكن النشر لم يتم، ربما بسبب حرص بوكوك واحتياطه، فلم يكن من الحرص والاحتياط في أثناء الحرب الأهلية وجمهورية كروموِل الانتقالية أن يقدم شخص في مركز بوكوك ومنصبه الهش على نشر كتاب يمكن أن يُفسر - على الفور - بأنه هجوم على الوحي والعقيدة الراسخة. وحتى بعد عودة الملكية، بعد أن فقدت الحركة التطهرية نفوذها في إنجلترا، كان كثيرون لايزالون يرون في الكتاب إهانة لمشاعرهم

(*) الكويكريون ترجمة لكلمة Quakers الإنجليزية، وتشير إلى «جمعية الأصدقاء الدينية»، وهي جماعة مسيحية تقول: إنها تعترف بجميع الطوائف، وأن جميع المؤمنين إخوة لهم في الله، وترفض الخدمة في الجيش، وترفض حلف الأيمان، والعبودية، وتدعو إلى العدالة الاجتماعية. [المترجم، عن موسوعة ويكيبيديا الحرة].

الدينية وخصوصا عندما يُنشر بالإنجليزية. فليس من العجيب - إذن - أنه عندما يذيعه بوكوك في الناس، أن يذيعه باسم ابنه، ولا يذيعه بالإنجليزية بل باللاتينية، لعله يبدو كتابا أكاديميّا جافا أكثر منه كتابا خلافيّا عاما. أضف إلى ذلك أن تصديره تَضَمّنَ نوعا من التبرئة، فهو يطلب من القارئ أن يفرق بين الزمن الحاضر والزمن الغابر الذي كُتِب فيه الكتاب، وأن يحكم بنفسه على هدف الكتاب ومغزاه[49]. وهو يتحدث عن مقاصد المؤلف، ويزعم أن الكتاب - بعد أن يُظهر أنه في وسع العقل وحده أن يحقق المعرفة بالله - يبين أن الذهاب إلى أبعد من ذلك لا يتم إلا من طريق الوحي[50]، وهو تفسير أقل ما يُوصف به أنه يجانب الصواب؛ فلم يكن الوحي الإلهي عند القارئ الإنجليزي في ذلك الوقت إلا كلمة الله كما جاءت في النصوص المقدسة، ولم يكن ابن طفيل يقصد ذلك قط، وكان بوكوك يعلم ذلك تمام العلم. كان ابن طفيل يقصد شيئا آخر، كان يقصد ذلك الضرب من القرب الصوفي الخاص الذي يحققه العبد في علاقته مع الله. ولا أجد تفسيرا لهذا التعتيم الذي مارسه بوكوك إلا أنه كان يريد أن يوفر غطاء من الأرثوذكسية لكتاب يعلم تمام العلم أن فهمه الصحيح مجلبة لخطر كبير، وأنه يحمل على المعايير السائدة للأخلاق حملة كبيرة، ويقلقها قلقا شديدا.

لن أتحدث هنا عن موقف المعاصرين لـ بوكوك من الكتاب، ولن أتحدث عن تفسيراتهم المتباينة لـمحتواه، فذلك من شأنه أن يُخرجنا عن الموضوع الأساسي، ولكني سأذكر - مع ذلك - أثره في اثنين من زملائه. فقد أفاض ج. أ. رسل في مناقشة أن ما كتبه لوك في «مقال في الفهم الإنساني»، وهي رسالة تعود مسوّداتها الأولى إلى العام 1671، استفاد استفادة كبيرة من كتاب ابن طفيل، وخصوصا من ذلك الحديث عن تطور العقل البشري من الطفولة إلى أن يصل إلى مرحلة النضج، والذي بيّنه كتاب «الفيلسوف المعلم نفسه» الذي نُشر في العام نفسه الذي ظهرت فيه رسالة لوك[51]. نستطيع أن نقول إن لـوك - بحكم صداقته لبوكوك الأب وبوكوك الابن أيضا - كان يعرف الكتاب تمام المعرفة، على رغم أنه لم يأتِ على ذكره قط، وتبقى قضية أنه ألهم أفكاره فيما يتصل بالعقل الإنساني قضية مثيرة عند البحث والتأمل[52]. والأكثر إثارة عند البحث والتأمل علاقة أخرى بصديق آخر من أصدقاء بوكوك، وهو روبرت بويل. حفظت شذرات من كتاب شرع بويل في تأليفه، يصفه في البداية بأنه:

«قصة رومانسية قصيرة»، ويسميها «عالم الطبيعة الملهِم»[53]. وتصف هذه الشذرات قصة رجل يدعى أوثاديس (أو العنيد)، «يعيش في جزيرة نائية في المحيط الجنوبي»، يروي لبعض الرحالة الأوروبيين الاكتشافات التي اكتشفها سكان الجزيرة في الفلسفة الطبيعية. يمكن أن نقول إن أوجه الشبه بين هذه القصة وقصة «حي بن يقظان»، على الأقل في الظاهر، مجرد مصادفة ليس إلا (وتوجد أوجه شبه أيضا بينها وبين رواية بيكون التي سماها «أطلنطا الجديدة»، والتي يشير إليها بويل نفسه). لكن تجدر هنا الإشارة إلى أن بويل، وهو من توطدت صداقته بـ بوكوك في الخمسينيات والستينيات، كما رأينا من الإشارة إلى غروشيوس، كان مُطَّلِعا على كتاب «الفيلسوف المعلم نفسه» في نسخته الإنجليزية التي كانت في حوزة بوكوك في العام 1660. وفي الثلاثين من يناير من العام 1660 كتب هارتلب لـ ورثنغتون يقول: «القصة العربية المبتكرة لا تُعَلِّم ولا تُسَلِّي، لأنها لم تُتَرجم إلى اللسان الإنجليزي بعدُ، وسوف ألحّ على النبيل السيد بويل، وهو ضيف على المدينة في الوقت الحاضر، لترجمتها»[54]. وخلاصة هذا الكلام أن بويل كان يفكر في نشر الكتاب باللغة الإنجليزية، فهو «غير موجود» كما يقول باللسان الإنجليزي. وكان ذلك في الحقيقة إشارة إلى ترجمة بوكوك للكتاب، وهو ما دلت عليه رسالة هارتلب في الأول من يناير العام 1661 التي يقول فيها: «تسلمت رسالتك منذ ساعة، وسأرسل إليك بما تبتغي التثبت منه من السيد بويل فيما يتصل بطبع كتب غروشيوس ونشرها، وفيما يتصل بالقصة العربية التي يحتفظ بها بوكوك»[55]. وليس من شك في أن بويل قد اطَّلع على مخطوطة ترجمة بوكوك قبل ذلك بزمن، ولكن يبدو الآن مستحيلا أن نتأكد من اطلاعه عليها عندما كان يؤلف كتاب «عالم الطبيعة المُلْهِم»[56].

هنا أجد مناسبا أن ننظر في موقف بوكوك من الدين بصفة عامة، ومن المسيحية والإسلام بصفة خاصة. نستطيع أن نستنبط من الشواهد الخارجية أن الرجل كان من رجال الدين المعروفين بالتقوى والورع في الكنيسة الإنجليزية، ومن المواظبين على إقامة الشعائر والطقوس، على الأقل قدر طاقته، وقدر ما يتطلبه الحرص والاحتياط في أثناء فترة الثورة التي شهدت منع كتاب الصلوات. على كل حال، كان المذهب الأنجليكاني ينطوي - في ذلك الوقت وقبل ذلك - على سلسلة واسعة المدى من المعتقدات. كان بوكوك معجبا بكتاب غروشيوس المعنون بـ «حقيقة

الديانة المسيحية» أيما إعجاب، وكان هذا الإعجاب يُدخله في زمرة أولئك الذين كانوا يؤمنون بالمسيحية العقلانية التي توصف بالتسامح مع الاختلافات في العقيدة بين المسيحيين[57]. وكان بوكوك مخلصا للدكتور لـود أيما إخلاص، ولكن هذا الإخلاص الشخصي لم يكن يمتد إلى الموافقة على محاولات لـود الحثيثة لفرض الامتثال لتعاليم الكنيسة الأنجليكانية في جميع المناطق التي تخضع لسلطة الملك تشارلز الأول. وليس من الصعب أن نقرأ في حديث بوكوك عن الفِرَق الإسلامية في كتاب «اللُّمع» ازدراء مبطّنا للنزاعات المحتدمة بين الفرق المسيحية على أساس الموضوعات العقدية[58]، ومثل هذه الآراء لم يكن من المتاح التعبير عنها بحرية تامة في العام 1648. الأصعب من ذلك تلك المحاولة لاستنباط المعتقدات اللاهوتية من الكتاب (بما في ذلك التعليقات الإنجيلية التي أعاد طباعتها تولِز في كتاب «أعمال لاهوتية للعلامة الدكتور بوكوك»). ومن الواضح جدا أنه كان مهتما غاية الاهتمام بمضمون كتاب «الفيلسوف المعلم نفسه»، بيد أن الاهتمام بالكتاب لا يشي بقبول جانب من جوانب الكتاب الفكرية، أو يجعل منه واحدا من أوائل الربانيين، أو مؤمنا بالقرب الصوفي من الذات الإلهية. قُصارى ما يمكن قولـه، بشيء من الحذر، هو أن التركيز على قوة العقل الإنساني ينال إعجاب بعض المفكرين الذين يميلون - مثل بوكوك - إلى المسيحية العقلانية.

وأما الموقف المحير حقا في فكر بوكوك فهو موقفه من الإسلام. والثابت أنه موقفٌ بعيد عن الإمساك بطرفي المعادلة، حيث يتمثل الطرف الأول فيما كتبه هنري ستبس الذي كان يعجب بسيرة النبي محمد غاية الإعجاب[59]، ويتمثل الطرف الثاني من الخيط فيما كتبه همفري برايدو في كتابه المغرض المعنون بـ «الحقيقة كلها حول المحتالين كما نراها في حياة محمد»[60]. ما يثير الاهتمام هنا أن الرجلين كليهما تعلما على يد بوسبي في مدرسة وستمنستر (حيث تعلم برايدو العربية على الأقل)، ومن الراجح جدا أن الرجلين كليهما كانا يختلفان إلى دروس العربية التي كان يلقيها بوكوك، وأن كليهما استفاد من كتاب بوكوك الذي يسميه «لُمع من تاريخ العرب» بوصفه المصدر الرئيس الذي اتكأوا عليه في معلوماتهم التاريخية. بيد أن أغراضهما في الدفاع والهجوم كانت غريبة على فكر بوكوك ومن شايعه من المفكرين، خصوصا في مثل هذا الجانب الأكاديمي الذي اختطه لنفسه. فـبوكوك - فيما ينشر من كتب

- يحجم عن توجيه الإساءة للإسلام وطقوسه ونبيه، وهو ما كان شائعا في ذلك الوقت في الأوساط الأكاديمية، وهو ما رأينا جانبا منه في ذلك الطنين الحاد الذي كان يصدره ويـلُك وهو يزعم أنه يدحض حجة القرآن. وعلى رغم ذلك كان بوكوك يقف من النبي محمد موقف الشاك، وكان يردد ما كان يردده المعاصرون لـه من أنه النبي المزيف، وما إلى ذلك من الأوصاف التي كانوا يرددونها حول نبي الإسلام[61]. وعلى رغم أنه كان حريصا على أن ينكر تلك الخرافات التي كانت شائعة حول رسول المسلمين في العصور الوسطى، في إطار الهجوم المسيحي على الإسلام[62]، فلم يكن يحجم عن السخرية من أُمّيةِ الرسول، وعن تحري الروايات التي تسرف في الحديث عن حب النبي للنساء[63]، وكذلك راح يستقبح ما اعتبره العنف الذي شاع في صدر الإسلام، مما كان يوحي بأن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن الرسول قد وطّد دعوته وأقام إمبراطوريته بالدم[64]. من جهة أخرى كان يعلم أكثر من أي أحد آخر، خصوصا فيما نستنبطه من كتابه «لُمع من تاريخ العرب»، أن الإسلام لم يكن كيانا هينا ساذجا، وأنه حقق تطورا كبيرا في جوانب شتى عبر تاريخه؛ كان يعرف ذلك حق المعرفة، وربما بلغت به هذه المعرفة حد التأييد الشديد لبعض هذه الجوانب. ففي الصفحات من 269 إلى 286 من كتاب «لُمع من تاريخ العرب» يقدم بين يدي قارئه مقتبسا طويلا مترجما مما قاله الغزالي وهو يوجز أسس العقيدة الإسلامية، وهو يشرح هذا المقتبس بموضوعية تامة بعيدا عن التحيز والتعصب. وما يجذب النظر حقا أنه لم يتعرض للغزالي بشيء من الذم، بل حرص على إبداء الإعجاب به والاحترام لقدره[65]، وربما ذهب إلى أبعد من ذلك، فوجد اتفاقا في أحد أقوال الغزالي مع ما قاله القديس بولس[66].

كان بوكوك إذن أمام مأزق حرج، فهو عاشق للأدب العربي، مخلص في عشقه غاية الإخلاص، وهو من كبار المهتمين بتاريخ هذا الأدب، والمطلعين على الثقافة التي أنتجته. ومما لا شك فيه أنه كان يميل إلى معالجة هذه الأمور كما كان معاصروه المتخصصون للآداب اليونانية واللاتينية يفعلون. كانوا يدرسون هذه الآداب بشيء كبير من الاحترام لحضارة كانت تدين بالوثنية، ولم تكن تدين بالمسيحية، ولكن ذلك لم ينل من إعجابهم بتلك الحضارة وهذا الأدب. ولسوء الحظ، لم يكن هذا المدخل للأدب العربي والثقافة العربية مقبولا في ذهنية القرن السابع عشر، فقد كان الإسلام

- متمثلا في الإمبراطورية العثمانية - يمثل تهديدا للمسيحية. أضف إلى ذلك أن بوكوك كان يعلم جيدا من خلال معرفته العميقة بالعلماء المسلمين، واستغراقه في الأدب العربي، أن الإسلام لم يكن حادثا عارضا في الثقافة العربية، بل كان جزءا داخلا في التركيب العضوي لهذه الثقافة. وعلينا ألا ننسى أن لـبوكوك صداقات كثيرة مع مسلمين في الشرق، وخصوصا في حلب. كان يعلم - مثل شيخه القديم فتح الله الذي لم يَشُكّ لحظة في أنه سيلقى بوكوك في جنة الخلد تحت راية المسيح نفسه[67] - أن المسلمين المتسامحين، الذين يؤمنون بأن الخير لا يضيع بين الله والناس، كثيرون[68]. فهل كانت عقيدة بوكوك المسيحية عقيدة خاصة؟ من السهل أن نطرح السؤال، ولكن الإجابة صعبة المطلع، لأنك حين تخوض في حديث كهذا معناه أنك تخوض في ضرب من الجدل كان بوكوك ينفر منه نفورا شديدا.

تظهر هذه المساحات المبهمة عندما نتأمل سؤالا آخر طرحه تولِز، فقد تساءل تولِز عن أسباب حرمان بوكوك من أي امتيازات كنسية بعد عودة الملكية، ومن أي إحسان من القصر فيما عدا منصب الأستاذ في علم اللاهوت[69]. وليس من شك في أن بوكوك، لو كان قد أبدى ميلا لمنصب الأسقف، لتمكن من ارتداء قلنسوة الأسقف، لِما حظي به من شهرة، ولِسجله في المعاناة بسبب تعاطفه مع الملكيين في عصر كرومِول، ولما لـه من الأصدقاء النافذين[70]. نستطيع أن نصل إلى نتيجة نهائية فحواها أن بوكوك لم يكن في حاجة إلى مثل هذه الامتيازات، فقد رضي بدرجتي الأستاذ في العربية واللاهوت، وبمنصبه ككاهن في كلية المسيح، وبمسكنه الخاص في تشلدري، وبدخل مادي يتيح لـه إعالة أسرته الكبيرة بشيء من اليسر والرخاء. كان بوكوك عالما متواضعا مخلصا للعلم، ولم يكن منصب الأسقف ليفيده في شيء، بل كان من شأنه، على النقيض من ذلك، أن يزيد أعباءه، وربما أفضت تلك الأعباء إلى الوقوف عقبة في سبيل البحث الأكاديمي، وكان الدليل على ذلك تلميذه «نارسس مارش» الذي لم ينجز شيئا في المجال الأكاديمي حين بدأ يتلمس طريقه على السلم الكنسي. من جهة أخرى، ربما كان بوكوك يرغب في اجتناب إطلاق التصريحات حول العقيدة والكنيسة وسياساتها، وهو ما كان يُتَوقع من الأسقف. كان منصب الأسقف يضطر صاحبه إلى المشاركة في ضروب الجدل حول قضايا مثل التعامل مع غير الممتثلين للمذهب الأنجليكاني، ومع الطوائف الكاثوليكية، وهي أمور ابتُلي

بها الأساقفة الأنجليكانيون ما بقي من القرن السابع عشر. لم تكن هذه الأمور مما يروق لرجل مثل بوكوك كان يعتبر المسلمين واليهود والمبشرين الكاثوليك، وحتى المشيخيين، من بين خاصة أصدقائه.

(2) صامويل كلارك

كان صامويل كلارك من أقرب تلاميذ بوكوك إلى نفسه، على الأقل من ناحية أنه كان يتوقع لـه مستقبلا باهرا على الدوام. فبعد جهوده الكبيرة التي بذلها في إنجاز الكتاب المقدس متعدد اللغات، انضم كلارك إلى كاستل ليبدآ في كتاب آخر سمّياه «المعجم ذو اللغات السبع»، ولكن حين انتقل إلى أكسفورد أمينا لمكتبة الجامعة، ترك العمل في ذلك المعجم. أصدر كلارك كتابه الذي سمّاه «علم العَروض» حين أصدر بوكوك كتابه الذي سمّاه «شرح ديوان الطغرائي»، وهو يشبهه في أنه موجه لطلاب العربية. ولم يكن هذا أول كتاب أوروبي يتناول علم العروض في الشعر العربي، وهو علم معقد إلى حد ما؛ فقد رأينا كتابا قبله من تأليف كيرستن سمّاه: «النحو والإملاء والعروض في اللغة العربية»[71]، بيد أن أكثر المعالجات شمولا في هذا الصدد نجدها في كتاب غوادانيولي Guadagnoli المعنون بـ «مختصر قواعد اللغة العربية» Breves Arabicœ linguœ institutiones[72] وهو كتاب كان يعرفه كلارك حق المعرفة، وكان يشير إليه - وإن لم يكن بالاسم- عندما كان يقول: «ليس من شك في أن مذهب العرب في الشعر كما يبينه الكتاب هنا يستحق الدراسة». والحق أن كتاب كلارك كان أكثر شمولا، وأكثر دقة من كتاب غوادانيولي، فليس من شك أنه كان مُطَّلِعا على مخطوطات بوكوك، وأكثر استقبالا لنصحه، وكان يمتن لهذا الاطلاع وذلك النصح، غير أن الكتاب يخلو من القصيدة المشهورة التي نظمها الخزرجي عن العروض العربي، وسمّاها «القاعدة الخزرجية»، والتي ضمها غوادانيولي إلى رسالته. أعد كلارك طبعة بالترجمة والتعليقات والشروح، لكنه تخلى عن طباعتها عندما عرف أن حجمها المطبوع سيكون هائلا، ووعد بنشرها في المستقبل، ولكن هذا المشروع، إلى جانب مشروعات أخرى لـ كلارك لم ترَ النور قط، ولم يبقَ من آثاره المطبوعة - إلى جانب إسهامه في الكتاب المقدس متعدد اللغات - إلا طبعة لمقالة «البركوت في المشناه» وترجمتها، وهي مقالة صغيرة طبعها في العام

1667، وأغلب الظن أنها على نفقة فِـل الذي كان يريدها أن تصبح في خدمة طلاب العبرية في كلية المسيح[73].

كان كلارك يخطط لإنجاز مشروعات أخرى، ومن تلك المشروعات التي كان يخطط لإنجازها، ورحب بوكوك بها، وتحمس لها[74]، رسالة شاملة حول التاريخ والجغرافيا في الشرق. وليس لدينا دليل على أنه بدأ أصلا في أي من هذه المشروعات، غير أن كلارك بذل كثيرا من الجهد في سبيل إعداد طبعة شاملة لكتاب جغرافية أبي الفداء كلـه، غير أن المشروع لم يتحقق، ولم يتبق منه إلا مخطوطات كلارك المسجلة (من 1 إلى 4) في مكتبة البودليان[75]. تضم المجلدات الثلاثة الأولى ما انتسخه كلارك وجمعه من جغرافية أبي الفداء، وكلها في ثلاثمائة ملف، بينما يتضمن المجلد الرابع شروحا وإضافات شتى. وفي العام 1669 حار كلارك في أمر النشر، بين أن يترك الأمر لـ تيفِينو Thevenot الذي كان مشغولا في تحقيق الكتاب نفسه أو أن يضطلع هو به. عرفنا ذلك من رسالة توماس مارشال التي كتبها في دوردرِكت إلى كلارك:

> جلست قرابة الساعة في لايدن مع المسيو تيفينو Thevenot، وذكرت لـه استعدادك الكريم للتصدي لتحقيق كتاب أبي الفداء، وهو ما استقبله بترحاب، وأطلعني على نسخته بالترجمة اللاتينية، والتي يريد أن يدفع بها إلى المطبعة. فهل كانت الترجمة لـه أم كانت للمرحوم المسيو فاتيير Monsieur Vatier؟ لا علم لي، إلا أن النص العربي نُسِخَ من أجل أن يترجمه فاتييه. فعندما أسترجع ما ذكره لي السيد برنارد فيما يتصل بحماسك لإنجاز هذا العمل النبيل، رجائي أن تفكر بنفسك في الأمر، فطبعتك محكمة التحقيق من النسخ المتعددة، مع التعليقات والحواشي هي التي ستشبع نهم جمهور القراء إلى المعرفة، أكثر من تلك الطبعة المزمعة، والتي سينقصها كثير من هذه التفاصيل[76].

منح كلارك كل جهوده، أو أغلبها، لإنجاز السفر السابع الذي كان بمنزلة التكملة للكتاب المقدس متعدد اللغات. وهناك إشارات متعددة لهذا المشروع في المراسلات المعاصرة[77]، ولكن أفضل دليل على مداه صحيفة مطبوعة وعليها عنوان يقول: «عن سفر إضافي للكتاب المقدس متعدد اللغات»، والنسخة المحفوظة منها في مكتبة البودليان معانة بالحواشي والتعليقات بخط يد كلارك نفسه[78]. كانت النصوص المعروضة للنشر هي ترجمة كلدانية لسفري أخبار الأيام (من مخطوطات

كيمبردج)[79]، وكتاب «المبشرون السريان بالإنجيل»، من نسخة حصل عليها بوكوك من مخطوطة البودليان، وأسفار موسى الخمسة باللغة العربية من ترجمة مسيحية من اليونانية، وتوجد منها نسختان في مكتبة البودليان، ثم مزامير داود بالعربية، من نسخة موجودة في كلية سيون[80] جمعها من نسخة كانت مع أشر، وأخرى كان يمتلكها صمويل كراملِهوم[81] رئيس كنيسة القديس بولس، ونبوءات إسحاق وجرميا وحزقيال والأنبياء الصغار باللغة العربية، من مخطوطة في مكتبة البودليان، وبقية العهد القديم باللغة الإثيوبية، إذ توافرت نسخة كما كان يُؤمل في ذلك الوقت، وأعمال أخرى لم يتم ذكرها. كان المخطط أن يُنشر المجلد من خلال الجامعة، وأن يكون السعر المقترح للنسخة الواحدة هو أربعين شلنا (على رغم أن الدعوة إلى الاكتتاب لم تسفر عن أي تبرع). وأما البقية المتبقية من جهود كلارك في هذا المشروع فتتعلق بالبند الأول، وهو جهد كبير. لايزال النص وتفسيره للترجمة الكلدانية لسفري أخبار الأيام، بتاريخ 15 نوفمبر من العام 1662 موجودا في مخطوطتي كلارك الثامنة والتاسعة[82]، وعينة قصيرة من النص العبري مطبوعة، ومصحوبة بالترجمة، ومتضمنة في السفر الأول. وفي رسالة إلى صمويل بوشار، الأرجح أنها في أواخر العام 1666، يخبره كلارك بأنه أتم العمل، ولكن مانعا يحول بينه وبين النشر، وهو النقص الشديد في الورق بسبب الحرب مع الهولنديين[83]. وفي الثامن من أكتوبر العام 1667 أخبر لايتْفُت، الذي كان يصحح ترجمته، بأنه استطاع الآن توفير الحروف الطباعية والورق، ويأمل أن يذهب به إلى المطبعة في أقرب وقت[84]. لكنه يكتب إلى لايتفُت في السابع عشر من ديسمبر من العام نفسه، يخبره بأنه مستعد أن يعيد إلى كيمبردج مخطوطتها كما طلبها دوبسون أمين مكتبة الجامعة، على رغم أنه كان ينوي الاحتفاظ بها حتى يصل العمل إلى المطبعة. ولم نسمع شيئا عن موضوع النشر بعد ذلك من كلارك نفسه، ولكن في تصديره للمعجم ذي اللغات السبع، والمنشور في العام الذي تُوُفيّ فيه كلارك، يقول كاستل إنه استفاد من طبعة كلارك للتفسير الكلداني في المعجم، وأن هناك سفرا إضافيّا للكتاب المقدس متعدد اللغات «جاهزا الآن في أكسفورد»[85].

ليس من شك في أن إخفاق كلارك في نشر هذا الكتاب والكتب الأخرى التي تضمنتها خطته يعود جزئيّا إلى وفاته المبكرة في شهر ديسمبر من العام 1669 في

الواحد والأربعين من عمره، ويزعم جورج هكس أن السبب في الوفاة هو إصرار كلارك على الدراسة والبحث في فصل الشتاء في مكتبة البودليان سيئة التهوية[86]. كان كلارك مشغولا في السنوات الأخيرة من حياته في عمله أمينا لمكتبة الجامعة، وفي الخطط التي كان يدعمها في سبيل إنشاء الطباعة الأكاديمية، ودار طباعة في جامعة أكسفورد، وهي الخطط التي كان فِـل يدعمها ويتحمس لها. يظهر دور كلارك في المراسلات بينه وبين توماس مارشال في هولندا[87]. تُظهِر الرسائل أنه لم يكن مشغولا بالسعي إلى الحصول على حروف طباعة جديدة فقط، بل كان مشغولا أيضا بالسعي إلى الحصول على كتب ومخطوطات لتغذية مشروعات النشر التي تخطط لها جامعة أكسفورد، والتفاوض على حقوق نشر كتب أخرى[88]. ذلك كلـه بالإضافة إلى الواجبات المنتظمة التي كان يضطلع بها في الإشراف على الكتب التي كانت تجيزها جامعة أكسفورد للطباعة. على أي حال، لم يُقَدّر لـ كلارك أن يعيش طويلا، ولو قُدّر لـه أن يعيش طويلا لربما حقق كل ما كان بوكوك يأمل تحقيقه، وما كان يأمل تحقيقه علماء آخرون غير بوكوك[89]، ومن هذه الآمال تقديم إسهامات كبيرة للدراسات الشرقية، فقد بينت الرسائل التي تبادلها مع بوشار في كايين (والذي ائتمنه على تعليم ابنه الصغير)، ومع بكستورف في بازل، ومع لايتْفُت في كيمبردج، حجم اطّلاعه في اللغتين العبرية والعربية، ومعرفته العميقة بجميع اللغات التي تُرجِم إليها الكتاب المقدس متعدد اللغات.

(3) جون فِل ومطبعة الجامعة

يرتبط التاريخ الباكر لمطبعة جامعة أكسفورد[90] ارتباطا وثيقا بخطط الجامعة لنشر الكتب باللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى، وهي الكتب التي كان يهتم بها علماء أكسفورد ومفكروها اهتماما كبيرا، على الرغم من أن كثيرا من تلك الخطط لم يرَ النور. ولم تكن سيادة المنشورات العربية والعبرية مستغربة بالنظر إلى عضوية بوكوك في المجلس الجديد لإدارة المطبعة الذي تَشَكَّل في العام 1662. وضع كارتر أنشطة فِـل في مطبعة الجامعة على طريق البداية في العام 1668، ولكن مـادَن يزعم أن فِــل كان يتفاوض في أمستردام حول حروف الطباعة ربما في أوائل العام 1666، (وهو العام الأول في منصبه نائبا لرئيس الجامعة)، كما يوجد

دليل على أنشطة كان يمارسها قبل ذلك التاريخ، نجدها في رسائل توماس مارشال التي كان يرسلها من هولندا في العام 1667. يظهر من تلك الرسائل أن مارشال قد كُلف بالبحث عن مواد علمية يُستفاد منها في الكتب التي كانت جامعة أكسفورد تنوي طباعتها ونشرها، ومنها كتاب «المخروطات» لـ أبولونيوس، وهو ما سنتناوله بعد قليل حين نتحدث عن إدوارد برنارد. استطاع فِـل أن يقنع غلبرت شِلدُن، الرئيس الجديد لأساقفة كانتربري، بإخلاء قبو المسرح الذي كان يُسمى باسمه، وكان قد بُني إلى جوار مكتبة البودليان على حسابه من أجل استخدامه في أعمال المطبعة. لقد تم شراء المطبعة في العام 1668، وما لبث مارشال أن شُغِل في هولندا بالبحث عن حروف الطباعة[91]. وتسجل المحاضر الباكرة جدا لاجتماعات مجلس إدارة المكتبة، من سبتمبر من العام 1668، قرار المجلس لنشر مجموعة القوانين الكنسية التي تعمل بها الكنيسة الشرقية. وبالإضافة إلى النسخ اليونانية واللاتينية، كانت هذه القوانين تضم النسخة العربية أيضا، وكانت مأخوذة من مخطوطة رو Roe المشهورة. كانت الخطة الأصلية للطباعة أن يضطلع بها الناشر روبرت سكوت في لندن، ولكن عندما ظهر الكتاب في النهاية في العام 1672، ظهر من المطبعة الجديدة التي أُنشِئت في الجامعة مكان مسرح شلـدن. كان الكتاب في الواقع أول كتاب يُطبع في هذه المطبعة، وهو الذي ابتُدئ في تأليفه في العام 1669. يقول مـادَن عن هذه المطبوعة الهائلة من القطع الكبير «أول الكتب اليونانية التي أنتجتها مطبعة جامعة أكسفورد»[92]. كان المحرر هو وليام بيفردج، من خريجي جامعة كيمبردج، (حاصل على ليسانس الآداب من كلية القديس يوحنا في العام 1656)، الذي ساعد كاستل في فترة من الفترات في إعداد المعجم ذي اللغات السبع، وفي أثناء عمله في لندن نشر هناك كتابا في قواعد اللغة السريانية، وفيه زعم أن هذه اللغة يمكن تعلمها في شهر لا أكثر، ومعها رسالة بعنوان «عن اللغات الشرقية، خصوصا العبرية والكلدانية والسريانية والعربية والسامرية، وفوائد تعلمها»[93]، وهي أعمال مبكرة النضج وإن لم تكن ذات تأثير كبير. وقد ضُم إلى مجلس جامعة أكسفورد في العام 1669، بالنظر إلى جهوده في هذا المجلس. تقدم إلى بوكوك بطلب العون في اللغة العربية، ولكن يبدو أن الذي ساعده في الجزء الخاص بالعربية وفي أجزاء أخرى بلغات أخرى هو نارسِسس مارش، الذي قال إنه

في العام 1671 انضم إلى فِـل لتصحيح ترجمة تفسير بلسامون Balsamon وزونارا Zonara لقوانين المجالس اليونانية، ولمراجعة تعليقات بيفردج، وللإشراف على العمل كلـه[94].

كانت خطط فِـل في إصدار المطبوعات العلمية طموحة، ولكن أغلبها لم يُنجَز. ويمكن أن نَطَّلِع عليها في قائمة أعدّها في أوائل العام 1672 للكتب التي كما يقول «نهدف إلى طباعتها إذا وجدنا التشجيع على ذلك»[95]، وسأنتقي منها بعض البنود التي تدل على اهتمام كبير باللغة العربية والدراسات الشرقية:

«2. ترجمة كتب الأخبار، وكذلك شروح ر. تنشوم ومثقفين آخرين من الأحبار اليهود على أجزاء متعددة من العهد القديم لم تُطبع قط بالعبرية والعربية على السواء». وفي هذا البند جمع بوكوك أحد مؤلفيه المفضلين وهو الحبر تنحوم Tanhum، وتفسير كلارك الذي أكمله باللغة الكلدانية.

«3. الأناجيل القبطية التي لم يكن لها وجود حتى ذلك الحين، من نسخة قديمة يملكها الدكتور مارشال، وأعدها هو للنشر.

4. الزبور القبطي من مخطوطة عند الدكتور مارشال أيضا، ومعها الزبور اللاتيني القديم للكنيسة الغربية.

10. موسى بن ميمون، «دلالة الحائرين More novochim» كما كتبه هو بنفسه بالعربية: عربي/ لاتيني»، كما سنرى، اقترح هايد فيما بعد نشر النسخة الشرقية (العربية) من كتاب موسى بن ميمون المعنون بـ «دلالة الحائرين» ولكن ليس قبل وفاة فِـل، والتي يقترح فيها أن ذهنه – في ذلك الوقت – كان مشغولا بشخص آخر[96].

11. «تاريخ تيمورلنك» بالعربية والفارسية، مع ترجمة لاتينية»، وفي العام 1636 أقدم يوليوس على نشر النص العربي لكتاب أحمد بن عربشاه عن حياة تيمورلنك[97] (وهو المعروف عند الأوروبيين باسم Tamerlane)، لم يتحقق شيء من وعده بنشر ترجمة لهذا العمل أو تفسير لـه، على الرغم من أن ذلك كان يُعتبر مرغوبا فيه بشدة، ومن الواضح أن هذه محاولة لسد تلك الحاجة، وهذه أيضا لم يتحقق منها شيء، ولكن مرة أخرى وعد هايد بالقيام بتحريره فيما بعد[98].

«15. علماء الحساب اليونان والرومان القدماء في واحد وعشرين سفرا، وجزء غير موجود، وأما البقية فقد جُمِع مع مخطوطة استُكملت من نسخٍ عربية، حيث فُقِدت النسخ الأصلية، مع التعليقات والشروح، ومُعَانة بالحواشي».

وكان هذا البند الأخير من بنات أفكار إدوارد بوكوك الذي كتب برنامجا مفصّلا للنشر نزولا عند رغبة فِـل، وهو ما حفظه توماس سمِث ونشره مع سيرة حياة برنارد[99]. وحسبما يرى سمِث، تم تأليف هذا البرنامج في العام 1673، ولكن فِـل أعد قوائمه في العام 1672، وواضح من تصدير فِـل لكتاب واليس المعنون بـ «حساب الرمال لأرشميدس»، (وسنجد منه اقتباسا بعد قليل)، أن الفكرة تعود إلى العام 1668[100]. ويُعَدّ هذا الموجز لـ برنارد وثيقة مرموقة؛ فيها قائمة بأعمال الرياضيات القديمة التي نجت من الاندثار في النسخة الأصلية اليونانية، أو في النسخ التي ظهرت بعد ذلك (غالبا باللغة العربية). ومصطلح «الرياضيات» أو «علوم الحساب» في معناها الرحب لا تشمل علم الهندسة الرياضية geometry وعلم الحساب وكفى، بل تعني كذلك الفلك والبصريات والجغرافيا الرياضية وربما التنجيم. يتحدث برنارد عن مكان المخطوطات التي يمكن أن يعتمد عليها مشروع النشر، وهو مكتبة البودليان في أكسفورد والكليات الجامعية، أو المخطوطات الخاصة، وأيضا في كيمبردج، ومكتبة يوليوس في لايدن، وفي أمكنة أخرى كثيرة. وحتى عندما تُوجد المخطوطات اليونانية الأصلية، نجده يذكر النسخ العربية، فهل كان القصد من ذلك هو نشر هذه النسخ العربية، أم لمجرد الاستفادة منها في جمع أجزاء النص كما يبين فِـل؟ الإجابة غير معروفة على أي حال، ولكن المعروف هو أن إجمالي هذه المخطوطات والنسخ قد بلغ أربعة عشر سفرا، ولكنها ذات أحجام هائلة جدا، لأن برنارد لم يضم الترجمات العربية للكتب اليونانية وكفى، بل ضم معها الأعمال الأصلية باللغة العربية التي استُمِدت جزئيّا من مصادر قديمة. فنجد – على سبيل المثال – أن المجلد الثالث عشر يضم إلى جانب كتاب بطليموس في الجغرافيا، كتب الإدريسي وأبي الفداء، إلى جانب كتب علماء الجغرافيا العرب الأقل شأنا. ولما كان كل عمل من هذه الأعمال مصحوبا بترجمة إلى اللاتينية، فإن ضمها جميعا في مجلد واحد بصحائف كبيرة لا يعني شيئا من الناحية العملية. يشغل «الملخص» مساحة 39 صفحة من القطع الكبير في طبعة

سمِث[101]. إن طبعة معانة بالحواشي والتعليقات، تحدد المخطوطات التي كان برنارد يأمل في استخدامها، ستكون مرشِدا مهما إلى المصادر الضرورية المتوافرة في أكسفورد للقيام بمثل هذا العمل، وستكون أيضا مرشدا لمعرفة برنارد بها، والفائدتان كلتاهما مهمة جدا. أريد هنا أن أقدم مثالا من بعض المقتبسات من قائمة من الرسائل التي نُشِرت على أساس أنها عامل مساعد لطبعة كتاب «المجسط» لبطليموس:

II – تصحيح مسار النجوم، بالعربية واللاتينية، مخطوطة يملكها الدكتور بوكوك، والدكتور تيفينو، ويُرجح وجودها في متحف يوليوس، معانة بالملاحظات.

III – كتاب يحوي أخطاء فادحة في الشريعة المعتمدة، بالعربية واللاتينية، مسجل في مكتبة البودليان، باسم أبولونيوس، وبِل، ويوليوس.

IV – إبراهيم أبندانا، وفلك عزرا، مخطوطة باللاتينية، تقع بين مخطوطة سلدِن، وهو في حالة ممتازة.

V- مؤسسة نصر الدين في علم الفلك، مع تعليقات واضحة باللغة العربية لصاحبها محمد حسين نصر الدين، بالعربية واللاتينية، وجمعها جون من أكسفوردشاير.

VIII – البطاني، باللاتينية، من طبعة تِنِت 1552، ومخطوطة باللاتينية يملكها سافيل.

IX- كتاب الفرغاني في الفلك، باللاتِينية، كان مع يوليوس، واستقرت مخطوطته اللاتينية عند دغبي وسافيل... إلخ، ولود في الملف الرقم 107. وهناك مقتطفات من كتاب القوانين الفلكية العربية من مخطوطة يحتفظ بها كول دي جوان، وكتاب المجسط، وكذلك الفلك الذي عرفه ابن رشد، انظر: مخطوطة عربية باسم بوكوك[102].

كانت خطة النشر هذه بعيدة عن الواقع، وبعيدة عن إمكان التطبيق إلى درجة تثير الضحك. كان برنارد نفسه يجمع بين مقدرتين: مقدرة في فهم النصوص الرياضية، والمعرفة اللغوية التي تتيح لـه القيام بهذا الضرب من العمل الأكاديمي، بيد أن ما خطط للقيام به لا يكفيه حيوات عشرين رجلا يكرسونها كلها لمثل هذا العمل، وسوف نرى أنه أخفق في أن يحقق خطة لإكمال جزء واحد من عمل من الأعمال التي كان يتحمس لها مثل: الكتب من الخامس إلى السابع من كتاب «المخروطات» لـ أبولونيوس. وحتى لو أُتِيح لـه الرجال الذين سيقومون بالعمل، فإن النشر على ذلك النطاق كان سيحتاج إلى أموال طائلة لم تكن متاحة لـ فِل في

مطبعة جامعة أكسفورد. لقد كان من الممكن تحقيق المشروع الأقل طموحا، وهو الكتاب المقدس متعدد اللغات، من خلال الاكتتاب والتبرعات، ولكن عدد أولئك الذين كانوا يرغبون في التبرع لتحقيق مثل هذا العمل الدقيق في نشر النصوص الحسابية القديمة (فضلا عن النسخ العربية المقابلة لها)، كان قليلا جدا، فكان من الصعب توفير الأموال اللازمة لإنجاز هذه الطبعات في تلك اللغات الغريبة. وقد أقر فِـل بهذا في العام 1676 عندما كتب تصدير طبعة جون والِس لكتاب «حساب الرمال» لـ أرشميدس يقول فيه:

> منذ سنوات مضت أعلنا على الملأ أننا ننوي إعداد طبعة هنا تضم علماء الحساب القدماء جميعا، وطبع أعمالهم العلمية في مطبعتنا. زد على ذلك أننا لهذا الغرض عمدنا إلى تقسيم المؤلفين إلى فئات وفق الفترات التي عاشوا فيها، والموضوعات التي عالجوها، وكذلك اكتشافات المحدثين التي إما أسهمت في تقدم هذا العلم، وإما يسرت مأخذه. فلقد توفرنا على فحص أرفف مكتبة البودليان، ومكتبة سافيل ومكتبات أخرى في هذا البلد نعرف أنها ثرية بالمخطوطات. وبالنسبة إلى الرسائل العلمية غير المحققة، كان ينقصنا المثال الذي نحذو حذوه، فقررنا تجشم الصعاب للحصول على مثل هذه الرسائل، فأرسلنا الرجال المؤهلين إلى البلاد البعيدة. وقد رأينا أن الكتب الثلاثة الأخيرة من كتب أبولونيوس البرجاوي باللغة العربية، وسيرنيوس Serenus في شرح أبولونيوس، خصوصا الجزء الخاص بالأسطوانة والمخروط باليونانية، كلها نُسخت في لايدن وباريس على التوالي. أضف إلى ذلك، بما أنه يبدو من المناسب جدا أن إقليدس هو قائد النظام، فقد ائتمنا العناية بهذا الأمر أكثر مثقفينا علما، وهو السيد إدوارد برنارد، أستاذ كرسي سافيل في علم الفلك، ولم يكن فقط يبذل أقصى ما في الجهد ليرى الكتاب نفسه وقد حُقِّق كأفضل ما يكون التحقيق، بل أضاف - على حسابه الخاص - الصور الأنيقة، والرسومات المتقنة، والجداول الدقيقة إلى العمل كلـه، وأخرج فوق ذلك عينة مطبوعة من عدد قليل من الصفحات[103].
>
> ولكن - على الرغم من كل ذلك - عندما أصبحت جهودنا على مسافة كبيرة من العثور على بعض كتب مِسِينوس Maecenas التي كان من النادر

> العثور على كتاب منها أو كتابين فضلا عن ذكرها، فقد رأينا أن نهجر هذه الخطة كلية وطواعية، بعد أن فقدنا الأمل تماما[104].

ويمضي فِـل في القول بأن الطبعة الحالية من كتاب «حساب الرمال» لــ أرشميدس، والطبعة الحالية لكتاب «حساب الدائرة» لواليس إنما قُصِد بهما إظهار مدى الاستفادة التي يمكن الحصول عليها من دراسة علوم الرياضيات عند القدماء. بيد أن الكتاب الصغير لم يفِ بما كان برنارد يطمح إلى تحقيقه. لم يسترشد واليس بأي مخطوطات، بل اكتفى بالحصول على النص من طبعات أسبق، وأضاف إليها ترجمته وتعليقاته التي ضمت بعض التصحيحات النصية المتكئة على تخميناته. أثمرت الخطة الكبيرة لإصدار كتب علماء الرياضيات القدماء، بالإضافة إلى ذلك، رسالة واحدة أخرى صغيرة حققها واليس، وهي «رسالة أرستارخوس» عن أحجام الشمس والقمر والمسافات بينهما، وهي رسالة لم تكن قد نُشرت من قبل في أصلها اليوناني، وكانت تضم أيضا الجزء المجهول من الكتاب الثاني من «معبد بابوس». لم تكن لطبعة واليس – على الرغم من تعقيدها – ميزة غير أنها تضم بعض التغييرات التي رصدها برنارد من مصادر أخرى في مكتبة البودليان، ومنها مخطوطتان لـسِلدِن تضم نسخة عربية من كتاب «أرستارخوس».

وربما نستطيع أن نعتبر أن ترجمتي هالي لكتاب أبولونيوس المعنون بـ «قطع الخطوط على النسب»، وكتابه الآخر «المخروطات»، الأجزاء من الخامس إلى السابع، في أوائل القرن الثامن عشر من الثمار البعيدة للخطة التي كانت تقصد نشر كتب علماء الرياضيات القدماء، وهي ترجمة اتكأت على الكتب التي كان برنارد قد جمعها، والتي تتكئ بدورها على ترجمته غير المنشورة. ولكن فيما يتعلق بالنصوص اليونانية التي وردت في مختصر برنارد، فقد كان على المثقفين والمتخصصين الانتظار حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى تظهر الطبعات المحققة التي تشبع فضول العلماء والدارسين[105]. وفيما يتصل بالنسخ العربية للنصوص اليونانية، والأعمال العربية الأصلية التي وردت في القائمة، كان على العلماء الانتظار أيضا حتى يأتي القرن العشرون ليروا طبعة واحدة لعمل ما، فضلا عن طبعة محققة ومعانة بالحواشي والتعليقات[106]، وإلى اليوم تظل الأعمال غير المنشورة كثيرة. وعلى الرغم من استحالة تطبيقه، فإن المختصر ومؤلفه يستحقان كل الشكر والامتنان،

فقد كان برنارد يعرف دور الدراسات الأكاديمية في تقدم الشعوب، ودورها في تاريخ البحث العلمي نفسه.

(4) أبولونيوس العربي

قبل البدء في قصة الجهود التي بذلتها الجامعة للحصول على الكتب اللازمة لإنجاز طبعة لكتاب «المخروطات» الذي ألفه أبولونيوس ليكون جزءا من موسوعة «علماء الرياضيات القدماء»، أريد أن أتحدث - ولو بإيجاز – عن الرجلين اللذين مارسا دورا أساسيّا في المشروع، وهما توماس مارشال وإدوارد برنارد.

كان مارشال – كما رأينا – قد ترك أكسفورد بعد سقوطها في أيدي القوات البرلمانية(107)، وعمل سنوات متعددة قسا في نقابة التجار الإنجليز المغامرين، أولا في روتردام (ربما بدءا من العام 1650)، ثم في دوردرِكت (دورت) من العام 1656. وفي أثناء السنوات المتعددة التي قضاها منفيّا في البلاد المنخفضة استطاع مارشال توطيد علاقاته مع العلماء الهولنديين، ومنهم يوليوس وفرانسسكس جونيوس الابن(108). بعد عودة الملكية جدد علاقاته مع جامعة أكسفورد، وحصل منها على بكالوريوس اللاهوت بالانتساب بإجازة شِلدُن رئيس الأساقفة(109)، ولكنه استمر يخدم في منصبه قسا في دوردرِكت، لا يزور إنجلترا إلا لماما حتى بعد أن انتُخِب زميلا لكلية لِنْكِن في العام 1668. على أنه عندما أصبح رئيسا للكلية في العام 1672، عاد إلى أكسفورد حيث قضى بقية حياته. يبين ما بقي من الرسائل بينه وبين كلارك وبرنارد وفِـل مدى جهاده وصبره على البحث عن المخطوطات وحروف الطباعة، والتوسط بين جامعة أكسفورد وعلمائها وأصحاب دور النشر في هولندا.

درس إدوارد برنارد(110) في مدرسة مرشانت تايلور الثانوية، حيث يُفترض أنه تعلم العبرية، وبعد التحاقه بكلية القديس جون كدارس في العام 1655، تقدم لدراسة الرياضيات (التي درسها بصورة شخصية على يد واليس، أستاذ كرسي سافيل في الهندسة الرياضية)، وأيضا لدراسة العربية، ليتمكن من قراءة المخطوطات العربية في مكتبة كلية القديس جون بسهولة، وهي الكلية التي أصبحت مكتبتها – بفضل لـود – من أكثر مكتبات الكليات ثراء بالمخطوطات العربية على وجه الخصوص(111). وما لبث بعد حصوله على البكالوريوس في العام 1659 والماجستير

في العام 1662 أن أصبح زميلا لكليته نفسها، ثم ظهرت براعته في العربية في ذلك الوقت عندما عرض عليه كاستل، باقتراح من كلارك، مساعدته في العمل في المعجم ذي اللغات السبع[112]. وربما كان من حُسن حظه أن يرفض العرض. فقد شهد على قدراته الرياضية تعيينه في نحو العام 1669 كمساعد للدكتور كرستوفر رِن، أستاذ كرسي سافيل في الفلك. (وكان كرستوفر مضطرا إلى الإشراف على برنامج إعادة تعمير لندن بعد الحريق الكبير في العام 1666). وعندما استقال رِن في العام 1673، استُدعي برنارد ليصبح خليفته.

كان أقدم دليل أحصل عليه على اهتمام أكسفورد بنشر كتب أبولونيوس العربية، هو رسالة أرسلها مارشال إلى كلارك في الثامن من ديسمبر العام 1667 (التقويم الغريغوري) يقول فيها:

> لا علم لي بوجود كتب لـ أبولونيوس البرجاوي في مكتبة الدكتور يوليوس، ولا شك عندي في أنه حصل على بعض الكتب العربية لهذا المؤلف والتي لم تعد موجودة باليونانية، وأهداها للمكتبة العامة في لايدن: قيل لي من مصدر موثوق به إن بعض الكتب العربية وُجِدت بين كتب السيد جون غريفز، والذي أعتقد أنك عرفته أو سمعت عنه منذ زمن[113].

أغلب الظن أن البحث عن الكتب العربية بدأ مع برنارد، الذي سمع بوفاة يوليوس في وقت مبكر من ذلك العام[114]، وعرف أن الوقت أصبح مواتيا للحصول على مخطوطته لهذا الجزء من كتاب أبولونيوس الذي فُقِدت نسخته اليونانية. وفي الثاني من مارس من العام 1668 أكد مارشال وجود نسخة في مكتبة جامعة لايدن من الكتاب الذي يجري البحث عنه، يقول:

> من المرجح جدا أن النسخة العربية من كتاب أبولونيوس البرجاوي في مكتبة لايدن تشبه مثيلتها في مكتبة آل ميدتشي في فلورنسا، والتي تُرجِمت منها النسخة اللاتينية[115] المفقودة، فعنوان الكتاب في نسخته المدرجة في فهرست جامعة لايدن هو «كتاب المخروطات المقطوعية» لصاحبه أبولونيوس البرجاوي، وأن الأجزاء الخامس والسادس والسابع في عداد المفقودة حتى اللحظة، وهو ما يوافق تماما الترجمة اللاتينية المذكورة. ولكن هل كانت مخطوطة لايدن أفضل حالا من النسخة الأخرى التي كان

يشكو منها المترجم والمحقق كلاهما؟ هذا موضوع يحتاج إلى مزيد من البحث. ولا أستطيع أن أفصل القول فيه، فقد حُرِمت من صديقي المبجل الذي كان أقدر العلماء على الحكم في مجال الرياضيات وآداب العربية على السواء، وهو الدكتور يوليوس الذي كان قد وعد بنفسه منذ ثلاثين عاما خلت بطباعة كتب أبولونيوس الثلاثة، ولكن هذه الخطة انضمت إلى خطط أخرى ثبت أن قدرها أن تظل مجرد خطط لا غير، فقد سمعت طحنا كثيرا منه ومن غيره من دون أن أرى دقيقا[116].

وفي اليوم العشرين أو الثلاثين من مارس ظهر عزم الجامعة (أو فِل) على الحصول على نسخة لايدن المذكورة أعلاه، حيث قال مارشال إنه طلب من ألارد أُخْتمان Allard Uchtman، أستاذ اللغة العبرية في لايدن، التفاوض من أجل انتساخ الكتاب، وأفاد أُخْتمان بأن شاهين قندي (وهو ناسخ أمريكي كان يعمل عند يوليوس) يطلب دولارا هولنديّا عن كل صفحة من الصفحات، فتصل التكلفة كلها إلى ما يقرب من عشرة جنيهات لقاء نسخة مخطوطة من أربعين صحيفة[117]. وعلى الرغم من أن السعر بدا عاليا بالعملتين الهولندية والإنجليزية على السواء، فقد تمت الصفقة، ولكن شاهين قندي كان يعمل ببطء شديد، ورفض نسخ الرسومات والجداول، مما كان يغيظ مارشال أشد الغيظ. وفي التاسع من نوفمبر بالتقويم الغريغوري من العام 1668 كتب إلى كلارك يقول: «أنجزت نسخة كتاب أبولونيوس عن طريق الناسخ الفظ المدعو شاهين قندي، وهو ناسخ بطيء غاية البطء، حتى إنني عقدت العزم على البحث عن ناسخ آخر»[118]. على كل حال، كان مارشال مشغولا في الوقت نفسه في أمور تتصل بهذا الموضوع اتصالا كبيرا. بدأ يبحث عن ترجمات شرقية أخرى لكتاب أبولونيوس «المخروطات»، ووُفِّق أيما توفيق مما يظهر في الرسالة نفسها وهو يقول: «لدي الآن ثلاث نسخ باللغة العربية، وأخرى بالفارسية، من كتاب أبولونيوس». وقد تحققنا من هُوية واحدة على الأقل من هذه النسخ، فلم تكن غير المخطوطة التي كانت مع رافيوس لكتاب «المخروطات»، وهي النسخة التي أظهرها لجون غريفز في إنجلترا في العام 1641، والتي ترجمها بِلْ في أمستردام (بين العامين 1644 و1665)، والتي حملها رافيوس معه إلى إنجلترا في العام 1647، وإلى السويد في العام 1650. وعن طريق المصادفة وحدها عادت النسخة إلى إنجلترا للمرة الثالثة والأخيرة[119].

وفي العام 1651، بعد أن توسل إليه كلود هاردي سنوات متعددة ليبيع لـه نسخته من كتاب أبولونيوس، وافق رافيوس، زاعما أن السبب هو إخفاق بِل في إنتاج ترجمته. وفي الثاني عشر من نوفمبر من العام نفسه أرسل المخطوطة من ستوكهولم، مصحوبة برسالة إلى يوحنا موريانوس (أو موريان) في أمستردام. نفهم من الاتفاق أن على موريانوس تسليم المخطوطة لـهاردي في باريس، ويتقاضى منه لقاء ذلك مبلغا هو مائة وعشرون تالرا[*] للمخطوطة نفسها، زيادة على ثمانين تالرا أخرى لـترجمة رافيوس (والذي قال ساعتئذٍ إنها غير متاحة في أوبسالا). كان على موريانوس إرسال المال إلى إنجلترا (قيل لتسديد الديون التي تركها رافيوس وراءه). على أي حال، لسبب ما لم يرسل موريانوس المخطوطة قط، ومن المرجح جدا أنها بِيعت مع كتبه الأخرى عند وفاته لتاجر الكتب المدعو إلياس راتِلباد، الذي كان دكانه قريبا من بيت موريانوس في برنسنغراخت. هنالك وجدها مارشال[120] في وقت ما من النصف الأول من العام 1668، واشتراها وحملها إلى إنجلترا في يونيو من ذلك العام، حيث قدمها لـكاستل في لندن[121]، وأهداها لمكتبة البودليان قبل عودته إلى هولندا في أواخر ذلك الصيف.

حصل مارشال على كتب ومخطوطات أخرى لأبولونيوس. وكان يوليوس قد أعد العدة لإعادة الرسوم إلى الأجزاء من الخامس إلى السابع[122]. اشترى مارشال هذه اللوحات لحساب الجامعة بثلاثة جنيهات إسترلينية، ونقلها إلى إنجلترا. ولسوء الحظ غاصت الباخرة التي كانت تنقلها، في البحر، وعلى الرغم من أن مارشال كان من شهود الحطام مع من شاهده من الواقفين على الشاطئ، فقد عجز عن استعادة أي شيء، ولكنه لم يعجز عن تقديم واجب العزاء، فيقول:

> على الرغم من أننا فقدنا الجزء الأهم، فإنني آمل أن نُزَودَك ببعض الإشارات التي تعينك على الطبعة التي تنوي إخراجها من كتاب أبولونيوس البرجاوي: فقد ظفرت، بمكرمة خاصة، على جملة كبيرة من التعليقات التي كتبها يعقوب يوليوس بخط يده، وعلى نظريات متعددة لعالم الرياضيات المذكور، والتي – على الرغم من غموض العربية التي يستخدمها في

(*) تالر، هي العملة المستخدمة في معظم مناطق أوروبا في القرن السادس عشر.

تعليقاته – فستعينك من دون شك على الاطلاع على الكثير من أحكامه على الترجمة. وقد وعدني أكثر من شخص بتوفير الرسومات المطلوبة على ورق، وقد أجدها في دراسته، وهي التي أطلق عليها الإشارات، من حيث يتوقع السيد برنارد من كلية القديس جونز مزيدا من الوصف عندما أشد الرحال بالباخرة لأنقلها إليك[123].

اطلَع برنارد على ملاحظات يوليوس في لندن، حيث أرسلها مارشال إليه، وهو في طريقه إلى هولندا في يناير من العام 1669، ولم تعجبه[124]، ويبدو أنها اختفت، وبقي عددٌ قليل من الرسومات البيانية بين أوراق برنارد التي أعدها للطبعة التي يعدها لكتاب أبولونيوس[125].

ليس من شك في أن برنارد قد تطوع – بالاتفاق مع فِـل – للسفر إلى لايدن على حساب الجامعة، وقام بنسخ المخطوطة بنفسه. قرأنا عن ذلك – في البداية – في رسالة أرسلها مارشال إلى كلارك في 14/4 ديسمبر في العام 1668، يعبر فيها عن ريبته في المغزى من هذه الرحلة الشتائية[126]. من ناحية أخرى كان برنارد قد عقد العزم، وتأكدت رحلته حين أعلنها واليس على الملأ بعد أن كتب في التاسع من ديسمبر إلى أولدنبورغ حيث يعيش هَفِليوس يقول: «وكان برنارد في باتافيا بالفعل، يبحث عن كتب أبولونيوس البرجاوي السبعة المترجمة إلى العربية والتي ستكون مادة البحث في المستقبل»[127]. استقل برنارد - في صحبة ابن واليس - الباخرة من ميناء هاروتش Harwich متجها إلى هولندا في منتصف يناير من العام 1669، وقضى نحو ثلاثة أشهر في لايدن، وهناك وجد المتعة كلها في شراء الكتب لنفسه وللآخرين، وفي توطيد صلاته بالعلماء، وبالتجول بين أرفف المكتبات. وأتاح لـه نفوذ مارشال من يقدمه لابن يوليوس الأكبر تيودوروس، فسُمِح لـه أن يفحص مخطوطات يوليوس[128]، خصوصا نسخته المشهورة من كتاب أبولونيوس العربي. من جهة أخرى، لم ينس الهدف الرئيسي من زيارته، وتكملة نسخ النسخة الموجودة في مكتبة لايدن لكتاب أبولونيوس، والتي كان قد أخذها من شاهين قندي. وفي العشرين من مارس (بالتقويم الغريغوري) أرسل إلى كلارك يقول: «لدي ستة أيام من العمل في كتاب أبولونيوس، وآمل أن أفرغ من النسْخ»[129]، ولكنه كان لايزال يأمل أن يجمع هذا الكتاب كما هو في مخطوطة يوليوس الخاصة، بمساعدة ناسخ

يوليوس نفسه. ويبدو أن ذلك لم يتم كما كان يأمل، ويظهر هذا من نسخة كتاب أبولونيوس التي اصطنعها، والتي هي الآن في مكتبة البودليان ضمن مجموعة مخطوطات ثِرستون1[130]، وهي نسخة منسوخة بعناية من الكتاب الخامس إلى السابع من كتاب «المخروطات» كما هي في نسخة بني موسى. نسخ برنارد الكتابين السادس والسابع على ورق مختلف، وبحبر مختلف، وواضح أن خطه مختلف ويفتقر إلى الدُربة، كما تحقق عند المقارنة بينها وبين الخط العربي الموجود في مخطوطته الخاصة به. إذن لم يُنسخ الكتاب مباشرة من مخطوطة يوليوس، ولكنه نُسِخ من نسخة وسيطة، ظهر ذلك من الاكتتاب الموجود في الملف الرقم 117 (شمالا)، والذي اضطلع بتكملة النسخ هو الدرويش أحمد في يوم الجمعة الخامس عشر من ذي الحجة العام 1036 هجرية، (الموافق السابع عشر من أغسطس العام 1627 ميلادية)، وتوافق مخطوطة جامعة لايدن الأصلية الرقم (14) [131]. وقد وجدنا مساحات فارغة انتظارا لوضع الرسومات البيانية، وقد ملئت هذه المساحات - ربما بيد برنارد - حتى الكتاب الخامس في الصفحة 44، ولكن هناك تخطيطات مضطربة للرسومات المتبقية جُمِعت كلها في مقدمة الكتاب. لا تحتوي المخطوطة على مقارنات من مصادر أخرى، على رغم أن برنارد أدخل فعلا إحالات قليلة إلى تعليقات كتبها يوليوس. كانت هذه المخطوطة هي الأساس الرئيسي الذي اتكأت عليه طبعة برنارد لكتاب أبولونيوس، وكانت أيضا المصدر الذي اتكأ عليه هالي في ترجمته لكتاب «المخروطات» الأجزاء من الخامس إلى السابع للطبعة التي أصدرها العام 1710 لكتاب أبولونيوس، فقد أرسل رئيس الأساقفة مارش المخطوطة الأصلية من أيرلندا ليستفيد منها برنارد قبل أن يصل الكتاب إلى المطبعة بوقت قصير.

نستطيع هنا أن نقدم ملخصا يفي بالغرض لتاريخ الطبعة التي كان يسعى برنارد إلى إصدارها لكتاب «المخروطات» ولم يُوَفق إلى ذلك، وهو تاريخ يمتد إلى سنوات متعددة. فقد أراد أن تكون الطبعة جزءا من موسوعة «علماء الرياضيات القدماء» التي كانت أكسفورد تنوي إصدارها. وأغلب الظن أن برنارد - عندما علِم أن تلك الموسوعة لن تظهر إلى النور - وافق على الترتيب مع الناشر اللندني روبرت سكوت لترجمة الأجزاء من الخامس إلى السابع من كتاب أبولونيوس، ليُطبع كجزء من مجلد يحتوي على نصوصٍ قديمة في علوم الرياضيات. نستنبط

هذا على الأقل من جون كولنز، الذي كان يسعى إلى إقناع بارو بالسماح بنشر نسخته من الأجزاء الأربعة الأولى من كتاب «المخروطات» لأبولونيوس، وهي النسخ التي كان قد أعدها منذ سنوات [132]. كتب كولنز إلى غريغوري في مارس العام 1672 يقول:

> السيد برنارد الذي ذكرته عالم قدير في مجال الرياضيات، ويفهم العربية حق فهمها، وقد عثر في المكتبات هنا في أكسفورد على نسختين كاملتين من الأجزاء السبعة من كتاب أبولونيوس المسمى «المخروطات» (مع بعض الرسائل الأخرى للمؤلف نفسه)، واحدة لابن موسى، والأخرى لـ عبد الملك، وثالثة عليها تعليقات لأوطوقيوس. وعندما تكتمل ترجمة الأجزاء الثلاثة الأخرى، ويرتبها الدكتور بارو على منهجه، فربما تتم طباعتها مع تعليقات بارو على الأجزاء الأربعة الأولى، وتُباع معا في كتاب واحد[133].

وهناك معلومات تشبه هذه المعلومات نقلها كولنز إلى بيل Beale، ونقلها أولندبورغ إلى دو سلوس وهيغنز في وقت متأخر من العام(134). ولكن برنارد كان لـه رأي آخر في نشر الترجمة قبل طبع النص العربي، كما جاء فيما كتبه والِس إلى كولنز في الرابع عشر من نوفمبر، يقول:

> فيما يتصل بكتاب أبولونيوس الذي قدمته للسيد برنارد الذي كتب كما قال لي رأيه في الكتاب للسيد سكوت، وأظن أن هدفه طباعة الكتاب كله قبل ملخصه. فإصدار الملخص سوف يتسبب في ضياع المؤلف نفسه، فقد دلت الخبرة على أن كوماندين Commandine كان قد طبع الترجمة قبل الأصل، وبذلك عَرّضَ الأصل للضياع، وحتى اليوم لم يُنشر[135].

كانت الخطة لاتزال قائمة في شهر مايو من العام 1675، عندما أخبر كولِنز أولدنبورغ أن سكوت كان ينوي نشر المجلد بعد أن يرفق به «تلخيص بابوس وسيرنيوس للأجزاء الثلاثة الأخيرة لـ أبولونيوس...»[136]، ولكن ذلك كان آخر ما سمعناه عن هذه الخطة. وأما الدليل على ما قام به برنارد فيما يتعلق بالطبعة المقصودة، فهو محفوظ في وثيقتين بيعتا لمكتبة البودليان بعد وفاته. الأولى هي نسخة برنارد من ترجمة الحقلاني- بوريللي للأجزاء من الخامس إلى السابع من كتاب «المخروطات»، تتخللها صفحات فارغة، ومُعانة بتعليقات كثيرة على

الأصل والورقات الموضوعة بين صفحاته[137]. وتضم الحواشي التفسيرية إحالات مطردة لشخص يُسمى «ابن موسى»، ولا سيما النسخة العربية التي نسخها برنارد في لايدن، والحق أن عبارات كاملة تُرجمت من هذه النسخة. ويشير برنارد أيضا إلى تعليقات يوليوس، وإلى الترجمات بين الحين والحين: «ترجمة يوليوس لأبولونيوس البرجاوي، وإلى نسخة عبد الملك، وهي النسخة الموجودة في مخطوطة رافيوس. وأحيانا كان ينسخ النص العربي الفعلي من دون التعريفات الواردة في بداية الكتاب السادس». وقد تم كل ذلك - في الواقع - بطريقة عشوائية، وهناك الكثير من العبارات من دون شروح بالمرة. من الواضح أن هذا لم يُفِد كأساس لإنجاز طبعة. وانتقل الأمل إلى المخطوطة اللاتينية والتي اتخذت عنوانها: «الجزء الثاني من كتاب المخروطات لأبولونيوس البرجاوي من النسخة العربية المنشورة في العام 1674»، والتي ظهرت كأنها النسخة السليمة في نظر القائم بالطباعة في العام 1674. إنها لا تحتوي إلا على الترجمة اللاتينية، وهي ترجمة تعتمد في الأساس على نسخة ابن موسى، ولكن مع إحالات أيضا إلى عبدالملك وبورليوس. وتوجد حواشٍ كتبها برنارد بنفسه، مع إحالات إلى كتاب «الفرضيات» لـبابوس، وتعليقاتٍ لـبوريللي. وقد لُصقت على العبارات الإحدى عشرة الأولى أرقامٌ مطبوعة، ومن الواضح أنها أرقامٌ صُنِعت من لوحات يوليوس التي وجدها مارشال فيما وجد من تعليقاته. وكان لدى برنارد أيضا نسخة من الصفحة العينة التي طُبِعت لـيوليوس، تحتوي على ترجمته لبداية الكتاب الخامس[138]، فعلى الصحيفة الرقم (3 شمالاً) يكتب إرشادًا يقول: «ضع هنا رسالة أبولونيوس إلى أطاليوس من نسخة يوليوس في أ4 إلى آخر الصفحة». ومن الفرضية الخامسة في الصفحة الثامنة وما يليها تصبح الترجمة مختصرة للغاية، وينتهي العمل كلـه في منتصف الفرضية الخامسة الصفحة الخامسة والأربعين. وهنا نلمس نفاد صبر برنارد، وربما حماسه(139). ومن المرجح أنه كتب تعليقات أخرى على «المخروطات» وفُقِدَت، ولكن ذكر هذه الحاشية التي بدأت بها نسخة الناسخ إنما يدل على أنه لم يفرغ من الطبعة المقصودة ولا الترجمة قط. وسنرى أن هذا لم يكن المشروع الأكاديمي الأول والأخير الذي ضرب عنه صفحا بعد أن كرس لـه الكثير من وقته وجهده.

(5) توماس سمِث

أصبح توماس سمِث [140] – حين كان طالبا في الجامعة – صديقا لـبرنارد، واتصلت أسباب الرجلين كلٍ منهما بالآخر طوال حياة برنارد [141]. كان يجمعهما الإخلاص للعلم والدين معا. كان سمِث طالبا سابقا لعمره ذكاء وفطنة، خاصة: في مجال اللغات الشرقية، وكان يُكنى في أكسفورد بـ «الحبر سمِث»، أو «سمِث الطغرائي»، وذلك لإخلاصه في دراسة الأدبين العبري والعربي على السواء. وعند حصوله على الليسانس في الآداب في العام 1660 قرر عميد كلية الملكة Queen's College أن يضطره إلى دراسة مقررين إضافيين على سبيل الامتياز؛ وذلك لتقدمه في العلم تقدما يتجاوز سنه ودفعته[142]. وبعد عامين فقط أصدر كتابا ينم عن علم عميق بعنوان: «نقد الترجمة الكلدانية»، حول الترجمات الكلدانية لأجزاء مختلفة من العهد القديم [143]. يقر سمِث بأنه مدين لسَميِّه في كلية المسيح في جامعة كيمبردج الذي رحل أخيرا، ومدين لـ بوكوك أيضا، ولكنه أبدى امتنانه الخاص لـصماويل كلارك الذي أتاح لـه الاستفادة من الترجمة الكلدانية لشرح أخبار الأيام الذي شُغِلَ به. اختِير سمِث زميلا لكلية مغدلين في العام 1666، ولدينا بعض المحاضرات التي كان يلقيها هناك بينما كان يعمل كمحاضر في اللغة العبرية في ستينيات القرن السابع عشر[144]. وفي العام 1668 اختاره السير دانيال هارفي، الذي سمّاه الملك سفيرا إلى القسطنطينية، ليصحبه إلى هناك بوصفه كاهن البعثة الديبلوماسية[145]. ويستطيع الباحث أن يفترض أن سمِث كان يبحث عن منصب كهذا المنصب؛ لأنه كان يرغب في الاستزادة من المعرفة باللغات الشرقية كما فعل بوكوك قبله بأربعين عاما. هذا هو الانطباع الأكيد الذي ينتهي إليه أي باحث حين يقرأ رسائل الوداع التي أُرسِلت من أكسفورد في يونيو ويوليو من العام 1668. يحدثه صديقه السيد برنارد عن «أشواقه للاطلاع على تلك المخطوطات المتصلة بالعلوم الشرقية، والتي ستتاح لك الفرصة لأن تراها وتقرأها وتدرسها وتشتريها»[146]، بينما طلب منه هايد، الذي كان زميل سمِث في كلية الملكة، وظل على علاقة قوية معه طوال حياتهما، مباشرة أن يشتري لـه بعض الكتب، وأن يخبره، كأي أمين مكتبة يفهم علمه، بأنه «سيؤدي خدمة جليلة للعلم إن ظفر بقائمة بتلك الكتب وأمثالها الموجودة في أرجاء القسطنطينية وبأية لغة من تلك اللغات الشرقية، مصحوبة بسعر كل كتاب

على حدة»[147]. لا تُظهِر المذكرات التي احتفظ بها سمِث عن رحلته إلى الخارج، والتي نشرها بعد سنوات متعددة بعد ذلك[148]، أي اهتمام بالعربية، على رغم أنه يكشف بالمصادفة في رسالة إلى برنارد العام 1691 أنه عندما كان في طنجة في سبتمبر العام 1668 «رأى أثرا منقوشا عليه بالعربية بحروف بارزة، ويخلو من ذكر الكنيسة الإنجليزية البروتستانتية»[149]. وواضح أنه لم ينسخ النقش في مذكراته[150]، فهو يقول: «هذه أمور لا آبه بها، فقد مر على رؤيتي للحجر أكثر من اثنين وعشرين عاما». زد على ذلك أنه يبدو أن تجاربه في القسطنطينية وآسيا الصغرى، في أثناء عامي إقامته هناك، قد تركت في نفسه أثرا سلبيّا يقترب من النفور من كل ما يتصل بالمسلمين، وعلى رغم أنه كرس أغلب حياته للدرس الأكاديمي، فقد هجر طريق الدرس الذي كان اختطه لنفسه في شبابه.

حالَ تدينُ سمِث الشديد، وفهمه المتزمت للمسيحية، دون التعامل مع تجاربه في الشرق إلا على أنها تأكيدٌ لتحيزه ضد الأتراك. وما لبث بعد عودته إلى كلية مغدلين أن أصدر كتيبا يحتوي على رسالتين يخاطب بهما وليامسون حول الأتراك والجولة التي قام بها لزيارة كنائس آسيا السبع[151]. وقد أصبح هذا الكتيب مطلوبا فأصدر كتابا بالإنجليزية عنوانه: «ملاحظات حول أحوال الترك وأخلاقهم» في العام 1678، وهو الذي منه اقتبست ما اقتبست من عبارات. كان موقف سمِث العام واضحا في التصدير الذي كتبه للكتاب، ووضع لـه عنوان: «تصدير للقارئ»[152]:

> ازدادَ اقتناعا كل يوم بأن هناك علاقات بين الجهل البهيمي والهمجية البشعة للأتراك والخرافات والأساطير الموجودة في مفردات عبادتهم، وبالتأمل المصحوب بالشكر والامتنان للأقدار التي رفقت بنا ووضعتنا في طريق المسيحية، وفي بلاد تدين بدين المسيح في أوج براءته ونقائه، وحيث تزدهر المدنية، وتشيع العلوم والفنون في أوج عظمتها واكتمالها.

إنه يبدأ روايته بقولـه: «لقد رمى الله الأتراك بطبع فظ، وجعلهم أمة همجية متخلفة»، ثم يقول: «وهذا راجع في الأساس إلى تكبرهم البغيض، وعُجبهم الذي لا يُطاق، وازدرائهم للبشر من كل جنس، ومعاملاتهم الفظة مع العالم من حولهم». ويدعي سمِث أن الأتراك يزدرون العلم، ويكرهون جميع الأديان الأخرى، ونستطيع أن نقول إن هذا الاعتقاد تعزز لديه بعد أن رجمه بعض الأطفال بالطوب وهو

يسير في شوارع القسطنطينية، بوصفه من الفرنجة، وبعد تجربته كما يقول «في رحلة قمت بها إلى بروسيا، وتحديدا في «بيثينيا»، حيث نجوت هناك بأعجوبة من أن يُقطع رأسي على جبل الأولمب من قِبل جموع جنود الإنكشارية»[153]. وبينما هو يشير إلى ازدراء الأتراك لليهود، نراه يُظهِر ازدراءه للفريقين كليهما فيقول: «يظهر مكر اليهود وفطنتهم أكثر ما يظهر في التجارة والسمسرة والتعامل بالربا، وهم هنا يقدمون خدمات جليلة للترك الذين يجهلون الحساب، ولا يجيدون إمساك الدفاتر»[154]. ولم ينس أن يحمل على الإسلام، وينعته بأنه دين يقوم على الأغلاط، والخرافات الضاربة في القدم، وأنه أهِين وهو يقف في مدخل مسجد «أيا صوفيا» أيما إهانة عندما سأله أحد المسلمين سؤالا: «ولِم لا تتحول إلى الإسلام، وتصبح واحدا منا؟» ولكنه من جهة أخرى يمتدح حِفاظ المسلمين على طقوسهم الدينية، وأنهم يلتزمون بالصلوات الخمس في المساجد بشيء كبير من النظام والمواظبة[155]. ثم يتحدث عن رجل تركي قابله في مدينة «بورصة»، وكيف أنه أحسن ضيافته، وأكرم وفادته، وقدم لـه فنجانا من القهوة التركية، بوصفه أول أبناء الفرنجة الذين يعبرون بحر مرمرة، وتحدث أيضا عن كرم الضيافة الذي استُقبِل به من قِبل قاضي سميرنا[156]، وهنا يبدو أنه لا يعي التناقض بين هذه التجارب الإيجابية وافتراءاته على الشخصية التركية. ويبدو واضحا أنه يعتقد أن مما يعيب الأتراك أنهم «لطيفون وودودون مع المخلوقات الغبية»، فهم يؤنبون النصراني الذي يرونه يركل كلبا، وقد يوسعونه ضربا» [157].

وفي أثناء إقامته في القسطنطينية بدا أن سمِث قرر أن يترك دراساته الشرقية، وهذا ما أستنبطه من ملاحظة عرضية وردت في رسالة أرسلها إلى برنارد في السابع من فبراير من العام 1691، يكشف فيها عن أنه لم يضع يده على أعمال قيمة كالتي كانت تحت يد بوكوك، مثل كتاب أبي الفرج، «وقد كنت تركته في القسطنطينية مع عدد كبير من الكتب العظيمة في اللغات الشرقية، حتى يستفيد منها من يأتي بعدي، ويحب هذا العمل»[158]. ومن المؤكد أنه لم ينشر أي شيء بعد ذلك في العربية أو العبرية. يتبدى الأثر الرئيس لإقامته في القسطنطينية على عمله الأكاديمي في اهتمامه المتصل بأحوال الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية تحت الحكم التركي. ويَظهر هذا فعلا في رسائله إلى بول رايكوت، قنصل شركة الشام في سميرنا، التي بدأت

عندما كان سمِث في القسطنطينية. كان الرجلان قد تقابلا في نوفمبر العام 1668، عندما اضطر ركب السير دانيال هارفي إلى تغيير الباخرة في سميرنا في رحلة من رحلاته الخارجية[159]، وراح سمِث يشجع رايكوت على مواصلة عمله حول الكنائس اليونانية والأرمنية[160]، على رغم أنه انتقد عمله بشكل خاص عندما نشر رايكوت آخر الأمر كتابه في العام 1679[161]. في الوقت نفسه نشر سمِث، في العام 1676 في أكسفورد كتابا صغيرا بعنوان «الحالة الراهنة للكنيسة اليونانية»، والذي أُعِيد طبعه بعد ذلك بعامين في لندن في طبعة مزيدة. ومن أهم أبواب الكتاب حديث الرجل عن وفاة البطرك سايرل لوكاريوس، وهو حديث استمده سمِث من فم بوكوك نفسه. وهناك ترجمة إنجليزية نُشرت في لندن العام 1680[162]. من جهة أخرى لم يكن حماس سمِث لمثل هذه الأمور كافيا لإقناعه بالعودة إلى تركيا في العام 1677 ليجمع مخطوطات آباء الكنيسة اليونانية، على رغم أن فِلْ وآخرين ألحوا عليه كثيرا في هذا الصدد[163]. أصبح سمِث بعد ثورة (1688) من أقوى الرافضين لِقَسَم الولاء للحكم الملكي الجديد. غادر أكسفورد في العام 1689 إلى لندن، حيث قضى ما تبقى من حياته، أغلبها أمينا لمكتبة كوتون. من جهة أخرى، احتفظ سمِث بعلاقات طيبة مع برنارد وآخرين في أكسفورد، وتبادل معهم الرسائل، ولاتزال هذه الرسائل، ومعها أوراق أخرى ومستندات جمعها بنفسه، تشكل مصدرا لا يُقدر بثمن في كتابة تاريخ الدرس الأكاديمي في أكسفورد في النصف الثاني من القرن السابع عشر[164]. أبقى سمِث على اهتمام ما بتاريخ الدراسات العربية في إنجلترا في زمانه، والزمن السابق على زمانه، وبسلسلة الكتب الصغيرة التي كان يروي فيها سِيَر الآخرين، والتي نشرها مع اقتراب نهاية حياته، على رغم أنها كتابات سطحية لا يُعَوَّل عليها كثيرا، ولكنها توفر معلومات مفيدة في هذا الموضوع. كما تُظهِر رواياته لسيرة حياة معاصرَيه وصديقَيه برنارد وهنتنغتون، وكذلك أسلافه مثل بِنْبرِدج وغريفز، مدى وعيه بأهمية اللغة العربية في خضم التيارات الفكرية في القرن السابع عشر[165].

(6) جون والِس

كان والِس من أولئك الذين اهتموا باللغة العربية ودراستها، ولكنه لم يكن على درجة من البراعة والحذق تمكنه من مواصلة هذا الاهتمام. عيّنه المفتشون

أستاذا لكرسي سافيل في الرياضيات في العام 1649، وحظي بامتنان البرلمان، لقيامه بتفسير بعض الرسائل الملكية التي كُتِبت بشفرة التُقطت في أثناء معركة نيزبي Naseby. وعلى رغم ذلك تمكن من استعادة منصبه في جامعة أكسفورد بعد عودة الملكية [166]؛ وذلك لما أصبح لـه من نفوذ معتبر في الجامعة، حيث خلف لانغبين بوصفه كبير موظفي الأرشيف[167]. بذل نفسه لخدمة بوكوك عندما كان بوكوك يمر بأزمات في أثناء الخمسينيات، واحتفظ الرجلان بعلاقات طيبة كصديقين بعد ذلك[168]. كان اهتمام والِـس بالعربية اهتماما عمليّا «براغماتيّا». كان يريدها مطية لفهم بعض مسائل الرياضيات والفلك. وقد أُتيح لـه من المعرفة ما يكفيه لقراءة الأرقام في الجداول الفلكية المكتوبة بالعربية والفارسية. إنه يخبر أولدنبورغ في رسالة أرسلها إليه في العام 1664 أنه قارن بين ترجمة هايد لـفهارس نجوم أولوغ بيك والمخطوطات الفارسية الأصلية «حسب الأرقام»[169]. غير أن المثال الواضح على استفادة والِـس من العربية في أبحاثه في الرياضيات هو ترجمة كتاب الطوسي المسمى «تحرير إقليدس»، والذي تأثر به في كتابه المعنون بـ «أعمال الرياضيات» Opera Mathematica[170]. وُجدت أول نسخة من هذا العمل في المحاضرة التي كتبها والِـس بخط يده وألقاها في السابع من فبراير من العام 1652، وقال فيها إنه لم يكن لينجز هذه الترجمة من دون مساعدة الدكتور بوكوك[171]. كما أدخل في كتابه المسمى «رياضيات كونية» مقتطفا طويلا بالعربية من ترجمة لفقرة وردت في شرح الصفدي لقصيدة الطغرائي، وتروي القصة الشهيرة عن الرجل الذي طلب من أحد الملوك مكافأة تساوي عدد الحبوب التي يمكن أن توضع على رقعة شطرنج، حبة واحدة في المربع الأول، واثنتين في المربع الثاني، وأربعا على الثالث، ويُضاعف العدد الجديد على كل مربع جديد. ثم يقول والِـس إنه يدين بذلك كله لـبوكوك[172].

(7) توماس هايد

في الأول من فبراير من العام 1668، وردا على استفسار من أولدنبورغ حول دراسة العربية في أكسفورد، كتب والِـس:

> بالنسبة إلى هؤلاء المعروفين بحذقهم للعربية، لدينا هنا، إلى جانب الدكتور بوكوك، السيد كلارك، وهو أحد أمناء جامعتنا، والسيد هايد أمين

مكتبتنا (وكلاهما يشتركان في إصدار الكتاب المقدس متعدد اللغات)، والسيد هنتنغتون، زميل كلية مِرتون، والسيد برنارد زميل كلية القديس جون، وعميدها الآن، والسيد مارش زميل كلية إكستر، والسيد سمِث زميل كلية مجدلين[173].

اللافت للنظر أنه غاب عن هذه القائمة اسم جورج هوبر. كان هوبر عندئذٍ طالبا ومحاضرا في كلية المسيح، وتعلم العربية على بوسبي في وستمنستر، واستمر يدرسها على بوكوك ربما بعد تخرجه وحصوله على الليسانس في الآداب في العام 1661، وظل مهتما بها كواحد من هواتها وعشاقها طوال حياته[174]. ولكن في رسالة إلى بوكوك في العام 1682 اعتذر عن عدم تحقيقه درجة ما من المهارة في هذه اللغة[175]، فلا جرم أن يحذف والِس اسمه من القائمة. وأما إسهامات روبرت هنتنغتون ونارسِسس مارش فهي التي سنتحدث عنها في الفصل التالي، وسنرى أن جهدهما انصب على إرشاد الآخرين وتوجيههم، خاصة عندما كانا يجمعان المخطوطات التي كانا يرتبانها ويصنفانها. على النقيض منهما كان توماس هايد، صاحب إنجاز كبير من الأعمال الأكاديمية، فقد اعتُبر بحق من أفضل المستشرقين علما في القرن السابع عشر بعد بوكوك. كان صاحب اهتمام استثنائي واسع النطاق باللغات الشرقية التي كان مهموما بإتقانها حديثا وكتابة، فكان يحرص على الحديث مع أبناء اللغة في كل مناسبة تَعِن لـه. امتدت اهتماماته اللغوية إلى اللغة الملاوية[176]، ولغات الهند[177]، وحتى اللغة الصينية. وفي رسالة إلى توماس باوري في الثلاثين من مارس العام 1701، يعرض هايد عليه إصدار ترجمة صينية لكتاب العقيدة، والوصايا العشر، وأشياء أخرى[178]. وفي العام 1687 استضاف أحد علماء اللغة الصينية في جامعة أكسفورد، وعرض عليه أن يعمل على فهرسة الكتب الصينية في مكتبة البودليان، فتعلم منه اللغة الصينية، وتبرع هذا الرجل، الذي كان قد جاء به اليسوعيون Jesuits من نانكنغ إلى باريس، فقدم لـهايد معلومات عن ألعاب الصين وعاداتها[179]. أخبر هايد باوري: «صديقي الصيني مايكل شن فو- كونغ (وقد كان هذا اسمه)، من العلماء المطلعين على كل شيء في بلاده، قرأ جميع الكتب التي صدرت في لغته، وهو شخص يتمتع بالأمانة والإخلاص، ومن الذين يمكن الاعتماد عليهم في جميع الظروف... إنه يتقن اللاتينية، فقد تحدثت معه بها بكل حرية ويسر»[180]. تظهر معرفة هايد

المعتبرة باللغة العربية من كتبه الأكاديمية التي نشرها، ولكن أغلب هذه الكتب تهتم أكثر ما تهتم بالفارسية، وهي اللغة التي كان حاذقا فيها غاية الحذق.

وعندما استقال توماس لوكي كأمين لمكتبة البودليان في العام 1665، كان هايد في ذلك الوقت نائبا للأمين، فانتُخِب خليفة لـه، وبقي في هذا المنصب حتى بدايات القرن الثامن عشر. وفي أثناء ولايته ظفرت المكتبة بعدد من المخطوطات الشرقية، أكبر مما حصلت عليه في عهد الأمين السابق، كما ظفرت بمخطوطات بوكوك وهنتنغتون بحسب وصيتهما، وكذلك مجموعة المخطوطات التي تبرع بها توماس غريفز وهايد نفسه (وكان قد باع مخطوطاته للجامعة في العام 1692)، وهي مخطوطات أقل في العدد ولكنها لا تقل في الأهمية. وعلى رغم أن الفضل في تلك المقتنيات يعود – في الأساس – إلى العقول المستنيرة التي كانت قائمة على أمر الجامعة في ذلك الوقت، والتي استطاعت تدبير المبالغ الضرورية لإتمام الشراء، فإن هايد أيضا يستحق التقريظ لدفاعه المتصل عن ضرورة تطوير المكتبة. لم يكن سجل هايد في النشر الأكاديمي كبيرا، ولكنه كان مهما، ويبدو أنه لم يختر ما ينشره إلا على أساس ما سيصيبه منه من المال، أو الفائدة. كان أول كتاب لـه هو «فهرست النجوم» في جداول أولوغ بيك، ونشره على نفقته الخاصة في أكسفورد في العام 1665. ينبئنا هايد نفسه أنه كان قد ترجم في وقت من الأوقات هذا الكتاب إلى اللاتينية لحساب سِث وارد (وكان عندئذٍ أستاذ كرسي سافيل في الفلك)[181]، ولكنه هجر الكتاب عندما عرف بترقية وارد إلى منصب رئيس الأساقفة، ولم يعُد إليه إلا بعد إلحاح من أصدقائه. ويلاحظ هايد أن جون غريفز كان قد أقدم على نشر جزءٍ من «الفهرست» في كتاب بِنبردغ المعنون بـ «الكانِكيولاريا»، ولكن الموت لم يمهله لنشر العمل كلـه [182]. وأما النص الفارسي الذي اجتمع من ثلاث نسخ مخطوطة، مصحوبة بترجمة في الصفحات المقابلة، يُتْبع بـاثنتين وسبعين صفحة عليها تعليقات هايد، أغلبها حول أسماء النجوم. راح هايد يكيل المديح لـبوكوك لأنه ساعده في هذه المشروعات الثقافية، وأعاره إحدى المخطوطات الخاصة بكتاب أولوغ بيك، ومخطوطة أخرى تحتوي على دليل النجوم بالعربية لعبدالرحمن الصوفي. وقد أخفقت المفاوضات مع أعضاء الجمعية الملكية لإقناع هايد بإخراج طبعة وترجمة لهذا العمل لمصلحة هِفِليوس Hevelius[183]. والحق أن هايد لم ينشر أي كتاب مهم

في أثناء الخمسة والعشرين عاما التي تلت[184]، وسوف ننظر بشيء من التفصيل في أعماله المتأخرة في الفصل التالي. وليس من شك في أن هذا الصمت يعود إلى الأعمال الإدارية التي كان يقوم بها، وخصوصا عندما شرع في إصدار الدليل المطبوع لمكتبة البودليان، والذي صدر في النهاية في العام 1671. من ناحية أخرى، كان هايد مشغولا بمشروعات أكاديمية أخرى في أثناء السبعينيات والثمانينيات، لم تكن كلها مثمرة. وكان يحب أن يعلن أنه كان ينوي تحقيق كتاب الجغرافيا لأبي الفداء، بإلحاح من فِـل[185]، بيد أن وفاة فِـل أنهت المشروع إلى الأبد.

(8) العربية في كيمبردج

عندما عاد الملك تشارلز الثاني إلى أرض الوطن في العام 1660 شهدت كيمبردج، مثلما شهدت أكسفورد، سلسلة من الإقصاءات التي نالت أولئك الذين كانوا يتشيعون للبرلمان، وعودة أولئك الذين فقدوا مناصبهم في عهد الجمهورية. على أي حال لم يكن لهذه التغييرات في المناصب أثر كبير في الدراسات العربية في كيمبردج، فلم تشهد هذه الدراسات ازدهارا كبيرا منذ وفاة ويـلُك، وما أعقب ذلك من توقف الدراسات العربية هناك. وكان من بين الذين أُقصُوا جون ورثنغتون، عميد كلية المسيح، ومن المهتمين بالعربية على رغم أنه لم يشفع هذا الاهتمام بكتاب مطبوع أو رسالة منشورة. وعندما طلب منه هارتلب، نيابة عن جون بِل، نصيحة فيما يتصل بالدراسات الشرقية، أجاب في رسالة يكشف فيها عن موقفه، وبعد أن عبر عن توقعاته الإيجابية فيما يتعلق بالكتاب المقدس متعدد اللغات الذي يشرع كاستل في إصداره، وأمله في «أن تُطبع اللغة الفصحى التي كُتِب بها القرآن، حتى يتمكن المسيحيون من الرد على المسلمين»[186]، وقبل أن يقدم لنا قائمة بالكتب العربية المنشورة يقول:

> فيما يتصل بالكتب التي نريدها في اللغات الشرقية، (والتي من دونها يضعف مردود الجهد المبذول في دراسة النحو)، أريد أن أقول إن سعيي إلى فقه تلك اللغات قد فَتر عند التفكير في هذا الأمر، وإن الكتب المطبوعة لا توجد، ولا يوجد إلا المخطوطات، والتي يُحتَفظ بها ولا تُتَاح لجمهور القراء، وإني لا أقدم على ركوب الصعاب واقتناء المفاتيح إذا كنت أعرف

أن الكنز غير موجود. تمنيت كثيرا أن نفهم أن تقدمنا في هذه الدراسات يحتاج إلى تضحية بالوقت والجهد، وأن واجبنا دفع بعض الموهوبين لدراسة هذه اللغات، وأن نشجعهم على السفر إلى مصر وبلاد فارس وما إلى ذلك من الأقطار الشرقية، ليتمكنوا من شراء هذه الكنوز الفكرية التي تفيد في ثراء المعرفة عندنا، فليس من المستساغ أن ينصب اهتمامنا على أصماغهم وتوابلهم، مما يضيف إلى بذخنا وغرورنا، أكثر من اهتمامنا بفكرهم، وما يحتفظون به في خزائنهم من قديم التراث الذي كان فخر عصورهم[187].

كان التطور الرئيس في كيمبردج بعد عودة الملكية هو قرار توماس آدمز (الذي كان قد نال رتبة البارونية في العام 1660 لولائه للقضية الملكية)، إحياءَ منصب أستاذ اللغة العربية، ورصد المبالغ اللازمة لذلك بشكل دائم. وقد وُضِع هذا القرار حيز التنفيذ في العام 1666، بعد أكثر من عام من المفاوضات بين السير توماس آدمز والجامعة. كان أول أستاذ للغة العربية هو إدموند كاستل، وكان كاستل قد أصاب شهرة كأفضل مستعرب بين خريجي جامعة كيمبردج من خلال اشتراكه في العمل في إخراج الكتاب المقدس متعدد اللغات، واشتراكه بعد ذلك في المعجم ذي اللغات السبع، وكان لم يزل تحت النشر على رغم مرور ثماني سنوات على الانتهاء منه. وقد أقدم أيضا، في العام 1660، على نشر كتيب بعنوان: «شمس الشرق تشرق على إنجلترا برعاية جلالة الملك تشارلز الثاني» Sol Angliae Oriens Auspiciis Caroli II Regum Gloriosissimi Sol Angliae Oriens، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد بكل اللغات التي مثلها المعجم، احتفالا بعودة الملك تشارلز الثاني، وانتهز الفرصة ليكتب دفاعا عن المعجم[188]. ألقى كاستل محاضرته الاستهلالية التي كان موضوعها «الاستفادة من أعمال ابن سينا في الطب لفهم النباتات المذكورة في الكتاب المقدس»، وقام أيضا بنشره[189]، وكان من المفيد لأحوال الدراسات العربية في كيمبردج أن يُطبع في لندن، وتحديدا في مطبعة رويكروفت. زد على ذلك أن كاستل كان مخلصا في حث الناس على حضور محاضراته، وكان مخلصا في وعوده لهم بأن يواصل هذه المحاضرات بعد الانتهاء من العمل العظيم في المعجم. واستغرق ذلك منه ثلاثة أعوام أخرى من السهر والعمل الشاق، كان في أثنائها يعيش في لندن ليشرف على الطباعة. مكث في كيمبردج، حيث

كان لايتفُت يوفر لـه حجرات في قاعة القديسة كاثرين، ما يتيح لـه إلقاء محاضراته بانتظام. وفيما بين العامين 1668 و1669 أقدم مجلس العمداء على إعفائه من إلقاء هذه المحاضرات[190]. وحتى بعد نشر المعجم، قضى كاستِل بعض الوقت في لندن يحاول ترتيب عملية بيع النسخ المطبوعة. ولم يُتَح لـه الحصول على شقة دائمة في كيمبردج إلا في العام 1671، حيث كان قريبا جدا من كلية القديس جون.

من جهة أخرى سعى كاستل بجِد إلى تطوير مقتنيات مكتبة جامعة كيمبردج من المخطوطات العربية عندما حمل الجامعة على الحصول على مخطوطات يوليوس بهذه اللغة. وبعد وفاة يوليوس قرر ابناه بيع جميع مخطوطاته مرة واحدة. من الواضح أن جامعة لايدن كانت إما عاجزة ماليا عن شراء هذه المخطوطات، وإما أنها رغبت عن امتلاكها، وظهر أن الاهتمام بهذه المخطوطات كان أكبر في إنجلترا منه في أي مكان آخر. الدليل المبكر على هذا رأيته في رسالة من مارشال إلى كلارك في الثامن من ديسمبر العام 1667 بالتقويم الغريغوري، حيث يقول فيها إنه تسلم فعلا رسائل من كل من كلارك وكاستل يعبران فيها عن اهتمامهما بالمخطوطات، ويعدان بإرسال دليل مطبوع للمجموعة قيد الإعداد. وقال أيضا في تلك الرسالة إن المنافس الوحيد الذي يخشاه هو كولبرت في فرنسا. كان مارشال لايزال ينتظر أن يُرسل إليه الدليل من لايدن في 14/4 ديسمبر العام 1668، ولكنه علم حينئذ أن الثمن المطلوب للمخطوطات كان يعادل أربعمائة جنيه إسترليني[191]. وفي يوم 22/12 فبراير من العام 1669 أرسل مارشال نسخا من الدليل إلى جامعتي أكسفورد وكيمبردج، وطلب من تيودوروس يوليوس أن يؤجل البيع حتى يأتيه الرد من إنجلترا، ويمضي في القول:

> تلقيت وصفا مستفيضا للنشاط الذي يقوم به رجال كيمبردج بهدف الحصول على الكتب بأنفسهم، وصديقنا الطبيب الدكتور كاستل يبذل الجهد الجهيد في توصيل الأمر إلى ولي الأمر في القصر، ونقابة التجار في لندن. وكانت النتيجة أن جلالته سوف يتكفل بشراء كل كتب الكيمياء (كما قيل) بأي سعر، وعرض بعض الأصدقاء جمع المال لشراء المخطوطات كلها لمصلحة كيمبردج، بيد أن الرشوة لاتزال مطلوبة. آمالنا معلقة الآن على أكسفورد، وقد سمعت عن حماسهم قبل الآن[192].

من ناحية أخرى، أسهم الدليل المطبوع في تثبيط همة القائمين على جامعة

أكسفورد. كتب برنارد إلى كلارك من لندن وهو في طريقه إلى هولندا في يناير من العام 1669 يقول: «أتعجب من أمر هذا الدليل الذي أرسله إليك السيد مارشال، فلدى يوليوس كثير من المخطوطات، وأفضل من المخطوطات المذكورة في الدليل»[193]، ويعبر بوكوك عن التأثير نفسه وبشيء كثير من التفصيل في رسالة إلى برنارد، الذي كان قد وصل إلى لايدن، في الثامن من فبراير من العام 1669، يقول:

النسخة المطبوعة من دليل مخطوطات يوليوس التي وصلتني مملوءة بالأغلاط، وطبعتها سيئة للغاية، وقد فهمت منها أن أفضل مقتنياته من الكتب وأكرمها غير موجودة هنا، فقد كان يستشهد بمؤلفين أكثر ثراء من هؤلاء، وإذ لم تكن قد خدعتني عيناي، فقد رأيت قبل اليوم على الأقل كتابا واحدا لـه لم أجده في هذا الدليل، وما قيمة يوليوس من دون معجمه العربي اللاتيني، فلسنا هنا في حضرة القاموس ولا في حضرة الجوهري ولا أي شخصية من الشخصيات صاحبة الصيت[194].

من الواضح أن كلارك كتب إلى مارشال باللغة نفسها التي كتب بها بوكوك، فقد رد مارشال بأنه إذا كانت الكتب المفقودة موجودة في مكتبة لايدن، فإن يوليوس لم يكن في حاجة إلى الحصول عليها بنفسه، وراح يجادل بأنه إذا بدا مبلغ الأربعمائة جنيه كبيرا، فقد كان مجرد السعر الأعلى، وقد يقبل الورثة عرضا أقل[195]. الأكثر وضوحا أن جامعة أكسفورد لم تقدم أي عرض لشراء هذه المخطوطات. كانت وجهة نظر بوكوك في أن السعر مبالغ فيه صحيحة[196]، وهذا ما دل عليه تصرف مارش حين أقدم على شراء المخطوطات كلها دفعة واحدة، بما فيها المخطوطات النادرة، بمبلغ لا يزيد على مائتين وعشرين جنيها إسترلينيّا، وذلك عندما عُرضت المجموعة كلها في المزاد في العام 1696. لم يُحدث تقرير مارشال الذي كتب فيه أن السعر الأعلى قد نزل إلى ثلاثمائة جنيه لا غير، أي اختلاف[197]. بيد أن كيمبردج استمرت تُظهِر الاهتمام بالمخطوطات، ووفق ما ينبئنا توماس سمِث، قدمت الجامعة سعرا عاليا جدا لورثة يوليوس في العام 1668/ 1669، ولكن العرض رُفِض[198]. وهنا يحق لنا الشك في أن العرض قُدّم بالفعل، فقد أخفق أوتس في أن يجد أي دليل على هذا العرض في ملفات كيمبردج، وخلص أوتس إلى أن العرض لم يكن إلا إشاعة زائفة أشاعها الورثة. ونحن نعلم أن سمِث لا يُعتمد عليه، وغير موثوق به، غير أنه في هذا الموقف كان يحصل على المعلومات مباشرة من برنارد، وكان برنارد موجودا في لايدن

لمدة ثلاثة أشهر من العام 1669. أضف إلى ذلك أن كاستِل نَشِط – كما رأينا – في لندن، فكان يجتهد في إغراء بعض أصدقائه في كيمبردج بالشراء. كان لايزال يسعى إلى الحصول على المخطوطات لمكتبة كيمبردج بين العامين 1673 و1774، فكتب إلى بوكوك – وفق ما يخبرنا تولِز – في العام 1673 أن هناك شخصا من خاصة معارفه - كما يقول - كان يرغب في عرض مبلغ وقدره سبعمائة جنيه إسترليني[199]. فهل صح هذا الخبر؟ وإن صح، أليس غريبا أن الصفقة لم تتم؟ قرأنا رسائل برنارد، ووجدنا فيها قليلا من الضوء. ففي نوفمبر العام 1671 أخبر توماس غيل Thomas Gale، أستاذ اللغة اليونانية في كيمبردج، أن أوختمان Uchtman كان قد كتب إليه عن سلوك يوليوس المراوغ، وأنه يتوقع أن يتوصل الطرفان إلى مبلغ كبير[200]. يوحي هذا بأن كيمبردج كانت قد عرضت فعلا مبلغا من المال، ففي الخامس من مارس من العام 1673/ 1674 طلب برنارد من لايتفُت يقول: «من فضلك، هل يوجد أمل في أن تشتري كتب يوليوس؟» وبعد أن أجابه لايتفُت بأن التقدم في هذا الموضوع قد توقف، وأنه لم يرَ كاستل، أخبره فيما بعد: «لقد تجدد الحديث في مسألة شراء كتب يوليوس مرة أخرى، وذلك بإلحاح الدكتور كاستل وحماس المتقدم بالعرض نائب رئيس الجامعة» (جون سبنسر، عميد كلية كوربس كرستي). وأجاب برنارد في الثامن من يوليو:

أحيطك علما بأن الدكتور مارشال (وهو يُقرئك السلام) مهتمٌ جدا بملاحقة كتب يوليوس، وسوف يعمل أقصى ما يستطيع لضرب السعر، والتأثير في الشراء المطلوب، وقد أبدى لي استعداده للسفر إلى كيمبردج وشرح كل ما يعرفه عن الصفقة، وهو ما يتمنى أن يراه قد تم.

قدم خدماته لـ كاستل، وهنأه على «حماسه ونجاحه المحتمل في الحصول على كتب يوليوس»[201]. وعلى رغم تفاؤل برنارد، فقد كان هذا آخر ما سمعناه عن جهود كاستل[202]، وليس من شك عندي في أنها انتهت إلى الإخفاق التام.

(9) كاستِل والمعجم ذو اللغات السبع

يُذكر كاستل أكثر ما يُذكر بإنجازه «المعجم ذا اللغات السبع»، وهو العمل الذي قضى فيه الجزء الأهم من حياته[203]. استُلهِم هذا المعجم من مشروع الكتاب

المقدس متعدد اللغات، وعلى رغم أن جذوره الأولى لاتزال غامضة، فمن المرجح أنه عندما شارف مشروع الكتاب المقدس متعدد اللغات على الانتهاء، نهضت قضية الاستفادة من المطبعة والحروف الطباعية التي حصل عليها القائمون على المعجم وخصيصا من أجله. طُرِحت فكرة إصدار معجم يضم جميع اللغات الشرقية التي استُخدمت في الكتاب المقدس متعدد اللغات، أي اللغات السامية الست، وهي العبرية والكلدية والسريانية والسامرية والحبشية والعربية والفارسية. علينا أولا أن نُسَلّم بأن أولئك الذين اكتتبوا في مشروع الكتاب المقدس هم أنفسهم المهتمون بالاكتتاب في مشروع المعجم الذي كان سيساعد على قراءة الكتاب المقدس متعدد اللغات[204]. أضف إلى ذلك أن مشروع المعجم سيواصل ما بدأه مشروع الكتاب المقدس في استثمار المطابع نفسها، واستمرار توفير العمل للفنيين القائمين على تشغيلها، وكذلك لأولئك الذين كانوا يشرفون على إصدار الكتاب المقدس. ليس من اليسير التوصل إلى صاحب الفكرة، وقد زعم كاستل فيما بعد أنه استحسن الفكرة بعد أن عرضها عليه نفرٌ من ذوي الفطنة والامتياز في هذه الأمة، الذين لم تُذكر أسماؤهم، ولكن والتون كان من بينهم[205]. من جهة أخرى، كان والتون أول المتحمسين لهذا المشروع، وهذا واضح من الرسالة التي بعث بها إلى لايتفُت في الثاني من ديسمبر من العام 1657، وأرفق فيها مسوّدة المشروع ومستقبل العمل الذي – كما يقول:

لم يكن، على الأقل في الوقت الراهن، مُخططا لـه، «واضطلعنا به كما اضطلع به آخرون تحت إلحاح مُورِس علينا... ففي أكثر من نصف السنين التي عشت، أُقِر وأعترف بأنني كنت في بعض الأحيان أفكر في هذا العمل، وأهتم به، وكنت أقول في نفسي إن الأقدار هي التي أرادت، وأن بعض المتنفذين مثل مساعد الأسقف السيد كلارك، وهو المتمرس الوحيد في هذه الدراسات، قد أنجز فتحا مبينا في عمل كهذا توفرنا عليه منذ سنين[206].

في أوائل العام 1658 أصدر دليلا مطبوعا وعينة بعنوان «معجم اللغات الشرقية»، وفيه دعوة إلى الاكتتاب لهذا العمل، مشفوعة بتوصية من والتون وبوكوك من بين آخرين[207]. أما العلماء الذين وقع عليهم الاختيار للإشراف على العمل فهم، بالإضافة إلى كاستل، صامويل كلارك، وألكساندر هيويش. وقد لعب هيويش دورا

بارزا في تصحيح الكتاب المقدس متعدد اللغات، ولكن المعلومات المتصلة بمهاراته في اللغات الشرقية معلومات قليلة، لأنه – وفق ما يزعم والتون – كان مستغرقا في دراسة النصوص اليونانية واللاتينية. كان من خريجي أكسفورد الذين حُرِموا من الامتيازات لولائهم للحزب الملكي وتشيعهم لـ لـود رئيس الأساقفة[208]. وَقّع كاستل وكلارك وهيويش على مذكرة لعرضها على اللورد كروموِل، رئيس الجمهورية في ذلك الوقت - وهي ليست مؤرخة، ولكنها بالتأكيد تعود إلى العام 1658 - أيضا بطلب الحصول على التسهيلات نفسها التي حصل عليها للقائمين على الكتاب المقدس متعدد اللغات، ومنها استيراد عدد خمسة آلاف رزمة ورق ملكي معفاة من الضرائب. وبعد الإعلان عن انتهاء العمل في الكتاب المقدس متعدد اللغات أكمل الملتمسون:

> فعدم وجود معجم يضم هذه اللغات جميعا، ومنها لغات لا توجد لها معاجم بالمرة، يفقد هذا العمل الممتاز قيمته، ويضيع غرضه، ولذا فإن الملتمسين إلى فخامتكم... يأخذون على عاتقهم الاضطلاع بمهمة جليلة يرغبون في إتمامها، وهي رغبة آخرين أيضا من المتضلعين من المعرفة، أصحاب الفضل في العلم، تأليف هذا المعجم وإذاعته في الناس، وسوف نستفيد قطعا من جهود الذين صنفوا المعاجم قبلنا، وسوف يكون العمل الراهن أزهد تكلفة حتى من المعاجم أحادية اللغة[209].

كان كاستل قد تقدم في الأصل بسعر اكتتاب قدره أربعون شلنا، ولكن هذا المبلغ وصل وقت إصدار الدليل إلى خمسين شلنا، وفي 22 فبراير 1664 وصل إلى أربعة جنيهات إسترلينية[210].

اتكأت خطة العمل في هذا المعجم على المعجم ذي اللغات الخمس الذي أَلّفه فالنتاين شندلر، ونُشر أول مرة في هانو بعد وفاة صاحبه في العام 1612، وقد أُعِيدت طباعته أكثر من مرة، وأُدخِلت عليه تعديلات كثيرة منذ ذلك التاريخ[211]. كانت اللغات الممثلة في هذا المعجم هي العبرية والكلدانية والسريانية والعبرية التلمودية الحاخامية والعربية. عُولِجت اللغات الخمس معا تحت الجذور العبرية، وطُبِعت كلها بحروف الطباعة العبرية. تمت طباعة كل لغة في المعجم ذي اللغات الخمس برسم حروفها الخاصة بها، وتم التخلي في ذلك عن التلمودية الحاخامية

(وهي لا تنفصل في جوهرها عن الكلدانية والعبرية) لمصلحة اللغتين السامرية والإثيوبية، كما جرى الإبقاء على مبدأ ترتيب اللغات على أساس الجذور العبرية، فيما عدا اللغة الفارسية التي تختلف عن سائر هذه اللغات غاية الاختلاف، (كونها – وفق التصنيف الحديث – تنتمي إلى أسرة اللغات الهندية الأوروبية، على رغم أنها تضم كثيرا من المفردات المشتقة من العربية)، ولذا كان ينبغي أن تُعالج منفصلة. وفي النهاية اضطر القائمون على أمر المعجم إلى طباعة المعجم الفارسي وحده في نهاية المجلد الأول. وأما المصادر الأولية[212] التي استُمِد منها المعجم ذو اللغات السبع فهي المعاجم التي كانت موجودة في ذلك الوقت، فاستُعين بمعجم يوليوس في اللغة العربية، واستُعين بقاموس بِدوِل وكان لايزال مخطوطا للمرة الأولى، وربما الأخيرة، وأما بالنسبة إلى العبرية فقد استُعين بقاموس شندلر وبكستورف؛ وفي الكلدانية استُعين بهذين القاموسين إضافة إلى قاموس سباستيان مونستر؛ وفي السريانية استُعين بقاموسي تروستيوس وبكستورف، كما استُعين بقاموس اللغة الأم الذي صنفه بار بهلول (وقد استُعير من كيمبردج)؛ وفي اللغة السامرية استُعين بقاموس «مورينوس» الثلاثي (السامرية والكلدانية والعربية)، والذي كان مارشال قد نسخه وأرسله إلى كاستل من هولندا؛ وفي الإثيوبية استُعين بقاموس «لدولف»؛ وفي اللغة الفارسية كان المصدر الرئيس قاموسا جمعه يوليوس، وكان لايزال مخطوطا، أرسله مارشال من هولندا مُعفَى من الضرائب[213]. من ناحية أخرى، استفاد كاستل وفريقه من عدد كبير من النصوص في لغاتها الأصلية، مطبوعة ومخطوطة، على أنها مصادر إضافية للمفردات، أغلبها نصوص من الكتاب المقدس، ونصوص شعائرية وتلمودية، لكنها تضم أيضا أعمالا لبعض المصادر العلمانية؛ على سبيل المثال، من بين الرسائل العربية التي استُفيد منها رسائل ابن سينا المطبوعة في روما. واللافت هو غياب النصوص التاريخية العربية التي حققها إربِنيوس ويوليوس وبوكوك من قائمة المصادر التي أعدها كاستل.

وما لبث كاستل أن أحاطت به المشكلات من كل حدب وصوب، وكانت أبرز تلك المشكلات وأهمها تتصل بالمتعاونين معه، ففي شهر مايو العام 1658 عُيّن كلارك مديرا لمطبعة الجامعة، فانتقل من لندن إلى أكسفورد. لم يتخل مباشرة عن مشاركته في المعجم، ولكن هل كان يستطيع المشاركة ويلتزم في الوقت نفسه

بالإشراف على المطبعة في أكسفورد؟ فكر كاستل - في البداية – في نقل العمل إلى أكسفورد، وأن ينتقل هو نفسه إلى أكسفورد، كما يقول: «باستبدال منصب كنسي قريب من أكسفورد بمنصبي في إسكس»[214]. يبدو أن هذا قد استُقبِل استقبالا فاترا من قِبل جامعة أكسفورد، فلم نسمع عنه قط بعد العام 1658. في الوقت نفسه كان كاستِل يسعى – من دون نتيجة – إلى إيجاد بديل لـكلارك. خاطب توماس غريفز في الأمر فلم يجد منه إلا نفورا[215]، وسمع من بوكوك استحسانه لانتقال العمل كلـه إلى أكسفورد، وخاطب جيمس لامب من دون أن يظفر منه برد[216]. كان هيويش يسبب المشكلات! راح كاستل يشكو في الرسالة نفسها من مزاج السيد هيويش المتقلب، وطبعه الحرون، «تمنينا لو دفعناه إلى الريف ليعمل هناك، لكنه يكره الريف وأهله»، ثم يهتف لـ كلارك: «سأتنفس الصعداء، ويطمئن قلبي أيما اطمئنان إن أُعفِيت من إتمام هذا العمل الشاق، وذلك الجهد المرهِق». ثم إنه كان على وشك أن يفقد خدمات هايد، الذي كان قد أصبح محاضرا في اللغة العبرية في كلية الملكة في أكسفورد. وفي الثاني من ديسمبر من العام 1658 أرسل إلى كلارك إنذارا نهائيّا يطلب منه أن يرحل أو ينضم إليه وهيويش في المشروع، ثم تنفس الصعداء عندما استقال كلارك[217]. لم أتمكن من تحديد التاريخ الذي هجر فيه هيويش العمل بالضبط، ولكن أغلب الظن أنه هجر العمل في المعجم بعد أن استعاد مناصبه الكنسية بعد عودة الملكية[218].

اضطُر كاستل إلى بذل كثير من الوقت والمال والشكوى خلال السنوات التي تلت هذه التغييرات، في استقطاب المعاونين والإشراف على عملهم، وكان أغلبهم من غير ذوي المقدرة، ولم يثبتوا في العمل في المشروع فترات تُذكر. والحق أن الشخص الوحيد الذي ظل معه أكثر من عام أو عامين هو مارتن موراي، وكان مارتن موراي – على رغم اسمه – شابا ألمانيّا من ولاية غريفسفالت. لم يؤلف موراي شيئا، ولم ينشر شيئا، ولكن كان كاستل يمتدحه لبراعته في اللغة العربية، كما ظهر من رسائله، وفي التصدير الذي كتبه للمعجم، حيث يصف موراي بعبارات مثل: «معلم حر في طبعه، فيه مسحة عبقرية، ولديه خمس مجموعات من المخطوطات المتصلة باللغة العربية». ولما كان كاستل قد ذكر أول مرة: «السيد موراي، صاحب البراعة في اللغات»، وذلك في رسالة في 17 نوفمبر من العام 1658[219]، فلا بد أنه ظل يعمل

في المعجم حتى العام 1665[220]. غير أن موللر، الذي قابل موراي في هامبورغ في العام 1682، يزعم أنه قضى عشرة أعوام مع كاستل[221]، وهذا أدل على أنه مكث معه حتى بدأت الطباعة التي أُنجِزت في العام 1669. وفي السابع والعشرين من مارس من العام 1659 كتب كاستل إلى كلارك يخبره بأن موراي هو مساعده الوحيد، ولكن في يوم 21 من نوفمبر من العام نفسه، كان هناك خمسة يعملون في مشروع المعجم (بمن فيهم هو وهيويش)، وفي الرابع من أبريل من العام 1661 كتب يقول:

> توافر لدي الآن عددٌ غير قليل من المساعدين، يصل إلى عشرة أو اثني عشر، بين مواطن وأجنبي، بعضهم يتقن العمل في لغات المعجم، وبعضهم استنفد مني مبالغ طائلة، وكان محصولهم من الفائدة قليلا، أقل مما قد يذهب به خيالك، يجعلون من هذا العمل الشاق المهلك، الذي هو عبء أُلقِي على كاهلي، مصدرا للتسلية والترويح عن أنفسهم[222].

من الواضح أن أولئك المعاونين لم يكونوا يعملون في وقت واحد. نستطيع أن نتعرف على بعضهم. لقد أشرنا منذ حين إلى أن برنارد دُعيَ إلى الانضمام إلى العمل في هذا المعجم، ولكنه لم يُلبِ الدعوة. ويذكر كاستل - في تصديره للمعجم – أن موراي ووليام بيفردج كانا مساعدَيه في اللغة السريانية، كما كان جيه. إم. واينسلبن مساعده في الإثيوبية. وفي مسوّدة رسالة إلى بيفردج في الرابع من فبراير من العام 1662، يشكو كاستل من اضطراره إلى منحه بعض المال، ويشكو في الوقت نفسه من ضعفه في العمل، فيخاطبه قائلا: «فيما يتصل بما تقوم به أضطر إلى مراجعته باستمرار، ودائما أجد أخطاء أصلحها، أو زيادات أحذفها»[223]. أما أفضل مصدر للمعلومات فيما يتصل بمشاركة وانسلبِن (أو وانسلِب) فوجدناه في رسالة من روبرت هنتنغتون إلى جون كوفِل (كاهن القسطنطينية، وهناك قابل وانسلبِن) في التاسع عشر من أكتوبر من العام 1674 يقول فيها: «وانسلبِن ألماني، ابن أحد القساوسة في إيرفورت أو بالقرب منها، استعان به الدكتور كاستل في السابق لعامين أو ثلاثة أعوام في الإشراف على الجزء الإثيوبي من المعجم» [224]. الثابت أن وانسلبِن Wansleben كان في لندن في العام 1661، عندما كان يشرف على طباعة «معجم لدولف» الإثيوبي (وسنتحدث عنه بعد حين). نستطيع التثبت من فترة إقامته بشكل أكثر دقة، إذا استطعنا تحديد تاريخ المشاجرة التي نشبت بينه وبين أحد مساعدي كاستل، المدعو

تواضروس بطرس، والتي رواها موللر عن رواية «أيوب لدولف». فقد سُرِقت بعض مخطوطات بطرس الإثيوبية، ووصلت إلى أيدي وانسلبِن الذي شرع في نسخها، وعندما علم بطرس بذلك عمد إلى نزعها من يديه بالقوة[225]. أُرسل وانسلبِن إلى مصر بعد عودته إلى ألمانيا، أرسله إلى هناك الدوق إرنست من ساكس غوثا»، ولكنه تحول إلى الكاثوليكية، وأصبح قسّا من طائفة الدومنيكان، وراح يجمع المخطوطات لحساب الوزير الفرنسي كولبرت[226]. كان بطرس، المقبل من شلسفيغ هولستاين Schleswig-Holstein في إنجلترا في نوفمبر العام 1659 [227]، وزارها مرة أخرى في العام 1661، مهتما باللغة الإثيوبية واللغة القبطية أيضا[228]. ولعل عمله في معجم كاستل يعود إما إلى هذه الفترة أو تلك، أو إلى كلتا الفترتين معا. وفي التاسع من سبتمبر العام 1661 كتب ورثنغتون إلى هارتلب بأن: بطرس وبعضهم من الذين كانوا يساعدونه (أي: كاستِل) ربما اضطُروا إلى التخلي عن العمل، بسبب العجز عن القيام به، وتحمل مثل هذا الجهد الهرقلي»[229].

ليس من شك في أن هذا كان السبب الذي زعمه كاستل. من جهة أخرى، إن دل تيار الشكاوى الذي انساب عبر الرسائل الكثيرة التي كتبها كاستِل، والتي نجت من الإثني عشر عاما التي قضاها في عمله في المعجم، على شيء فإنما يدل على أن كاستل – على النقيض من والتون – كان ضعيفا في الإدارة غاية الضعف. ومن حقنا أن نظن أن أحد أسباب المدة الطويلة التي استغرقها العمل في هذا المعجم، وهجرة المساعدين في العمل فيه، هو أن كاستل كان يصر على مراجعة ما قاموا به بنفسه، والأرجح أنه كان يُدخِل فيه تعديلات جوهرية. ظهرت عدم صلاحيته في إدارة مشروع كهذا أكثر ما ظهرت في سوء إدارته للشؤون المالية ذات الصلة. كانت الخطة تتلخص في أن تغطي أموال الاكتتاب تكاليف المطبعة، ورواتب المشرفين والمساعدين[230]، وكان من المفترض أن يكفي سعر الاكتتاب الأصلي، وهو خمسون شلنا، تكاليف الكتاب كلها، وأن يكتمل المشروع في غضون سنوات قليلة. يبدو أن المطابع قد جُهِّزت للعمل في وقت قصير، ما كان يعني ضرورة دفع رواتب لأولئك الفنيين والعمال الذين بدأوا العمل. ولكن أدت التأخيرات التي حدثت بسبب انسحاب كلارك، وتردد كاستل في اتخاذ القرارات، مضافا إلى ذلك إمساك المكتتبين، أو اختلاسات بعض المؤتَمنين على أموالهم، إلى خزانة خاوية في نهاية المطاف. كانت

هناك مشكلات أخرى لم يكن لـ كاستل فيها يد. فقد كتب إلى كلارك ساخطا في السابع عشر من نوفمبر من العام 1658 يقول: «أمس تقدم لي الدكتور والتون بطلب غريب يجري على غير ما أرغب، ولكنه يصر عليه بحكم مكانته، فهو يقول: مادامت الحروف والآلات ملكه، وبعد أن فرغنا من طباعة كل الصحائف التي نريد طباعتها، يريد أن يشتري ورقا ويدفع أجور العمال ليقوموا بطباعة عدد من النسخ من المعجم لحسابه مثلما فعل مع الكتاب المقدس متعدد اللغات»[231]. وظل والتون يلح على طلب عدد مائتين وخمسين نسخة مجانية حتى بعد أن اشترى منه رويكروفت المطابع والحروف، ولكن حسن الحظ حالف كاستل فمات والتون قبل أن تخرج تلك النسخ من المطبعة.

جرب كاستل أكثر من حل لتلك المشكلات التي كان يواجهها. استأجر المزيد من المساعدين سعيا إلى تسريع إيقاع العمل، ولكن - كما رأينا - كان أولئك المساعدون موضع سخطه وتبرمه على الدوام، أضف إلى ذلك أنه كان مضطرا إلى دفع مخصصاتهم كاملة. حاول استقطاب مزيد من المكتتبين مستعينا ببعض أصدقائه من ذوي النفوذ. وفي العام 1660 أرسل الملك العائد خطابا يوصي فيه بتخصيص عدد من النسخ للأساقفة والكنيسة الأسقفية، ونسخ أخرى توزع على الأشراف والنبلاء، وفي العام 1663 أرسل شلـدُن (رئيس الأساقفة) خطابا مماثلا إلى جميع الأساقفة يوصيهم فيه باقتناء المعجم[232]. على رغم ذلك كلـه لم تسفر هذه المؤثرات إلا عن سبعمائة جنيه إسترليني، أغلبها جُمِعت بفضل جهود «سِث وارد» أسقف سالزبوري، وهو مبلغ يقل كثيرا عن المبلغ الذي كان كاستل قد أنفقه بالفعل من أرصدته الخاصة. حاول كاستل أيضا أن يدير المطبعة إدارة تعود بالفائدة، فبعد انسحاب كلارك هيويش، وافق رويكروفت (اختصاصي الطباعة) على أن يصبح شريكا لـ كاستل في المشروع. أدرك كاستل أنه كان يرتكب خطأ عندما كان يرسل «الشُغْل» إلى المطبعة فور الانتهاء منه، حيث أدى السير البطيء في العمل إلى تعطيل المطابع، وعدم جاهزيتها للطباعة. فقد خرج المجلد الأول، وأُرسِل إلى المكتتبين في العام 1661، خاليا من التصدير والمقدمة والمعجم الفارسي[233]. ثم راح ورثنغتون يشرح لـ هارتلب في الثالث من فبراير من العام 1662 كيف تغيرت خطة كاستِل في المجلد الثاني:

لم نرسل المجلد الثاني من المعجم متعدد اللغات إلى المطبعة بعدُ، ولن نطبع شيئا آخر إلا بعد الفراغ من إعداد العمل كاملا... فلم نطمئن إلى القيام بطباعة المجلد الأول من المعجم قبل أن يفرغوا من إعداده للمطبعة، مما تسبب في توقف الطباعة في كثير من الأحيان، ومع ذلك كنا مضطرين إلى دفع رواتب العاملين، وإلا تركونا، ما يزيد تكلفة العمل[234].

حاول كاستل ورويكروفت تحقيق أقصى استفادة من المطابع في أثناء الفترة التي تتوقف فيها عن الطباعة في انتظار المجلد الثاني، فعمدا إلى طباعة كتب أخرى. ومن ثم بدآ في طباعة المعجم الإثيوبي لصاحبه أيوب لدولف في العام 1661، والذي أشرف عليه وانسلبِن. ومن المرجح أنهما شرعا في إصدار كتاب لـبطرس في العام نفسه، فقد كان في لندن في ذلك الوقت، وكان رويكروفت قد طبع لـه صفحة كعينة تضم المزمور الأول باللغات القبطية والعربية واللاتينية قبل ذلك بعامين[235]. من ناحية أخرى، لم تكن حروف اللغة القبطية متاحة للطباعة في إنجلترا، وكانت الكتب القبطية تُطبع بحروف يونانية، ونجد في صفحة العينة أنه تم التعبير عن النية في طباعة المزامير القبطية كلـها بحروف قبطية[236].

على رغم كل هذه الجهود، كان المشروع يسير من خسارة إلى أخرى، ففي الثلاثين من سبتمبر من العام 1663 أخبر كاستل كلارك أن رويكروفت قد انسحب كشريك. وهو يمضي في القول في الرسالة نفسها: «والآن أبيع آخر جزء مما كنت أمتلك من أرض أو بيت، من دون أدنى ندم، والحمد لله فقد ترك لي أجدادي ميراثا معتبرا لا أحسب أن هناك شخصا أكثر مني حظا في إسِكْسْ كلها، وقد عقدت النية على أن أوفر المال لهذا المشروع الكبير»[237]. راح يدعم المشروع من ماله الخاص بعض الأعوام، ببيع أجزاء من عقاراته وميراثه[238]. وزعم كاستل أنه أنفق في النهاية ما لا يقل عن اثني عشر ألفا من الجنيهات الإسترلينية من ماله الخاص على معجمه[239]. ولم تكن تلك آخر الخطوب التي تعرض لها، فقد تعرضت ثلاثمائة نسخة من المجلد الأول، ومعها عددٌ من كتبه، للتدمير في الحريق الكبير المعروف الذي اجتاح لندن في العام 1666. ومن مفارقات الدهر وابتلاءاته أن يُودع السجن بعد وفاة أخيه، بسبب ديون كانت تخص المرحوم[240]. وحتى بعد أن أكتمل العمل في العام 1669، كانت النسخ الباقية كثيرة جدا. كان لديه أكثر من ألف نسخة، كما

كتب في رسالة إلى زميل لـه في كلية القديس جون[241]. وهذا على رغم مناشداته الكثيرة للأساقفة الذين أرسل إليهم ما لا يقل عن مائة رسالة، ولم تنتهِ إلا إلى خمسة طلبات للاكتتاب. ظلت أغلب هذه النسخ في بيته عند وفاته في يناير العام 1686، فقد كتب في وصيته بتاريخ 24 أكتوبر من العام 1685، يوصي بمائة نسخة من المعجم لـهنري كومبتون، أسقف لندن، ومائة نسخة لخمسة من أقربائه[242]. ويروي نِكولاس في وقائعه الأدبية الخاتمة الحزينة[243]:

> من المفترض أن خمسمائة نسخة من معجمه لم تُبَعْ عند وفاته. وضعتها السيدة كرسب Mrs. Crisp، ابنة أخت الدكتور كاستل، وكانت قائمة على تنفيذ وصيته، في حجرة في أحد البيوت التي كانت تؤجرها في مارتن، من أعمال مقاطعة سري Surrey، حيث ظلت لسنوات متعددة نهبا للفئران التي كانت لها صولات وجولات، تخريبا وتدميرا، فلما طلبها أصحابها من هذه السيدة، عز أن يجدوا منها مجلدا واحدا يمكن جمعه من الأجزاء المقروضة أو المدمرة، وبِيعَ ذلك الركام الممزق كلـه بسبعة جنيهات.

ليس من اليسير على قارئ اطّلع على رسائل كاستل منذ الأعوام التي عمل في أثنائها في المعجم، وفي كل رسالة منها يجلد ذاته ويشكو همه، أن يغفل حبه الشديد للعلم، وإخلاصه للبحث. إن جهوده لم تذهب هباء، فقد عُيِّن قسيسا في القصر الملكي في العام 1665، ومُنِح في العام 1667 راتبا على ذلك من كانتربري (مُعفَى من الحضور). أضف إلى ذلك أيضا أنه أصبح أستاذا للغة العربية في كيمبردج، على رغم أنه راح يشكو لـكلارك في العام 1667، يقول: «لغتي العربية تعرضت للصدأ في كيمبردج، ولا أظنني قائما على هذا العمل العام ما ينبغي»[244]. على أي حال، تعرض كاستل بسبب إخلاصه لهذا المشروع لخطوب كثيرة، واضطُر إلى بيع ما كان يمتلكه من عقار، إلى جانب الخراب الذي تسلل إلى روحه وجسده، وخاصة عينيه[245]، ولم يكن ليحتمل المزيد. والباحث لا يملك إلا أن يُعجب أيما إعجاب بعزيمته التي لا تلين حتى اكتمل المشروع بعد سنوات متعددة، وإن كان بعض التأخير يعود إلى ما كان في طبعه من حمق، وما كان في منهجه في الإدارة من عيوب. ولسوء الحظ ليس من اليسير أن نخلص إلى أن ما تم من إنجازه يشفع لهذه النفقات الرهيبة من الجهد والمال. لم يفهم القراء هذا العمل حق فهمه؛

فقد كان القرار الذي يقضي باتباع المنهج الذي اتبعه شندلر في كتابه القديم، الذي يجمع اللغات الرئيسية الست على الجذور العبرية، قرارا كارثيّا حقا. فربما نظفر اليوم ببعض الفائدة من «معجم في اللغات السامية المقارنة»، بعد أن زاد فهمنا للعلاقات بين اللغات المختلفة، ولكن في القرن السابع عشر، عندما ساد الاعتقاد بأن هذه اللغات تنحدر كلها من اللغة العبرية «الأم»، لم يكن ذلك إلا مجلبة للاضطراب والخطأ. لقد أصبحت محاولة الاستفادة من المعجم سباعي اللغة في فهم أي لغة من اللغات الست ذات الصلة، ضربا من التمرين على الصبر، ومجلبة لإحباط لا مفر منه. كان ذلك واضحا للكثيرين من العلماء المعاصرين لـكاستل، حتى قبل أن يُنشر العمل. ففي أوائل شهر مارس من العام 1659، أخبر كاستل كلارك يقول بالحرف: «السيد كرومهولم، والسيد وود، والسيد لتلتون، ونفرٌ من أفضل العارفين بالعربية «هنا»، وكثيرون غيرهم، يناشدونني تغيير المنهج الذي وضعناه أساسا لنا في عملنا، وأن أفصل بين اللغات كل على حدة»[246]، ولكنه رفض بالطبع. إذن، فرغم أن المعجم استفاد بالتأكيد من معجم يوليوس العربي، واستفاد من الجهود السابقة عليه كلها، فإنه لم يقُم بديلا عن معجم يوليوس. كان العمل كما قدمه كاستل عديم الفائدة من الناحية العملية بالنسبة إلى الطالب الذي يريد أن يقرأ الكتاب المقدس متعدد اللغات، أو أي نص آخر. إنه ينطوي على الكثير من المعلومات القيمة، ولكن هذه المعلومات القيمة تحتاج إلى جهد جهيد لاستخراجها. وقد وجُد بالفعل من يستفيد منه في مجال اللغة السريانية، وهو الدكتور جون دافيد ميكالِس، أحد علماء الكتاب المقدس البارزين في القرن الثامن عشر[247]. على رغم ذلك كلـه، لا يمكن أن ننسب إخفاق المعجم في جذب العدد الكافي من المكتتبين إلى جوانب القصور في الأمور البحثية على وجه التخصيص. كان عدد الذين يرغبون في شراء النصوص المقدسة مثل الكتاب المقدس متعدد اللغات، أكثر بكثير من عدد أولئك الذين كانوا يسعون فعلا إلى الاطلاع على اللغات الغريبة فيه، وكان معجم اللغات السامية هذا موجها في الأساس إلى هذه القلة من القراء. ومع ذلك، لو قُدر لهذا المعجم أن يظهر متزامنا مع صدور الكتاب المقدس، أو بعده مباشرة كما كانت تقتضي الخطة، لكانت فرصه في الذيوع والانتشار أفضل بكثير. فلقد أدت تأخيرات كاستل إلى دخول المعجم في الفترة التي بدأ فيها الاهتمام

باللغات الشرقية واحترامها في إنجلترا يقل، أو يتراجع، خاصة بين رجال الدين الذين كان يرسل إليهم المناشدات لمد يد العون.

(10) العربية في مدرسة «وستمنستر»

من الملامح المرموقة في مجال دراسة اللغة العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا أن العربية أصبحت جزءا من المقررات الدراسية في المدرسة الأجرومية، والتي كانت تُسمى مدرسة «وستمنستر». وكان ذلك يعود بصورة قاطعة إلى حماس رجل واحد هو رتشارد بوسبي، الذي استهل عهده الطويل في نظارة هذه المدرسة في العام 1638. تنبئنا فقرة في «يوميات» إيفلين كثيرا ما يُستشهد بها في هذا الخصوص، أنه في يوم الثالث عشر من مايو العام 1661 يسجل:

> سمعت ورأيت بنفسي هذه التدريبات التي وقع اختيار علماء مدرسة وستمنستر عليها لإرسالها إلى الجامعات، باللاتينية واليونانية والعبرية والعربية ولغات أخرى، وفيها موضوعات وقصائد مرتجلة أدهشتني وحظيت بإعجابي، قالها صبية صغار رُزِقوا الموهبة والذكاء، ولا يتجاوز سن بعضهم الثانية عشرة: أو الثالثة عشرة، وإني لأشفق على ما يحفظونه ويبدعونه اليوم، فينسونه ولا يستثمرونه غدا حين يبلغون مبلغ الرجال، مع أن بعضهم قد بلغ مبلغ الرجال بالفعل[(248)].

بدأ تدريس العبرية في مدرسة وستمنستر منذ زمن طويل، وشهدت ازدهارا كبيرا منذ ولاية لانسلوت أندروز عميدا للمدرسة في أوائل القرن. ومعروف أن بوسبي Busby كان قد قرر تعزيز مقرر العبرية في المدرسة بمقرر آخر هو مقرر اللغة العربية أيضا. تقتصر الأدلة المتصلة بوجود اللغة العربية في مدرسة وستمنستر، كالدليل الذي وجدناه عند إيفلِن منذ قليل، على الفترة التي أعقبت عودة الملك. على سبيل المثال، يكتب كاستل إلى كلارك في السابع عشر من يوليو من العام 1667 يقول:

> أرسل إليك أيضا بعض الأوراق أعطاها لي الدكتور بوسبي الذي يقرئك السلام، ويكن لك كل الاحترام، يرغب في أن تجول فيها ببصرك، وتجري عليها دقيق ما تجريه من نقد وتبديل وتنقيح للعبرية والكلدانية والعربية، وما إلى ذلك من الأوراق التي أرسلها إليك، وأن تعرضها على الدكتور بوكوك

(وإليه أيضا أرسل أصدق التحيات) وقد كنت كتبت إليه، وكذلك فعل الدكتور من دون علمنا بحاله، وأخشى ما نخشاه أن تصله في وقت لا يناسبه. طلبنا هو أنه قد يسره أيضا أن يفعل ذلك معك، فيقرأ ويمعن القراءة، ويحكم ويتحرى الصواب في الحكم وما إلى ذلك بكل الدقة التي استخدمها معك. وبعد هذا الأمل فإن الدكتور بوسبي يعفيك من هذا العناء الذي طلبه منك في ترجمة تلك الأجزاء التي وعدت[249].

وقد وجدت دليلا مبكرا جدا ومهما في الكتاب الذي ألّفه «هول» الصادر في العام 1660 – وقد فرغ من كتابته في العام 1659 – يقول فيه: «ليس من قبيل التزين الهين، أو المديح القليل، أن يُظهر الدارسون في مدرسة وستمنستر في الوقت الراهن براعتهم في الخطابة وقرض الشعر في اللغتين العبرية والعربية وسائر اللغات الشرقية، ما كان يدهش أغلب الزائرين والسامعين، مما يستثير حسدهم، ويُسْخِطهم على جهلهم»[250]. يوحي اهتمام هــول وإيفلِن بتلك الاستعراضات العلنية بالعلم بالعبرية والعربية التي يُظهِرها فتية وستمنستر قبيل وبعد عودة الملكية، ببداية ذيوع هذه اللغات في ذلك الوقت، وربما يُظْهِر الحماس الذي شاع في لندن مع صدور الطبعة الأولى من الكتاب المقدس متعدد اللغات في خمسينيات القرن السابع عشر [251]. متى بدأ بوسبي نفسه يهتم بالعربية؟[252]، ومتى بدأ تدريس العربية في وستمنستر؟ سؤالان لا نستطيع أن نجيب عنهما بدقة. على أية حال، إذا كان أولئك الذين تخرجوا في وستمنستر، والذين أظهروا اهتمامهم بالعربية بعد ذلك في أكسفورد، كانوا في المدرسة في الخمسينيات (ومنهم: هنري ستب وجورج هوبر)[253]، أو الستينيات (ومنهم: همفري وبرايدو)، فإن الباحث يمكنه أن يخلص إلى أن العربية لم تصبح مقررا أساسيّا قبل الخمسينيات. فنحن نقرأ أن هول كان يتحدث في العام 1659 عن «التطورات الممتازة التي أجراها الفاضل الكريم السيد بوسبي أخيرا في مدرسة «وستمنستر»، حيث أصبحت اللغات الشرقية اليوم من المقررات المعهودة لدى الفئة الممتازة من الدارسين»[254]. ويبدو أن قيام بوسبي بتدريس العربية كان من أسباب الخصومة بينه وبين إدوارد باغشو Edward Bagshaw، وكان باغشو وكيلا لمدرسة وستمنستر (بين العامين 1656 و1658)، وكان يقول: «إن العربية لا قيمة لها»[255]. وأما خليفة باغشو، آدم لتلتون Littleton ، كوكيل للمدرسة، فقد

عيّنه كاستل على أساس أنه واحدٌ من أفضل العارفين بالعربية في لندن في العام 1659. لقد درس هو نفسه على بوسبي في وستمنستر، واختِير طالبا في كلية المسيح، ولكن المفتشين أقصوه [256]، ثم عَيّنه بوسبي كمساعد مدرس في المدرسة. والراجح عندي أن بوسبي ولتلتون كليهما (وقد أقاما هناك حتى العام 1661) كانا مسؤولين عن تدريس العربية في هذه المدرسة، ولكن ماذا كانا يُدَرِّسان؟ ومن أولئك التلاميذ الذين درسوا عليهم العربية؟ ليست لدينا الأدلة الكافية، فمن الواضح أنه ليس كل من كان يدخل وستمنستر يتعلم العربية. وأما التباهي في قصيدة رثاء بلغة لاتينية معاصرة في مدح مدرسة وستمنستر بأن: «الفتى الذي دخل المدرسة طالبا إنجليزيّا يخرج منها عربيّا صرفا»[257] فإنه يُؤخذ على أنه من قبيل المبالغة التي يمكن اغتفارها. وقد رأينا أن هول كان يقول: «إن الفئة الممتازة من الطلاب فقط هم الذين كان يُسمح لهم بدراسة اللغات الشرقية». من جهة أخرى، فإن وليام تازول، وكان في وستمنستر من العام 1660 إلى العام 1670، وعُيِّن فيما بعد محاضرا فيما كان يُسمى مقرر بوسبي للعبرية في كلية المسيح، لم يذكر أي معلومات في سيرة حياته تتصل بتعلم العربية، على الرغم من أنه يقدم لنا وصفا وافيا لتعليمه في وستمنستر، ويمتدح تدريس بوسبي. أيضا لا يوجد ما يثبت أن جون لوك، الذي درس كطالب امتياز في وستمنستر، وشارك في اختيار طلاب وستمنستر لكلية المسيح في العام 1652، كان يعرف العربية في أي وقت من الأوقات[258]. وأما فيما يتصل بمحتوى مقرر العربية الذي كان بوسبي يقوم بتدريسه، فمن الراجح جدا أنه كان يتمحور حول النحو العربي، فيرجح بعض النقاد أن بوسبي قد أقدم على تأليف كتاب في النحو العربي، ولكن هذا الكتاب لم ينج من التدمير كما نجا كتابه في النحو اليوناني[259]. مهما يكن من أمر، فقد كان اهتمام بوسبي بالنحو العربي ظاهرا ظهورا واضحا من الكتب التي تركها في مكتبته، والتي لاتزال محفوظة في حجرة منفصلة في مدرسة وستمنستر. وتضم هذه المكتبة جميع طبعات الكتب التي ألفها إربِنيوس في النحو العربي، أو ألفها إربِنيوس ويوليوس في النحو العربي والمطالعة العربية، والتي صدرت في حياة بوسبي، إلى جانب معجم يوليوس العربي، والقواميس التي صنفها رافِلنغيوس وجيغي. وتضم المكتبة أيضا الكثير من الكتب العربية الأخرى وليس كتب النحو فقط، مثل كتاب رافيوس المعنون بـ النحو العام، وكتاب بطرس

ميتوسكيتا Metoscita المعنون بـ «المبادئ الأساسية للغة العربية»[260]، وكتاب أوبيتشيني Obicini المعنون بـ «النحو العربي المسمى بالأجرومية»[261]، ويضم أيضا كتبا أخرى وصلت إليها من المطبعة الميدتشية[262]، وعددا من الأعمال الأكاديمية المعتبرة، ومنها طبعة إِليكمان - سالمازيوس من كتاب «لغز قابس»، وكتاب بوكوك المعنون بـ «لُمع من تاريخ العرب»، وتقريبا جميع كتب بوكوك التي ألفها باللغة العربية. لقد أبقى بوسبي على اهتمامه بهذه الكتب طوال حياته، يدل على ذلك وجود كتاب هايد المعنون بـ «في مزايا اللغات الشرقية» في العام 1694، وهو العام الذي سبق وفاة بوسبي. ولقد كان جون بِل يمتلك عددا كبيرا من هذه المجموعة من الكتب[263]، وكان قد حصل من بوسبي على مسكن ملائم حين ضربه الإفلاس في السبعينيات والثمانينيات. وتضم المجموعة نسخة من ترجمة بوكوك لـ غروشيوس، وفيها النص العربي فقط، وهو موضوع رسالة من برايدو إلى بِلْ (وكان يسكن في وستمنستر في ذلك الوقت) في السابع عشر من أغسطس العام 1674[264]. لا تكمن أهمية تدريس اللغة العربية في وستمنستر في تأثيرها على تطور الدراسات العربية، فقد كان خريجو وستمنستر الذين تخصصوا للعربية بعد ذلك قلة، ومن هذه القلة لم نسمع إلا عن واحد ترك بصماته في هذا المجال وهو برايدو Prideaux، مؤلف كتاب «حياة محمد» الذي ربما يعود الفضل في تأليفه، بدرجة قلت أو كثرت، إلى فضيلة تدريس العربية إما في وستمنستر أو أكسفورد. لم تصمد اللغة العربية كمقرر من مقررات وستمنستر بعد بوسبي، وأكثر الظن أنها لم تصمد مدة طويلة في ظل إدارته الحديدية نفسها للمدرسة. ولكن ليس من شك في أن العربية كانت تُدرس في أكثر من مدرسة واحدة على الأقل من مدارس الأجروميات الإنجليزية[265]، خاصة: في أثناء عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن السابع عشر، وهذا أدل على الإكبار الذي كانت تحظى به اللغة العربية بين عقلاء الإنجليز وحكمائهم في الجامعات وخارج الجامعات على حد سواء. من جهة ثانية، ما لبث أن أصاب الوهن هذا الإكبار للغة العربية وقدرها، وبدأت الأمور تتغير.

9

تراجـع الدراسـات العربيـة في إنجلترا

«إن الأعوام المتبقية من القرن السابع عشر – على رغم أنها لم تشهد عقما تاما – شهدت في الأغلب تاريخا من الخطط التي لم تُنجز، والوعود التي عجز أصحابها عن الوفاء بها»

لاحظنا في مستهل الفصل السابق أن التراجع في الاهتمام باللغة العربية بعد عودة الملك تشارلز الثاني قد ازداد، ويعزو تولِز ذلك إلى ما كان يسميه «تغيرا في الذوق العام»، وهو يريد أن يدلل على صدق ما يقول فيعقد مقارنة بين الحماس الذي استقبل به الناس كتاب بوكوك المعنون بـ «لُمع من أخبار العرب» Specimen في العام 1650، وهذا الفتور الذي استقبل به الناس صدور كتاب أبي الفرج في العام 1663. لقد ذيّل بوكوك كتابه بملحق تاريخي، وأهداه لغلبرت شِلدُن Gilbert Sheldon (وكان عندئذ أسقف لندن العام، وما لبث أن أصبح رئيسا لأساقفة كانتربري)، عرفانا وشكرا لمساعدته في استعادة الامتيازات المتصلة بكرسي العبرية في الجامعة. وعندما أهداه بوكوك نسخة من كتاب أبي الفرج لم يزد شِلدُن على أن سأله:

«وهل وجدت فيه فقرات تستحق القراءة؟»، وهذا يعني أن الرجل لم يزد على أن ألقى نظرة عابرة على الكتاب. ولم يكن شِلدُن في الوقت نفسه من السذج الذين يسألون مثل هذه الأسئلة من دون قصد، وإنما كان شِلدُن من كبار المتعلمين، فقد أصبح بعد فترة من كبار رعاة جامعة أكسفورد. والحق أن بوكوك لم يكن يتوقع هذا السؤال من شِلدُن عن كتاب كان بوكوك يعتبره إنجازا مهما جدا في المعرفة التاريخية، ولكنه أجاب: «أعتقد أن الكتاب يتضمن الكثير من الصفحات المهمة». ثم إنه كتب بعد حين إلى توماس غريفز يقص عليه ما حدث، ويطلب منه أن يحدد لشِلدُن بعض هذه الصفحات المهمة في الكتاب، وأن يتحمس لنشره وإذاعته على الناس، مضيفا أنه: «من الدرر النادرة، وأخشى ما أخشاه أن يستهين به بعضهم، وأنت ترى كيف تغير حال الدراسات العربية إلى الأفضل منذ توافرنا لها أنا وأنت، ولا أظن أن عدد المقبلين عليها كبير». وكان غريفز متفقا معه فيما يتصل بعدم شيوع الدراسات العربية، فنراه يرد عليه بقوله: «لا أظن أنها تجد من يحتفي بها، أو يعمل على تشجيعها من قِبَل هؤلاء الذين كنت أظن أنهم سيتولونها بالرعاية والحدب». ويقول تولِز إن هذا التراجع في تقدير أهمية اللغة العربية الذي شاع في الآونة الأخيرة ليس مقصورا على بلاد الإنجليز، وهو يستدل برسالة جاءته من برنارد في هولندا في العام 1669، يروي فيها لبوكوك الأحوال السيئة لدراسة اللغة العربية هناك أيضا[1]. وأما أسباب هذا التراجع في الاهتمام بالدراسات العربية ودعمها في إنجلترا وسائر الأقطار الأوروبية فهو ما سوف نتناوله في الفصل الأخير بشيء من التفصيل. ليس من شك في أنه كان لهذا التراجع أبعد الأثر في الباحثين والعلماء المتخصصين في العربية وعلومها في كل من أكسفورد وكيمبردج على السواء.

(1) كيمبردج من العام 1680 إلى العام 1700

نحن مضطرون في هذا الفصل إلى أن نتناول الوضع في كيمبردج بشيء من الإيجاز، فلم يحدث شيء يستحق الوقوف عنده منذ تأسيس كرسي اللغة العربية بشكل دائم. ظل كاستِل يشغل منصب رئاسة القسم حتى وفاته في العام 1686، ومن الطبيعي أن يظل يلقي المحاضرات بعد صدور معجمه خماسي اللغة في العام 1669، غير أن حضور تلك المحاضرات كان ضعيفا غاية الضعف، نفهم ذلك من

نكتة كتبها كاستل بعد أن أعلن عن ميعاد محاضرة من محاضراته، يقول: «أستاذ اللغة العربية يلقي محاضرة في صحراء خالية»[2]. لم ينتج كاستِل شيئا ذا بال بعد صدور معجمه خماسي اللغة، فقد كرس أغلب طاقته للتخلص من النُّسَخ التي كانت بين يديه، وقد رأينا كيف آلت جهوده في استقطاب يوليوس إلى كيمبردج إلى الفشل. وأما خلفه في رئاسة قسم اللغة العربية، يوحنا لوقا، الذي شغل المنصب حتى العام 1702، فقد كان من رجال التربية والتعليم وأصحاب الرأي والنظر، عرفنا ذلك من دفتره الذي كان يسجل فيه خواطره عندما كان كاهنا في شركة الشام في سميرنا في أثناء ستينيات القرن السابع عشر، وأيضا من العام 1676 إلى العام 1682، وهي يوميات تكشف أيضا عن مهارته في فهم اللغات المحلية[3]. ولكنه – بوصفه أستاذا في اللغة العربية - لم ينشر شيئا ذا بال إلا قصيدة بلغة تركية غريبة من تلك القصائد التي تُلقى في أعياد الميلاد، وضمها سفرٌ يُسمى «قصائد أعياد الميلاد» نشرته كيمبردج في العام 1688 احتفالا بميلاد ملك المستقبل، الملك جيمس إدوارد[4].

والحق أن الكتاب يكشف لنا – ربما عرضا – عن أن حروف الطباعة كانت متاحة في كيمبردج لطباعة الكتب العربية، وأنها ظهرت أول ما ظهرت حين طُبع كتاب جون سبنسر المعنون بـ «قوانين العبرانيين» De Legibus Hebraeorum[5]. وهذا الكتاب المفيد للباحثين في العبرية في إنجلترا كانت أهميته محدودة للعربية، ولم تتجاوز أسلوب الطباعة، فهو لم يتضمن سوى اقتباسات قصيرة باللغة العربية، من مؤلفات معروفة سلفا مثل «أبي الفرج» لبوكوك و«كتاب الحيوان» لبوشار. وعلى رغم أنه لم يكن قد صدر بشكل نهائي حتى العام 1685، فلم يُطبع الكتابان الأولان منه إلا في العام 1683 (طبعهما جون هيز، اختصاصي الطباعة في الجامعة، وطُبع الثالث في العام 1684).

يبدأ استخدام حروف الطباعة العربية في الكتاب الثاني، حيث نجد في صفحة 237 حروف رافلنغيوس، التي ظلت مهجورة في كيمبردج لأكثر من خمسين عاما، فجأة ظهرت. وفي صفحة 431 حلت محلها الحروف العربية التي جلبها سِلدِن، والتي راحوا يستخدمونها منذ ذلك التاريخ، (إلا للفظة واحدة في صفحة 552 استخدم بها حرف الكاف من رافلنغيوس). كانت هذه هي حروف سِلدِن، والتي ارتحلت معه من لندن إلى كيمبردج بعد ما يقرب من أربعين عاما من الإهمال، استخدمتها

فيما بعد جامعة كيمبردج لطبع بعض الأعمال القصيرة المكتوبة بالعربية، على سبيل المثال لدينا مقال أوكلي المعنون بـ «مقدمة في اللغات الشرقية» في العام 1706، حتى حصلت الجامعة في نهاية الأمر على طاقم كامل لحروف الطباعة العربية التي ابتدعها وليام كالسون في ثلاثينيات القرن الثامن عشر[6]. ولقد عَمِدَتْ الجامعة إلى الاستغناء عن حروف رافلنغيوس التي كان يستخدمها بِدوِل وأنفق عليها من ماله وجهده، فبدت جامعة ناكرة للجميل. لم نقرأ عن نص منشور بالعربية في القرن السابع عشر، أو بعد ذلك في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر. والحق أن الجامعة أقدمت على تعيين العلامة سيمون أوكلي رئيسا لكرسي العربية، غير أن هذا الإنجاز ينتمي إلى تاريخ القرن الثامن عشر، ولا ينتمي إلى تاريخ القرن السابع عشر.

(2) العقدان الأخيران في مسيرة بوكوك الأكاديمية

رأينا كيف شهدت أكسفورد خلال العشرين عاما أو نحو ذلك، بعد عودة الملكية، نشاطا ملحوظا في الدراسات الشرقية ولا سيما العربية، بيد أن الأعوام المتبقية من القرن السابع عشر – على رغم أنها لم تشهد عقما تاما – شهدت في الأغلب تاريخا من الخطط التي لم تُنجز، والوعود التي عجز أصحابها عن الوفاء بها. وهنا نخص بالذكر بوكوك، فعلى الرغم من أنه عاش حتى العام 1691، فإنه لم ينشر (فيما عدا ترجمته لأجزاء من كتاب الصلوات إلى العربية) نصا عربيا واحدا بعد كتاب «الفيلسوف المعلم نفسه» Philosophus Autodidactus الذي أصدره في العام 1671. ويذكر تولِز أن بوكوك كان قد هَمّ بإصدار طبعة من ترجمته لكتاب «الأمثال» للميداني في العام 1673، فتبين أنه هجر الفكرة، وضيع الاهتمام، وأن برنارد هو الذي أصدر الطبعة في ذلك الوقت، راغبا في زيادة مجموعات بوكوك. ففي رسالة إلى بويل في 13 مايو 1673، يقول برنارد: «إنه يرسل إليه عينة من الأمثال العربية التي يعدها الناشر روبرت سكوت، وسوف تصدر مشفوعة بترجمة لاتينية، وحواشٍ مهمة لطلاب العلم، هذا إذا اكتتب مائة من طلاب المعرفة في جامعة أكسفورد، وقد وعدني كاستِل بأن هناك مائة من طلاب جامعة كيمبردج مستعدون للاكتتاب»[7]. كان هذا المشروع أحد مشروعات برنارد الكثيرة التي لم تتجاوز الخطط التي لم تكتمل، سواء أكان السبب في عدم اكتمالها هو الحاجة إلى

المكتتبين أم أي سبب آخر[8]. ولكن هناك نصا عربيا آخر بذل فيه بوكوك جهدا كبيرا حتى يهيئه للنشر، وكان هذا النص تبسيطا لكتاب يدور حول عجائب مصر لصاحبه عبداللطيف البغدادي، ألفه في أوائل القرن الثالث عشر، وكان بوكوك يمتلك النسخة الفريدة بخط الكاتب نفسه[9]. كان بوكوك خبيرا في مثل هذه الكتب، فرأى في هذا الكتاب شاهد عيان من العصور الوسطى على أوصاف الحيوان والنبات والآثار والظواهر الطبيعية الخاصة بهذا البلد الذي يتميز بجاذبية خاصة جدا. المهم أنه سعى إلى امتلاك العمل على الأقل منذ العام 1665، عندما أرسل لبوشار فقرة منه تصف الخرتيت (سيد قشطة)، لتصحيح فقرة من كتابه المعنون بـ «كتاب الحيوان» Hierozoicon، فاقتبس بوشار من عبداللطيف في هذا العمل، ولكنه اقتباس عن مؤلف آخر يُدعى الدميري[10]. وفي الثمانينيات من القرن السابع عشر قرر بوكوك نشر الكتاب، ولكن القرار انتهى إلى ما انتهى إليه القرار الخاص بالكتاب المعنون بـ «الفيلسوف المعلم نفسه»، من خلال ابنه إدوارد، الذي كان يُعِدّه إعدادا جيدا ليخلفه في تولي كرسي العربية والعبرية. أكمل بوكوك الابن ترجمة لاتينية (ولا شك في أن الأب قد راجعها بعناية)، وبدأ العمل على طباعتها في مطبعة الجامعة بعد أن تُرجم منها الثلث على الأقل. وتوجد روايات شتى متناقضة عن هذا الموضوع، ففي العام 1746 قدم توماس هَنْت، الذي حصل على الترجمة من ابن بوكوك الأصغر السيد جون بوكوك (الذي تَعَرّف عليه عندما كان يعمل على إعادة إصدار كتاب بوكوك المعنون بـ «أعمال لاهوتية»)، اقتراحا بنشر الترجمة مصحوبة بحواش تشرح المتن. فقال في هذا الشأن:

> الترجمة اللاتينية ملك السيد الفاضل العلامة السيد إدوارد بوكوك، اضطلع بها حال تكليفه من قِبل الوالد الماجد المعروف السيد الدكتور إدوارد بوكوك، الذي جلب المخطوط معه من الشرق... لقد قام السيد بوكوك بترجمة الكتاب، وشرع في إصدار نسخته المترجمة، غير أن موت والده صرفه عن ذلك، ومما زاد في تثبيط همته أنه لم يخلف والده على كرسي اللغة العبرية في جامعة أكسفورد كما كان يتوقع ويأمل[11].

بيد أننا ظفرنا بسبب مختلف وجدناه في مذكرات هيرن، فقد كتب في يوم 12 أبريل 1706 ما يلي:

كتاب كتبه مؤلف يُدعى عبداللطيف، فيه تاريخ مختصر لمصر، قام على ترجمته الدكتور بوكوك، وطُبِع في المسرح أيام الأسقف فِل على حساب الدكتور مارشال مدير كلية لنكِن، وكان العمل يسير على قدم وساق، ولكن فجأة شُغِلَ الأسقف بموضوع آخر يتصل باللغة اللاتينية، فتوقف طبع الكتاب مما أثار حنق العجوز الطيب الدكتور بوكوك الذي أحس بأن الظروف لن تسمح له بمواصلة العمل فيه. ولن يتمكن الدكتور هايد أيضا من تكملة العمل، وهو ما كان يرغب فيه الدكتور آلدرتش عندما كان نائبا لرئيس الجامعة، إلا إذا ظفر بمبلغ معقول من المال؛ مما أثار حفيظة الدكتور آلدرتش الذي لايزال يعرض طبع الكتاب على نفقته الخاصة[12].

وعلى الرغم من أن هاتين الروايتين نقلتا من مصادر أخرى، يحق لنا أن نجادل بأن رواية هيرن أقرب زمنيّا إلى الحادثة، ولكنها - على وجه اليقين - مستمدة مباشرة من هنري آلدرتش، خليفة فِل في عمادة كنيسة المسيح، وهو في وضع ممتاز يُمَكِّنه من قول الحقيقة[13]. هي رواية تزودنا بمفتاح نعرف منه العام الحقيقي الذي جرت فيه هذه الحادثة، فلقد تُوفيَ فِل في العام 1686، ومارشال في العام 1685، وهذا يؤكده خطاب كتبه هنتنغتون إلى بوكوك ربما في أواخر العام 1685 أو أوائل العام 1686، يقول فيه: «لم أسمع عن «تاريخ العرب» الذي كتبه ابنك، وأتذكر أنك قلت لي إنه دفع به إلى المطبعة، فإذا صادف عوائق في سبيل نشره، أحطني علما بمقدار حاجته إلى المال، وسيكون لديك بمجرد علمي بالمبلغ»[14]. ولذلك نجد أنه ربما في أواخر العام 1685، وربما قبل ذلك بقليل، طُبع الجزء الأكبر من الكتاب، ثم بعد ذلك تم التخلي عن المشروع. لم يقع الإحباط في قلب إدوارد بوكوك الابن حتى العام 1691، فلم يكن هذا الإحباط إذن هو السبب في توقف الطباعة. وربما كان السبب في أنه لم يتحمس للمشروع مرة أخرى. على أي حال، تكتنف رواية هيرن بعض المشكلات، فقد علمنا أن النشر كان الغرض منه الترويج لشهرة بوكوك الابن، فما الذي جعل الأب يسمح لغضبه على فِل بأن يعطل المشروع الذي كان في مصلحة ابنه؟ أضف إلى ذلك، إذا كان غضبه من فِل قد وصل إلى هذه الدرجة، فلماذا أهدى الأسقف كتابه المعنون بـ «تحقيق رسالة هوشيا»، وهو الكتاب الذي نُشِر في العام 1685، أي بعد الحادثة المزعومة؟ لعلنا نرجح أن وفاة مارشال، الذي كان يدفع ثمن

الطباعة، هي السبب في توقف المشروع. من ناحية أخرى، كان بوكوك نفسه، ولم يكن فقيرا، يستطيع أن يدفع بقية المبلغ؛ وكما رأينا، عرض هنتنغتون أن يدفع هذه المصاريف، والقصة كلها لاتزال مفتوحة على تفسيرات وتحليلات.

توجد أيضا أسئلة تحتاج إلى إجابات تتصل اتصالا وثيقا بإسهام هايد في خطط للنشر كان يُراد تنفيذها. وحسبما يقول شنورر، أنجز هايد ترجمة لاتينية جديدة، وأضاف إليها الكثير من الشروح والتعليقات وعددا من الجداول، ولكن عمله اختفى من دون أدنى تأثير[15]. وهذا ما أكدته - جزئيّا - مصادر أخرى منها هايد نفسه. وحسب روايات مطبعة جامعة أكسفورد، طُبعت أربع صفحات كعينة من كتاب الدكتور هايد المعنون بـ «تاريخ مصر من تأليف الدكتور هايد» بين العامين 1693 و1694، وفي دليل الكتب المطبوعة الذي أصدرته المطبعة في العام 1694 نجد أيضا «مختصر تاريخ مصر» من تأليف الدكتور هايد بالعربية واللاتينية[16]. لم يُنشر السِفر الثاني قط، وعلى مبلغ معرفتي لا توجد نسخة من السفر الأول. على أي حال، كان زملاء همفري وانلي Humphrey Wanley يفكرون في إصدار سلسلة من كتب الرحلات، فأرسل رسالة إلى هايد في التاسع من يونيو في العام 1701 يسأله إن كان يريد أن يسهم بشيء، فأجاب هايد بالنص «عندي ترجمة باللغة اللاتينية لكتاب يتناول تاريخ مصر الطبيعي من تأليف عبداللطيف البغدادي، وهو عالم كبير من علماء الفيزياء، وأرجو أن يُطبع بالعربية واللاتينية، مع بعض التعليقات والشروح المختصرة»[17]. وفي رسالة أخرى كتبها بعد ذلك بستة أيام أضاف بعض المعلومات عن المؤلف والكتاب، وأشار إلى أنه يستطيع أن يضطلع بالنشر إذا ظفر من الترجمة له ببعض المال، ثم أردف: «لقد استغرقت في الترجمة أغلب العام، وقد يستغرق التحرير وإضافة بعض التعليقات والشروح، وإعداد الكتاب للمطبعة، جزءا كبيرا من عام آخر، ولذا فإني أفضل إحراقه إن عرفت أنه سيُضيّع مني مزيدا من الوقت»[18]. لم يذكر هايد ترجمة بوكوك الابن، أو طباعة جزء منها، وفي ذلك أقل ما يُوصف به أنه يفتقر إلى الحكمة والأمانة، فعلى رغم أن الكتاب لم يُنشر قط، فإن نُسَخا من العمل المطبوع كانت تُتداول بين أفراد ومكتبات، ومنها مكتبة البودليان التي لم يلبث أن أصبح هايد أمينها[19]. فلا ريب في أن هايد قد اطلع على النسخة المطبوعة، ولا ريب في أنه كان يعرف ترجمة بوكوك عندما شرع في إنجاز ترجمته

الخاصة به، فلم يكن في مقدوره أن يطّلع على المخطوطة العربية حتى وصلت إلى البودليان بعد وفاة بوكوك الأب. لقد تعمد إخفاء كل ذكر لهذه المخطوطة في رسائله مع وانلي، وأسرف على نفسه في الرسالة الثانية حين قال: «إن المؤلف مجهول للجميع»، وهو يعلم تمام العلم أن ذلك يجافي الحقيقة.

وأما التاريخ المتصل بالمساعي التي بُذِلت بعد ذلك لنشر الكتاب، التي حقق بعضها بعض النُجح ولم يحقق بعضها شيئا، وحتى ترجمه سلفستر دو ساسي ترجمة وافية بعنوان «وصف مصر بقلم عبداللطيف البغدادي»، (باريس 1810)، فيذكرها شنورر بشيء من الحيدة[20]، غير أن شنورر لم يكن عارفا بالنسخة غير المنشورة التي أصدرها بنجامِين مارشال في أوائل القرن الثامن عشر[21]. لم يسفر اقتراح هَنْت لنشر الترجمة الكاملة لبوكوك عن شيء، ولكن جوزيف وايت طبع النص وبعض ترجمة بوكوك وما تبقى من ترجمته، في طبعة هزيلة صدرت في العام 1800، وكان جوزيف وايت حينئذ أستاذ كرسي لود للغة العربية[22]. ومنذ وقوعها في يد وايت اختفت مخطوطة ترجمة بوكوك كلية[23].

وَفّرَ بوكوك جزءا كبيرا من جهوده الأكاديمية في أثناء الأعوام الخمسة عشر الأخيرة من حياته لكتابة الشروح والتعليقات على الأنبياء الصغار(*). وكان في أثناء ذلك ينحني لتقلبات الدهر. وفي تصديره لرسالة بعنوان «تفسير سفر ملاخي» يخاطب صديقه القديم توماس لامبلو (وقد أصبح أسقف إكستر) ليكشف عن أن لامبلو قد طلب منه تفسير أحد أسفار نبي من الأنبياء الصغار. ولا شك عندي في أن هذه التعليقات والشروح كانت منبثقة من خطة مجهضة كان فِل سيصدر على أساسها طبعة للكتاب المقدس باللغة الإنجليزية في أكسفورد. وقد طبع مادَان[24] الوثائق التي تحتوي على التفاصيل من العام 1672. ومن بين أولئك الذين أسهموا في ذلك بوكوك ومارشال ومارش. كانت الخطة هي إصدار سفر واحد من القطع المتوسط، مع تعليقات موجزة يوجز فيها مضمون النص، ليتيسر فهمه للقارئ العادي، و«تعزيز فهم حقيقة الأرثوذكسية». شيء يشبه هذا ظهر

(*) يُستخدم هذا المصطلح Minor Prophets للتفريق بين هؤلاء الأنبياء والأنبياء الكبار مثل: أشعياء وحزقيال وإرميا، وأما أسفار الأنبياء الصغار فمنها سفر يوشع ويوئيل ويونان وعاموس وميخا... إلخ. [المترجم].

من مطبعة فِل، وهو رسالة كتبها أوبديا وكر Obadiah Walker بعنوان «صياغة جديدة وشروح على رسائل القديس بولس» في العام 1675[25]. ومن المرجح جدا أن بوكوك كان قد اعتبر الأنبياء الصغار إسهامه في المهمة[26]، وأنه عندما تبين أن الكتاب المقدس المشروح لن يظهر أبدا، واصل التفسير والشرح، ولكن على نحو كان يناسب ذوقه الخاص. وأما بقية الخطة الأصلية فهي أن تكون تفسيرات بوكوك وشروحه بالإنجليزية، ولكنها تفسيرات تختلف في وجوه كثيرة عن التفسيرات التي كان يضمرها فِل، والتي عبر عنها مادان حين قال: «حجم العمل وأسلوبه لا يوحي إلا بأنه جزء من الكتاب المقدس المحقق»[27]. والحق أن نصائح فِل في «الحرص على الحصول على قراءات مهمة جدا ومتنوعة»، والحرص على «تقديم مفردات أصلية أو غريبة»، لم يأخذ بها بوكوك، الذي لم يتردد في إدراج ما يقتبسه من العبرية والسريانية والعربية في السجال الدائر حول القراءة الصحيحة، والمعنى الصحيح للنص. من جهة أخرى، لم يفعل الكثير لكي «يفرض معنى مثل هذه النصوص، بقدر ما كان مهتما بإثبات صحة الأرثوذكسية»، وهو لم يكن حاذقا في ذلك كل الحذق، فلا توجد إلا قطعة واحدة قد يُقال إنها تؤدي المهمة. ملحق على «تفسير سفر ملاخي» يدحض فيه مزاعم اليهود فيما يتصل بالمسيح المنتظر، ابن يوسف، من قبيلة إفرام، ولم يكن مكتوبا بالإنجليزية ولكن باللاتينية. يتمحور التركيز في هذه التفسيرات على النص ومعناه. استثمر بوكوك معرفته العميقة باللغات الشرقية الأخرى، ومنها العربية، وكذلك معرفته بالتفسيرات الحاخامية (العبرية المتأخرة، وكثير منها مكتوب بالعربية) لإثبات نتائجه التي توصل إليها. كان غرضه الأساس الدفاع عن صحة النص العبري التقليدي، وتفسير (وأحيانا تنقيح) الترجمة الإنجليزية لهذا النص في النسخة المحققة[28]. ولكنه كثيرا ما كان يقدم تفسيرات بديلة، وكان بعض القراء يشكون من أنه أميل إلى الاستشهاد بآراء غيره، من أن ينطق بآراء نفسه[29].

يقع المفتاح لفهم أسباب بوكوك لاختياره هذا الشكل من النشر في الفترة الأخيرة من حياته في الإهداء الذي كتبه للأسقف سِث وارد في تفسير سفر ميخا، حيث يقول «فيه قدر كبير من التركيز على هذا الضرب من العلم (وأعني العلم باللغات الشرقية)، وهو علم لم يظفر بما يستحقه من الاهتمام عندنا أخيرا، وربما في جميع الأزمان؛ ينهض تارة، ثم يضعف فلا يقوى على النهوض بسبب الإهمال، وبسبب

المزدرين له، الذين لا يرون له حاجة، ولا يتوقعون له فائدة كبيرة، ولا ضرورة ملحة». كان يعرف من خبرته وتجربته صعوبة نشر مثل هذه الأعمال القيمة، فلجأ إلى نشر تفسيرات الكتاب المقدس، وهي التي كان يميل إليها ذوق القارئ في زمانه. ولكنه – مع ذلك – كان عازما على إظهار أهمية اللغات الشرقية وفائدتها لفهم هذه النصوص المقدسة، وكان يمعن في إظهار هذه الأهمية وتلك الفائدة، فكان يذيع في الناس أن دراسة هذه اللغات ضرورة لا غنى عنها. نشر تفسير سفري ميخا وملاخي في وقت واحد في العام 1677، وأتبعهما بتفسير سفر هوشع في العام 1685، وهو أكبر حجما من الأسفار الثلاثة مجتمعة، ومضى بعد ذلك، ولكن للمرة الأخيرة، في تفسير سفر يوئيل في العام 1691، وهو عام وفاته. فهل كان ينوي تفسير بقية أسفار الأنبياء الصغار؟ سؤال لم نجد له إجابة[30]. حققت هذه الكتب نجاحا متواضعا: فقد أُعيد طبع تفسير سفري ميخا وملاخي في العام 1692، (بعد أن نفدت الطبعة الأولى، وكانت خمسمائة نسخة). كانت إعادة طبع التفسيرات الأربعة جميعا تعني طباعة الجزء الأكبر من أعمال بوكوك في علم اللاهوت، وكان تِولز وجون بوكوك يريدان أن يُقبِل الجمهور على شراء هذا الكتاب (وقد أُعلِن في البداية أنه سيرة لحياة إدوارد بوكوك)[31].

أنجز بوكوك مشروعا آخر يستحق الذكر، وهو إصدار طبعة من النص الأصلي العربي للعمل الفلسفي العظيم الذي ألفه موسى بن ميمون بعنوان «دلالة الحائرين». كان الكتاب معروفا في أوروبا زمنا طويلا في ترجمته العبرية التي تعود إلى العصور الوسطى، والتي أنجزها صموئيل بن طيبون، بعنوان «مرشد الحيران»، كما كان قد ترجمه إلى اللاتينية بكستورف الأصغر[32]. ومن رسالة أرسلها كاستل إلى بوكوك في العام 1673 استدل تِولز على أن بوكوك يستعد لإصدار «شيء من كتاب «دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون؛ ليكون متاحا لجمهور القراء»[33]. بما أن العبرية والعربية كانتا شغل بوكوك الشاغل طوال حياته، وبما أن تِولز ربط بين هذا العالِم وعالِم يهودي آخر كان يكتب بالعربية، وهو الحاخام تانخوم، يمكن أن نخلص – بسهولة – إلى أن بوكوك كان مهتما بالنص العربي لكتاب موسى بن ميمون، وكان لديه منه أكثر من نسخة، وكان يقتبس منه كثيرا من الاقتباسات منذ تأليفه لكتاب «اللُّمع». وقد رأينا أن من بين الكتب التي كان فِل يعلن عن نيته

طبعها في العام 1672، كتاب «دلالة الحائرين»، أو «موري هينيوخيم»، لموسى بن ميمون في نصه الأصلي الذي كتبه بالعربية[34]. كان تولِز يعتقد أن إدوارد بوكوك الابن قد اضطلع بالمشروع، ويعود هذا الاعتقاد إلى أنه أخطأ في تحديد تاريخ رسالة جون لُوك إلى بوكوك الأب التي يذكر فيها ترجمة ابنه لكتاب لموسى بن ميمون. وقد رد بوكوك على رسالة لوك في 29 مايو 1680 يقول إن ابنه «ترجم كتابا لموسى بن ميمون، غير أن سوء الحظ كان له بالمرصاد، فقد اكتشف أن الكتاب قد ترجمه «أبندانا» اليهودي وأعده للمطبعة، ولكنه لم يصدر بعد، وسوف أنصحه بأن يركز على ترجمة عمل آخر يستحق التشجيع»[35]. تؤكد الإشارة إلى «إسحاق أبندانا» أن الكتاب المقصود لم يكن إلا جزءا من كتاب موسى بن ميمون المعنون بـ «ميشناة توراة» ومعناه «إعادة القانون واليد القوية» שדקמה תיב ילכ (أمتعة القدس)[36]، مكتوبا بالعبرية. نُشِرت الترجمة اللاتينية التي أنجزها بوكوك الابن لتصدير كتاب موسى بن ميمون لكتاب «المشناة» مع كتاب «زيرائيم» الذي ألفه «غايس» في العام 1690. ونحن لا نرجح أن يكون بوكوك، وهو العارف بقدرات ابنه المحدودة في اللغة العربية، قد اضطره إلى الاضطلاع بترجمة نص طويل وصعب ككتاب «دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون. ومن المحقق أنه لا توجد طبعة لهذا الكتاب تحمل اسم بوكوك الأب أو الابن. من ناحية أخرى، من المهم أن نذكر أن هايد تقدم بمشروع لتحقيق هذا الكتاب وترجمته. وقد كتب هذا الاقتراح في بيان من أربع صفحات وضع له عنوان: «اقتراح بإصدار كتاب موسى بن ميمون المعنون بـ «دلالة الحائرين المكتوب أصلا باللغة العربية». وبعد استعراض الأسباب التي دعته إلى السعي إلى إصدار هذه الطبعة، بما فيها من مواطن الخطأ في ترجمة بكستورف، والتي لم يعد الحصول عليها يسيرا، يعرض هايد عينة ترجمة في نحو ثلاث صفحات، مصحوبة بالنص العربي، وهو النص المصدر، (مكتوبا بالحروف العبرية الموجودة في المخطوطة نفسها)[37]، وفي الصفحة المقابلة الترجمة اللاتينية، وتعليقات في أسفل النسختين العبرية والعربية. وعلى رغم أن البيان ليس عليه تاريخ، فإن النسخة الموجودة في مكتبة البودليان عليها حاشية في الصفحة الأولى كتبها هايد بخط يده تقول: «10 ديسمبر، 1690». وهو ينبئنا أيضا بمصير هذا الكتاب فيقول: «عرضنا هذا على مندوبينا الذين رفضوا تحمل مسؤولية طباعة هذا العمل»[38]. والحق أن

عدم النشر لم يكن بسبب رفض مندوبي المطبعة (وكان من بينهم بوكوك الأب أيضا)، ولكن الحقيقة أنهم رفضوا دفع أي مبالغ لـ هايد لقاء قيامه بهذا العمل. وهذا واضح من رسالة كتبها هايد إلى سمِث بعد ذلك بستة أعوام يقول فيها: «تركت لك عينة من كتاب «دلالة الحائرين» أو «موري هينيوخيم» لصاحبه موسى بن ميمون ليكون في معيتك ومحل نظرك، وكنت قد تقدمت بطلب للقائمين على المطبعة من أجل طباعة العمل كلـه، ولكنهم رفضوا دفع أي مبالغ تقديرا لجهودي، فوضعوا بذلك نهاية لهذا الإنجاز، فإني لن أعمل عملا شاقا لمدة ثلاثة أو أربعة أعوام من دون مقابل»[39]. وربما كان هايد لا يريد إكمال تحقيق الكتاب، ولكنه أراد أن ينشر الخبر كجزءٍ من حملته من أجل الظفر بالخلافة على كرسي أستاذية اللغتين العربية والعبرية، عندما أصبح واضحا في العام 1690 أن بوكوك لن يعيش طويلا، فراح يثبت أنه الأقدر على تكملة طبعة أكاديمية كان قد بدأها بوكوك وهجرها. على أي حال، أخذ برنارد قول هايد مأخذ الجد، واقترح عليه أن يمضي في تحقيق الطبعة، حتى بعد زيادة الصعوبات والحاجة إلى العمل الشاق والتكلفة الباهظة بعد إضافة الترجمة العبرية إليه[40].

(3) توماس مارشال

عاد مارشال إلى أكسفورد بصفة دائمة بعد انتخابه رئيسا لكلية لِنكَن مباشرة في العام 1672. كانت معرفته باللغة العربية تكفيه لأداء ما يريد بها من أعمال، عرفنا ذلك من المفكرة التي استمر يدون فيها يومياته من شهر نوفمبر من العام 1672 إلى شهر أبريل من العام 1678[41]، ويبدو فيها أنه كان يسلي نفسه بكتابة أسماء الشهور والأعوام والأرقام بالعربية. وقد ظهرت مهارته في العبرية من خلال رسائله التي كان يتبادلها مع السامريين (وهو ما سنتناوله حين نتحدث عن هنتنغتون بعد قليل). ولكنه كان يهتم أكثر ما يهتم باللغات الأكثر غرابة، وقد لاحظنا قبل حين تعاونه مع جونيوس في إصدار طبعة محققة للإنجيل القوطي، وعندما كان في هولندا حصل على مخطوطة قديمة من الإنجيل باللغة القبطية[42]، وشرع في نشرها، وكان ذلك ممكنا من الناحية العملية، فقد كانت مطبعة جامعة أكسفورد تمتلك حروف الطباعة القبطية، جزئيّا من خلال مارشال[43]. كان الإنجيل القبطي مدرجا

في قائمة تضم الكتب المزمع نشرها، والتي أعلنها فِـل في العام 1672[44]، وقد أُعلِن عن نشرها الوشيك في طبعة كتاب أبي دقن المعنون بـ «تاريخ الأمة القبطية» في العام 1675، ولكن على رغم أن مارشال عاش عشرة أعوام أخرى بعد ذلك فإنه لم يُكْمِل المشروع قط، ولم ينجز أي عمل لـه علاقة بالأقباط إلا كتاب أبي دقن. ويتكون هذا الكتاب من تاريخ موجز للأقباط (وكان لقب «اليعاقبة» ينطبق في ذلك الوقت على جميع الكنائس التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح)، مع وصف لطقوسهم وموقعهم في مصر العثمانية. يؤم الكتاب تصدير مجهول الكاتب مُوَقّع بما يشير إلى محرر أكسفورد للكتاب، يذكر شيئا عن أبي دقن، (ولا يذكر شيئا عن إقامته في أكسفورد قبل ذلك بستين عاما)، ويزعم أن أبا دقن قام بتأليف هذا العمل «أخيرا». وأما أصل العمل فغامض، لأن المخطوطة التي منها طُبِع لم يعد لها وجود، ولا يُعرف كيف وصلت إلى أكسفورد، ولسنا نجد سندا منطقيّا للاقتراح القائل بأن أبا دقن ألفها في أكسفورد في نحو العام 1612، وظلت مدفونة في مكان ما لم يلحظها أحد حتى العام 1674. الأكثر مجافاة للمنطق هو ذلك الزعم الذي يزعمه هنتنغتون[45] بأن أبا دقن ألّف العمل في أثناء إقامته في القسطنطينية في أربعينيات القرن السابع عشر، وأن أحد السائحين الإنجليز هو الذي جلبه إلى أكسفورد[46]. الشائع المقبول هو أن المحرر المنتسب لجامعة أكسفورد هو مارشال، ومع أن هذا من المرجح إلى حد ما، خاصة إذا تذكرنا اهتمامه باللغة القبطية، فإني لا أجد دليلا معاصرا يدعم هذا الزعم[47]. حقق العمل - على رغم تواضعه - نجاحا كبيرا فور صدوره، وما لبث أن تُرجِم إلى الإنجليزية، وأُعيد نشره أكثر من مرة لينتشر في أنحاء القارة الأوروبية في القرن الثامن عشر[48]. وكانت الطبعة التي نشرها مارشال نفسه هي الأوفر حظا من النجاح، فطُبِعت مرات كثيرة لا تكاد تُحصى. من جهة أخرى، ليس لهذا علاقة بالدراسات الشرقية التي كان يقوم بها، ولكنه كان يتضمن تعليقات على كتاب التعليم الخاص بالكنيسة الأنجليكانية الذي كان قد ألفه مارشال باقتراح من فِـل[49]. لم يقتصر إسهام مارشال في الدراسات الشرقية على ما نشره من أعمال، بل يتبدى في الحصول على المخطوطات التي كان يتبرع بها أحيانا ويحتفظ بها لنفسه أحيانا أخرى، كما رأينا فيما يتصل بكتاب أبولونيوس باللغة العربية في العام 1668 أو 1669. وقد ورثت عنه مكتبة البودليان مخطوطاته وكثيرا من كتبه المطبوعة،

بعد وفاته في العام 1685. وعلى الرغم من أن كثيرا من المائة وخمسين وتسع مخطوطات كانت شرقية، فإن تسع عشرة منها فقط كانت باللغة العربية، ولم تكن هذه المخطوطات العربية ذات أهمية كبيرة[50].

(4) روبرت هنتنغتون

كان بوكوك يرى أن هنتنغتون من شباب العلماء الواعدين في اللغة العربية، وأقنعه بالتقدم لشغل وظيفة كاهن يعظ البعثة الإنجليزية إلى حلب في العام 1670[51]. وليس من شك في أنه كان يتوقع من هنتنغتون أن يسير على خطاه التي سار هو عليها منذ أربعين عاما خلت، فيكمل طريقه في معرفة العربية واللغات الشرقية الأخرى، وجمع المخطوطات أيضا. على أن هنتنغتون كان صاحب مزاج مختلف غاية الاختلاف عن مزاج أستاذه، وأيضا عن مزاج صديقه توماس سمِث. كان يحب الرحيل إلى بلاد غريبة، وكان مأخوذا ببلاد الشرق وثقافة أهلها. مكث في منصبه أحد عشر عاما، تمكن في أثنائها من زيارة القدس عدة مرات، وأجزاء أخرى من فلسطين وسورية وبعلبك وتدمر وسيناء والقسطنطينية، وزار أيضا مصر مرتين، وزار قبرص. ولم تكن هذه السياحة عاطلة من الفائدة، ولا كانت للتسلية وكفى، فقد كان يبحث عن المخطوطات التي كان يريد أن يحتفظ بها لنفسه، وأن يهديها لأصدقائه، ومنهم بوكوك ومارشال وبرنارد وسمِث ومارش، وكذلك جون كوفِل زميله في الهيئة التبشيرية في القسطنطينية. كان مهتما أيضا بالتعرف على المجتمعات الغريبة في تلك البلاد، فزار السامريين في نابلس أكثر من مرة، وحثهم على التواصل مع إنجلترا. لم يتمكن من زيارة المندائيين في العراق بسبب طول المسافة، ولكنه استطاع الحصول على بعض كتبهم، وبعض المعلومات عنهم من أغاثانجِليوس س. تيريزا وكانت ضمن أعضاء بعثة دير الكرمل في البصرة. أيضا كان على صلة بعدد كبير من رجال الدين في المنطقة، أغلبهم نصارى من طوائف مختلفة، وظفر منهم بكتب ومعلومات ذات قيمة علمية. والمحقق أنه أصبح عالما متضلعا من اللغة العربية والتركية، واستفاد من ذلك في عمله غاية الفائدة. وتكشف رسائله الباقية[52] عن دقته وفضوله وغرامه بالبحث وذكائه المفرط، ولكنها تكشف في الوقت نفسه عن عجزه عن الحكم على قدراته الشخصية، وقدر كبير من توبيخ الذات. حتى بعد أن عاد إلى إنجلترا، رفض

ما طلبه منه بعضهم من نشر مذكراته حول تلك الرحلات التي قام بها، على رغم ما كان سيكون لهذه المذكرات من أهمية كبيرة من قِبل كثيرٍ من القراء[53]. كتب إلى سمِث في ديسمبر من العام 1698 يقول: «دعوتني إلى إذاعة بعض ما رأيت في مصر وفلسطين على الناس، وما لدي من مشاهدات وملاحظات هناك قليل، لا يكاد يشفي غليل العلماء الفضلاء، إضافة إلى أني لم أطبعه بعد، ولا أظن إلا أنني محجم اليوم عن إذاعة وصف لأشياء رأيتها منذ عشرين عاما خلت»[54].

أظهر هنتنغتون اهتماما بالمسيحيين في الشرق من خلال نشره ترجمة بوكوك العربية لما كتبه غروشيوس، والتعليم الشفهي الذي قام به، وكتاب الصلوات، والترجمة التركية لكتاب المبادئ الدينية بطريقة السؤال والجواب لـسيمان Seaman[55]. ومن الظاهر أن تولِز يريد أن يخلص إلى أن هنتنغتون كان واحدا من أولئك الإنجليز الذين كانوا لايزالون يأملون في تحقيق الوحدة بين الكنائس الأرثوذكسية اليونانية والكنيسة الإنجليكانية[56]، غير أن المقتطف التالي من رسالة كتبها إلى سمِث في أبريل من العام 1674، حول منظرٍ رآه في القدس، يشي بموقف أكثر نزوعا إلى الفرقة، جاء فيه:

> لا تغرنك مزاعم التوافق والاتفاق الكامل بين الكنيستين اليونانية والرومانية فيما يتعلق بالعشاء المقدس، فهناك العداء المستحكم بينهما، وهو ما لا يمت إلى المسيحية بصلة ما؛ وما زاد من الفضيحة التي حلت بعقيدتنا أن الآباء أنفسهم يسقطون في وقت واحد أمام أبواب كنيسة قبر السيد المسيح، ومن دون سبب من الأسباب التي نعلم، وإنما لأن بعض الرومان استعان بسُلّم يعود لبعض اليونانيين لإعداد بعض الأمكنة لاستقبال السفير الفرنسي. زُوِّد اليونانيون بهراوات قُذِفَت إليهم من دير مجاور، وكان عدد الذين قاموا بالغارة ثمانية أو تسعة في وجه أربعة، ولما نقص من عددهم واحدٌ، قضى نحبه بعد ذلك بخمسة أيام، لا بسبب الجروح التي أُصيب بها في الشجار، تخلوا عن غضبهم، وهدأ روعهم أمام القاضي، الذي أجرى عليهم في حضور السفراء والسلطات المعنية وشفاعتها، حكما (Hodgiet) أنجاهم، ولو إلى حين على الأقل، من غرامة رهيبة (Avaina) كانت ستُفرض عليهم فرضا[57].

كان من بين رجال الدين المسيحي الذين بادلهم هنتنغتون الرسائل البطريرك الماروني لمنطقة جبل لبنان إستيفان الدويهي[58] (الذي كان يسميه «إستيفان بطرس»)، ويوحنا لوكاريس الأرثوذكسي اليوناني، أسقف جبل سيناء، وكان قد قابله في القاهرة. وعلى رغم أن هدفه الأساس من الإبقاء على هذه المراسلات كان الاستفادة من مناصبهم في الحصول على المخطوطات، فقد كانت لـه أهداف أخرى أيضا. على سبيل المثال، في العام 1675 نجده يرسل إلى إستيفان بطرس نسخة من ترجمة بوكوك لكتاب غروشيوس، ويطلب منه رأيه في فائدة هذه الترجمة للناطقين بالعربية[59]. وكتب إلى فِـل في الرابع والعشرين من نوفمبر من العام 1680 عن مقابلته مع يوحنا لوكاريس، يصفه بأنه «شخص متعلم وذكي على غير ما كنت أتوقع عند اليونانيين»، ويمضي في القول: «كان سعيدا عندما وجد من يطلعه على أمور عقيدتنا[60]، وهو ما قمت به، وأخبرته بأن كنيستنا الإنجليزية تخلو من الأساقفة والقساوسة، وتخلو أيضا من الطقوس، وما إلى ذلك من الخدمة الدينية»[61].

أصبح هنتنغتون مشغولا جدا بالمندائيين الصابئة، وكان مسؤولا عن المعلومات التي حصل عليها الأوروبيون عن هذه الطائفة[62]. ثم إنه كتب إلى أنجيلوس يوسف يسأله عن أتباع يوحنا النصراني[63]، وكان من أعضاء بعثة التبشير الكرملية في البصرة في العام 1677. وعندما عرف منه أن هذه الطائفة تطلق على نفسها اسم «الصابئة»، عبر عن أمله في أن يستنقذ من بين أيديهم كتب ثابت بن قرة، وكتبا أخرى لقدامى الصابئة كان قد قرأ عنهم في كتب التراجم العربية[64]. والحق أن ذلك كلـه لم يكن إلا وهما من الأوهام، ولكن هنتنغتون فيما بعد تلقى معلومات موثقة عن معتقدات المندائيين وكتبهم المقدسة من عضو آخر في بعثة الكرمل التبشيرية في البصرة، وهو أغاثانجليوس س. تيريزا[65]. ولكنه عاد إلى إنجلترا قبل أن يتمكن أغاثانجلِيوس من الاستجابة إلى طلبه بالحصول على نسخ من هذه الكتب، ولكنه استمر في إرسال الرسائل حتى بعد عودته، وفي العام 1683 أعلن لـ بوكوك أنه اشترى ثلاثة من الكتب المقدسة، وتسلم فعلا اثنين منها، ثم راح يسأل في شيء من التوتر: «ولكن ما الفائدة التي نرجوها من الحصول على هذه الكتب إذا لم نعمل على فقه هذه اللغة؟»[66].

كان أهم إسهام لـ هنتنغتون في أثناء إقامته في الشرق تلك الرسائل التي جرى

تبادلها بين السامريين والإنجليز. كان الأوروبيون يهتمون بمعتقدات السامريين وكتبهم المقدسة، وممارساتهم لطقوسهم الدينية، والتي أصبحت مقتصرة على فرقة صغيرة تقطن مدينة شكيم الكنعانية. كان اسكاليجيه قد أرسل رسالة إلى زعماء هذه الفرقة، ولكن وافته المنية قبل أن يصله الرد. وقد رأينا كيف نجح أشر وآخرون في الحصول على نسخٍ من سفر التثنية باللغة السامرية وكتب أخرى، ولكن ظلت أسئلة كثيرة من دونٍ إجابات، أسئلة تتصل باختلافهم عن اليهود. وكان بوكوك قد طلب من هنتنغتون أن يعمل على استقصاء الموضوع، وعلى هذا الأساس عرج، وهو في طريقه إلى القدس في العام 1674، على تلك الطائفة السامرية في شكيم، يحدوه الأمل في الحصول على معلومات أو مخطوطات، وقد قرأنا وصف توِلز لما حدث:

> سأل السامريون الدكتور: هل يوجد عبرانيون(*) في بلادكم؟ ولم يكونوا يقصدون اليهود - كما عرف فيما بعد - الذين كانوا موضع كراهيتهم، ولكنهم كانوا يقصدون السامريين(**)، بوصفهم الإسرائيليين أو العبرانيين الحقيقيين. كان الدكتور بوكوك يظن أنهم كانوا يسألونه عن اليهود، فانطلق يجيب ببراءة بنعم، وراح يقرأ في الوقت نفسه بعض العبارات من كتبهم المقدسة، والمكتوبة بحروفهم ولغتهم. وهنا راحوا يتصايحون ويهتفون في نوبات من السعادة الغامرة، ويقسمون أنهم بنو إسرائيل الحقيقيون، وإخوانهم في الدين. وبذل الدكتور جهدا جهيدا ليزيل عنهم الوهم، ويريحهم من الضلال، فراح يؤكد لهم أن الأشخاص الذين كان يتحدث عنهم هم اليهود بلا ريب، ولكنهم أصروا على خطئهم، ولم يقروا بالصواب.

(*) يدور حول تسميتهم جدل كبير، وهذه التسمية إما لأنهم هاجروا وعبروا كما هاجر النبي إبراهيم من العراق وما حوله إلى فلسطين وصحراء الشام، عابرين للأنهار، ولنهر الأردن خاصة، أو نسبة إلى «عابر» أحد أجدادهم في التوراة القديمة، أو لأنهم عبروا البحر مع النبي موسى. هم خليط من الشعوب الآسيوية السامية القديمة، وكان منهم الآراميون والآشوريون والعموريون، ومنهم العماليق (العمالقة). ويُعتبر النبيان إبراهيم ويعقوب، طبقا لهذا التعريف عبرانيين. على أن العبرانيين لم يقتصر نسبهم على بني إسرائيل كما هو شائع الآن، وإن انتشر بين عامة الناس لبسا في هذا المفهوم أن العبرانيين هم اليهود، وهذا خطأ شائع، فبنو إسرائيل الأوائل، وعلى رأسهم يعقوب نفسه، يُعتبرون من العبرانيين، ثم لم يلبث اليهود بعد ذلك أن نسبوا أنفسهم إلى العبرانيين دون غيرهم (انظر الموقع الإلكتروني لموسوعة ويكيبيديا الحرة في هذا الباب «عبرانيون»). [المترجم].

(**) كان موطنهم مدينة نابلس التي كانت تُسمى «شخيم»، وينسبون أنفسهم إلى شامر الذي باع جبلا للملك «عمري»، وبنى عليه مدينة شامر، والتي حُرفت إلى «سامر»، ومن ثم السامرة نسبة إلى مالكها الأول «شامر»، ولهم توراة خاصة بهم وهي التوراة السامرية. [المترجم عن المرجع السابق، «السامريون»].

> بعدئذٍ أخبرهم الدكتور بأنهم سيفعلون خيرا إن هم أرسلوا بكتابٍ فيه قانونهم، ووصف لعقيدتهم، وأوقات صلواتهم، والأضحيات التي يقدمونها، والقساوسة الذين بهم يسترشدون، وأعيادهم، وأوقات صيامهم، وكتبهم التي تدل على أنهم من العقيدة نفسها، أم هم في ضلال بعيد. ثم إنهم أرسلوا نسخة من قانونهم، ورسائل ذُكِر أنها نُقلِت إلى الدكتور مارشال، عميد كلية لنكِن في أكسفورد، وردوده عليها، وطفقوا يجيبون على هذه الرسائل سنين كثيرة[67].

لم يكن يعنينا هنا مضمون الرسائل، ولا تاريخ نشرها[68]، لولا أننا وجدنا بعضها باللغة العربية، وأنها كانت في حاجة إلى خبرة مارشال في هذه اللغة. من ناحية أخرى يلاحظ برنارد في رسالته إلى لايتفُت في الخامس من مارس من العام 1674، في معرض حديثه عن خبرة هنتنغتون[69]، أن أغلب هذه الرسائل كان مكتوبا بالعبرية التي كان الكتاب المقدس مكتوبا بها، اللغة نفسها التي كتب بها مارشال ردوده. لم تكن أكسفورد مطمئنة إلى تعزيز آمال أبناء المجتمع السامري الصغير في شكيم في أن تكون لهم جالية كبيرة وغنية من «إخوانهم» في العقيدة في إنجلترا. ويخبر برنارد لايتْفُت فيما يشبه النصح: «فلنحذر أن نخدعهم، أو نضللهم»، ولكنا لا نستطيع أن نبرئ مارشال من الخداع في ردوده. وعلى رغم أنه لم يزعم أنه من السامريين أو العبرانيين، فإنه لم ينكر ذلك أيضا، وكان يؤكد على ضمير المتكلمين «نحن» (وهو يعني الكنيسة الأنجليكانية)، فكان يقول: كان لدينا الكثير من المعتقدات المشتركة بيننا وبين السامريين، غير أنه حين كان يقول إن المسيح قد عاد فعلا، كان يحير القراء السامريين الذين كانوا يقرأون ما كان يكتب. وعلى الرغم من أن الترجمة اللاتينية لرسالة السامريين نشرها أيوب ردولف[70] في النهاية، فإن أغلب الرسائل ظلت غير منشورة حتى العام 1831، عندما جمع سلفستر دي ساسي ما استطاع جمعه مع رسائل أحدث عهدا كانت موجهة إلى الفرنسيين.

وعلى رغم التشويق الذي كانت تثيره هذه الأحداث، فإن إسهام هنتنغتون الأساس في مجال الدراسات الأكاديمية كان يتمثل في نجاحه في جمع المخطوطات الشرقية. لم يكن يمل ولا يكل من البحث عن هذه المخطوطات التي كان يطلبها منه بوكوك، وجمع أيضا ما استطاع جمعه من المخطوطات القبطية الموجودة في مصر

لحساب مارشال، وبعض المخطوطات المنسوبة إلى نارسسس مارشال أيضا جاءت من طريق هنتنغتون[71]، على رغم أن مارشال لم يبدأ في جمع المخطوطات بشيء من الجدية إلا بعد عودة هنتنغتون إلى إنجلترا. من ناحية أخرى، نجد أن هنتنغتون كان يجمع المخطوطات على حسابه الخاص وعلى نطاق واسع. لقد انتهى المطاف بهذه المجموعات من المخطوطات التي ذكرناها، والتي كان يمتلكها هنتنغتون، إلى مكتبة البودليان، فليس من شك - إذن - في أن جهود هنتنغتون قد أسهمت أكثر ما أسهمت في زيادة عدد المخطوطات الشرقية في مكتبة البودليان بصفة عامة، وفي الدراسات العربية بصفة خاصة، ربما أكثر مما أسهمت به جهود أي عالم آخر، على الأقل من ناحية عدد المخطوطات. وبينما لم يكن هنتنغتون يتمتع بما كان يتمتع به بوكوك من ذوق رفيع في اختيار أعمال المؤلفين المثيرين للاهتمام، فإن مجموعاته من المخطوطات كانت تضم مخطوطات مرموقة ومهمة، ومنها التوقيعات التي وقعها موسى بن ميمون[72] بخط يده، وبعض الرسائل القديمة النادرة باللغة العربية[73]. تبرع هنتنغتون ببعض مخطوطاته لـكلية مارتن، وهي كليته، في العام 1673[74]، وببعضها الآخر لمكتبة البودليان في العام 1678، والعام 1680، والعام 1683. غير أن الجزء الأكبر، ويضم نحو ستمائة مخطوطة، ومنها مائتا مخطوطة بالعبرية، ونحو عشرين وثلاثمائة بالعربية، اشترتها الجامعة في العام 1692، بمبلغ كبير من المال يُقدر بنحو ألف ومائة جنيه إسترليني[75].

في ذلك الوقت قرر هنتنغتون أنه لن يستخدم المخطوطات لحساب نفسه بأي شكل من الأشكال[76]. لقد هجر الدراسات الشرقية في النهاية، بل إنه هجر الحياة الأكاديمية برمتها في أغسطس من ذلك العام، وذلك عندما كوفئ بمسكن في حي هلنغبري Hallingbury العظيم بالقرب من بلدة بيشوبس ستورتفورد، ثم تزوج على الفور. كان في السابق من القائمين على أمر كلية الثالوث (ترينيتي) في دبلن، وهو منصب خلف فيه - على مضض - زميله نارِسسس مارش في العام 1683، ومنه فُصِل لفترة ما في خضم الاضطرابات التي اجتاحت إيرلندا في أثناء ثورة العام 1688. لقد أصبح يرنو للكنيسة من أجل الترقي، ولكن في العام 1693، عندما عُرِض عليه منصب أسقف كِلمور في إيرلندا، بشفاعة صديقه مارش (وكان رئيس الأساقفة في ذلك الحين)، رفض، وسبب رفضه أن

المنصب جاءه بعد حرمان الكاهن شِريدان منه لأنه رفض القسم الذي كان يجعله مدينا بالولاء لـ وليام وماري. ارتقى هنتنغتون أخيرا إلى منصب الأسقفية في العام 1701، عندما رَسَمَه رئيس الأساقفة (مارش) أسقفا على مدينة «رافو» الإيرلندية، وكان ذلك في دبلن في 21 أغسطس. ووافته المنية بعد ذلك باثني عشر يوما، ودُفِن في مقبرة كلية الثالوث.

(5) نارِسِسس مارش

كان مارش[77] معاصرا لـ برنارد وسمِث وهنتنغتون، وصديقا للثلاثة جميعا، وكان يختلف إلى المحاضرات التي كان بوكوك يلقيها بالعربية قبل عودة الملكية، وظل على وفاق مع بوكوك زمنا طويلا، كما يتضح من الرسائل المتبادلة بينهما، والتي يقتبس منها تولِز. يذكر مارش أنه حين كان طالبا في الجامعة (التحق بكلية مغدلين في مايو 1655)، أنه «أبلى بلاء حسنا في دراسة الفلسفة والحساب واللغات الشرقية». ثم أصبح زميلا لكلية إكستر في العام 1658، وخلال الخمسين عاما التي تلت أصبح يكرس كل وقته في دراساته في أكسفورد، على الرغم من العروض المغرية بالترقي في الكنيسة. لم ينشر مارش شيئا عليه اسمه، ولكن فِـلْ ائتمنه على المراجعة الجزئية والإشراف العام على طبعة بيفردج لكتاب «الشرائع»[78]. وكان أيضا أحد المشاركين الذين اختارهم فِـلْ لشرح الكتاب المقدس[79] المُحَقّق الذي لم يُنشر، وكان مسؤولا عن مراجعة كتاب دو تريو Du Trieu المعنون بـ «الطريق إلى المنطق» Manuductio ad Logicam. الصادر عن مطبعة فِـلْ في العام 1678[80]. ومن جهة أخرى، وجدنا مارش في العام 1673 يشغل منصبا إداريّا، وبشفاعة فِـلْ أيضا، وظل يشغل هذا المنصب ما تبقى له من سنين العمر، وهو ما وضع أيضا نهاية لنشاطه الأكاديمي حتى وافاه الأجل. وبعد خمس سنوات كعميد لكلية القديس ألبان St Alban's Hall(*) في أكسفورد، والتي نجح من خلالها في إحياء تقليد كاد يُنسى، عُيِّن رئيسا لمجلس كلية ترِنتي في دبلن في يناير من العام 1679، حيث كُلِّف مهمةً مشابهة. وجد هناك ثلاثمائة وأربعين طالبا

(*) كلية مرتون الآن.

وصفهم بأنهم: «ينقصهم التهذيب ويستولي عليهم الجهل في تلك المدينة الفاسدة الممتلئة بالفسق». وهنا أيضا نجد نجاحه كان قد كوفئ بمزيد من التقدم: فقد عُيِّن أسقفا لكل من ليفلين Leighlin وفرنز Fernes من أعمال دبلن في العام 1683، ومنذ ذلك الحين جعل يحرز التقدم تلو التقدم في سلم التدرج الكنسي الأيرلندي، حتى وصل إلى منصب رئيس أساقفة أرماه Armagh ، وكبير أساقفة عموم أيرلندا في العام 1707.

وعلى رغم أنه لم يضطلع بأي عمل أكاديمي بعد أن غادر أكسفورد، أبقى مارش على اهتمامه الشديد بالأمور العلمية والأكاديمية، كما ظهر من رسائله التي راح يتبادلها بينه وبين برنارد وبوكوك[81]. وفي تسعينيات القرن السابع عشر قرر أن يستثمر بعض الثروة التي جلبتها مناصبه تلك في إنشاء شيء يشبه الوقف لإدارة التبرعات لحساب مدرسته الأم. أيضا كان يمتلك هو نفسه بعض المخطوطات القليلة، بعضها آل إليه من هنتنغتون، وأخرى تبرعت بها أرملة وليام غايز[82]، ولكنه بدأ يجمع المخطوطات على نحو جدي في العام 1693. كانت لـه رغبة حقيقية في شراء بعض مخطوطات هنتنغتون قبل أن يعرف أن هنتنغتون قد باع كل شيء للجامعة[83]، ولكنه لم يفعل ذلك، واستعان بـ هنتنغتون وسيطا، وأغرى وليام هالِفاكس بشراء مخطوطات لحسابه من حلب[84]. أفضى مارش في رسالة إلى برنارد في السادس والعشرين من نوفمبر العام 1695 بأنه يأمل الظفر بمجموعة معتبرة من المخطوطات يريد أن يتبرع بها لجامعة أكسفورد، يقول: «أرجو أن أتمكن من الحصول على عدد كبير من المخطوطات ذات القيمة، تكون من المخطوطات التي تستحق الإهداء»[85]. من ناحية أخرى، لم يكن هالِفاكس محظوظا أو متحمسا حماسا يكفيه للظفر إلا بعدد قليل من المخطوطات التي وردت في القائمة التي أرسلها إليه مارش، وليس عندي علم هل أرسل خليفته السيد هنري موندرِل في حلب، والذي طلب منه مارش الخدمة نفسها من خلال برنارد وسمِث، أي شيء لرئيس الأساقفة أم لا[86]. ولكن الحظ بدأ يبتسم، ولاحت فرصة ذهبية في العام 1696. قرر ورثة يوليوس في النهاية عرض مخطوطاته في المزاد العلني في لايدن، وكان طبيعيّا أن تصل أخبار المزاد إلى مارش عن طريق برنارد، فأغراه بأن يتقدم إلى المزاد لحسابه. كتب في يومياته في السادس عشر من سبتمبر العام 1696 يقول: «أعدت مبلغا قدرُه مائتان وعشرون

جنيها إسترلينيا للدكتور إدوارد برنارد من جامعة أكسفورد، الذي كان يقوم بجولة في هولندا، الجمعة في الثامن عشر منه، بهدف شراء أهم المخطوطات التي تضمها مجموعة يوليوس من المخطوطات الشرقية، والتي سوف تُعرض في المزاد العلني في لايدن في السادس من أكتوبر المقبل»[87]. وعلى رغم أن هذه الرحلة كلفت برنارد حياته نفسها، فقد نجح في الظفر بالجزء الأهم من المخطوطات، بما في ذلك المخطوطات التي كان مارش يريد اقتناءها، وسعد السعادة كلها عندما وجد هذه المخطوطات وقد أصبحت على أرض إنجلترا وتحت سمائها قبل أن توافيه المنية. وفي الوقت المناسب آلت إلى مارش في دبلن، والذي قرر عندئذ، كما كتب لـ سمِث في الرابع من مايو من العام 1700: «قررتُ أن أترك جميع مخطوطاتي الشرقية لمكتبة البودليان عند وفاتي»[88]. بناء عليه عادت مخطوطات يوليوس بعد وفاته العام 1713، ومعها بقية مجموعة مارش، إلى أكسفورد[89]. ولما كان ذلك هدفه من جمع المخطوطات في المقام الأول، نستطيع أن نعتبر صادقين أن مجموعة مارش كانت آخر المجموعات المهمة في القرن السابع عشر من المخططات العربية التي آلت إلى مكتبة البودليان. حتى وهو على قيد الحياة كان مارش راضيا كل الرضا وهو يرى أحد أعظم كنوزه، ويُقصد بها مخطوطة «المخروطات» لأبولونيوس، التي عاد بها يوليوس من حلب، يستفيد منها هالي في سعيه إلى إصدار الطبعة المزيدة والمحققة من «المخروطات»، لينشرها في أكسفورد في العام 1710[90].

(6) همفري برايدو

من بين جيل العلماء الذين قدِموا إلى أكسفورد بعد عودة الملكية لم نلحظ إلا ثلاثة تركوا بصماتهم في مجال الدراسات العربية، وهم همفري برايدو وإدوارد بوكوك الابن ووليام غايز. كان برايدو وبوكوك الابن من السن نفسها، فقد وُلد الاثنان في العام 1648، ولكنهما التحقا بكلية كنيسة المسيح في العامين 1668 و1661 على التوالي، وكانا كلاهما طالبين هناك. وما لبث أن كرس بوكوك الابن وقته ليشغل وظيفة كنسية[91]، كي يصبح كاهنا في سالزبوري في العام 1675، ولكن الآمال كانت تحدوه في العودة إلى منصب الأستاذية في جامعة أكسفورد بعد وفاة والده. وقد تحدثنا قبل حين عن طبعاته لابن طفيل وعبداللطيف، وتناولنا ترجمته لتصدير

موسى بن ميمون للمشناة. وليس من شك في أن أباه قد ساعده في طبعات ابن طفيل، وربما مد إليـه يد العون في ترجمة كتاب موسى بن ميمون، وأعانه على كتابة التصدير لكتاب المشناة. لبث برايدو[92] في كلية المسيح نحو عشرين عاما، وكان يُعتبر من المرشحين المهمين لشغل كرسي العربية والعبرية كلتيهما، ولكنه في النهاية آثر العزلة، والاكتفاء بحياته كأحد قساوسة الأرياف. غير أنه لم يتخل عن النشر بعد مغادرة الجامعة، فقد تحول إلى الكتابة للناس عامة بدلا من الكتابة لنخبة المثقفين في الجامعة، وقد أنتج كتابا مهما على الأقل. كان برايدو من المقربين لـ فِـلْ عندما كان في كلية المسيح، وكان فِـلْ يستثمر تقربه منه في سبعينيات القرن السابع عشر في إنجاز الكثير من المهام، ومنها تكليفه الإشرافَ على صدور الكتب التي كانت تصدرها نقابة كان فِـلْ من أبرز الناشطين فيها. عرفنا عن هذا النشاط في رسائل برايدو إلى جون إِلِسْ، وفيها نجد أن تعليقاته على الناس في عصره والقضايا التي كانت تشغلهم تشي بذكائه المفرط. ونذكر أيضا أن فِـلْ أجبر برايدو على قبول نشر بعض الكتب التي لم يكن برايدو يرغب في نشرها، وهي كتب أكاديمية في أغلبها. وكان يُتوقع منه أن يتولى طباعة كتاب «ملالاس» Malalas الذي عكف على تحقيقه جون غريغوري من دون أن يتمه، ولكنه تمكن من اجتناب القيام بهذا العمل، وعلى حد قوله «استطعتُ العدول عن إصدار هذا الكتاب الرديء البالي والسخيف»(93). ثم إنه استطاع أن يدفع إلى المطبعة - على رغم شكاواه الكثيرة – الطبعة التي أعدها لكتاب «كنوز أكسفورد» Marmora Oxoniensia (1676). وبعد أن واجه خسارات كثيرة استطاع أن يقدم لجامعة أكسفورد نقوش آرندل في العام 1667، وكان فِـلْ قد قرر أن تُنشر مع نقوش أخرى قديمة ظفرت بها الجامعة حين تبرع بها سِلدِن. وكان من سوء الحظ أن وقع اختياره على برايدو ليقوم على التحقيق والتحرير، وكان برايدو غير مستعد لهذه المهمة لا من ناحية العلم ولا من ناحية الطبع، فقد كان عصبيّا حاد المزاج. كانت النتيجة كارثية، ظهرت نقوش آرندل أقل بكثير في المستوى من الطبعة التي أصدرها سِلدَن[94]. كان برايدو واعيا بعيوب الطبعة عندما صدرت، وقد كتب إلى إِلِسْ يقول: «أخشى أن أُضْطَر إلى إصدار أعمال أخجل منها في المستقبل»[95]، ولكنه لم يَعزُها إلى إهماله بقدر ما نسبها إلى استعجال فِـلْ نفسه.

على رغم ذلك كله نستطيع القول إن برايدو كان من علماء الدراسات الشرقية المرموقين. وكان أهم عمل أصدره في هذا المجال في أثناء وجوده في كلية المسيح تحقيقا وترجمة لرسالتين من رسائل موسى بن ميمون للمشناة والتوراة[96]، وكان برايدو قد ظفر بمنصب أستاذ في اللغة العبرية في كلية المسيح بعد شفاعة أستاذه المعروف بوسبي، وكان هذا الإصدار بمنزلة الدليل على استحقاقه للمنصب، خاصة أن الهدف من إنشاء المنصب كان «تعريف شباب الباحثين والعلماء باللغة العبرية، وتقديمهم إلى تلك اللهجة التي كان يتحدث بها أحبار اليهود»[97]. من جهة أخرى، ربما كان برايدو يريد أن يؤكد أنه كان خليفة بوكوك على مقعد أستاذية اللغة العبرية، خاصة أنه أرسل رسالة إلى إلِس في العام 1675 يقول فيها إنه لا يتوقع أن يعيش الرجل طويلا. وكال فيها المديح لـ بوكوك كأستاذ ومحاضر، وقال بالحرف: «سيحرمني موته من أفضل أصدقائي في هذا الصرح العلمي، وسيعكر صفو عملي كعالم في اللغة، فقد شجعني الرجل تشجيعا كبيرا على التخصص لهذه الدراسات، وهو تشجيع كنت أنتظره وآمل فيه»[98]. وعلى رغم هذا نحن نعتقد أن برايدو كان يرنو إلى خلافة بوكوك في المنصب، كما كان يرنو إلى ذلك في العام 1682 عندما كتب يقول: «ليس أمامي إلا منافس واحد وهو السيد هنتنغتون، وليس السيد بوكوك»[99]. غير أن بوكوك عاش ما يقرب من تسع سنوات أخرى حتى مَلّ برايدو من انتظار المنصب، وملّ أكسفورد وتركها كلها إلى غير رجعة في العام 1685، وهو يخبر إلِس: «بالنسبة إلى المنصب الذي يشغله بوكوك، لا أرى أملا لي، وأظن أن عمدة روتشستر يحتجز المنصب لقريب لـه.. بالإضافة إلى أنني فقدت حماسي للعمل والمكان معا»[100]. وعلى رغم هذه النظرة اليائسة التي يشوبها التشاؤم، فقد ادعى برايدو بعد وفاة بوكوك أن المنصب عُرِض عليه ورفضه لسببين كما قال: «الأول هو أنني أزدري هذه الدراسات، وعقدت العزم على ألا أضيع المزيد من الوقت في دراستها، والثاني أنني أصبحت أنفر من كلية المسيح نفورا شديدا»[101]. على أي حال، تزوج برايدو في نورفولك وقضى بقية حياته فيها عميدا لمدينة نورويتش، وهناك استطاع أن ينجز العمل الذي أصبح يُعرف به بعد ذلك وهو «حياة محمد».

وعلى رغم أن برايدو أخبر إلِس: «بذلت الكثير من الجهد والوقت في العمل على نشره، حتى مر عام بعد أن فرغت منه قبل أن يُقدِم ناشر على نشره»[102]. فقد حقق

الكتاب نجاحا كبيرا، وطُبِعت منه ثلاث طبعات بين العامين 1697 و1698، وأُعِيد طبعه مرات متعددة في إنجلترا وأمريكا، كما تُرجم إلى لغات أوروبية أخرى. وهو كتاب – كما يظهر من عنوانه – هجومي، لا يحمل على الإسلام فقط، بل يحمل أيضا على الفرق المسيحية التي كانت تتناحر في عصره، أو كما قال بالنص: «والنظر في أصحاب المذهب الربوبي في ذلك العصر». في هذا السياق يظهر أن الكتاب كان لـه تأثير ما، ولكن كعمل أكاديمي يُعتبر عملا رخيصا تافها على رغم أن برايدو يتظاهر فيه بأنه يتبع المنهج العلمي. وهو يخبر القارئ في التصدير أن ما بين يديه مجرد جزء من عمل أكبر يخطط للقيام بإنجازه بعنوان: «تاريخ تدمير الكنيسة المسيحية»، وهو يمضي في القول: «كنت حريصا على ألا أذكر مصادري كلها في الهامش». وعند قراءة الهوامش والتعليقات التي قام على تحقيقها وجدنا أن جميع الكتب الشرقية التي أوردها مأخوذة من الباطن من إصدارات أوروبية وترجماتها، وكثير منها من كتاب بوكوك المعنون بـ «لُمع من تاريخ العرب». لم نجد دليلا على أن برايدو قرأ كتبا في اللغة العربية باللغة العربية، وربما نستثني من ذلك القرآن، فمن المرجح أنه قرأ القرآن[103]، وربما لعب كتاب «لُمع من تاريخ العرب» دورا في توجيه برايدو إلى الكثير من المصادر العربية التي تتناول حياة محمد، والتي كانت متاحة أمامه في مكتبة البودليان أو في الكتب التي كان يمتلكها بوكوك نفسه، ولكن برايدو لم يشغل نفسه بهذه المصادر، ولم يطّلع عليها في أثناء سنوات عمله الكثيرة في أكسفورد. والحق أن جهله بالعربية جعله يخرج بملاحظة عجيبة يتحدث فيها عن «اتفاق كبير بين العربية والإنجليزية في قوة الحروف ونطق المفردات»، ثم يمضي في القول: «حتى إنه لا توجد لغة في العالم أكثر قربا من لغتنا من العربية في هاتين الخصلتين وغيرهما»[104]. أضف إلى ذلك أن برايدو لم يكن يدقق في اختيار المصادر التي كان يستند إليها، (على رغم إلحاحه على أنه كان يدقق في ذلك تدقيقا كبيرا. كانت المصادر كلها تتساوى لديه، شرطه الوحيد أنها تتفق مع مزاجه في الهجوم على النبي محمد. ومن ثم راح يمتح من كتب العصور الوسطى من دون تدقيق، فقرأ الكتاب الذي ألفه ريكولدو دا مونتيكروتشه وكان بعنوان: «دحض منطق المسلمين» (وكان يسميه ريكاردو مقلدا بذلك ببلياندر)، وقرأ كتابا بعنوان: «تمحيص القرآن» تأليف نِكولاس كوسا. وقد وصف هولت – محقا – هذا الكتاب وما أثاره من قضايا بأنه مجرد خليط غير موفق

من «كتب من التراث الإسلامي والخرافات المسيحية، ألف بينها شخص مفعم قلبه بالعداء للإسلام والمسلمين». وأما الشهرة التي حظي بها هذا الكتاب، والانتشار الذي حققه، فمردهما إلى أن الكتاب جاء - في واقع الأمر - ليكون شاهدا على أفول الدراسات العربية في إنجلترا، وينبئنا أكثر عن تردي الذوق العام في أوروبا كلها في أثناء القرن الثامن عشر. والحق أن إحدى الخدمات الجليلة التي قدمها برايدو للدراسات العربية هي أنه أوصى أوكلي بأن يتخصص لهذه الدراسات[105].

(7) وليام غايز Guise

كان غايز[106] يقف من الدراسات الشرقية موقفا مختلفا تمام الاختلاف عن قريبه برايدو[107]. كان هناك إجماع على الإعجاب بعلمه المدهش، ومعارفه المذهلة في هذا المجال، يتميز في هذا تميزا واضحا عن معاصريه في جامعة أكسفورد، ولا يتفوق على وود وحده، ولكنه كان يتفوق على سمِث وبرنارد وبرايدو جميعا[108]. كان غايز من عائلة غنية من الأشراف، حصل على الليسانس في الآداب من كلية «كل الأرواح» في العام 1674، ولكنه تنازل عن درجة الزمالة ليتزوج في العام 1680. واستمر غايز في الإقامة وحده في أكسفورد، مكبا على عمله في مكتبة البودليان، كما يشهد على ذلك ما بقي من أعماله. وقد وضع موته المبكر المفاجئ في العام 1683، وهو في نحو الثلاثين من عمره، نهاية عالم واعد في هذا المجال. فيما عدا قصيدته التي يحتفل فيها بنبوغه المبكر في الدراسات الشرقية، وهي قصيدة باللغة السريانية طبعها في مجلة الجامعة، يحيي فيها ذكرى وفاة دوقة يورك[109]، كان العمل الوحيد الذي أنجزه ونشره هو ترجمته وتفسيره لـرسالة زرائيم Zeraim وهي من رسائل المشناة، وقد صدر هذا الكتاب بعد وفاته بفضل جهود إدوارد بوكوك، مع ترجمة بوكوك الابن لتصدير موسى بن ميمون للمشناة. يظهر التفسير الذي كتبه غايز قدرا كبيرا من العلم، ومعرفة مدهشة ليس بالعبرية وحدها، ولكن بلغات شرقية أخرى أيضا خاصة اللغة العربية. إنه يقتبس من تشكيلة من المصادر، أغلبها لم يكن متاحا إلا على هيئة مخطوطات، منها المعاجم، وفيها مادة علمية في تخصص الطب (كتبها ابن البيطار وأبو يحيى بن عيسى بن جزلة وابن سينا والزهراوي والدميري)، وعلماء جغرافيا (وأهمهم أبو الفداء). والمثير أنه كان

يقتبس من بعض الشعراء العرب، على رغم أني لا أعلم هل كان يعرف هؤلاء الشعراء معرفة مباشرة، أي هل قرأ دواوينهم مباشرة بالعربية؟[110]، أم عرفهم من خلال اقتباسات قرأها في المعاجم؟ إن اهتمامه بالعربية يظهر أكثر ما يظهر في مجموعات النصوص المكتوبة باليد التي قام بجمعها من مصادر مختلفة من مكتبة البودليان، والتي أعطتها أرملته لـ نارِسسس مارش، ووصلت بعد ذلك إلى المكتبة (على سبيل المثال: مخطوطات مارش الرقم 88 [111]. ولكنه أُعجِب إعجابا كبيرا بكتاب الجغرافيا لأبي الفداء، وقبل وفاته كان قد فرغ من تحقيق النص كلـه مع شروح وتعليقات أفاد فيها من مخطوطات مختلفة، وكان ينوي أن يصحبها بترجمة لاتينية وتعليقات. كل ذلك تبرعت به أرملته لكلية جميع الأرواح، حيث استقرت في مكانها لم يمسها أحد حتى اليوم[112]. والحق أن هذه النُبذة المختصرة لا تفي بحق غايز وإضافاته في مجال الدراسات الشرقية، فلم نذكر مثلا أن مخطوطة مارش الرقم 253 تضم مسردا بمصطلحات تركية وترجمتها بالإنجليزية، وكان شارب يقول: إن مارشال أعطى غايز معجما أرمنيا صنفه المدعو ريفولا، وقد زاد عليه غايز ونقحه. وقد اعتبر برايدو أن غايز كان مؤهلا تأهيلا كبيرا لأن يصبح خليفة بوكوك في مراحل نضجه. ليس من شك أنه كان من أكثر شباب العلماء مثابرة واجتهادا، وأكثر علماء جيله في جامعة أكسفورد المتخصصين لدراسة اللغات الشرقية اطلاعا، ولكن هل كانت سعة اطلاعه، وغزارة معرفته يقابلها عمق حقيقي في الفهم؟ لم يتح لنا موته المبكر الإجابة عن هذا السؤال.

(8) إدوارد بوكوك الابن

يبدو أن إدوارد بوكوك الابن ينتمي إلى تلك الطبقة سيئة الحظ من الناس الذين دفعهم آباؤهم الطموحون إلى مهنة لم يكن لديهم استعداد أو ميل لها، أو طاقة على احتمال تبعاتها. كان في الثالثة والعشرين عندما ظهر كمؤلف لكتاب يُسمى «الفيلسوف المعلم نفسه»، خطط له الوالد ليُظهِر براعة الابن في اللغة العربية، ولكن كثيرين يزعمون أن الكتاب من تأليف الوالد من الألف إلى الياء. وقد ظهر عمله الآخر، ترجمة وتصدير موسى بن ميمون للمشناة، في حياة والده أيضا في العام 1690، ولا يشك أحد في أن الوالد أشرف على تحرير هذه الترجمة

وإعدادها للنشر(*). على أي حال، كان الأب يستولي عليه شعورٌ بأنه لن يعيش طويلا، فكان على الابن أن ينشر شيئا بالعبرية ليثبت أنه جديرٌ بخلافة أبيه على مقعد الأستاذية. وبعد وفاة الأب في العاشر من سبتمبر من العام 1691، لم يحالف الحظ الابن في الانتخابات لأي المقعدين اللذين كان يشغلهما والده. فاز الدكتور هايد بمنصب أستاذ كرسي العربية (على الأقل كان أوفر حظا في العلم بالعربية من بوكوك الابن)، وفاز الدكتور روجر ألثام بمنصب أستاذ كرسي العبرية، وهو منصب أوفر حظا بالمكافآت، كما أن صاحبه يظفر بمنصب الكاهن في كنيسة المسيح. ولم يكن روجر ألثام معروفا كعالم من علماء العبرية أو غيرها، ولكنه كان معروفا بتنوع علاقاته بأصحاب النفوذ والسلطان[113]. تقاعد بوكوك الابن في أبرشية قريته يندب حظه ويرثي حاله، ثم ما لبث أن هجر العلم والتدريس جميعا، ورفض نشر كتاب أبي الفداء الذي كان مكبا على إعداده إنفاذا لرغبة والده[114]. ليس هناك شك في أن هيرن كان على حق حين يُرجِع إخفاقه في خلافة والده إلى «حاجته إلى الأصدقاء الذين كان يمكن أن يعِينوه على الظفر بمقعد الأستاذية»[115]، غير أننا نشك في تأكيده على أنه «كان يفهم العربية ولغات شرقية أخرى فهما جيدا». كان العمل الوحيد الذي قام به إدوارد بوكوك الابن في مجال اللغة العربية من دون مساعدة والده هو الترجمة التي أنجزها لرسالة كتبها الدرويش أحمد، والتي ترجمها لحساب همفري سمِث، وطبعها تولِز[116]. في هذه الوثيقة الموجزة وضعت يدي على ما لا يقل عن ثمانية عشر خطأ في الترجمة.

(9) هايد في الفترة الأخيرة من حياته المهنية

لم ينشر هايد - كما رأينا سابقا - شيئا فيما عدا فهرست مكتبة البودليان سنوات متعددة بعد الطبعة التي أعدها لكتاب أولوغ بيك المعنون بـ «فهرست النجوم». وقد اضطلع أولوغ بك بترجمات من العربية والفارسية لحساب بويل Boyle [117]. وفي العام 1690 أو نحو ذلك، عندما كان بوكوك على فراش الموت، راح

(*) لم يكن هذا الكتاب لإدوارد بوكوك الابن، ولكنه كان إعادة لطباعة كتاب أبيه المسمى «بوابة موسى» (الذي ناقشناه آنفا). [ملاحظات تومر].

هايد يقدم نفسه بوصفه المرشح المناسب لخلافته على مقعدي العربية والعبرية معا. وفي العام 1689 ظهر أول جزء من عمل أنجزه في مجال طالما استولى على اهتمامه، وهو الألعاب الشرقية[118]. يتألف هذا العمل من ثلاثة أعمال مكتوبة بالعبرية (وترجمات لاتينية لها) حول الشطرنج، وكان أهمها جميعا (على رغم أن هايد أخفى هذه الحقيقة) رسالة كتبها في هذا الشأن إسحاق أبندانا الذي كان يقوم بتدريس العبرية في أكسفورد، وهذا ما كشفت عنه رسالة غاضبة غير مؤرخة كتبها برنارد إلى سمِث، ولكن من المرجح جدا أنها مكتوبة بعد وفاة بوكوك بقليل، يقول فيها:

> أرأيت كيف كان صاحبنا (هايد) مبتهجا في جنازة أحد رجالات العلم الكبار [بوكوك]: وكأن أستاذ اللغات الشرقية والعربية كان يعجز عن قراءة رسالة بلغة شرقية. وهل كان ينبغي – من دون المرشحين جميعا – أن يمتنع عن كلمة رثاء يقولها في حق الرجل نظرا إلى مسؤوليته من الناحية الأخلاقية ومن ناحية علاقته بزملائه، وكذلك أخطاؤه في كتاب «البرتسول»، وفي ترجماته، وفي كتابه عن الشطرنج[119]: أضف إلى ذلك فرضه على العالم مؤلف هو عبارة عن رسالة في الشطرنج ابتدعها العلامة أبندانا من أجل الترفيه عن نفسه بأسلوب مبهرج؛ وقد عرضها عليّ مخطوطة، وليس هذا فحسب، بل عرفني أنه كان مساعده في وصف الأمكنة الصعبة في كتاب الكوزموجرافيا الذي ألفه هايد[120].

تشير الجملة الأخيرة إلى كتاب هايد المعنون بـ Peritsol (1691)، وهو تحقيق وترجمة لكتاب في كوزموغرافيا(*) القرن السادس عشر باللغة العبرية[121]. يضم الكتاب ملاحظات عميقة شاملة، واستُخدمت فيه لغات متعددة وغريبة ومطبوعة بحروف مناسبة. ومن هذه اللغات – إلى جانب العربية والعبرية – اللغة السامرية والسريانية والتركية والفارسية والإثيوبية ولغة التاميل. وفي الصفحات من(102) إلى (104) هناك رسالة طويلة فيها أسماء النبات (وهو من الهوايات التي ظلت تلازم هايد طوال حياته) [122] تصحبها اقتباسات من كاتب عربي لم تكن أعماله منشورة. والكتاب مُعان

(*) علوم الفضاء حاليا. [المترجم].

بإضافات وملاحظات باللاتينية كتبها ألبرتس بوبوفيوس حول عادات تركية متنوعة، كُتِبت على مرأى من سمِث نفسه وعاد بها من القسطنطينية، مصحوبة بنقد هايد لكتاب أنجيلوس س. جوزيف المعنون بـ «صناعة الدواء عند الفرس» Pharmacopeia Persica. وكان هايد متورطا في خصومة مع هذا الرجل (راهب كرملي اسمه الأصلي دو لا بروس)، لأنه توجه بنقده للنسخة الفارسية للإنجيل متعدد اللغات، والتي كان هايد قد اشترك فيها. ويصف هايد كيف أنه حمل على الراهب في جدال شفوي، وكان يتحدث اللاتينية والفارسية، في مكتبة البودليان في يناير من العام 1688.

كما رأينا، تبوأ هايد منصب أستاذ كرسي العربية في العام 1691، ولكن تخطاه الدكتور ألثام إلى منصب أستاذ كرسي العبرية. وعندما أُجبِر ألثام على الاستقالة في العام 1697 لرفضه حلف اليمين على الولاء للملك وليام، خلفه هايد في هذا المنصب أيضا، وبذلك شغل هايد المنصبين كليهما حتى وافته المنية في العام 1702. على كل حال، بعد صدور كتاب «عن الرياضات الشرقية» De Ludis Orientalibus في العام 1694 (بما فيه من معلومات كثيرة بالعربية والعبرية) لم ينتج هايد شيئا يستحق الذكر في اللغتين[123]. وأما ما بقي له من جهد فقد كرسه لعمله العظيم في عقيدة الفرس القديمة، والذي نشره مستعينا بنظام الاكتتاب في أكسفورد في العام 1700[124]، وهو كتاب يحتوي على قدر كبير من المعرفة، غير أن عدم إلمام هايد بآداب اللغة البهلوية (وهي أقدم من الفارسية بكثير) جعل الكتاب يبدو عتيقا بعد الدخول في القرن الثامن عشر[125]. لم يظفر هايد إلا بعدد قليل من المكتتبين، وهو إخفاق عزاه جون كليلاند[126] إلى تراجع الذوق العام، وكتب يقول: «أريد أن أذكر لك أن الدكتور هايد المشهور يشعل النار وهو على وعي بما يفعل في تلك الرسالة التي كتبها بعنوان «الدين في بلاد فارس القديمة»، والتي أعجبت الوسط الثقافي في أوروبا كلها، إلا في وطنه إنجلترا، التي انحط فيها الذوق العام، واضمحل فيها تذوق الأدب بصفة خاصة إلى مستوى متدهور جدا!» وهذا يصور - للأسف - هايد بالصورة التي شاعت عنه بين معاصريه في أكسفورد في أواخر القرن السابع عشر، والتي يمزج فيها السخرية والازدراء بالترويح، وهي صورة تصدق على آخرين مثل برنارد وسمِث، من الذين أقروا بما له من فضل وعلم، وشجعوه على المضي (بينما كانوا يعيبون عليه عدم إلمامه بالعبرية واللاتينية). كانت زوجة هايد الأولى هدفا

لفضيحة انتشرت في أكسفورد، وقد وصفها أنتوني وود من دون تحفظ بقوله: «تلك البغي الشمطاء التي أصابها الجنون الآن، وتركت دين الوطن إلى دين الكاثوليك منذ أكتوبر الماضي لعام 1686، هي زوجة المدعو توماس هايد»[127]. وقبل ذلك بسنوات روى برايدو بشكل فاضح قصة مُفادها أن زوجة هايد أشبعت هايد ضربا بعد علمها بوجود علاقة مريبة بينه وبين الخادمة[128]. وحتى هيرن، الذي كان معجبا بهايد وعلمه من دون تحفظ، يروي – مستخفا – قصة تدور حول هايد، ويصفه فيها بأنه «بطيء في الكلام، وأن أداءه أصبح منحطا جدا» حتى إنه بعد أن يظل وقتا طويلا جدا يلقي بالمواعظ في كنيسة المسيح بصوت منخفض لا يسمع منه أحد شيئا، يأمره نائب رئيس الجامعة بالنزول من فوق المنبر[129].

ومثلما كان برنارد وآخرون يشُكُّون في إتقان هايد للغة العبرية، فإن برايدو كان دائم الاستخفاف بمعرفة هايد بالعربية أيضا. ففي العام 1682 كتب إلى إِلس رسالة يعبر فيها عن استيائه من أن الحكومة عندما بحثت عن شخص يتولى ترجمة المراسلات العربية الديبلوماسية تخطت بوكوك وهو الخبير بها، ووقع الاختيار على «أحمق جاهل في اللغة العربية يُدعى هايد، لا يتمتع بأي مهارة في هذه اللغة من تلك المهارات التي زعم أنه اكتسبها في الجامعة»[130]. على أي حال يظهر من هذه الرسالة أن معرفة هايد في اللغة العربية كانت ضحلة، ولكن يظهر أيضا أنه كان من أصحاب الحظوة لدى الحكومة، فقد عاشت بعض ترجماته لهذه الوثائق في دار الوثائق القومية حتى اليوم[131]. أضف إلى ذلك أنه في العام 1699 اقترب منه وزير الخارجية في ذلك الوقت وطلب منه «أن يهتم بتعليم شاب من الشباب تلك المعرفة باللغات الشرقية... حتى يكون خلفا له يواصل خدمة بلاده على النحو الذي فعلت». وقد خصصت الحكومة ميزانية سنوية لمن يضطلع بهذه المهمة قدرها مائة جنيه إسترليني، يتقاضى أربعين منها كل طالب من الطالبين، وعشرون تذهب إلى الأستاذ الذي يقوم على تعليمهما العربية[132]. لا نعلم أن هايد هو الذي قام بمهمة التعليم تلك، ولكن لما كان أحد الطالبين اللذين وقع عليهما الاختيار هو جون والِسْ[133]، وكان من أسوأ من خلف هايد في الزعم بمعرفة العربية، فإن القصة لم تكن في مصلحة هايد. أضف إلى ذلك أن والِسْ يبدو أنه كان من المقربين من هايد، فعندما ترك منصبه كأمين لمكتبة

البودليان، بعد فترة امتدت إلى خمسة وثلاثين عاما، سعى إلى أن يخلف والِسْ[134] في هذه الوظيفة، زاعما أن معرفته باللغات الشرقية تجعله أفضل من المنافس له على المنصب: جون هدسون. ولحسن الحظ أن وقع الاختيار على جون هدسون، فرغم أخطائه كلها التي أوضحها مساعده هيرن لم يكن عديم القيمة مثل والِسْ. ففي خطاب الاستقالة الذي تقدم به إلى وليام ويك William Wake، نائب رئيس الجامعة السابق[135]، يلاحظ هايد أن «المحاضرات (على رغم أننا كنا مضطرين إلى حضورها) لم تكن لها فائدة كبيرة، فقد كان الحاضرون قليلين، والمتدربون أقل»، وهي ملاحظة دالة على حال الدراسات العربية والعبرية في جامعة أكسفورد في مستهل القرن الجديد.

(10) إدوارد برنارد

على رغم جميع نقاط الضعف في مشروع هايد، فقد استطاع أن يحقق إنجازا أكاديميّا محترما كانت معرفته باللغة العربية أهم ما فيه. كان برنارد معاصرا لهايد، وكان يزهو بنقده العلني له، وكثيرا ما كان يزدريه في الخفاء، ولكن في النهاية، كان إنجاز برنارد أقل من إنجاز هايد بكثير. وقد رأينا في موضع سابق الفشل الذريع الذي صادف طبعته لكتاب أبولونيوس. ولم يكن ذلك إلا مثالا واحدا من ضروب الفشل التي تكررت في حياته كلها. كان يتحمس لمشروع جديد، ويوفر له كل جهده، ثم لا يلبث أن يصيبه الملل، ويفقد الحماس، ويترك لنا سلسلة واهية من الملاحظات التي لم تجد من يتمها. ومن الأمثلة الأخرى على إخفاقه تلك الطبعات التي أصدرها لكتب إقليدس وكتب جوزيفوس. وقد نتناول الضرب الأول من الإخفاق بشيء من الإيجاز، خصوصا أنه لا يتضمن الطبعات العربية. كان هذا الإخفاق أيضا نتيجة لتلك الخطة الفاشلة لترجمة الأعمال التي أنجزها علماء الرياضيات القدماء، كما يتضح من التصدير الذي كتبه فِلْ لكتاب «حبوب الرمل» لأرشميدس. يقول فِلْ إن برنارد كانت لديه أرقام محفورة وعينة من صفحات قليلة مطبوعة. وتوجد عينتان من هذه الصفحات محفوظتان بأشكال مختلفة في مخطوطات مكتبة البودليان بالرقم 866، والتي تتكون من مجموعات برنارد لكتاب إقليدس الجزء السابع وكتب أخرى. وهناك عينة أخرى وجداول بها أرقام في مخطوطات مكتبة البودليان بالرقم

887[136]. وهذه العينات غير مؤرخة، ولكنها من المرجح أنها كانت موجودة في العام 1676، وهو التاريخ الذي كُتِب فيه تصدير فِلْ. كانت هذه الطبعة مشوهة وميئوس منها، ولكن برنارد سعى إلى إحيائها في العام 1684[137]، وحاول مرة أخرى في العام 1694، عندما كرر ذكرها في رسائله إلى سمِث. آخر تعليق قرأته بتاريخ 4 ديسمبر جاء فيه: «كتاب إقليدس يجب أن يكون مسؤولية ناشر كتب أو صاحب دار طباعة عندنا، أو السفر به إلى الخارج: كلي رجاء أن يتحقق الاقتراح الثاني، وقد أسعدني أن السيد كرستيان رِن وحضرتك قد أعجبتما بالعينة»[138].

أما القصة الحزينة فيما يتصل بتحقيق برنارد لكتاب بوزيفس فيرويها كارتر[139]. وكان الرجل الذي اتخذ القرار بنشر النص اليوناني لكتاب جوزيفس المعنون بـ «أيام اليهود قديما»، والكتاب الآخر المعنون بـ «الحرب اليهودية»، هو فِلْ في العام 1669، وقد عُهِد إلى برنارد بالمهمة. بدأ العمل في جمع الملاحظات الدقيقة، ولكن العمل كان بطيئا جدا. وفي العام 1678 كانت العينات قد طُبِعت، وكان العمل كله في الواقع تحت الطبع، غير أنه عند فحص العينات من قِبل المندوبين وآخرين قوبلت بنوع من الاشمئزاز. بصرف النظر عن الأخطاء المزعومة: «فقد انتهى طول التعليقات، والتي دارت حول رسائل بأكملها أُقحِمت من دون أن يكون وراء ذلك أسباب تُذكر»، إلى التخلي عن نشر العمل، وإلى فتور في العلاقة بين برنارد وفِلْ. ونحن نرى أن البيتين اللذين كتبهما كلمنت باركسديل في العام 1684 كانا ضربا من السخرية في رأي المعاصرين حين يقول: «برنارد أستاذ كرسي سافيل، المتبحر في العلم، يحقق لنا كتاب جوزيفس، عندما يستطيع(*)»[140].

ولكن طباعة الكتاب تُستأنف من جديد عند لحظة معينة، ويظهر جزءٌ من كتاب «الحرب اليهودية» في العام 1687 مشفوعا ببعض الملاحظات والتعليقات. وليس من شك في أن من نتائج وفاة فِلْ في العام 1686 عدم ظهور أي عمل في أثناء حياة برنارد، على رغم أنه في العام 1694 ظهرت عينة جديدة من قِبل ثلاثة من الناشرين في أكسفورد، يعلنون أنهم مشغولون في الطباعة في مبنى «الشلدون» في أكسفورد. وكانت النتيجة هي تلك الطبعة الكسيحة التي ظهرت في العام 1700[141]،

(*) «Savilian Bernard, a good learned man, will give us his Josephus, when he can».

والتي تتألف من إعادة للجزء المنشور في العام 1687 لكتاب «الحرب اليهودية»، إضافة إلى الأجزاء من الأول إلى الرابع، وجزء من الجزء الخامس (من عشرين جزءا) من كتاب «تاريخ اليهود قديما». تعطينا الملاحظات الكثيرة جدا التي طُبِعت ضمن الجزء الأخير فكرة ما عن التفسيرات التي كتبها برنارد؛ فهذه التفسيرات تحتل حيزا كبيرا من النص نفسه وترجمته. وتحتل العلوم الشرقية في هذا الكتاب مكانا بارزا، وتمتلئ الصفحات بالمقتبسات العبرية والعربية السريانية وحتى السامرية. أغلب الإحالات العربية من كتب الجغرافيا التي ألفها العرب، وتدل دلالة واضحة على اطلاع برنارد على المصادر التي تحتوي عليها مكتبة البودليان، فهو يقتبس - إلى جانب ما اقتبسه من أبي الفداء والإدريسي - من بعض المؤلفين محدودي الشهرة مثل القلقشندي وابن حوقل. ولم تقتصر النصوص التاريخية التي اقتبسها على النصوص المطبوعة مثل حوليات أوتيخيوس، بل انطبق ذلك على أعمال مثل الأعمال التي وجدها برنارد على هيئة مخطوطات، ومنها كتاب «تاريخ القاهرة» للمقريزي، وكتاب «تاريخ السامريين» باللغة العربية. كان برنارد يعرف مخطوطات هنتنغتون التي وصلت إلى البودليان حديثا، فهو يشير إلى «أمثلة على مغالطات جوزيف هنتنغتون» falsi Josephi exemplar Huntingtonianum، وفيه مقتطف باللغة العربية من كتاب «معجم تنخوم» Tanchumus Lexicographus. وعندما صدر الكتاب كشف عن سعة اطلاع برنارد مع قدرته الفقيرة على ترتيب مواده، والسيطرة على تدفق معلوماته وتنسيقها، فقد كان حجم تعليقاته كبيرا، حتى ليمكن أن يملأ عددا كبيرا من الأسفار.

كان برنارد متقلب المزاج، مضطرب الطبع، وقد حال ذلك بينه وبين إتمام المشروعات الأكاديمية التي كان يتوق إلى إنجازها بحكم حبه الشديد للمعرفة والبحث عنها، واهتمامه بدقائقها. ففي أوائل العام 1677 رأيناه يرغب عن كرسي سافيل، ويعرب عن رغبته في اصطحاب الأميرة ماري إلى هولندا ليكون القس الذي يعظها في أمور الدين، ولكن سمِث ينصحه: «اعلم أن الناس ينتظرون منك إنجازا كبيرا في مجال الدرس الأدبي واللغات الشرقية، واسمح لي أن أنصحك بأن تهتم بهذا الجانب، وأن يكون هذا هو شغلك الشاغل»[142]. ولم تترك النصيحة في برنارد أثرا يُذكر، فقد كان ساخطا على جامعة أكسفورد، وعبر عن ذلك في رسائله، وقد

انتهى به هذا السخط إلى البقاء في باريس في العام 1676، يقوم على تعليم أبناء غير شرعيين للملك تشارلز الثاني، ثمرات زواجه من دوقة كليفلاند، وكانت النتيجة متوقعة: ففي 24 فبراير 1677 ينبئنا برايدو بأن برنارد «قد أُهِين على يد هذه السيدة الوقحة إهانة كبيرة، واضطُر في النهاية إلى ترك عمله هناك والعودة إلى الوطن»[143]. ومهما يكن من أمر، فقد استطاع برنارد أن يكسب صداقة أهم العلماء والدارسين الفرنسيين، وإثراء مكتبته بالمزيد من الكتب والمخطوطات. وفي العام 1683 سعى من جديد إلى الظفر بمنصب أكاديمي بعيدا عن أكسفورد. وفي أثناء إقامته الطويلة في لايدن، حيث تمكن من حضور المزاد الذي عُرِضت فيه كتب مكتبة نِكولاس هنزيوس، حصل على بعض الكتب المهمة التي حفظها في مكتبته. وكان قد وجد من بين أصدقائه في الجامعة من يشجعه ويشد على يديه، ومن يحلمون معه بالظفر بمنصب أستاذ كرسي العربية في الجامعة، وكان المنصب شاغرا منذ وفاة يوليوس. وينبئنا سمِث أن برنارد كان يتوق إلى المنصب[144]، لأن مناخ الأستاذية وفرص النشر هناك أفضل بكثير من مثيلاتها في إنجلترا. على أي حال لم يسفر ذلك كله عن شيء، على رغم أن سمِث كان لايزال يظهر العداء لبرنارد وقبوله لمنصب الأستاذية في جامعة لايدن في 14 يوليو 1692[145]. في ذلك الوقت كان برنارد قد استقال من كرسي سافيل، بعد أن حصل على منصب عميد كلية برايتول في العام 1692. غير أنه استمر يقضي الكثير من الوقت في أكسفورد، حيث أصبح منذ العام 1692 مشغولا في إنجاز أحد المشروعات الأكاديمية الكبرى، والذي أنجزه بعد ذلك بعنوان «الفهرست الجديد للمخطوطات الإنجليزية والعبرية في كتاب واحد»[146]. وقد أشرف هو شخصيّا على جمع هذه القائمة من المخطوطات التي تضمها المكتبات العامة والخاصة أيضا في إنجلترا وأيرلندا، وأما المخطوطات التي تضمها مكتبة البودليان ومكتبات كليات جامعة أكسفورد فقد جمعها هو بنفسه، أو جمع أغلبها على الأقل. كان إنجازا مرموقا في زمانه، ولايزال ذا فائدة كبيرة حتى يوم الناس هذا.

كانت إصدارات برنارد الأكاديمية الأخرى على نطاق ضيق، وكان أغلبها مرتبطا بالمناسبات. وهكذا وجدناه في العام 1689 يصدر صحيفة بعنوان «الأدب العالمي»، تتألف من صفحات كبيرة مُعَانة بالنقوش يعرض فيها تطور الكتابة، مؤلفة من

تسعة وعشرين جدولا رتبها زمنيّا بدءا من آدم (أي: أقدم أبجدية عبرية) ومرورا بالأبجديات الشرقية المختلفة، وانتهاء باللغات اليونانية واللاتينية والكتابات الحديثة (ومنها الحروف الجرمانية القديمة والحروف القبطية والروسية والأرمنية). وعلى رغم أن الاكتشافات الأثرية فيما بعد لم تبقِ لهذا الكتاب قيمة ما، فلم يكن ممكنا إخراجه بطريقة أفضل في ذلك الوقت، والحق أنه يشهد - على الأقل - على اطلاع برنارد الواسع على المخطوطات والنقوش والعملات المعدنية في الكثير من اللغات المختلفة. على نطاق أوسع، أنتج برنارد رسالة حول المقاييس والموازين القديمة، وألحقها بتفسير بوكوك «لسفر هوشع» في العام 1685، وهو حاشية ضخمة تظهر فيها بصمات برنارد بوضوح على فقرة واحدة من سفر هذا النبي. وقد صدرت مرة أخرى منفصلة بشكل موسع في العام 1688[147]. تظهر أساليب القياس العربية واضحة في الكتاب، وقد جمعها من مصادر مختلفة مطبوعة ومخطوطة. وينبئنا برنارد أيضا بقصة قياس درجة سطح الأرض في عهد المأمون (ص251)، من عدد من المراجع منها البيروني (وربما من نسخة كان يمتلكها غريفز من كتاب «القانون للمسعودي»). لكن بصورة عامة، كان العمل عبارة عن حشد يفتقر إلى الدقة الأكاديمية لمصطلحات وحقائق جمعها من مصادر أخرى وصلت إليها يداه. ويمكن أن يُقال الشيء نفسه عن مقالين قصيرين نشرهما برنارد في «المشروعات الفلسفية» تدور حول إحداثيات فلكية تتصل بـ «أكبر النجوم الثابتة حسبما توصل إليه أفضل المراقبين»، وحسب «تجارب الأرصاد القديمة فيما يتعلق بانحراف البروج»[148]. وتضم هذه الإحداثيات معلومات كثيرة من مصادر عربية وفارسية، ولكن من دون محاولة للتقييم[149]. في هذه الأمور يبدو برنارد كأنه يكتفي بدوره كمتعهد نقل معلومات إلى علماء الفلك الذين يمارسون عملهم وكانوا يرغبون في الاستفادة من تلك المعلومات التاريخية من أجل تغيير الثوابت الفلكية، ولم يتمكنوا من قراءة ما كتبه المؤلفون بلغاتهم في هذا الشأن. وأما ثاني المقالين اللذين ذكرناهما آنفا فهو موجه إلى جون فلامستيد، عالم الفلك والعضو في الجمعية الملكية، والحق أن فلامستيد كان متواصلا مع برنارد، وكان يسأله عن الكثير من الأمور المتصلة بهذا الشأن منذ العام 1678[150]. كان فلامستيد يستفيد من المعلومات التاريخية التي استمدها برنارد من المحاضرات التي كان يلقيها في كلية غرِشم بين العامين

1681 و1684، وخصوصا في المحاضرة الثانية حول انحراف مدار الشمس[151]. ولكن قبل كل ذلك كان التصدير للمجلد الثالث من كتابه الذي صدر بعد وفاته بعنوان «الفهرس البريطاني للأجرام السماوية» (1725) هو ما كشف أن فلامستيد استفاد من بعض المعلومات التاريخية التي اشتقها من برنارد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[152].

كان فلامستيد واحدا من كثير من العلماء المنتشرين في أوروبا، الذين كان برنارد يبادلهم الرسائل المفيدة له في عدد كبير ومتنوع من الموضوعات الأكاديمية[153]. كانت آراؤه موضع احترام كبير من قِبَل علماء مرموقين في مجال الدراسات الكلاسيكية، مثل رتشارد بنتلي، الذي كان يخاطبه بلقب العالم الودود[154]، ويعقوب غرونوفيوس الذي نشر رسالة من برنارد تحتوي على تعديلات على الجزء المبتسر من مخطوطة ستيفانوس القسطنطيني التي اكتشفها غرونوفيوس[155]، هذان مثلان من قائمة طويلة من الأمثلة. لقد ظل طوال حياته يحشد الملاحظات على الموضوعات المتعددة، وكثير منها بقي في مخطوطاته وكتبه المطبوعة التي اشترتها الجامعة بعد وفاته، ولكن ليس منها (ومن كل المخطوطات التي رأيتها) ما بقي على حال يناسب النشر. على أي حال، ربما يسعنا أن نعتبر برنارد المسؤول الوحيد عن مطبوعتين لهما أهمية كبيرة للدراسات العربية التي ظهرت في النهاية من خلال جهود إدموند هالي. وإحدى تلك المخطوطات التي تركها برنارد قبيل وفاته هي النسخة العربية التي نسخها من رسالة أبولونيوس المفقودة وعنوانها «في تقسيم النسب»[156]. وقد تصادف أن رأى هالي، الذي لم يكن يعرف العربية في ذلك الوقت، هذا الكتاب في مكتبة البودليان، واستفاد منه كأساس في تعلم العربية في البداية، وفي النهاية استفاد منه في تفسير العمل الأصلي، كما يشرح لنا في الترجمة التي أصدرها في العام 1706[157]. وقد أغراه نجاحه في هذا ليتبنى الترجمة من العربية لكتاب «المخروطات» لأبولونيوس من الجزء الخامس إلى السابع، كجزء من تحقيقه للرسالة ككل. وهنا نستطيع أن نقول: إنه مدين بالكثير لبرنارد أيضا، فعلى رغم أنه يبدو أنه لم يستفد من مجموعات برنارد فيما يتصل بالمخروطات، فإن المخطوطة الأصلية التي استخدمها هي التي أحضرها برنارد من لايدن في العام 1669، والتي قام هو نفسه بنسخ جزء كبير منها[158]. وقبل الإصدار الفعلي لطبعة هالي في العام 1710،

أرسل له نارِسسس مارش الأصل الأول لهذه المخطوطة، وهي المخطوطة المشهورة المكتوبة بخط اليد والتي تعود ملكيتها إلى يوليوس، ليرجع إليها. وهذا أيضا لم يكن ليتاح له لولا جهود برنارد؛ فهو من شجع مارش على شراء المخطوطات التي كان يمتلكها يوليوس، وكان وكيله في هذه العملية.

كان هذا آخر إسهامات برنارد في العلم في أثناء حياته، وكان هذا أيضا من أسباب وفاته المباشرة. فعندما سمع في يونيو من العام 1696 أن مخطوطات جوليوس سوف يتم التخلص منها في مزاد في لايدن في 16 أكتوبر كتب إلى سمِث يخبره بنيته في حضور هذا المزاد، وأنه فقط ينتظر أن يكلفه بذلك شخص من أرباب الجاه، وهو إشارة إلى الدكتور مارش، وكان قد استعمل برنارد وكيلا عنه في شراء المخطوطات الشرقية. قام مارش – كما رأينا – بإرسال مبلغٍ قدره مائتان وعشرون جنيها إسترلينيّا لهذا الغرض في السادس عشر من سبتمبر، فقرر برنارد أن يشد الرحال مع زوجته وفي الثامن عشر من الشهر نفسه. كانت صحته معتلة كما أقر بذلك هو نفسه، وشاع القلق بين زملائه بشأن هذه الرحلة التي يزعم القيام بها في فصل الشتاء[159]، غير أن برنارد لم يكن يتخيل أن تفوته هذه الفرصة. وصل إلى روتردام بأمان في الثامن والعشرين من سبتمبر، وبحلول الثالث من أكتوبر وصل إلى لايدن[160]، وحضر المزاد في ميعاده، ونجح في الظفر بأغلب مخطوطات يوليوس وأفضلها. على أنه في رحلة العودة أُصِيب بنوبة قاسية من السعال والدوسنتاريا، كما أخبر بذلك سمِث بعد عودته إلى برايتول في العشرين من نوفمبر، ولزم الفراش وقد استبد به القلق على مخطوطاته التي حملتها باخرة مختلفة، وراح يلح إلحاحا شديدا على سمِث أن يتابع وصول الشحنة إلى لندن بأمان، وأن يدفع إليها ما يلزم من الرسوم الجمركية. كانت الرسالة الأخيرة منه إلى سمِث في 2 يناير 1697، كتبتها زوجته بعد أن شله المرض، وهي رسالة تعكس قلقه واضطرابه الشديدين. وأغلب الظن أن القدر لم يمهله ليقرأ رد سمِث على رسالته بأن كل شيء سيكون على مايرام، وأن المخطوطات وصلت بسلام[161]، فقد وافته المنية في الثاني عشر من يناير من العام نفسه، وكان في التاسعة والخمسين من عمره، شهيدا للعلم والدراسات الأكاديمية التي كرس لها أغلب سني حياته.

10

خاتمة الكتاب

«أما الإنجاز الأخير والأهم فهو تأسيس منهج لتدريس العربية في الجامعات الغربية، فقد أرسى قواعده في إنجلترا علماء مثل لـود والسير توماس آدمز، واستقر بفضل جهود علماء مثل بوكوك وويلُك، واستطاع أن يعيش في أثناء السنوات العجاف في القرن الثامن عشر، ليزدهر من جديد في عصور جديدة، وفترات تاريخية أفضل».

كانت وفاة إدوارد برنارد مناسبة مواتية لاختتام روايتنا التي أدرناها حول الدراسات العربية في إنجلترا في القرن السابع عشر، فقد كان آخر تلاميذ بوكوك الذين كان يمكن أن نتوقع منهم إسهاما جديرا بأستاذية معلمه العظيم. وقد رأينا آنفا أن تلاميذه جميعا أخفقوا في تحقيق آماله، وكان واضحا أن دراسات العربية لن تشهد جيلا جديدا من المستعربين يحمل الراية بعد بوكوك وتلاميذه في أكسفورد. استمر التراجع الذي كان واضحا قبل نهاية القرن السابع عشر بشكل أكثر اطرادا في أوائل القرن الثامن عشر[1]، على الأقل في الجامعات. لم ينجز جون والِس، خليفة هايد في أستاذية اللغة العربية، شيئا يُذكر سواء في التدريس أو في التأليف في أثناء الأعوام الخمسة والثلاثين التي قضاها على مقعد العربية في

أكسفورد. ثم جاء بعده الدكتور توماس هَنْتْ، وكان يتمتع بالقدرة على البحث، ولـه اهتمام بالعربية، ولكنه لم ينجز شيئا ذا بال، واقتصرت مشروعاته الأكاديمية التي أكملها فعلا على إعادة طباعة أعمال سلفيه: بوكوك وهايد[2]. وكان جوزيف وايت، الذي كان متأثرا بـسلفستر دي ساسي، مشغولا بنشر، أو إعادة نشر، الأعمال التي كان بوكوك مشغولا بها ويريد إنجازها[3]، أكثر من اهتمامه بفتح آفاق جديدة. ومن قبيل المفارقة أن يستفيد عالم من كيمبردج، وهو سيمون أوكلي، غاية الاستفادة من المصادر العربية في مكتبة البودليان في أثناء القرن الثامن عشر[4]. أصبح أوكلي أستاذا للغة العربية في كيمبردج في العام 1711، وكان قد ظفر بشهرة واسعة عندما ترجم كتاب «حي بن يقظان» لابن طفيل إلى الإنجليزية من العربية مباشرة، على النقيض من الترجمات السابقة التي كانت تُستمد من النسخة اللاتينية التي أنجزها بوكوك الابن. كما أقدم على نشر المجلد الأول من كتاب «تاريخ المسلمين»، المتكئ في الأساس على مخطوطات قام على دراستها في أكسفورد. وقد استُكمل الكتاب بجزء آخر في العام 1718، يغطي القرنين الأولين من عصور الخلافة الإسلامية منذ وفاة النبي محمد، وإذ كان يتكئ على معرفة مباشرة من المصادر الأصلية، فقد أصبح من الإسهامات الأساسية والمهمة للدراسات العربية التي ظهرت في إنجلترا في القرن الثامن عشر، وكان لـه تأثيرٌ ضخمٌ على جِبون Gibbon الشاب، الذي استفاد منه بعد ذلك غاية الاستفادة في كتابه «أفول الإمبراطورية الرومانية وانهيارها»، ولولا ذلك لحقَّ لنا أن نقول: إن كيمبردج القرن الثامن عشر كانت صحراء مجدبة أكثر خلوا من الدراسات العربية من أكسفورد[5]. على الرغم من أن بعض الجهود التي بذلت في سبيل تخفيف الآثار التي نتجت عن رفض الأساتذة إلقاء المحاضرات، والتي تمثلت في إنشاء أقسام جديدة للغة العربية في كل جامعة تحت اسم «كرسي اللورد آلمونر»، دُفعت مرتبات الأساتذة من المكافآت التي كانت مخصصة لأستاذ كرسي لـود، وأستاذ كرسي آدمز. لم ينجز الذين تقلدوا هذه المناصب شيئا يُذكر في مجال الدراسات العربية، وكان الأستاذ الوحيد الذي أقدم على نشر نص عربي هو جون غاغنيه John Gagnier، وهو فرنسي لجأ إلى إنجلترا لأسباب عقدية. وفي أثناء الأعوام الخمسة والعشرين التي اعتلى خلالها كرسي الأستاذية لم يكتفِ بإلقاء المحاضرات في العبرية والعربية، وإنما عمل جاهدا على دراسة المخطوطات العربية

في مكتبة البودليان، كما تشهد بذلك مجموعاته، وأنتج لنا طبعة وترجمة من جزء صغير من تاريخ أبي الفداء. وعلى رغم دأبه وكده، كان أستاذا فقير الموهبة، وفق رأي رايسكه اللاذع في هذا العمل[6].

لم تكن الجامعات – في واقع الأمر – تشارك مشاركة كبيرة في دراسات العربية، كما كان إسهامها ضعيفا في الكثير من الجوانب الثقافية والدراسات الأكاديمية في إنجلترا في تلك الفترة. أضف إلى ذلك أن أغلب الإنجازات القيمة في هذا المجال إنما أُنجِزت خارج أروقة الجامعتين الكبيرتين: أكسفورد وكيمبردج. تبرز في هذا السياق جهود رجلين من نصارى العرب، الأول يُدعى سليمان نِجري، والثاني يُدعى كارلوس داديتشي[7]. جاء الرجلان من سورية، وأقاما في لندن في أوائل القرن الثامن عشر، حيث قام نِجْري بنشر النصوص المقدسة بالعربية على ذمة جمعية ترقية المعرفة المسيحية، وكان داديتشي مترجم الملك لفترة من الزمن. وكان جورج سيل George Sale يعرف الرجلين كليهما، ويُقال إن داديتشي درَّسه بعض العربية. لا يبدو أن سيل Sale قد اختلف إلى أي من الجامعتين، ولكنه كان متبحرا في القانون. وفي العام 1711 نشر سيل ترجمته لمعاني القرآن بالإنجليزية، وكانت أول نسخة موثوق بها بلغة أجنبية. صدّر سيل هذه الترجمة بخطاب استهلالي طويل عن التاريخ الباكر للإسلام والعقيدة الإسلامية، وهو خطاب يتميز بموضوعيته ومزاجه الهادئ. وربما يدين سيل ببعض الدّيْن لـترجمة مراتشي للقرآن باللاتينية. وليس من شك في أن سيل استفاد من كتاب لويس مراتشي المعنون بـ «مقال في الرد على ما جاء في القرآن» في المضمون الحقيقي في «خطابه» وتعليقاته الشارحة[8]، على الرغم من أنه كان يفضل الاستشهاد بما جاء في كتاب «الُّلمع» لـ بوكوك كلما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان يعترف بفضله كمرجع أساسي. كان سيل يحمل بين الحين والحين على كتاب برايدو «حياة محمد»، ولكن كتابه كان، على النقيض من كتاب برايدو، مثالا بارزا على بدايات التنوير كأفضل ما يكون. وهو في تناوله للإسلام يسترشد بكتاب سابق عليه من تأليف إدريان ريلاند بعنوان: «الديانة المحمدية»، وكان ريلاند أستاذ اللغات الشرقية في أوترخت[9]. كانت روح برايدو لاتزال مطلة على المشهد في إنجلترا، تدل عليها تلك الاتهامات السخيفة التي تتهم سيل بالكفر بالمسيحية واتباع الإسلام. اتُّهم سيل بذلك لأنه

لم يهاجم الإسلام، ولم يحمل على نبي الإسلام، كعادة علماء عصره. وعلى الرغم من ذلك كانت ترجمته شائعة جدا، وكان الكثيرون يقرأونها، وطُبعت طبعات متعددة، وكانت مصدرا مهما من المصادر التي استعان بها غبون في كتابه «أفول الإمبراطورية الرومانية وانهيارها».

نستطيع أن نذكر أمثلة أخرى من الترجمة من العربية التي أُنجِزت خارج أروقة الجامعة. على سبيل المثال، نذكر أن عالم الآثار رتشارد ميد أوصى بترجمة الكثير من السير المستمدة من كتاب أبي العباس بن أبي أصيبعة المعنون بـ «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، ليستفيد منه جون فرند John Freind في كتابه «تاريخ الطب من غالينوس إلى القرن السادس عشر»[10]. ولكن يجب أن نؤكد في الوقت نفسه أن النشاط كلـه كان يتمحور حول الترجمة. وعلى رغم أن حروف الطباعة العربية الأنيقة التي كانت في حوزة كاسلون (وكانت مصممة على غرار حروف غرانجون ميدتشي الأصغر) كانت متاحة من العام 1725 وما بعده، فإن هذه الحروف لم تجد من يستفيد منها إلا قليلا في إنجلترا خارج إطار مطبوعات «جمعية الترقي بالمعرفة المسيحية»، والتي صُممت هذه الحروف خصيصا من أجلها تحت إشراف نِجري. وبالرغم من الرؤية المستنيرة للإسلام التي كان يراها بعض المثقفين في ذلك الوقت، والاهتمام بالبلاد الإسلامية الذي كان يشهد عليه نشر العديد من كتب الرحلات الرائعة في أوروبا كما في كل أنحاء القارة الأوروبية[11]، فإن الدراسة الفعلية للغات كانت تُهمل إهمالا، إن لم تكن تُزدرى ازدراء، وتدل على ذلك واقعة رواها كروسلي عن وليام واربرتون، الذي كان يوجز الجوانب السيئة كلها في الثقافة الأدبية في إنجلترا القرن الثامن عشر: «كان الأسقف واربرتون، الذي لم يوقّر دراسة اللغات الشرقية توقيرا كبيرا، كثيرا ما يذكر على سبيل التفكه مع بعض شباب الطلاب أن عدد كلمات اللغة العربية يصل إلى اثني عشر مليونا وثلاثمائة وخمسين ألفا واثنين وخمسين كلمة، حسبما كان يرى بوكوك، على أن ذلك من عوامل التشجيع على دراسة اللغات»[12]. وعندما اقترب القرن من نهايته بدأت المواقف تتغير، جزئيا بسبب تأثير وليام جونز، خاصة كتابه المعنون بـ «قصائد»، ويتكون في الأساس من ترجمات من اللغات الآسيوية[13]، ولكن هذا يقع ضمن تاريخ الحركة الرومانسية.

(1) أسباب أفول الدراسات العربية

كان الفرق الكبير بين ازدهار الدراسات العربية في إنجلترا في أربعينيات القرن السابع عشر وخمسينياته، ثم تراجعها السريع بعد عودة الملكية إلى درجة الندرة في منتصف القرن الثامن عشر، مما يدعوننا إلى البحث عن أسباب هذا التراجع. وقد ناقش هولت Holt هذا الموضوع[14]، ويمكننا أن نلخص حججه في السطور التالية.
كانت فحوى حجج المقبلين على دراسة العربية في القرن السابع عشر أنهم كانوا يريدون تعزيز نصوص الكتاب المقدس، وأن العربية ضرورة ملحة لنشر النصرانية (وخاصة العقيدة البروتستانتية) في الأوطان الإسلامية، وأن العربية هي لغة الكثير من النصوص التي تنطوي على حكمة يجب الكشف عنها وفض مغاليقها؛ وذلك لفائدتها الكبرى، وخاصة في مجال الطب. وقد اكتشف العاملون على هذه الأهداف – مع مرور الزمن – أنها لا تستحق كل هذه المعاناة الكبيرة، وأن قيمتها مبالغ فيها، أو أنها عديمة القيمة في الأساس. أصبحت العربية بعد نشر القاموس متعدد اللغات كأنها لن تقدم جديدا يفيد دراسات نصوص الكتاب المقدس. أضف إلى ذلك أن اهتمامات علماء اللاهوت المسيحيين بعد عودة الملك تشارلز الثاني اتخذت وجهة جديدة؛ انتقلت من الاهتمام بالحِجاج حول التفاصيل الدقيقة والنصوص القصيرة إلى قضايا أهم متصلة بالأخلاق واستعمال العقل. لقد صادفت الحملات التبشيرية البروتستانتية إخفاقا واضحا في الأراضي الإسلامية، وكان ذلك حقيقا بأن ينتهي بالمبشرين إلى الإحباط والكفر بفائدة معرفة اللغة العربية المتصلة بذلك كله. وأما فيما يتصل بالأمل في الحصول على معرفة من النصوص العلمية العربية، فإن مضمونها ما لبث أن أصبح قديما مع نهوض العلم التجريبي المنظم (وكانت بدايته في ظهور الجمعية الملكية للعلوم) في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

كانت أغلب حجج هولت مقنعة، غير أن حجته الثانية كانت ضعيفة. فمهما بلغ فشل الجهود التبشيرية التي كان يقوم بها المبشرون الإنجليز (وكذلك الأوروبيون من البروتستانت والكاثوليك) في البلاد الإسلامية، فإن تأثير هذا كان قليلا. يشير هولت نفسه إلى الدعم الكبير للجهود التبشيرية التي بذلها بويل (وبعده في أكسفورد كان بوكوك وهايد ومارشال، وفي حلب كان هنتنغتون) بعد عودة الملك تشارلز الثاني، وقد رأينا في القرن الثامن عشر جهود «جمعية النهوض بالمعرفة المسيحية»، وأنها كانت

مسؤولة عن طباعة الكتب العربية، ودعم المستعربين. مهما يكن من أمر، فإن المرء مضطر إلى أن يوافق على أن الكتب العربية والشرقية الأخرى لم تكن لها فائدة كبيرة في تعزيز نصوص الكتاب المقدس[15]، وأن اهتمامات أغلب علماء اللاهوت انتقلت من البحث في هذه الأمور ومثلها في أواخر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر إلى أمور أخرى. أضف إلى ذلك تلك الحقيقة المؤكدة وفحواها أن التقدم العلمي الهائل الذي حدث في أثناء القرن السابع عشر قد تجاوز اكتشافات العصور القديمة، والعصور الوسطى أيضا. وليس أدل على ذلك من مصير الكتب التي ظهرت من كتاب «المخروطات» لأبولونيوس، التي لم تبقَ إلا بنسختها العربية. فلو كانت هذه الكتب نُشرت وتُرجمت في أوروبا (كما كان يريدها رايموندي) عندما وصل المخطوط الذي كان يحتويها أول ما وصل في ثمانينيات القرن السادس عشر، لقدمت الكثير الجديد لعلماء الرياضيات في ذلك العصر. ولكن التقدم في الرياضيات كان قد تسارع في النصف الأول من القرن السابع عشر، وعندما صدرت نسخة الحقلاني- بوريللي في العام 1661، فضلا عن ترجمة هالي في العام 1710، لم يجد فيها علماء الرياضيات فائدة كبيرة. ينسحب هذا أيضا على المعرفة الجغرافيا التي كان المستعربون في القرن السادس عشر يعلقون عليها آمالا كبيرة بعد استعادة بوستل لمخطوطته لكتاب أبي الفداء. اندثرت هذه الآمال بعد أن أحرز الأوروبيون تقدما كبيرا في أمور الملاحة ورسم الخرائط، وأصبحت كتب الجغرافية العربية وخرائطها قديمة مستهلكة. وحتى حين كانت الخرائط العربية تغطي مناطق لم يصل إليها الرحالة الأوروبيون، فإن الأخطاء التي كانت واضحة في خرائط المناطق الأخرى ألقت ظلالا من الشك على كل المعلومات[16]. كان علماء الفلك في أواخر القرن السابع عشر يهتمون اهتماما كبيرا بالمشاهدات العربية الفلكية، خاصة: في الكسوف والخسوف، ويريدون معرفة متوسط الحركات على المدى الطويل، ولكن الاهتمام بهذا كان محدود النطاق للغاية. أفضل وصف للموقف المعاصر حول خلاصة ما أنجزته العربية في الفلك، والذي تعبر عنه أطروحاتهم الفلكية، جاء في ما كتبه «وليام وتُون» الذي يقول:

> هناك الكثير من آلاف المخطوطات العربية والفارسية التي وصلت إلى أوروبا، والتي في وسع علمائنا أن يحققوا منها أقصى استفادة، وأن يعرفوا مقدار علمهم من هذه المخطوطات، أكثر من معرفتهم من هذه

> الكتب اليونانية البعيدة. وتوجد كمية كبيرة من ملاحظاتهم الفلكية في مكتبة البودليان، غير أن السيد غريفز والدكتور إدوارد برنارد، وهما من أبرع أصحاب النظر والرأي، لم يقدما للعالم أي وصف لأي شيء من هذه المخطوطات، وهي التي لم يتعلمها علماء الفلك العرب من بطليموس وكتابه المجسط، إذا وضعنا جانبا تجاربهم في الرصد، وهي التجارب التي علمها لهم أساتذتهم اليونانيون[17].

بعبارة أخرى، لم ينجز علماء الفلك العرب نتائج مفيدة تشبه النتائج التي توصل إليها هفِليوس ونيوتون، ولذلك فلم يهتم أحدٌ بما كتبوه.

إذن، إذا أخذ الباحث في اعتباره الأسباب التي دفعت المستشرقين إلى دراسة العربية، وهي الأسباب التي عبر عنها إربِنيوس في خطبه، وعبر عنها الذين حذوا حذوه ومنهم باسور وتوماس غريفز وكاستل وهايد، وربما توماس هَنْتْ، بوصفها الدوافع التي دفعت هؤلاء إلى دراسة العربية، يصبح لدينا تفسيرٌ جاهزٌ لأفول هذه الدراسات. على أي حال، هذه دوافع لا ينبغي أن نتجاهلها، ولكن وجب علينا أن نفرق بين الأفعال التي أريد بها فائدة المستفيدين منها من طلاب ورعاة، والأفعال التي تخدم هدف صاحبها خدمة مباشرة. بالتأكيد كان هناك بعض المستعربين (ومنهم ويلُك كمثال واضح) الذين كانوا يؤمنون إيمانا حقيقيّا بأنهم ينهضون بالمسيحية من خلال دراساتهم في اللغة العربية. ولكن حين نقول إن إربِنيوس كانت لـه دوافع أخرى فلا يعني ذلك أنه كان منافقا أو خائنا. كان إربِنيوس مقتنعا غاية الاقتناع بأنه كان يخدم المسيحية من خلال نشره للنصوص المقدسة باللغة العربية. وعلى رغم ذلك، فمن الحق أن نقول إن دوافعه الأساسية، ودوافع يوليوس وبوكوك أيضا، كانت فكرية في المقام الأول وليست نفعية. لقد قضى الرجلان أعواما في البلاد الإسلامية، وكانا مهتمين اهتماما عميقا بتاريخ البلاد الناطقة بالعربية وثقافتها، وكانا يعرفان حق المعرفة أن اللغة العربية تستحق الدراسة لذاتها. كان بوكوك هو المفكر الذي نستطيع أن نقول إنه كان يجسد هذه الفكرة التي لم تكن مألوفة في عصره[18]، وعندما يختار يوليوس نصوصا لمؤلفين بأعينهم ليطلع عليها طلابه، ويستظهرونها أحيانا، وعندما يجد متعته في نثر عربي تشيع فيه القافية في رسائله العربية، نستطيع أن نقول إن هذا يكشف عن ذوقه من ناحية، وعن معرفته بثراء العربية وآدابها

من ناحية أخرى.

مهما يكن من أمر، فحتى إذا كان أفضل المستعربين الأوروبيين في القرن السابع عشر يتمتعون برؤية أرحب بكثير لقيمة العربية وأهميتها، مما كانت تنطوي عليه رسائل المدافعين عن درسها في ذلك العصر نفسه، فإنهم كانوا قلة من الناحية العددية، ولم يتحقق لهم الكثير من النُجح، سواء في البلاد المنخفضة أو في إنجلترا، في إرساء تقليد يسهم في إدامة هذه الرؤية. يكشف عن هذا كلـه عرضنا الذي قدمناه في الفصلين السابقين لأهداف بوكوك وتلاميذه وإنجازاتهم، ربما باستثناء كلارك وغايز؛ فالرجلان كلاهما وافتهما المنية مبكرا جدا، وليس منهما من شارك بوكوك اهتماماته واسعة النطاق، أو تعاطفه مع الثقافة العربية. ينسحب هذا كله أو كثير منه على يوليوس الذي كان تلاميذه ينجزون ما ينجزونه (إذا كانوا قد أنجزوا شيئا)، مثل بتريوس، في إطار المجال الضيق المتصل بدراسات الكتاب المقدس. نستطيع أن نقول أيضا إن هؤلاء العلماء من أمثال يوليوس وبوكوك، وكذلك – وإن يكن بشكل محدود – إربِنيوس وسِلدِن وجون غريفز، سبقوا زمانهم؛ فيبدو أنهم استبقوا القرن التاسع عشر في فضولهم الفكري حول حضارة بأكملها فتحها الأوروبيون، وكانت اللغة العربية هي البوابة التي دخلوا منها. أضف إلى ذلك أنهم عاشوا في عصر كان يُعلي من شأن العلم، ويحترم البحث العلمي لذاته، ولكن لم يغادر بعضهم الحياة حتى كان هذا العصر قد بدأ يتخلى عن هذه الروح إلى شيء آخر مختلف غاية الاختلاف. فقد رأينا كيف كان بوكوك وزملاؤه الذين كان يبادلهم الرسائل، يأسفون لهذا التغير في احترام الناس لدراسة العربية بعد عودة الملكية. كان ذلك حقيقيّا بما فيه الكفاية، ولكنه لم يكن إلا جزءا من ظاهرة أشمل وأعم. وهنا نذكر ملاحظات أنتوني وود حول التدهور الشامل في التعليم في أكسفورد بعد عودة الملكية، وهي ملاحظات لافتة على رغم أنها تفتقر إلى الموضوعية إلا فيما ندر[19]. فلم تكن هذه التغييرات مقصورة على أكسفورد أو حتى إنجلترا. يقدم لنا تولِز دلائل من رسائل بوكوك على تدهور الدراسات العربية في البلاد المنخفضة في تلك الفترة نفسها[20]. وهنا يظهور موضوع آخر شائق ومثير، ولكنه بعيد عن موضوعي هنا كل البعد، وهو أن مظاهر التوسع في المطبوعات الدورية العلمية والجمعيات العلمية في الفترة نفسها، في أرجاء القارة الأوروبية كلها، بوصفها ضروبا من الدرس العلمي،

خاصة تلك المطبوعات التي تعتمد على دراسة النصوص الأصلية، كانت تتدهور على مستوى الممارسة والشهرة أيضا. شهد القرن الثامن عشر، وخاصة ثلثيه الأولين، تسارعا في هذه التوجهات، وهذا ما أفاض في وصفه فرانك مانيول[21] فيما يتصل بالدراسات العبرية، وهو يركز على التناقض بين المنهج الموسوعي البالي، والاقتراب الحقيقي من المصادر العبرية الذي ظهر في جهود علماء القرن السابع عشر من أمثال سِلدِن والإخوان بكستورف وبوكوك ولايتفُتْ.

(2) تراجع الدراسات العربية في أوروبا

قلنا إن الدراسات العربية تراجعت في إنجلترا في القرن الثامن عشر، ولكنها لم تتراجع في إنجلترا فقط. لم تكن أسباب تراجعها موجودة في إنجلترا فقط. ونستطيع أن نقول إن تراجع الدراسات العربية في إنجلترا يعود في المقام الأول إلى تراجع دور الجامعات، وإلى تراجع المجد الشخصي الذي تجلبه هذه الدراسات، وإلى قلة عدد المتقدمين لها، الراغبين في دراستها، وهذا ما ذكره غبون Gibbon في سيرته الذاتية التي كتبها، وتحدث فيها - فيما تحدث - عن تجربته في أكسفورد. وقد يقول قائل: إن أفول الدراسات العربية في إنجلترا ظاهرة إنجليزية ليس إلا، ولكنا نزعم أنها كانت ظاهرة أوروبية، فقد تراجعت هذه الدراسات في أوروبا كلها، حتى في تلك البلاد التي كانت تُنشر فيها النصوص العربية وتجد من يعكف على دراستها، ونقصد على وجه الخصوص البلاد المنخفضة وألمانيا، حيث كانت العربية تقوم على خدمة الكتاب المقدس من ناحية التفسير والتحليل، ومن ناحية تذليل العقبات أمام فهم النصوص العبرية وفهم عادات الأمة الإسرائيلية وتقاليدها. وقد أكد على هذه المزاعم باحث في حجم ألبرت شولتنز Albert Schultens، وكان أستاذا للغات الشرقية في لايدن من العام 1729، وكانت مركزا من أهم مراكز دراسة اللغات الشرقية في أوروبا كلها. ولكن النصوص التي درسها، والتحليلات التي خرج بها كانت مدعاة للإحباط. وقد كان المصير الذي لاقاه مستعرب النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهو يوهان. ج. رايسكه J. J. Reiske، الذي ناضل من أجل فهم الأدب العربي لذاته، شعره ونثره، فاتُّهم بالهرطقة والخروج عن الملة، كان هذا المصير بمنزلة التحذير للآخرين. كان رايسكه يرى أنه أقدر من الآخرين على فهم

الأدب العربي، وعلى تناول النصوص العربية بالحكم النقدي. كان أقدر من شولتنز في جامعة لايدن، وكان أقدر من ج. دي. مايكلز في جامعة غوتنغن، فقد آثر الاثنان الشهرة والنفوذ على الدراسات الجادة، وكان هو مضطرا إلى قبول رعايتهما لـه على مضض، من أجل لقمة العيش التي راح يكسبها من المال القليل الذي كان يأتيه من كتبه العربية التي كانت تُطبع بأعداد قليلة. وفي النهاية وجد ضالته حين عُيِّن ناظرا لمدرسة من تلك المدارس، مما مكنه من التركيز على هوايته في دراسة اللغة العربية، وأدبها القديم على وجه الخصوص[22]. كان رايسكه يحترم الإنجازات التي حققها الإنجليز في مجال الدراسات العربية في القرن السابع عشر، وعلى الرغم من أنه كان يدرك جيدا أن الموقف قد تغير[23]، فقد كان يداعبه الخيال بأن تستقبل إنجلترا تحقيقه لكتاب أبي الفداء، الذي كان يخطط لـه، أفضل استقبال، وأنه سيُطبع هناك وينتشر. وربما كان من حسن الحظ أن الفرصة لم تُتَح لـه لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ.

لا يجب أن يجعلنا هذا الحديث المحبِط عن تراجع الدراسات العربية في القرن الثامن عشر ننسى الإنجازات الحقيقية والخالدة للقرن السابع عشر في مجال الدراسات العربية. فقد تأسست هذه الدراسات في ذلك العصر كفرع مهم من فروع المعرفة باللغة العربية وخاصة في مجال النحو وصناعة المعاجم. والتاريخ لن ينسى جهود العالمين الهولنديين إربنيوس ويوليوس، فقد كانت جهودهما حاسمة في هذا الصدد. وكذلك لا ينبغي أن ننسى إنشاء المطابع العربية، ونشر الكتب العربية، وهنا أيضا نجد أن علماء الأراضي المنخفضة قد تحملوا عبء الريادة عن الإيطاليين، بيد أن المستعربين الإنجليز أدوا أيضا دورا كبيرا للغاية. والنقطة الثالثة التي نريد أن نوضحها هي أن هناك بعض التقدم قد تحقق في مجال نشر المعرفة (وحتى الفهم) المتصلة بحضارة كان الجهل بها والتحيز ضدها هما الأساس لموقف أوروبا كلها. وهنا نذكر جهود بوكوك، خاصة في كتابه «لُمع من تاريخ العرب»، وكان كتابا مهما، لـه تأثير كبير. والنقطة الرابعة هي أن علماء ذلك العصر تمكنوا من الظفر بأكبر كم من مجموعات المخطوطات التي مهدت الطريق أمام الإنجازات الكبيرة التي حققها علماء القرن التاسع عشر في مجال الدراسات العربية. في هذا المجال كانت جامعة أكسفورد من أكثر الجامعات تقدما، فقد أصبحت من أهم

الجامعات التي احتوت أروقتها على الدراسات والمخطوطات والنصوص العربية، من ناحية الكم والكيف كليهما. وأما الإنجاز الأخير والأهم فهو تأسيس منهج لتدريس العربية في الجامعات الغربية، فقد أرسى قواعده في إنجلترا علماء مثل لـود والسير توماس آدمز، واستقر بفضل جهود علماء مثل بوكوك وويلُك، واستطاع أن يعيش في أثناء السنوات العجاف في القرن الثامن عشر، ليزدهر من جديد في عصور جديدة، وفترات تاريخية أفضل حالا.

الهوامش

withe

الفصل السابع

(1) من العام 1644 وبعده كان هو الممثل الوحيد لجامعة أكسفورد، فقد تُوفي زميله السير توماس رو في ذلك العام، ولم يُستبدل.

(2) كان آخر تبرع في السادس من نوفمبر من العام 1640، بعد اجتماع البرلمان الطويل بثلاثة أيام. وقد استهل خطابه المصاحب لهذه التبرعات بتلك العبارة: «ونحن في هذا الخضم من الفوضى» Dum sic fluctuant Omnia (هنت، «مخطوطات لود»، ص30).

(3) هناك أدلة أخرى على ترتيب غريفز لمخطوطات لود والتعريف بها، انظر: المرجع السابق، ص 14 - 15. وينتمي هذا النشاط – يقينا – إلى الفترة التي تلت عودته من الشرق.

(4) انظر لود، «الأعمال الكاملة»، ج4، والرسالة طبعها وليام براين الذي أشرف على تعذيب لود (محاكمة لود، ص 421).

(5) لقد هرب غروشيوس نفسه من السجن إلى هولندا، بمساعدة عم يوليوس: يوحنا هملاريوس، وآخرين.

(6) انظر تولز، ص 81 – 85، الذي يروي القصة بشيء من التفصيل، وكتبها في خطاب طويل أرسله إلى لـود، فإذا كان صحيحا فإن المصدر الوحيد الممكن الاتكاء عليه هو رواية شفوية من فم بوكوك نفسه، كم رواها واحد من زملائه في الجامعة بعد وفاته، أو أملاها على أول كاتب لسيرته، وهو السيد همفري سمِث. وربما يتساءل الباحث: هل تعرضت الرسالة لبعض التعديلات في أثناء الإملاء؟

(7) يظهر ذلك من الوصية التي تركها بوكوك، والمحفوظة في دار الوثائق القومية، وربما كانت بالرقم 11/406، (1691)، ص146، الصحيفة الرقم 52 شمال.

(8) انظر ماليه: «تاريخ جامعة أكسفورد»، ج2، ص353 – 360، مما يعطينا صورة صحيحة عن هذه الأحوال.

(9) انظر أشر في رسائله، الرقم 211، ص509.

(10) انظر وارد، «أساتذة غرِشَم»، ص145 والصفحات التالية، ثم انظر غريفز في أعماله، السفر الرقم 1، ص29. وقد حصل وارد وبيرتش على هذه الشهادة من مراسلات بوكوك.

(11) انظر وود، «تاريخ الأعمال القديمة»، ج2، ص487 – 488.

(12) لم تحمل الرسائل أي تواريخ، ولكنا نستطيع معرفة بعض تواريخها بالتقريب من خلال معلومة وردت في الرسالة الأخيرة، مفادها أن رافيوس حصل اليوم على كتبه من الباخرة، وأما رافيوس نفسه فقد أنبأ غريفز في 6 ديسمبر 1641 بأنه حصل على مخطوطاته قبل ذلك بيومين (مخطوطة سمث، 93، ص109).

(13) انظر كتاب رافيوس المعنون بـ «المديح الأول للغات» Panegyrica Prima ص22، حيث يقول: «تعلمت العربية على أيدي كثر من أتباع محمد، ومن نيكولاوس بتري (انظر لوي دو ريو إلى ج. ج. فوشيوس في 25 مارس 1642).

(14) كان يقصد مرسين وكلود هاردي، كما علمنا من رسالة رافيوس إلى غريفز، مخطوطات «سمث»، 93، ص 109.

(15) هذا وصف دقيق لرافيوس، مخطوطة «أبولونيوس».

(16) عملة تركية.

(17) نظن أن رافيوس قد أرسل في ذلك الوقت قائمة بمخطوطاته مكتوبة بخط اليد، وكذلك السعر بالجنيهات الإسترلينية، إلى العلماء والدارسين في أوروبا. ففي 31 مارس 1642 كتب فوبيسكوس فوتشـناتس بلمـبيوس Vopiscus Fortunatus

Plempius من لوفان يعرض أن يشتري منه من بين ما يشتري كتاب القانون لابن سينا بمبلغ اثني عشر جنيها إسترلينيّا (رافيوس: قاموس عربي لاتيني فارسي، ص3).

(18) مخطوطات بوكوك الرقم 432، الملف الرقم 11 (ترجمتي). (*) «جميع الرسائل التي كتبها نيكولاوس تم تحريرها وترجمتها والتعليق عليها فيما كتبه هيلاري كلباترك وج. ت. تومر في مقالهما عن نيقولا الحلبي (1611 - 1661م) ناسخ سوري من أصل يوناني ورسائله إلى بوكوك ويوليوس المحفوظة بالرقم Lias, 43, 2016 ص ص، -1 159» (من ملاحظات تومر).

(19) المرجع السابق، الملف 12.

(20) قرأت العنوان بالعربية على النحو التالي: «سبط الأرض في طوله وعرضه»، وأنا لا أعلم هل لبوكوك عمل بهذا الاسم من بين مخطوطات بوكوك في مكتبة البودليان، (*) «فقط اشترى سِلدِن المخطوط، وهي محفوظة فعلا في مكتبة البودليان باسم سِلدن الرقم 76» (من ملاحظات تومر).

(21) يسميه نيكولاوس بـ «الجلبي»، ويحق للباحث أن يتوقع «الجروي» (وهو أقرب من اسم غريفز باللاتينية وهو غرافيوس). ولكن نيكولاوس كان مغرما بتطبيع الأسماء الأوروبية التي كان يسمعها، لتتسق مع كُنيات لها معنى باللغة العربية، فهو يسمي رافيوس الراوي، ومثله الجلبي هو الاسم العربي للاسم التركي «التشلبي» أي «الرجل المتعلم». وقد دلت تفاصيل كثيرة في الرسالة الأولى على أنه كان يقصد جون غريفز.

(22) قرأتها بشيء كثير من الشك على أنها «فسجنسلسوس».

(23) وأما رسالته التي أرسلها إلى رافيوس، يأسف فيها على أنه لا يستطيع فعل المزيد، ويرفض قطع وعد على نفسه، فمطبوعة في كتاب رافيوس المعنون بـ «قاموس عربي فارسي لاتيني»، ج3، ثم في سِلدن، «الأعمال الكاملة»، ج2، 1709.

(24) نرجح أنها المخطوطة المسجَلة في كتاب الهبات لجامعة كيمبردج (مكتبة جامعة كيمبردج، مخطوطات من 7 – 52، ص 46).

(25) ربما كان رتشارد هولدزورث، وكان نائب رئيس جامعة كيمبردج، الذي كان في عهدته في العام 1647 بعض مخطوطات رافيوس، حسبما صرح به رافيوس نفسه.

(26) انظر رافيوس في كتاب «قاموس عربي فارسي لاتيني» ج1، ويمكن للباحث أن يأخذ فكرة عن الاضطراب الذي وقع فيه من رسالة بعثها إلى إسحاق فوشيوس في 6 يوليو 1647، حيث يظهر أنه ترك مخطوطات مرهونة في أكسفورد وكيمبردج والقسطنطينية. وهناك تبادل مثير للرسائل بين رافيوس والسير سموندس ديوس في العام 1645 يطلب فيها رافيوس من ديوس أن يحتفظ لـه بالمخطوطات اليونانية المرهونة عند البارون حتى يتمكن من ردها، ويجيب ديوس بشيء من الحنق بأن المخطوطات ملكه، فقد تسلم مخطوطة في مقابل كتاب صيني، واشترى منه الأربع الأخرى (مخطوطات المكتبة البريطانية، هارلي، 364، الملف الرقم 272، و378، والملف الرقم 86).

(27) مخطوطات دورفيل، الرقم 468، ص 215، «وكذلك رهن الطبق الفضي لكليته من أجل المال الذي تقدم به للملك».

(28) ولكن في رسالة إلى كلود هاردي في آخر العام 1649، («مخطوطة سافيل» الرقم 47، الصحيفة الرقم 38، مطبوع في الأعمال، ج2، ص462 – 462)، يقول غريفز إنه منذ خمس سنوات، وهو في طريقه إلى باريس، تعرض له بعض الجنود (وواضح أنهم من جنود جيش البرلمان)، فسرقوا أمواله وكتبه الأدبية ‹in ipso itinere à militibus nostris pecuni et supellectile me literari exutus›. وربما يظهر في الرسالة أن

هذه الأمتعة الأدبية supellex literaria كانت تضم أفضل المخطوطات التي جلبها معه إلى القسطنطينية، ولكن كانت تحدوه آمال في استعادتها، لذلك فنحن نظن أنه قد تعرض للسرقة مرتين: الأولى في كلية غرِشَم (في العام 1643) والثانية في الطريق (في العام 1644).

(29) رسالة بوكوك إلى سِلدن في 11 فبراير 1653، في المعبد الداخلي the Inner Temple المخطوطة الرَقم 538، الصحيفة 305، نشرها ويكفيلد «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص133 (من نسخة في مخطوطات سمِث 21، ص29).

(30) رسائل هاردي إلى غريفز، 1 سبتمبر 1641، مخطوطات سافيل الرقم 47، الصفحات من 43 – 44، مطبوعة (بطريقة غير دقيقة) في «الأعمال الكاملة» لغريفز، ج2، ص446 – 450. لمزيد من المعلومات عن مخطوطات غريفز الشرقية، انظر الجزء السادس من هذا الفصل.

(31) مخطوطات سافيل الرقم 47، الملف 53 (غريفز، الأعمال الكاملة، ج2، ص456 – 458). وهو يدرج عنوان العمل الذي يقتبس منه بهذه الصيغة: «أحياء مصر والقاهرة».

(32) انظر «رسائل أشر»، الرقم 102، ص509 – 510، فقد كان أشر (وكذلك وليام هارفي الذي يقدم له غريفز خدماته) في أكسفورد في ذلك الوقت، ومن الواضح أن غريفز كان يكتب من لندن. وهذه إشارة لافتة إلى أنه في خضم الحرب الأهلية كان السفر بين لندن وأكسفورد، حيث كانت رئاسة قوات البرلمان في لندن، ورئاسة قوات الملك في أكسفورد، لايزال متاحا لغير العسكريين بالذات.

(33) بالنسبة إلى استخدام غريفز لكتاب الهاشمي، انظر الجزء السادس من هذا الفصل، والفقرة مهمة جدا لأنها تثبت أن المخطوطة النادرة لهذا العمل، مخطوطة رئيس الأساقفة، سِلدن أ. 11، تعود إلى غريفز. ونحن نعرف أنها وصلت إلى مكتبة البودليان من خلال مَجموعة سِلدن، فلا بد أنها كانت إحدى تلك المخطوطات الشرقية التي اشتراها سِلدن من توماس غريفز بعد وفاة جون غريفز. ولدينا دليل من الحواشي الكثيرة في المَخطوطة بخط يد غريفز نفسه (مرسِر، «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص164).

(34) نشرت بعد بضع سنوات من وفاة غريفز، حسبما جاء في كتاب «متفرقات» لفوستر.

(35) لا أعرف ما أصبح عليه هذا الوضع، فقد جمع غريفز النحو الفارسي قبل ذلك ببضع سنوات، ولكن الكتاب لم يُنشر إلا في العام 1649.

(36) رسالة إلى بوكوك، أوردها وارد، في كتاب «أساتذة غرِشَم»، ص145.

(37) انظر برودرك، «ذكريات كلية مِرتون»، ص78 – 84، وانظر تريفور ريبور، «لود رئيس الأساقفة»، ص354 – 357.

(38) المرجع السابق، ص88.

(39) لمزيد من المعلومات عن بَتُن انظر وود في كتاب «سجل الأحداث» Fasti، ج2، ص158 – 159، وفي كتاب «أساتذة أكسفورد» Athenae Oxonienses تحقيق بلِس، سفر 4، ووارد في كتاب «أساتذة غرِشَم»، ص153 – 155، وص338. كان أنه عُيِّن أستاذا للهندسة عندما فُصل غريفز من هذا المنصب. وعبر غريفز عن رأيه في منافسته لبَتُن في رسالة أرسلها إلى الدكتور سكاربوره (مخطوطة سافيل الرقم 47، الملف الرقم 50، مطبوعة في أعمال غريفز الكاملة، ج2، 395): «هذا الذي وضعته الأقدار في منصب لا يستحقه».

(40) انظر بَروز، «سجل الزوار»، ص8، 71، يُلاحظ ظهور زملاء كلية مِرتون (وقد عانى كثيرٌ منهم في أثناء نوبة لود التفتيشية للعام 1638) في جملة الهيئة التفتيشية. وليس من

شك في أن برِنْتْ قد استخدم نفوذه في إدارة الكلية مع أولئك الذين كان يمكن الاعتماد عليهم في عملية التطهير التي قادها في كلية مِرتون.

(41) انظر سِلدن في «أوتيخيوس»، ص17.

(42) من توين إلى سِلدن، 7 فبراير، و16 مارس 1642 (مخطوطة سِلدِن السابقة، الرقم 109، الملف الرقم 278 a، و 278c).

(43) مادان، «كتب أكسفورد»، ج3، الرقم 2502. ولمزيد من المعلومات عن جونز انظر وود في كتابه «خريجو أكسفورد» Athenae Oxonienses، ج3، ص708؛ وكان وود يعرف جونز وينْفُر منه، انظر كتابه المعنون بـ «حياة وأزمان»، ج1، ص391 – 395.

(44) على سبيل المثال رسائله إلى صامويل كلارك، مخطوطة موجودة في المكتبة البريطانية، الرقم 2290 في صحيفتين بالرقمين 29، و50 (مارس 1659، وأبريل من العام 1661).

(45) الأجزاء القليلة التي نجت من التلف موجودة في مخطوطة بوكوك الرقم 429، الصفحات 1، 2، 16، 17. وقد اكتشفها هولت، انظر «الدراسات العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا»، ص 91.

(46) لقد رواها تولِز بالتفصيل، وأكتفي هنا بإجمالها.

(47) تحدث تــولِز عن هذا الإذعان بشيء من التفصيل، وكان يفضل التركيز على تجنب بوكوك لحلف الأيمان - أي القسم حسب «الاتحاد والعهد القاطع»، وحسب «اليمين الكاذب» - بأن جميع الصلات مع الملك قد أوقفها. ولكن مسألة إذعان بوكوك مسألة واضحة من السجلات الخاصة بالتفتيش، انظر باروز، «سجل المفتشين»، ص 82.

(48) «أعلن وأتعهد بأنني سأكون صادقا ومخلصا لكومونولث إنجلترا كما هو كائن الآن من دون ملك أو مجلس لوردات» (انظر المرجع السابق، ص 274).

(49) كما كتب إلى هورنيوس في 30 نوفمبر (تولِز، ص 134). كان لانغبين من الرأي نفسه في 29 أكتوبر، عندما كتب إلى سِلدن يوصي بحامل الرسالة الذي لم يذكر اسمه بأنه الخلف المحتمل في كرسي العربية «إذَا انقضت الآمال في استمرار السيد بوكوك، وأخشى أن تكون الآمال منعدمة» (مخطوطة سِلدِن السابقة، الرقم 109، الصحيفة الرقم 323 يمين).

(50) في تصديره لكتاب «أوتيخيوس» الذي صدر في الفترة نفسها، يشير إلى أن الحقد الذي لا يمكن تجنبه malitia planè insuperabili هو الذي شغله عن عمله في هذا الكتاب.

(51) انظر تــولِز، ص -147 145.

(52) انظر أشر، «الأعمال الكاملة»، ج 25، ص 547، وليس في رسائل أشر.

(53) لم يكن الأصل متاحا أمام بوكوك، ولم يكن حتى معروفا في أوروبا كلها قبل القرن العشرين.

(54) طُبِعت الملاحظات في البداية في العام 1648، مادان، «كتب أكسفورد»، ج 2، الرقم 2007، ولكن الكتاب ككل لم يُنشر إلا في العام 1650، المرجع السابق، الرقم 2034.

(55) لا يمكن الوقوف هنا على هذه الأعداد، فأغلبها موجود ومدرج في كتاب هولت: «الدراسات العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا»، الملحق الرقم 9. وقد نستخلص من قائمة المؤلفين الموجودة في الصفحات بين 345 – 373 أن المراجع كلها التي تخص كتاب «لُمع من أخبار العرب» تعود إلى طبعة العام 1806 إلا إذا أثبت باحث آخر غير ذلك.

(56) «أرى رملا ولا أرى حجرا» arena sine calce، ص 167.

(57) الصفحات من 170 إلى 173.

(58) انظر ص 25.
(59) ص 326 – 327 (ترجمتي).
(60) تولز، ص 176، والمقتبس من كتاب «لُمع من أخبار العرب»، ص 166 (الطبعة الأصلية، ص 172 في طبعة 1806).
(61) ص 199 – 269.
(62) انظر ص 222 – 223.
(63) على سبيل المثال، انظر كتاب هِل المعنون بـ «العالم ينقلب رأسا على عقب»، الفصل التاسع.
(64) انظر ص 264.
(65) انظر بوكوك في كتابه عن أبي الفرج، في تصديره لهذا الكتاب يشكر لانغبين (وكان قد تُوفي منذ بضع سنوات)، لأنه هو الذي أقنعه بإصداره.
(66) لمعرفة مزيد عن نشر جون غريفز لهذا السفر انظر: الجزء الخامس من هذا الفصل، فهو أبكر منهما من الناحية الفنية، فالتاريخ المكتوب على العنوان هو 1648، فيما يعود إصدار كتاب «اللُمَع» إلى العام 1650، ولكن، وكما نعرف، طُبِعت ملاحظات بوكوك في وقت أبكر، في العام 1648.
(67) انظر روث، «إدوارد بوكوك والمطبوعات الأولى بالعبرية في أكسفورد»، وقد فشل روث في الإشارة إلى أن مخطوطة بوكوك، التي استمد منها ترجمته، كانت بتوقيع موسى بن ميمون: انظر ستيرن، «توقيعات موسى بن ميمون في مكتبة البودليان»، ص 182.
(68) طبعة تـولز ص 6، «تراجعت العربية أمام العبرية نتيجة لعدم الاستخدام، وربما بسبب الخوف، غير أن ذلك لم يقض على تراثها تماما، فهناك جزء من الكتب العربية بين الأيدي اليوم، ولكن الجزء الأكبر ناله البلى بسبب الإهمال سنوات طويلة جدا، حتى أصبح من العسير جدا إعادة كتابة هذه الأعمال».
(69) راجع توسلاته لـبويل في العام 1661 هنتنغتون بين العامين 1671 و1673 ليبحث لـه عن كتاب البيان الذي ألفه تنحوم الأورشليمي (بويل، «الأعمال الكاملة»، ج 6، ص 324؛ تولز، ص 289 – 295).
(70) حتى ذلك الوقت كان العمل المنشور الوحيد بالعبرية والعربية هو الترجمة العربية لسعيد بن يوسف الفيومي (سعديا) لأسفار موسى الخمسة (مطبوع في القسطنطينية في العام 1546).
(71) مخطوطة سلدن المذكورة أعلاه الرقم 109، الصحيفة الرقم 465 يمين.
(72) انظر كارتر، «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص 40. يرى بوكوك أن السبب الوحيد في أن نائب رئيس الجامعة يوافق على هذا هو لأن كتاب بوكوك الذي كان سيستخدم الحروف، كان قيد الإعداد (رسالة إلى سلدن في الرابع عشر من مايو من العام 1652، مخطوطة سلدن الآنفة الذكر الرقم 109 الصحيفة الرقم 349 يمين).
(73) انظر مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 2277، وقد نشرت الملاحظات منفصلة في العام 1654 (المرجع السابق، الرقم 2259).
(74) انظر الجزء الثالث من الفصل الثالث في هذا الكتاب.
(75) مخطوطة رئيس الأساقفة سِلدِن أ. (*)A74 (فهرست المخطوطات الغربية في مكتبة البودليان، الرقم 3212C).
(76) رد لانغبين على هذه الرسالة في الحادي عشر من أبريل موجود في مخطوطة سلدن المذكورة الرقم 109، الصحيفة الرقم 339 يمين. والحق أن المراسلات كلها من جانب

لانغبين وبوكوك فيما يتصل بطباعة أوتيخيوس محفوظة في تلك المخطوطة، ويلخص تــولز رسائل متعددة عنها من سلدن إلى بوكوك. وجدير بالملاحظة أن تــولز أيضا كان مُطَّلعا على مخطوطة سِلدِن الرقَم 108/9، والتي كانت مرسلة إلى الطبيبَ وعالم الآثار رتشارد ميد.

(77) اعترف بوكوك بجميل سِلدِن عليه في تصديره لكتاب «لُمع من أخبار العرب» الذي أهداه إلى سلدن أيضا.

(78) انظر تــولز، ص 225 – 229. وقد تكررت هذه الرواية عند بعض الكتاب المحدثين الثقات، نذكر منهم على سبيل المثال مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، ص 2297، وكارتر في «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص 41.

(79) شرحه بوكوك في تصديره للكتاب. وقد ذكر سِلدِن هذه القاعدة وأمثالها في مخطوطة سِلدِن الرقم 109، الملف الرقم 348.

(80) يوجه تــولز الانتباه إلى الملاحظات التي كتبها بوكوك فيما يتصل بكتاب «أوتيخيوس»، وكيف أنه كتابٌ لا يمكن الاعتماد عليه من الناحية التاريخية، ولكن هذا جزء من رفضه لرواية أوتيخيوس لحكم الأساقفة للكنيسة. وقد ذهب مادان إلى أبعد من ذلك التشويه، حيث ذكر في ص 52 أن بوكوك في الوقت نفسه «اكتشف أن أوتيخيوس لا يُعتمد عليه كمؤرخ، وكأن بوكوك (الذي كان يساعد سِلدِن في إصدار كتابه في العام 1642) لم يكن يعرف ذلك منذ سنوات متعددة.

(81) أُرسلت إلى سِلدِن في لندن صحائف مطبوعة بعد خروجها من المطبعة مباشرة. وأما النسخة المنفصلة من ص 1 - 244 من السفر الرقم 2، بتاريخ 1654، وهو السفر الموجود في البودليان، فهي ملك سلدِن كما يزعم مادان.

(82) وحتى عند مؤرخي الطباعة، على سبيل المثال انظر كارتر، «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص 41.

(83) كان اعتراض بوكوك على حرف الدال في أكسفورد، فيما يذكر لانغبين، أن آخره كبير وأسفله صغير (مخطوطة سِلدِن السابقة في ص 109، الصحيفة، 343 /1).

(84) انظر مادان في «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 2438. وتحتاج ملاحظة مادان هنا إلى تصحيح يسير، فتوجد على الأقل نسخة واحدة إلى جانب النسخة الموجودة في مكتبة البودليان (وود 679)، ونقصد بها النسخة الموجودة في المكتبة البريطانية، والتي أصدر منها تشيو Chew ترجمة بوكوك إلى العربية، أوردها في كتابه المعنون بـ «الهلال والوردة The Crescent and the Rose»، 185؛ وأما نسبة الترجمة فقد تأكدت لحساب بوكوك حسب المراجع الحديثة في هذه الأيام.

(85) انظر تــولز، ص 336 – 337.

(86) أصبح احتساء القهوة من الطقوس الراسخة في أكسفورد، انظر: وود «حياة وأزمان»، ج 1، ص 168 – 169، ويُذكر أن يعقوب اليهودي افتتح مقهى في أكسفورد في العام (1650/ 1651)، وفيما كتب بلِسْ إشارات غير واضحة إلى هذا الأمر.

(87) انظر بويل، «الأعمال الكاملة»، ج: 6، ص 117.

(88) صدرت هذه النسخة من «أوراق هارتلِب» 42/ 4/ 4، في مشروع أخبار أوراق هارتلِب (أكتوبر 1990)، ص 9.

(89) من هارتلِب إلى ورثنغتون في 20 أبريل من العام 1659، (انظر رسائل ورثنغتون ج 1، ص 127) ثم انظر المصدر السابق ص 131 – 132، الذي يُظهِر بجلاء أن هارتلِب أرسل النص الإنجليزي دون العربي.

(90) مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 75.

(91) انظر أولدنبورغ، «المراسلات»، ج 8، ص 331، 372، 387.

(92) أشير هنا إلى توماس مارشال، وصامويل كلارك.

(93) منذ عودة السير ناثانيال برنت إلى عمادة كلية مرتون بعد استسلام أكسفورد لقوات الملك، أصبحت الكلية لا ترحب بالسيد غريفز، فلا نستغرب أنه قضى أكثر سني حياته بعد ذلك في لندن أو في مكان آخر غير أكسفورد.

(94) انظر غريفز، «وصف أهرام مصر»، أُعيدت طباعته ضمن الأعمال الكاملة لـ غريفز، المجلد الأول. ولإعادة تقييم أهميته في تاريخ علوم المصريات انظر: كتاب لـ ورثام بعنوان «علم المصريات البريطاني»، ص 19 - 23.

(95) ص 6، 44 (الأعمال الكاملة ج 1، الفصل التاسع، ص 60 - 61، مع ترجمة، ص 110 - 115).

(96) «جنة النقاء» مكتوب في القرن الخامس عشر، وانظر: أ. جوردين، «ملاحظات ومقتطفات من مخطوطات»، ص 9 (1812). (*) «وعن الكتب العربية التي ذكرها غريفز انظر مراجعة في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، 60، 1997، ص: 553 بقلم ب. م. هولت، والذي يسميها مرآة الزمان تأليف سبط بن الجوزي، وفتوح مصر لابن عبد الحكم» (من ملاحظات تومر).

(97) انظر غريفز، «القدم الروماني»، أُعيدت طباعته في الأعمال الكاملة، ج1، ص 165 - 356.

(98) كان لبوكوك ملاحظة يقول فيها «إنه أخذ بالشكل وليس بالوزن، وأن الشيكل الفضة يزن 27 جراما من الفضة التركية». من الرسائل التي نسخها وارد وموجودة في مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 6193، الملفات 73 - 75، ومكتوبة في ليفيرنو 28 فبراير العام 1640.

(99) لاتزال المعالجة الأفضل لهذا الموضوع هي معالجة نالينو: «القيمة المترية لدرجة الزوال وفق الجغرافيين العرب» Il valore metrico del grado di meridiano secondo i geografi arabi على رغم أن بعض التفاصيل تحتاج إلى تصحيح.

(100) «الأعمال الكاملة»، ج1، ص 192.

(101) الآن في مخطوطات غريفز ج 2، مع كثير من الملاحظات على الهوامش والشروح التي كتبها غريفز.

(102) «الأعمال الكاملة»، ج1، ص 220 - 221. وقد نشر كرستمان وصفا (من مخطوطة بوستل لكتاب أبي الفداء، في ذلك الوقت في مكتبة بالاتين) وفي ملاحظاته لطبعة كتاب محمد الفرغاني المعنون بـ «مبادئ علم التاريخ والفلك العربيين» (فرانكفورت 1590).

(103) «الأعمال»، ج1، ص 194.

(104) الآن تتبع مجموعة مخطوطات رئيس الأساقفة سلدن بالرقم A48، وهذه واحدة من مخطوطات غريفز التي عُرضت للبيع بعد وفاته واشتراها سلدن.

(105) المخطوطة التي ملأها غريفز بالملاحظات والهوامش هي الآن باسم «مخطوطات غريفز» الرقم 21.

(106) من الواضح أن غريفز كان يمتلك مخطوطة بهذا المعنى، ولم يستطع أحد التعرف على عنوانها، ويرى مرسير في «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي» ص 163 أنه استخدم مخطوطة هنتنغتون الرقم 143، والتي كانت موجودة في مكتبة البودليان في زمن غريفز، وليس هناك ما يدل على توصيته بها، وربما كانت من المخطوطات التي ضاعت من غريفز عندما نهبوا مكتبه في كلية غرشم.

(107) الجملة موجودة في مخطوطات ساخاو إيثيه Sachau-Ethé، العمود 930، الرقم 1513، ويبدو أن تعليقه هذا على زيج الإيلخاني خطأ.

(108) هذه استفاض وود في شرحها، في كتاب «أساتذة أكسفورد» Athenae Oxonienses، ج 3، ص 325، وفي أعمال غريفز، المجلد الأول ص 27، وليس من المستغرب أن يكون سلوكه في كلية مِرتون تجاه السير ناثانيال برنت ورالف بَتُن (وكلاهما مرتبط بالمفتشين) من الملامح البارزة.

(109) انظر باروز Burrows، «سجل المتفتشين»، ص 252 - 253؛ وكانت هذه الوثيقة مصدرا للمعلومات التي جمعها وود وبيرتش، وقد استمر الموضوع حتى أواخر يناير من العام 1650 (انظر: المرجع السابق، 284).

(110) انظر بوب، «حياة سِيث رئيس أساقفة سالزبِري»، ص 20 – 23، وأبلغ رد على ما كتبه بوب هو في تلك الفقرة الماكرة التي كتبها وود تعليقا على خنوع وارد قبل وبعد عودة الملك تشارلز الثاني (انظر: «حياة وأزمان»، ج1، ص 363).

(111) هي خمسة إذا أحصينا الكتاب الذي أصدره روبرت وذرز Robert Withers بعنوان: «وصف سراي إمبراطور الترك» (لندن 1650) من مخطوطة حصل عليها غريفز في أثناء وجوده في القسطنطينية. لم يكن يعرف أن هذا الكتاب كان قد نُشِر بصورة غير كاملة قبل ذلك في كتاب برشاز المعنون بـِ «رحلات إلى الشرق والغرب» Pilgrims المكتبة، 9، 3، 15، ص 1580 (لندن، 1625) وأُعيد طبعه في «أعمال غريفز الكاملة»، ج2، ص 541 - 800. (*) «نشر غريفز خمسة كتب شرقية وليست أربعة، بالإضافة إلى الكتب التي ستذكر في الصفحات التالية، وأيضا كان مسؤولا عن كتاب «أيام مشهودة: في التاريخ والفلك من تراث أولوغ بِيك (لندن، 1650)» (من ملاحظات تومر).

(112) وارد في «أساتذة غرشم»، ص 145، ويورد رسالة من غريفز إلى بوكوك بتاريخ 28 أكتوبر من العام (1646)، يكتب فيها: «رحلتي إلى لايدن لاتزال قائمة على رغم تأخرها بسبب ما خسرت، وبسبب جهود السير ناثانيال برنت».

(113) «وصف أهرام مصر»، ص 44، 57.

(114) انظر على سبيل المثال الجزء الثاني من الفصل الثالث من هذا الكتاب، ثم انظر الجزء الثالث من الفصل الأول من هذا الكتاب.

(115) طُبِعت ملاحظة لانغبين من قِبل جونسون وغيبسون، انظر: «الطباعة وحقوق الطبع في جامعة أكسفورد»، ص 27 الهامش 2. ووفق المؤلفين أنفسهم يكون تاريخ تسلم غريفز لحروف الطباعة هو يناير 1648.

(116) انظر الجزء الحادي عشر من هذا الفصل للوقوف على أصل فكرة استخدام الحروف لطباعة الإنجيل متعدد اللغات.

(117) انظر تصدير غريفز لكتاب «أساسيات اللغة الفارسية».

(118) لايدن 1639، مجلة «فقه اللغات الشرقية»، 312، وأيضا انظر الرقم 310.

(119) غريفز، «وصف كتاب جغرافية أبي الفداء»، التصدير، ص 3، هنا يذكر استخدام الكتاب من قِبل راموزيو، وكاستالدس، وأورتيليوس.

(120) انظر الجزء الثالث من الفصل الثاني في هذا الكتاب، وكان غريفز يراسل شيكارد بخصوص هذا الكتاب قبل وفاة الأخير في العام 1635.

(121) في الرسالة التي بعث بها من القسطنطينية إلى تيرنر في العام 1638، «مخطوطة سمِث»، ص 93، وص 138، بعد أن حصل غريفز على مخطوطته من كتاب الجغرافيا.

(122) مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 6193، الصحيفة الرقم 76 يمين، وانظر: «وارد»

في كتاب «أساتذة غرشم»، ص 152 (وتاريخ 1645 خطأ).

(123) وارد، «أساتذة غرشم»، ص 151.

(124) الآن اسمها مخطوطة غريفز 2، وهناك بعض المختارات المفيدة من هذه المخطوطات في الكتاب الذي ألّفه مرسير بعنوان: «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 173 - 174.

(125) كتاب اللُّمع، ص 363 (الطبعة الأصلية)؛ 349 (طبعة 1806).

(126) انظر تــولز، ص 257 - 263، بعد «غانيَر وسيل».

(127) مخطوطةَ غريفز لهذا الكتاب من المخطوطات التي بيعت لـ سِلدن فيما بعد. وهي الآن ضمن مخطوطات سِلدن بالرقم 69، «كتاب السُكردان»، وهَو كَتاب في جغرافية مصر وتاريخها تأليف شهَاب الدين التلمساني.

(128) المجلد الثالث، الفصل السابع، وقد أعد نص هذا الجزء جون غانيَر، والأصل ضمن مخطوطات غريفز الرقم 13.

(129) غريفز، «جداول جغرافية»، التصدير، الآن ضمن مخطوطات غريفز الرقم 42، وصفها ويكفيلد، «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 133، بوصفها نسخة منقحة من شمال أفريقيا من المجلد الأول من كتاب الإدريسي. انظر «غابرييلي وشيراتو»، «الفن العربي في إيطاليا»، ص 23، للحصول على نسخة من إحدى الخرائط في هذه المخطوطة.

(130) أو الخلجي، غريفز، «رسالة في علم الفلك» Astronomica quaedam ومخطوطة هذا الكتاب موجودة الآن ضمن مجموعة مخطوطات غريفز بالرقم 6، انظر مرسير «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 162.

(131) حتى نشر كوسان دي برسيفال المقتطفات الطويلة من الكتاب المهم في علم الفلك الذي ألّفه ابن يونس في مؤلف «ملاحظات ومقتطفات من مخطوطات»، 7 العام 1804، فإن الإسهام الوحيد، وهو إسهام قليل، كان طبعة يوليوس وترجمته لكتاب الفرغاني المنشور بعد وفاته في العام 1669 (انظر: شنورر، الرقم 402).

(132) اقتبسها بيرتش، انظر غريفز، «الأعمال الكاملة»، السفر الأول، ص 34.

(133) عن هذا الرجل انظر الجزء الأول من الفصل الثامن في هذا الكتاب.

(134) مخطوطة لوك الرقم 27، ملفات من 3-9 (لونغ، خريطة مجموعة لفليس Lovelace لأوراق جون لوك، 27). ويقال إن عبد الله بن سلام كان زعيم اليهود في المدينة، أرسل محمد إليه رسالة. وعن هذا الرجل، انظر «سورة النحل» في ترجمة جورج سيل للقرآن. أو انظر «عقيدة محمد» أو «مسائل ابن سلام» التي ترجمها هِرمان الدلماشي، متاحة في الطبعات اللاتينية للقرآن (ببلياندر): نيقول - بوسي ، ص 508 - 509.

(135) انظر وارد، «أساتذة غرشم»، ص 150، ولا أعلم إذا ما كانت هذه النسخة موجودة أم لا.

(136) مخطوطات البودليان، الرقم 224، نكولاس ، الرقم 27، قيد 3، ص 68 - 69.

(137) ماكراي، «الحوليات»، ص 147 - 148.

(138) ويكفيلد، «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 132 - 133.

(139) دار الوثائق القومية، والأرجح أنها بالرقم 11/223، الصحيفة الرقم 147 شمال.

(140) مخطوطة سلدن التي ذكرناها آنفا ص 109، الصحيفة 372.

(141) مخطوطة في مَكتبة البودليان الرقم 29747، الصحيفة الرقم 30.

(142) مخطـــوطات سمِث، الرقــم 93، ص 111، ومطبوعـة في غريفز، «الأعمال»، ج 2،

ص 442 - 446. وقد قمت بتصحيح أخطاء اللغة العربية في النص. ورد ذكر المخطوطة أيضا في كتاب هوتنغر المعنون بـ «المصنف الرباعي للمؤلفات» من بين الكتب التي رآها في مكتبة غريفز في العام 1646.

(143) انظر أشر، «الرسائل»، الرقم 211، ص 509.

(144) غريفز، «الأعمال»، ج 2، 371 ثم انظر مرسير: «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 172.

(145) مخطوطات المكتبة البريطانية، 22905، الصحيفة الرقم 77.

(146) انظر رسالة توماس غريفز المتصلة بالموضوع في السادس والعشرين من فبراير من العام 1672، كما في مخطوطات سمِث 45، ص 81.

(147) المرجع السابق، ص 55 - 56.

(148) قائمة المخطوطات الشرقية التي يذكر هوتنغر وجودها في مكتبتي جون وتوماس غريفز في العام 1641، («المصنف الرباعي للمؤلفات»)، ص 31 - 32، هي قائمة غير مكتملة بالمرة ومكتنفة بالغموض الذي يمنع الرؤية الواضحة.

(149) رسالة هاردي في الأول من سبتمبر العام 1641، مخطوطة سافيل الرقم 47، الصحيفة الرقم 43 يمينا، 44 شمالا. مطبوعة في أعمال غريفز الكاملة، ج 2، ص 446 - 450؛ رسالة غريفز إلى يوليوس في الأول من يونيو 1642 مخطوطة سافيل الرقم 47، المطوية الرقم 53، ومطبوعة في أعمال غريفز، ج 2، ص 456 - 458.

(150) فيما يتعلق بوصية هولدزورث بمكتبته الكبيرة التي آلت في النهاية إلى كِيمبردج، انظر أوتس، الفصل الثالث عشر.

(151) فيما يتعلق بالجهود المُجْهَضَة التي بذلها كلٌّ من ويلُك وتوماس سمِث انظر أواخر الجزء الثامن من الفصل الثالث، وآخر الجزء التاسع من الفصل السابع في هذا الكتاب على التوالي.

(152) انظر رالف كدورث، مدير كلية كلير وأستاذ كرسي ريجيوس للغة العبرية.

(153) أوراق هارتلِب، 15/ 6/ 27، و28.

(154) أوراق هارتلِب 4/33/ 4، من دون تاريخ، ولكنها بالتأكيد بدءا من الوقت الذي كان فيه رافيوس في لندن، فربما في العام 1647 / 1648.

(155) أوراق هارتلب 4/33/ 4. أيضا كتب ويلُك إلى رافيوس في 12 نوفمبر 1647 يقول: «فهو يعرف قِيمة الحروف العربية، وربما كان هذا العمل من قبيل التقرب إلى الله»، ثم يمضي في القول: «لدينا حروف عربية، وهي قادرة على الطباعة، ولكنها كبيرة الحجم، ونتطلع إلى أن تكون أصغر حجما وأكثر ملاءمة للهوامش، وستفيدك في عملك إفادة كبيرة». (رافيوس، خمس عشرة رسالة Sesqui - Decuria ص 28 - 29).

(156) انظر بيل، «قائمة بأعلام كلية المسيح وسيرة حياتهم»، ج1، ص 468، وهاموند، «توماس سمِث»، ولم يذكر أي منهما دراساته الشرقية.

(157) سلاتر، «تاج الاستقامة»، ص 32.

(158) كلمة ألقاها أمام أكاديميين في اجتماع «Oratio ad Academicos in Comitiis» (كتاب بارو، «الأعمال اللاهوتية»، ج 9، ص 38). بارو نفسه لم يتعلم العربية قط، (على رغم زيارته للقسطنطينية في العام 1658)، ولكنه كان يدافع بحماس عن دراسة هذه اللغة ليس في هذا الحديث فقط، ولكن أيضا في حديثه الآخر المعنون بـ «خطبة حول شروط الرعاية» «Oratio Moderatoria in Auspiciis Termini»، 30 أبريل، 1651، المرجع السابق، ص 30.

(159) انظر «أساتذة غرشَم»، ص 317 - 318.

(160) جميع الملاحظات التي أخذها كاستِل من كتاب «مجموعة مخطوطات السيد هنت الشرقية» في مكتبة جامعة كِيمبردج، مخطوطة Dd.6.4, صحيفة رقم 33 كلها مخطوطات عبرية.

(161) انظر تــولز، ص 181.

(162) كان أوستن لايزال على قيد الحياة وبصحة جيدة في الأول من نوفمبر 1653 عندما كتب إلى أوترد ليخبره أنه كان يحضر لحظات احتضار ويلُك وهو على فراش الموت، ثم جنازته بعد ذلك (مراسلات رجال العلم، ج1، ص 76).

(163) بعض التبرعات الأخرى يسجلها أوتس في كتابه «المخطوطات الشرقية»، الفصل التاسع.

(164) الحكاية كلها مروية في كتاب أوتس، الفصل العاشر، بعد كوكس جونسون، في «مكتبة قصر لامبث».

(165) لم أسع إلى تحديد أي من المخطوطات العربية الموجودة اليوم في مكتبة قصر لامبث، وكانت موجودة العام 1647.

(166) أوتس، ص 231 - 240.

(167) لمزيد من التفاصيل انظر أوتس، ص 290 - 292.

(168) انظر ماكترك، «مكتبة جامعة كيمبردج»، ج 2، القرنان الثامن عشر والتاسع عشر، ص 232 - 238.

(169) وهذه من بين أوراق بِل في المكتبة البريطانية، المخطوطات الإضافية الرقم 4279 والرقم 4280. وقد نُشرت بعض الأجزاء من المراسلات عن طريق فون في كتاب «جمهورية أوليفر كرومويل»، المجلد الثاني، وهالويل، «مجموعة الرسائل» (وكلاهما مستشهد بهما في مرسين، «المراسلات»، المجلدين الثالث عشر والرابع عشر). وفي العهد القريب نجد أن فان مان في كتاب «معالم الرياضيات في القرن السابع عشر في البلاد المنخفضة»، نشر بعض المقتطفات المهمة، ونحن في حاجة إلى طبعة محققة من هذه المراسلات من شأنها أن تكون أكثر فائدة(*) «وقد تمت هذه الطبعة بواسطة نويل مالكولم جاكلين ستيدال، في كتاب «جون بِل (1611 - 1685) ومراسلاته مع السير تشارلز كافندش (أكسفورد 2005)» (من ملاحظات تومر).

(170) انظر: فون، «جمهورية أولِفر كرومويل»، ج 2، ص 355، مرسين، «المراسلات»، المجلد الثالث عشر، الرقم 1292، ص 198.

(171) صاحب المطبعة الشهير في أمستردام.

(172) مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 4280، صحيفة رقم 109.

(173) انظر مرسين، «الملخص» Synopsis، ص 274.

(174) انظر فان مانِن، «معالم القرن السابع عشر في الرياضيات في البلاد المنخفضة»، ص 123، 136 - 137.

(175) ديفيد ليليو دي فلهلم.

(176) «فرانس فن شوتن الابن».

(177) على رغم عدم الثقة المتبادلة بينه وبين بِل، فإن يوليوس قد تحدث بالحق في هذه النقطة بالذات، فنسخة أولاد عبد الملك في الواقع بعيدة كل البعد عن تلك التي كان يمتلكها بنو موسى والتي انطلقت منها(*) (بنو موسى هم محمد وأحمد والحسن بن محمد بن موسى بن شاكر، من علماء الفلك والرياضيات والميكانيكا، إخوة إيرانيون من خراسان، عاشوا في القرن التاسع الميلادي، واتصلوا بالخليفة المأمون، وجمعوا حولهم

علماء ومترجمين كثرا). [المترجم، عن موسوعة وكِبيديا الحرة].

(178) المخطوطة في المكتبة البريطانية، الرقم 4280، الصحيفة الرقم 112.

(179) يبدو أن ذلك العربي لم يكن إلا نيكولاس بطرس الذي كان يعيش في أمستردام ويقوم بنسخ المخطوطات لحساب يوليوس.

(180) وكان هذا التقدير في محله، فلم يُنشر المعجم العربي في نهاية المطاف إلا في العام 1653.

(181) المخطوطة في المكتبة البريطانية الرقم 4280، الصحيفة الرقم 2/118.

(182) مرسين، «المراسلات»، السفر الثالث عشر، الرقم 1577، ص 718: «يرغب بلِ بقوة في نشر الكتاب، وهو قادر على ذلك، ولكن أليس من حقه اتباع الطرق الشرعية»؟

(183) رسالة كافندش لـ مرسين في 2 مايو 1648، المرجع السابق، ص 16، الرقم 1794، ص 294 - 295. لم يكن لـ بلْ أن يقلق، فلم يكن رتشارد يعرف إلا النسخة اليونانية من الكتب من الأول حتى الرابع، وعمَد إلى إعادة تجميع الكتب الأربعة الأخيرة من خلال الإشارات القليلة التي كتبها بابوس.

(184) المخطوطة في المكتبة البريطانية الرقم 4280 الصحيفة الرقم 2: «أتوق لمعرفة أبولونيوس، وقد دفعت بالفعل مائة فلورينة ثمنا لكتابه».

Quid de Apollonio tuo spei sit, scire aveo. jam ante scripsi centum florinos' .transmittere paratus sum

(185) المخطوطة باللغة اللاتينية الرقم 17، الملف الرقم 42 يقول فيه إنه لا يحب بل إلا من أجل فائدة الصالح العام

Non vendidissem illum Codicem si ea diligentia et erga publicum Amore' 'Pellius fuisset quo esse posset

(12 نوفمبر، 1651). وحول المصير الأخير للمخطوطة، انظر الجزء الرابع من الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(186) ويجن Wijnne، «قرارات مجلس مدينة أوترخت»، ص 56.

(187) مرسين، «المراسلات»، السفر الثالث عشر، الرقم 1396، ص 502 - 503. «انتقلت إلى هنا في الوقت نفسه لكي أتعلم اللغة العربية المكتوبة بها الكتب السبعة كلها التي ألفها باللاتينية أبولونيوس البرجاوي عن المخروطات».

(188) رافيوس، «أبولونيوس»، التصدير، صحيفة 5 يمين(*)، وتضم هذه الترجمة كل الكتب من 5 إلى 7 (أقل من عشر فرضيات) فرضيات قليلة من الكتابين الأول والثاني، ولكن من دون أي رسوم وبيانات وأرقام.

(189) المخطوطة في المكتبة البريطانية، الرقم 4365، الصحيفة الرقم 59 والصحيفة الرقم 62، وتتصل المراسلات باجتهاد رافيوس في وضع كرونولوجيا للكتاب المقدس، وهو أمر ظل يلح عليه إلحاحا كبيرا في أثناء السنين الست الأخيرة من حياته.

(190) للحصول على دليل على أنه استمر يهتم باللغة، انظر الجزء العاشر من الفصل الثامن في هذا الكتاب، فيما يتصل بعلاقته بـ بوسبي في مدرسة وستمنستر(*). وإنما علم بِل نفسه العربية في العام (1641)، انظر: مالكولم وستيدال، جون بِل، ص: 94. (من ملاحظات تومر).

(191) «علماء أكسفورد»، الجزء الأول، ص 462.

(192) وبستر، «الإصلاح العظيم»، وعلى رغم أخطائه الكثيرة في التفاصيل، فإنه يُعدُّ منجما من المعلومات في تلك الأمور. انظر خاصة ص 207 - 242 للاطلاع على المساعي لتوسيع

التعليم العالي في ذلك العصر (في لندن على وجه الخصوص، انظر ص 221 - 224).

(193) انظر: «رسائل توماسون»، الجزء الأول، ص 486.

(194) على سبيل المثال ما يجذب الانتباه هنا أن وضع التاريخ (1647) على الرسالة نفسها بحسب التقويم الغريغوري، والرسالة عليها تاريخ سابق بعنوان دعوة رافيوس الصغير إلى لندن.

(195) لمزيد من التفاصيل حول قصة تحول اليهود في العصر الألفي إلى النصرانية في إنجلترا انظر كاتز، «محبو السامية»، ص 100 والصفحات التي تليها.

(196) لم يكتب رافيوس العريضة نفسها، ولكنه كتب الديباجة فقط، وهنا لا يستطيع الباحث أن يغفل إمكانية أنها كُتبت في العام 1647، وأنها عبارة عن طلب تمويل لدعم المحاضرات التي كانت تُلقى بالفعل.

(197) تيرنبُل، «هارتلِب، دوري وكومينيس»، ص49، مع تفاصيل المواد الأخرى ذات الصلة التي جمعها هارتلِب. لقد جرى التفكير في إنشاء جامعة لندن في سبتمبر من العام 1647، انظر المرجع السابق، ص263.

(198) المرجع السابق، ص257.

(199) انظر مثلا المرجع السابق، ص178 وص425.

(200) الحق أن الفرصة أتيحت لـه ليحاضر في الجامعتين، وكان يحصل على مكافآت بين الحين والحين لقاء هذه المحاضرات، ولكن الجهود التي بذلها هو وصديقه السيد ج. جيه. فوشيوس للظفر بالمنصب بصفة دائمة باءت كلها بالفشل.

(201) رسالة رافيوس من لندن إلى إسحق فوشيوس في أمستردام، في 6 يونيو 1647 (مخطوطة دورفيل، الرقم 468، ص214 – 215).

(202) انظر «رسائل أشر»، الرقم 213، ص511.

(203) ورد أول حديث حول منصب المحاضر في لندن في أوراق هارتلِب على الأقل قبل عام من استحداثه، في رسالة جون دوري إلى هارتلِب في 31 أغسطس 1646، ويذكر فيها أن «الوسائل المتعددة سوف تكون متاحة الآن لتيسير دراسة اللغات الشرقية للمسيحيين»، ويأمل أن «يهدي الله قلوب القائمين على هذه البلاد، وقلوب المسؤولين في مدينة لندن من أجل رفعة كلمته وكلمة العلم»، آدم بوريل، «وأي مستوف لشروط هذا العمل يجب أن يدلي بدلوه» (أوراق هارتلِب 3/ 3/ 32 - 33، نشرها فان در وول جون دوري عن آدم بوريل، ص148 - 149).

(204) انظر لويد جونز، «اكتشاف العبرية»، ص257.

(205) أدول، «مفتاح اللغة المقدسة»، ص129. وتذكر النسخة التي اطلعت عليها من هذا الكتاب في كلية سيون أن الكتاب طُبع في أمستردام، ولكنه يضيف: «طُبع عن طريق سي. بي. ويبيعه ديفيد فرير، تحت شعار علامة الثور الأحمر في لندن في العام 1648، والذي يوحي على الأقل بأن بعض النسخ أُرسلت إلى لندن، خصوصا فيما يتصل بمحاضرات رافيوس هناك. وللحصول على دليل بأن رافيوس قد استفاد فعلا من الكتاب في التدريس في لندن وأكسفورد انظر بقية هذا الفصل.

(206) آخر مرجع وجدته فيما يتصل بتعيين رافيوس محاضرا في لندن موجود في رسالة تهنئة وصلت إليه من كورنيليوس توليوس بتاريخ 27 يوليو (رافيوس، مجموعة رسائل من أمكنة مختلفة من العالم الهدف منها تعزيز درس العلوم الشرقية، خمس عشرة رسالة Sesqui-Decuria ص27).

(207) المكتبة البريطانية، E-401 (41) رسائل توماسون، ج1 ص545، وهي النسخة الوحيدة المعروفة.

(208) تأسست كلية سيون في العام 1626 بقرار من توماس وايت (المتوفى في العام 1624) بوصفها كلية تضم جميع هيئة الإكليروس: القساوسة والكهنة والشمامسة والمحاضرين ورعاة الأبرشيات في داخل مدينة لندن وضواحيها منذ اللحظة.

(209) الإهداء الذي كتبه رافيوس بخط يده في كلية سيون، المخطوطة الرقم 4.

(210) دليل المتبرعين لكلية سيون، ص52. هناك ثلاثون من هذه المخطوطات التي نجت من حريق لندن الكبير لاتزال موجودة (ريدنغ، كلية سيون، فهرست المخطوطات، من الأرقام 5 17-). ويمتدح رافيوس هبة روث في كتابه «الخطاب»، ص92 (مكرر).

(211) «أوراق هارتلب»، 15/27.

(212) دروس أساتذَة اللغات الشرقية، من أمثال دون بيرلانتس، وماركو – براندن، بيرغو – جيرماني؛ لونديني إمبرايي، خصوصا أساتذة اللغة العربية الأفاضل.

(213) سوف نرى أن ذلك لم يتعد الأمل، فأنا لا أظن أن سبنسر يطلق على ما يسمى مجلس مدينة لندن الذي وافق على تعيين رافيوس «المجلس الأعظم» ‹Magnus Senatus. (*) وقد وصل الدعم بالفعل لا من البرلمان، ولكن من اللجنة العليا لمجلس لندن الإقليمي، الوزراء (ملحوظات تومر).

(214) الإحالة إلى «جبل صهيون» المذكور في الكتاب المقدس جزء من التورية المقصودة.

(215) مخطوطة سلِدن المذكورة آنفا ص108 الصحيفة الرقم 48، «خمس محاضرات في الأسبوع: محاضَرتان في اللاتينية وثلاث في الإنجليزية، وذلك أمام أربعين من الحضور، وعدد من القساوسة وذوي الشأن».

quinque lectiones de septimanâ praestem, Latinas binas, ternas Anglicanas, (sed has privatim, ubi tamen aliquot ministri intersunt, coram quadraginta auditoribus).

(216) المكتبة البريطانية الرقم 669 وما يليه، ج12 (47)، «رسائل توماسون»، ج1، ص633.

(217) المكتبة البريطانية الرقم 669، الصحيفة الرقم 23 (9)، والمرجع السابق، ص611.

(218) رافيوس، «الخطاب»، ص20. لم أرَ هذا الكتاب، ولا أعرف أين توجد نسخة منه. (*) الكتاب هو الذي نشره هانسرد نوليز Hanserd Knollys مبادئ النحو العبري باللغة الإنجليزية (لندن 1648) مع إقرار بالجميل لرافيوس. (ملاحظات تومر).

(219) أخفقت تماما في الكشف عن تاريخ نشر هذا الكتاب، وهو تاريخ معقد غاية التعقيد، فقد رأيت طبعتي العام 1649 والعام 1650، وكلتاهما مرتبطتان بكتاب رافيوس المعنون بـ «خطاب اللغات الشرقية»، ولكن بترتيب مختلف، وكلتاهما تضم الرسائل الخمس عشرة التي كتبها بعنوان: Sesqui-Decuria، ولكن بصفحة عنوان منفصلة بتاريخ 1648. وهناك إحالات إلى طبعة في العام 1648 لكتاب «النحو العام»، ولكن النسخة الوحيدة لطبعة العام 1648 من «الخطاب» التي رأيتها (في مكتبة البودليان، Art. Seld (1) 8° R 34) لا تضم «النحو العام» على رغم ما تدل عليه صفحة العنوان. وفي طبعة العام 1650 نجد أن الجداول والرسومات الموضوعة في بعض الكتب الشرقية المختلفة في النهاية أكثر وأجمل بكثير منها في طبعة العام 1649. إن الكتابين كليهما يحتويان على صورة بورتريه جميلة تواجه العنوان الداخلي (قد تكون رُسمت في العام 1645، وهي الصورة الوحيدة التي أعرفها له) لـ «كرستيانوس رافيوس برليناس».

(220) على سبيل المثال، في كتابه المعنون بـ «قواعد الإملاء والهجاء في صناعة المعاجم»، ص37، يؤكد أن العربية تنطوي في ثناياها على العبرية والكلدانية والسريانية والبونية والفينيقية والموريتانية والليبية والحبشية وحتى التركية!

(221) أو هكذا يزعم في معجم الكتابة De scribendo Lexico، ص11.
(222) رافيوس، «الخطاب»، ص62.
(223) حول هذا الموضوع انظر الملاحظات التي وردت في كتاب سالمون المعنون بـ «المستعربون وعلماء اللغة في القرن السابع عشر في إنجلترا»، ص63 - 64، المرجع السابق، ص56، في كتاب «الخطاب».
(224) انظر: «الخطاب»، ص92 (مكرر): «هذا المواطن المشهور، والرجل المبجل، ألدرمان آدمز، المرحوم عمدة لندن السابق، الذي كان يقوم على رعايتي رعاية ملؤها الاحترام والتوقير والحب المتبادل بين الصديق والصديق».
(225) كان رافيوس قد عبر عن تلك الهموم فعلا لـ ويلُك الذي تعاطف في رسالة بتاريخ 11 فبراير 1648 (رافيوس، خمس عشرة رسالة Sesqui-Decuria، ص31 - 32).
(226) الإيرادات الأولى للكاتدرائية التي احتجزها البرلمان لحساب الأهداف التعليمية عندما أقدم على حل الأسقفية.
(227) النسخة المطبوعة من هذه العريضة تسلمها توماسون في 13 يونيو 1648: المكتبة البريطانية الرقم 669 الملف 12 (47) رسائل توماسون، ج1، ص633.
(228) وفق تولِز، ص138، كان رافيوس قد عبر عن مثل هذه الآمال في رسالة أرسلها إلى بوكوك في العام 1648.
(229) باروز، «سجلات المفتشين»، ص171 (حيث يُكتب اسمه مشوها كرينز)؛ مكري، «محاضر كلية مغدلين»، ج4، ص79 - 84.
(230) القصة وردت بالتفصيل في ماكري، «الحوليات»، ص118 - 120. الجزء الأكبر من كتب سِلدن المطبوعة وصلت إلى مكتبة البودليان في النهاية، بموجب قرار من منفذي وصيته، والذين ائتمنهم سِلدن في وصيته على قراره.
(231) تصيبني هذه الإشارة بالحيرة.
(232) hoarseness›: a pun. ضرب من التورية.
(233) انظر هارمر، «في الدفاع عن علماء أكسفورد» Vindiciae Academiae Oxoniensis، ص39 - 40. هذا الكتاب، المنشور في العام 1662، كان خطابا أدلى به في أوائل الخمسينيات من القرن السابع عشر. وقد كان هارمر نفسه من كبار المتقلبين سيئي السمعة، انظر مادان، «كتب أكسفورد»، ج3، الرقم 2581.
(234) 1/8/10.
(235) طُبِع الخطاب من قبل نوس Knos «مختارات من الرسائل» Analecta Epistolarum، الجزء الرابع ص68.
(236) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، 25/63، ص500، 502.
(237) تناولها آنرستدت بطريقة أفضل في كتابه «تاريخ جامعات أوبسالا» ج1، ص330؛ 1/2، 20 - 39، 52 - 53، 85 - 90.
(238) وود، في كتاب «علماء أكسفورد» Athenae Oxonienses، الجزء الثالث، ص1131.
(239) انظر «رسائل نيكولا بطرس» التي اقتبسنا منها آنفا ص151. لم يحدث أن التقى رافيوس وغريفز في الشرق؛ فقد غادر غريفز القسطنطينية في أغسطس أو سبتمبر من العام 1638، قبل وصول رافيوس هناك بعشرة أشهر على الأقل.
(240) «مخطوطات سمِث» 93، ص109 (6 ديسمبر 1640).
(241) كان كتاب رافيوس المعنون بـ «قاموس عربي فارسي لاتيني مصغر» (لايدن، 1645)، وأما حكاية الإهداء لـ 120 شخصا فهي تقدير خطأ. إن قائمة العناوين الواردة في

البداية، والتي تضم على الأرجح الدارسين الذين كان رافيوس يعرفهم شخصيًا أو من خلال المراسلة، تصل إلى 165 اسما. وأما نسخة سلدن من هذا العمل النادر فمحفوظة في مكتبة البودليان باسم رئيس الأساقفة سلدن. أ 73/ 1.

(242) مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 6193، الصحيفة 75 شمالا، والصحيفة 76 يمينا، وقد أُعيد نسخ هذا الجزء من الرسالة بالحرف من قبل تولز، ص139 - 140.

(243) رسالة رافيوس إلى إسحق فوشيوس، مخطوطة دورفيل 268، ص214.

(244) مخطوطة سافيل الرقم 47، الصحيفة الرقم 38، مطبوع في أعمال غريفز، «الأعمال الكاملة»، ج 2 ص 462 - 464: «كنت أرى رافيوس كثيرا، وكنت أعرفه إلى درجة الصداقة، وربما كان هو الذي أعطى الأمر بالبيع، فمنذ سنوات رأيت بنفسي أعمال أبولونيوس البرجاوي وكانت بحالة سيئة، حيث تعرضت الكلمات للتلف، من طول الإهمال، ومن عدم إتاحتها للقراء، وأصبح من العسير العودة بها إلى الحياة من جديد على الرغم مما تحتويه من تقنية هندسية عالية».

(245) رسالة إلى رافيوس في 16 يوليو العام 1647، مطبوعة في رسائل رافيوس Sesqui-Decuria، ص 11 - 12.

(246) انظر رسالته في 12 نوفمبر العام 1647، مطبوعة في المرجع السابق: «هذا العمل من أجلك وأجلنا، والإله يرعاك، واعلم أن كنيستنا قد ابتليت بالفرقة، وقد أكرمتك بالدراسات الشرقية، لعلك تعمل على ازدهارها في لندن»، ص 28.

(247) رسالة ويلُك في 11 فبراير 1648، المرجع السابق، 30.

(248) انظر الجزء السابع في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(249) رسالة إلى هارتلِب في 9 ديسمبر (1647)، أوراق هارتلِب 15/ 6/ 7.

(250) شنورر الرقم 196.

(251) رسالة سمِث إلى هارتلِب، «أوراق هارتلِب»، 15/ 6/ 18.

(252) المرجع السابق، 15/ 6/ 24.

(253) تساءلت كباحث إذا كانت نسخة كتاب «بعض أمثال علي» الموجودة في المكتبة البريطانية التي ترجم منها سمِث، هي النسخة نفسها الموجودة في لايدن (Leiden, 1629), 1075.m.5 (4) هل هي الكتاب نفسه الذي أرسله سمِث إلى رافيوس مع ترجمته. ففي فهرست الكتب العربية المطبوعة في مكتبة المتحف البريطاني يقال إن بوكوك هو الذي كتب حواشي على هذه النسخة وتعليقات، ولكن خط اليد الذي كُتِبت به هذه الحواشي والتعليقات ليس لـ بوكوك، والجزء الذي يحتوي على الأمثال عبارة عن مجموعة أوراق موضوعة بين صفحات الكتاب، وعليها حواشٍ وتعليقات كثيرة مكتوبة بالعربية من مصادر أخرى منها مخطوطات، وعليها أيضاً تعليقات وحواش مكتوبة باللاتينية، وعند مضاهاة خط اليد المكتوبة به الحواشي بخط يد سمِث لم أصل إلى نتيجة ما. ولكن في العام 1656 وقع الكتاب في يد شخص آخر كتب عليه حواشي وتعليقات ضعيفة المستوى في الصفحات الفارغة في بداية الكتاب، من الواضح أنها مأخوذة من محاضرات بوكوك حول الكتاب.

(254) لمزيد من المعلومات عن هذا الكتاب وكتب أخرى انظر: كتاب «أوروبا والعالم العربي» ص 96 - 101. ويُجمع الباحثون على أن الترجمة تعود إلى ألكزاندر روس، ولكن اسم المترجم الإنجليزي واسم الناشر أيضا محذوفان من صفحة العنوان بحرص شديد، ويبدو واضحا أن روس لم يكتب إلا الحاشية التي وضع لها عنوان: «تحذير وذكرى لأولئك الذين يريدون معرفة الفائدة المرتجاة، أو الخطر الكامن في قراءة القرآن إذا

كان هناك خطر كامن». (*) من يرد مناقشة هُوية المترجم إلى الإنجليزية انظر: نويل مالكولم: (ترجمة العام 1649 للقرآن إلى اللغة الإنجليزية: جذورها وأهميتها، مجلة معهدي وربورج وكورتولد، 75، 2012، ص 261 – 295، موردوخاي فاينجولد القرآن التركي، أضواء جديدة على ترجمة العام 1649 للقرآن إلى الإنجليزية، مجلة هنتنجدون الفصلية، 75، 2013، ص 475 – 501، مالكولم، قرآن 1649، حاشية، مجلة معهدي وربورج وكورتولد 77، 2014، ص: 145 – 171، وفاينجولد، «من ترجم القرآن التركي 1649؟ دفاعا عن وجهة مختلفة»، مجلة معهدي وربورج وكورتولد 79، 2016 (تحت النشر). (من ملاحظات تومر).

(255) دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، الملف الرقم 25/37، ص 29، 30.

(256) أجندة أوراق الدولة (1649 – 1650)، 59، 63، 70، محاضر مجلس الدولة بين 29 مارس و4 أبريل من العام 1649.

(257) سجل الناشرين (أو سجل حقوق النشر)، ج1، ص 317. كان توماسون هو الذي تسلم الكتاب في السابع من مايو (رسائل توماسون، ج 1، 742).

(258) لمعرفة المزيد عن العقبات التي وُضِعت في نشره في إيطاليا انظر الباب الأول، الفصل الثاني من هذا الكتاب. وحتى في هولَندا كانت هناك مقاومة لنشره: فقد كتب دانيال هنزيس إلى سِلدن في العام 1633 يخبره بأن إربنيوس كان ينوي إعداد طبعة لترجمة القرآن كاملا، وأَيضا وجدنا هذه الرغبة عند يولِيوس، ولكن «هناك من الناس من كان يعارض الحديث في الشؤون الدينية بالذات، وخصوصا هذا الكتاب الخطير الذي يستطيع أن يحول المسيحيين عن دينهم» (مخطوطات سلدِن سابقة الذكر، الرقم 108، الصحيفة الرقم 114).

Obstitere hactenus nonnulli, qui negotia religionis tractant. Arbitrantur' enim librum ἑτεροδοξίας, & periculosæ, ut loquuntur ipsi, superstitionis plenum, neque edi, neque in Latinam linguam converti a .'Christianis debere

(259) يجد القارئ هذا العرض الكامل واللافت في كتاب تُدْ Todd المعنون بـ «حياة والتون» خصوصا: في الجزء الأول، ص 77 - 81. ويظل هذا الكتاب أفضل مسح شامل لهذا العمل الكبير من بداياته وتطوره وحتى النهاية، والإسهامات التي شارك بها المشاركون على اختلاف مشاربهم.

(260) مكتبة والتون التي تضم كتبا في الفنون واللغات، وهي للسيد المحترم برايان والتون أسقف تشستر، وصاحب الإنجيل متعدد اللغات، بيعت في لندن في الثلاثين من أبريل من العام 1683، انظر: تُدْ، «حياة والتون»، الجزء الأول، ص 161. وتوجد نسخة في هذا الفهرست في المكتبة البريطانية.

(261) ارجع في هذا البحث إلى الطبعة الثانية المنقحة، انظر «الببليوغرافيا» الملحقة بكتاب والتون «مدخل لدراسة اللغات». ولقد جرى تمثيل جميع اللغات التي عُولِجت في هذا الكتاب - فيما عدا الأرمنية والقبطية - في الإنجيل متعدد اللغات. وكان والَتون يأمل في أن يضم هاتين اللغتين أيضا، ولكن آماله خابت في الحصول على المخطوطات الضرورية من روما (تولِز، 214 - 215).

(262) المكتبة البِريطانية E 173، الرقم 11 (رسائل توماسون، ج1، ص 36 - 37، لندن، 1641)، استخرجه تُدْ في كتابه «حياة والتون» ج 1، ص 14 - 20.

(263) صدر أمر مجلس الدولة بتاريخ 11 يوليو 1652، ومذكور في النشرة الإرشادية (تُدْ،

«حياة والتون»، ج 1، 45 - 46)، انظر سجل الناشرين المحليين 1651 – 1652، ص 328.

(264) هناك نسخة كاملة من الوثائق الثلاث أظهرها «تُدْ» في كتابه المعنون بـ «حياة والتون»، ج1، ص 31 - 54. وقد جرى طبع الخطاب والدعوة سابقا من قِبل تــولز، ص 197 - 205. وأول إشارة إلى النشرة الإرشادية وجدها «تُدْ» موجودة في يوميات إِفلِن في 22 نوفمبر العام 1652، المرجع الأسبق، ص 31، ولكن المشروع كان قيد المناقشة لمدة أشهر متعددة قبل ذلك، كما تبين من خلال رسالة من سِلدِن إلى بوكوك في فبراير من العام 1651/ 1652، (تولز، ص 205).

(265) وصفها تُدْ في كتابه «حياة والتون»، ج1، ص 51 - 52، من نسخة في كلية سدني سسكس وعليها حواش وتعليقات والتون نفسه. وتضم سفر التكوين والإصحاح الأول، من 1 إلى 12 في اللغة العبرية، واللاتينية والكلدانية والسامرية والسريانية والعربية والفارسية ونسخا لاتينية، كلها في صحيفة واحدة.

(266) حروف الطباعة العبرية والسريانية، وهو يعد بمزيد من الإتقان (تُدْ، «حياة والتون»، ج 1، ص 61).

(267) كان والتون يتعامل مع هذه الحروف بوصفها ملكيته الخاصة، كما كتب كاستِل إلى كلارك في السابع عشر من نوفمبر من العام 1658 (مخطوطة في المكتبة البريطانية 22805، الملف الرقم 20، انظر الجزء الرابع من الفصل الثامن من هذا الكتاب). وفي النهاية أقدم على بيعها لـ رويكروفت (المرجع السابق، الملفات 22، 23 ديسمبر 1658)، والذي كرس نفسه بوصفه فني الطباعة الأول في لندن بحروف غريبة، وبعد عودة الملك تشارلز مُنح لقب «طبّاع الملك للغات الشرقية».

(268) يُزعم أنه كان يستعين بـ نِكولاس ونِيكولس، والمرجح أنه كان يستعين بآخرين أيضا. ليس لدينا دليل على ذلك.

(269) تــولز، ص 211، المبلغ الأخير عرفناه من رسالة كتبها توماس غريفز إلى بوكوك.

(270) تولز، ص 208 - 209.

(271) لمزيد عن هذه الواقعة انظر تُدْ، «حياة والتون»، ج 1، ص 82 - 86.

(272) تعطينا النسخة طبق الأصل من الصفحة الأولى الموجودة في دائرة المعارف الإيطالية، ج 6، ص 914، فكرة عن شكل الصفحة.

(273) هذا الحذف، وفق ما يزعم والتون في «مقدمة لدراسة لغات الشرق»، ج 2، كان بسبب الخلافات بين القائمين على طباعة الكتاب مثل: لوجيي وجبرائيل الصهيوني 'ex dissidia eorum qui operi præfuerunt'.

(274) يدرج والتون ما لا يقل عن تسعة عشر مجالا يتصل بتفوق النسخة الإنجليزية من الكتاب المقدس باللغات المتعددة، أو يحتوي فيها على أشياء ليست موجودة في النسخة الباريسية (المرجع السابق، ص 92 والصفحات التي تليها).

(275) كانت المخطوطات تُستَعار من أشخاص مثل: أشر وبوكوك، ومن مؤسسات منها مكتبة الملك السابقة، وجامعة كِيمبردج، وكانت تشترط ضمانات كبيرة مما كان يثير سخط والتون (انظر: رسالته إلى لايتفُت التي أوردها أوتس، ص 229). وقد أدرج كاستل في مخطوطته في المكتبة البريطانية بالرقم 22805، الصحيفة الرقم 103، خمس مخطوطات عربية وسريانية وسامرية تعود إلى أشر، ولاتزال مرهونة حتى يوم وفاته في العام 1652.

(276) يظهر تاريخ النشر على صفحة عنوان العمل ككل على أنه العام 1657، بيد أن تصدير والتون (وهو آخر شيء يُطبع، على رغم أن المفروض أنه أول ما يُطبع) كُتب في العام 1658، فهو يشير إلى عينة المعجم ذي اللغات السبع، الذي طُبع في العام نفسه.

(277) فيما عدا اللغة الحبشية، التي لم تُستخدم إلا قليلا بعيدا عن العهد الجديد.

(278) لمزيد من التفاصيل عن حياة كاستِل ومسيرة عمله، مع ببليوغرافيا، انظر نورِس، «الأستاذ الدكتور إدموند كاستِل، المستشرق وعالم اللاهوت».

(279) حياة والتون، ج1، ص 167 - 168.

(280) في رسالته إلى لايتفُت في التاسع من يونيو من العام 1669، «مخطوطات المكتبة البريطانية»، لاندسون، الرقم 1055، الصحيفة الرقم 96، لايتفُت، «الرسائل»، ص 393-395، يقول: «قضيت سبعة عشر عاما في الخدمة العامة كنت أعمل فيها عملا شاقا». ولما كان العمل لم يبدأ في المعجم ذي اللغات السبع إلا في العام 1657، فلا بد أنه كان يحسب السنوات الأربع التي قضاها يعمل في الكتاب المقدس متعدد اللغات. وحكاية أنه أنفقها في لندن تدل عليها عبارة: «إنه العام السابع عشر الآن من وقت أن غادر والده البلاد» ’Annus jam agitur decimus septimus, ex quo relicto rure paterno الواردة في تصديره للمعجم ذي اللغات السبع (1669).

(281) «لنا الفخر كله أن يكون هذا العمل تطوعيا، وقد أصبحت نفقاته أقل من ألف جنيه، ولكن بعد أن زاد الاهتمام به زادت قيمته المالية».

(282) في العام 1648 استسلم للمفتشين (باروز، محاضر المفتشين، ص 152)، وحصل على درجة الماجستير. كان زميلا لـ جون وتوماس غريفز، وكانا مطرودين من الجامعة في ذلك الوقت. وعندما قررت الجامعة في العام 1649، وفق القوانين التي وضعها لـود، أن يتبع منصب مدير مطبعة الجامعة بمنصب حضره الأمين الأول لها بعد خلو منصب الأخير، يبدو أن كلارك كان هو الشخص الذي وقع عليه الاختيار لشغل هذا المنصب، ولكن ذلك لم يحدث إلا في العام 1658.

(283) مخطوطات المكتبة البريطانية، إضافية الرقم 4276، الصحيفة الرقم 23، ومخطوطة سلدِن آنفة الذكر الرقم 109، الصحيفة 418.

(284) رسالة إلى رافيوس، مخطوطة المكتبة البريطانية الرقم 29747، الصحيفة الرقم 39: «في شأن الكتاب المقدس متعدد اللغات، حيث تُرجم كل شيء». انظر: تُدْ، «حياة والتون» ج 1، ص 243، وهو يخطئ حين يذكر أن كلارك كان لايزال في مدرسة إسلنغتون عندما كان يعمل في الكتاب المقدس متعدد اللغات.

(285) انظر «دفتر سجل المتبرعين لكلية سيون»، ص 52.

(286) مخطوطات المكتبة البريطانية، لاندسون، الرقم 1055، الصحيفة الرقم 19.

(287) رسالة من كاستِل إلى كلارك، مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 13 (الأول من يوليو العام 1658).

(288) بوصفه أمين مكتبة، انظر أوتس، ص 300-3.

(289) «عن اللغة العربية، فائدتها وأهميتها» De Linguae Arabicae Utilitate et Praestantia، مادان، «كتب أكسفورد»، ج 1، ص 213.

(290) طبع تُدْ الرسالة في كتابه: «حياة والتون»، ج 1، ص 228.

(291) الرسالة مطبوعة في «أعمال غريفز الكاملة»، ج1 ص 43 - 45.

(292) تـولز، ص 215-18.

(293) ذلك في كتابه المعنون بـ «تاريخ اللغة اليونانية» (لندن، 1657) انظر مادان، «كتب أكسفورد» ج 3، الرقم 2321.

الفصل الثامن

(1) هناك مساعٍ بُذلت في هذا الشأن قبل عودة الملكية من قِبل جون والس في مارس من العام 1660، (تولز، ص 231 – 234)، وحتى عندما مُنح بوكوك كرسي الكاهن والسكن، لم يكن هذا الكرسي هو الذي كان ملحقا بكرسي العبرية، ويبدو أنه رفض السكن حتى يجري التأكد من العودة إلى كامل صلاحياته. نجد ذلك في رسالة كتبها إلى بويل في الخامس من أكتوبر من العام 1660، يشكو فيها من أولئك الذين كانوا يغمطونه حقه، رسالة كتبها من كلية بليول (بويل، «الأعمال»، ج 6، ص 323 - 324). وللمزيد حول الخلافات وحلولها، انظر: تــولز، ص 236 - 238.

(2) ربما لم يكن بوكوك قد حصل على الدرجة لولا طموحات زوجته الاجتماعية، كما يظهر من رسالة توماس لامبلو التي يوصي فيها بالمنحة لـجوزيف وليامسون (سكرتير نكولاس وزير الخارجية)، في 12 من أغسطس من العام 1660، (دار الوثائق القومية، أوراق الدولة، الصحيفة الرقم 132 يمينا): «أنت تعرف السيد بوكوك وروحه وتواضعه، هو لا يعلن أو يتكلم، ولكني أتخيل زوجته، تريد أن تعيش في أكسفوردشاير، لا تريد أن يشغل أحد مكانها، وهو نفسه راغب في قبول تلك الدرجة».

(3) كان فِل، الذي حارب إلى جانب الملك وهو بعدُ طالبٌ في كلية كنيسة المسيح Christ Church، قد طُرِد في العام 1648، ولكنه استمر في مسكنه في أكسفورد، حيث كان يمارس - سرا - طقوس الكنيسة الأنجليكانية، وفي العام 1660 عُيِّن كاهنا وعميدا لكلية كنيسة المسيح Christ Church، ثم بعد ذلك نائبا لرئيس الجامعة، وهما منصبان أدارهما بطريقة تسلطية جدا.

(4) كان كرومول رئيسا لجامعة أكسفورد من العام 1651 إلى العام 1657، وحقق الكثير من أجل تطوير الجامعة، ولم يتدخل في شؤونها إلا نادرا.

(5) كتب بوكوك إلى بويل في الثاني من ديسمبر من العام 1662 رسالة مرفقة بها هدية عبارة عن كتاب أبي الفرج، ويعبر فيها عن أمله في أن يدافع عن الكتاب ضد هذا التحامل المحتمل من قِبل أولئك الذين يحبون الكتابة في أمور أخرى. وعبر عن مشاعر مشابهة لـ توماس غريفز في الوقت نفسه (تولز، ص 254). وبعد مضي عام وصف صامويل كلارك في تصديره لكتاب بوكوك المعنون بـ «ديوان Q» دراسة العربية بأنها ubíque ferè spretae, ac, proh dolor! jacenti scientiae parti «لا يميل إليها الناس في كل مكان، ولسوء الحظ لا يمكن وصفها بأنها علمٌ خالصٌ».

(6) انظر مادان، «كتب أكسفورد» ج 3، ص 30 – 176، والنص موجود في كتاب جونسون وغبسون المعنون بـ «الطباعة والامتياز في جامعة أكسفورد»، ص 37 - 38. وانظر كارتر في كتاب: «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص 43، يقول فيه: «إن هذه الأموال لم تكن منحة بالمعنى الدقيق، بل كانت قرضا للمطبعة يُتوَقع أن يعيده مدير المطبعة في نهاية المطاف».

(7) كان كلارك يتطلع إلى طباعة الكتاب في الثالث من سبتمبر من العام 1659، حسب ما جاء في رسالته في كتاب لايتفُت المعنون بـ «رسائل»، ص 403 - 404.

(8) مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 2576.

(9) «شنورر»، الرقم 196.

(10) انظر شنورر، ص 185 - 192 للطبعات والترجمات. وقد أصدر فاتييه ترجمة لها إلى الفرنسية في العام السابق على صدور طبعة بوكوك. وللاطلاع على مثال لاستخدام أحد طلاب بوكوك لطبعة يوليوس في خمسينيات القرن السابع عشر، انظر: ص 200، الهامش 253.

(11) على سبيل المثال كتب موسى بن ميمون (وقد صحح بوكوك - عَرَضا - تعليقاته على كتاب «بوابة موسى»)، وابن خلكان والمتنبي وأبو الفداء.

(12) للاطلاع على طبعة بوكوك وترجمته لجزء من تعليق الصفدي على القصيدة والذي ضمّنَه والِس في كتابه المعنون بـ «علم الرياضيات العام» Mathesis Universalis. انظر الجزء السادس من هذا الفصل.

(13) اقتبسها تولز، ص 248-252.

(14) إنه يترك القارئ يستنبط بنفسه مزاعم مشابهة زعمها اليهود والمسيحيون حول العبرية، ولم يتحدث هو عنها.

(15) انظر الجزء الأول من خاتمة هذا الكتاب.

(16) سمع من بِنبردج أن الأرصاد الفلكية التي أنجزوها في الأزمنة الغابرة من الصعب أن يأتي بها تايخو براهي أو غيره من المحدثين، وهو ما ذكره عالم مبجل يُسمى جون بِنبردج، لا يشك أحد في علمه وإحاطته بالموضوع.

(17) لا مناص من معرفة الحد الأدنى من هذه اللغة حتى نفهم ما جاء به محمد، ومن دونها لن نصل إلى هذا الفهم.

(18) انظر «كتب أكسفورد»، ج3 الرقم 2959. لم يعد الباحث يجدها الآن عندما يريدها، لم أجد هذه النصوص عندما طلبتها من مكتبة البودليان، وكان يوليوس قد نشر قصائد للمعري في إعادته لطبع كتاب النحو العربي لـ إربِنيوس في العام 1656 (شنورر، الرقم 81).

(19) انظر: هولت في كتابه: «الدراسات العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا»، ص 61 - 62، مع الملحقين 3 و4.

(20) تولز، ص 38 - 39.

(21) كان هذا كتابا في النحو لعبدالقاهر الجرجاني نشره إربِنيوس في العام 1617 مع طبعته المحققة لكتاب النحو لابن آجَرُّوم ومزيد بالنصوص اللاتينية والتعليقات المفيدة Grammatica Arabica dicta Gjarumia, et Libellus centum regentium cum versione Latina et Commentariis (شنورر الرقم 53، وانظر جونز، «تَعَلُّم العربية»، ص 183).

(22) مخطوطات بوكوك الرقم 427، ص 110 و ص 227 - 232، ومخطوطة بوكوك الرقم 428، ص 1 - 2، وحسب هولت في كتابه «الدراسات العربية في القرن السابع عشر»، ص 62.

(23) مخطوطة بوكوك الرقم 428، ص 1، اقتبسها هولت في المرجع السابع، تجدها في الملحق الرقم 4، ص 108 - 109. وفيما يتعلق بشهرة هذا العمل يعلق بوكوك محقا: «كتاب واحد يستحق الإشادة، وهو كتاب «المقامات» الذي يقرأه العرب جميعا بعد القرآن، وفيه جماع سمات البلاغة التي تُنسب إلى العرب».

(24) ليس لدي الخبرة النقدية الكافية لأحكم على مزايا القصائد التي كتبها بوكوك بالعربية، المنشورة في مجلد بعنوان «بريطانيا تُولد من جديد» Britannia Rediviva ويحتفل فيها بعودة الملك تشارلز الثاني بالأمير الشاب هنري دوق غلوستر Epicedia Academiæ Oxoniensis in Obitum Celsissimi Principis HENRICI Ducis Glocestrensis وكلاهما منشور في أكسفورد في العام 1660. (انظر مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، هوامش 2466 - 7، مع بعض التعليقات المسلية عن أولئك المساهمين الذين تملقوا في سفر من الشعر وأهدوه لـ كروموِل في العام 1654، ممن فيهم رالف

بَتُون، الذي ما لبث أن فقد مكانه، وجون لوك، الذي حافظ على مكانه). كانت هذه الأبيات، وإهداء كتاب أبي الفرج لـ تشارلز الثاني، هي الدلائل الوحيدة لديّ على اتصال بوكوك بالقصر.

(25) يذكر كلارك أن الكتاب كان تحت الطبع، وأن بويل أسهم بمبلغ خمسين جنيها هي تكلفة الطبع، في رسالته إلى لايتْفُت في الثالث من سبتمبر من العام 1659، (انظر لايتْفُت، «الرسائل»، ص 403 – 404)؛ وانظر مادن: «كتب أكسفورد»، ج3، الرقم 2498. وللنظر في طبعات أخرى انظر: مادَن وملِس، «حول ترجمة بوكوك لكتاب «حقيقة الديانة المسيحية» De Veritate Religionis Christianae الذي يقدم رواية صحيحة لتاريخ ترجمة بوكوك.

(26) بويل، «الأعمال الكاملة»، ج 2، ص 289. ويزعم بيرنت، ومكرر في كتاب «حياة» (المرجع السابق، ج1، ص 144)، أنه لولا عجز في بصره لاستطاع بويل الإلمام الدقيق باللغة العربية، وهو زعم لا أساس لـه من الدليل الثابت.

(27) يشير هذا إلى المشروع الذي لم يتم، وهو مشروع طباعة الترجمة التركية للكتاب المقدس كله، الذي كان ليفِنوس ورنر يأمل في إتمامه في البلاد المنخفضة.

(28) ورثنغتون، «المراسلات»، ج1، ص 160 - 161 (7 نوفمبر، 1659).

(29) مادَن، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقمان 2727، و 3164. وكان سيمن الذي أنفق سنوات في القسطنطينية في خدمة السفير وايتش، يُعتبر من أكثر العارفين بالتركية في ذلك الوقت.

(30) غروشيوس، «المراسلات»، ج 12، 103 «حتى يتحول المسلمون». وربما كان ذلك تعديلا متفائلا من قِبل جروشيوس نفسه، ولترجمة الفقرة كلها انظر الجزء السادس من الفصل السادس في هذا الكتاب.

(31) في رسالة إلى فوشيوس في الثامن من أبريل من العام 1642 نجد أن السبب الذي يذكره لإنجاز الترجمة هو تعزيز عقيدة المسيح في البلاد الشرقية، وأن كثرة الفلسفة جعلتنا نغرق في أعمق ظلمات الجهل 'crassissimis ignorantiae tenebris miserè demersorum' (فوشيوس، «الرسائل»، ج 2، الرقم 336).

(32) اقرأ الخاتمة العاطفية التي اختتم بها مقدمته لديوان الطغرائي: «إلى هؤلاء الواقعين تحت نير الترك، ويضطرهم الاستبداد إلى الجهل، نستطيع أن نردهم إلى التقوى والورع من جديد».

(33) حسب بوكوك في كتاب «لُمَع من تاريخ العرب»، ص 191 - 192 أخبره غروشيوس «الأكثر علما ونبلا» أنه استمد هذه الخرافات أساسا من اسكاليجيه، ولها جذور في حملات العصر الوسيط على الإسلام.(*) «لمزيد من التفاصيل عن معالجة بوكوك للكتاب السادس، انظر: ج. جيه. تومر «ترجمة إدوارد بوكوك لغروشيوس "de Veritate", Grotiana 33, 2012, pp. 98-105. (من ملاحظات تومر).

(34) بويل، «الأعمال الكاملة»، ج 6، ص 322 - 323، وقارن ما قاله بوكوك في المقدمة بالنسخة اللاتينية من ترجمته، مقتبس من جنبول في كتابه الذي سماه «دراسات العربية في البلاد المنخفضة في القرن السابع عشر»، ص 198 الهامش الرقم 2.

(35) انظر تولِز، ص 298-9، وأما المسيحيون الذين كان يخشى نقمتهم فلم يكونوا من المسيحيين الشرقيين المحليين، ولكن كانوا من الكاثوليك الأوروبيين.

(36) رسالة بتاريخ 3 يناير من العام 1661، (بويل، «الأعمال الكاملة»، ج 6، ص 324)؛ وانظر المرجع السابق، ص 324 - 5. والكتاب الذي كان يبحث عنه في الأساس هو «كتاب

البيان» لمؤلفه: الحبر تنحوم، والذي حصل عليه هنتنغتون في النهاية لحسابه.

(37) كان يفكر في ذلك على الأقل - وربما أتمه - في الثامن من أبريل من العام 1642، عندما كتب لـ فوشيوس عن ترجمته إلى العربية لكتاب «مختصر كتاب المبادئ المسيحية» (فوشيوس، الرسائل، ج 2، الرقم 336).

(38) تولز ص 288 - 9، ويقدم تفاصيل لمحتويات كتاب «المبادئ» الذي كان من النوادر باللغة العربية، من دون إشارة إلى المترجم ومكان النشر ولا تاريخ الطباعة، انظر مادَن، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 2885.

(39) للحصول على تفاصيل أكثر، انظر تولز ص -296 7، أو مادَن، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم (3000). وقد نُشر الكتاب في مسرح شلدونيان، على نفقة الجامعة، في العام 1674.

(40) كتب في التصدير لكتاب «الفيلسوف المعلم نفسه»، «أريد أن أنصح وأشجع، وأن من لا يعجبهم الأسلوب الحرفي للترجمة لا ينبغي أن يلوموا إلا المترجم». وللمزيد عن تمكن إدوارد بوكوك الابن وضعفه في العربية من دون أن يساعده الوالد، انظر الجزء التاسع من الفصل الثامن في هذا الكتاب.

(41) للمزيد عن هذا المؤلف انظر كتاب غوتييه Gauthier المعنون بـ «ابن طفيل: حياته وأعماله». وقد أصدر غوتييه أيضا طبعة حديثة بترجمة فرنسية (حي بن يقظان: قصة للفيلسوف ابن طفيل). وانظر: كتاب غودمان «حي بن يقظان لابن طفيل»، وفيه ترجمة كافية إلى الإنجليزية الحديثة، بيد أن التعليق لا يفيد منه القارئ كثيرا فيما يتصل بالقضايا التي أُثيرت بعد ذلك.

(42) يتجنب ابن طفيل الإشارة إلى الإسلام بالاسم، ويكتفي بذكر أنه «ملة من الملل الصحيحة المأخوذة عن بعض الأنبياء المتقدمين» (انظر «حي بن يقظان» تحقيق: غوتييه، 136)، وهو ما يمكن أن ينسحب على الدين المسيحي أيضا.

(43) انظر رسل، «الفيلسوف المعلم نفسه»، ص 255 الهامش 16. يتساءل بعض الدارسين عن الترجمة الألمانية التي أنجزها «ج. ج. غروشيوس (فرانكفورت، 1726)، هل تمت على أساس الترجمة اللاتينية التي أنجزها بوكوك، أم على نسخة أوكلي Ockley الإنجليزية الصادرة في العام 1708، وهي من العربية مباشرة؟ لم تظهر ترجمة لـه إلى الفرنسية حتى العصور الحديثة، ولمعرفة أسباب ذلك (على رغم الاهتمام المعاصر بالكتاب في فرنسا، وهو ما وصفه تولز، ص 285 - 6) انظر: مقالة شلي اختيار «حي بن يقظان».

(44) جورج كيث، «وصف الفلسفة الشرقية» 1674، اقتبسه رسل، «الفليسوف المعلم نفسه»، ص 248.

(45) وعد رسل بتأليف كتاب عن تأثير الفيلسوف المعلم نفسه في القرنين السابع عشر والثامن عشر (المرجع السابق، ص 265 الهامش الرقم 157). في الوقت نفسه جمعت بعض المواد للاستعانة بها من قبل جمعية الأصدقاء (المرجع السابق، ص 247 - 50).

(46) انظر الجزء الثالث من الفصل السادس من هذا الكتاب للوقوف على الاقتراح القائل بأن الذي قدم الكتاب لـه هو يعقوب رومان في القسطنطينية نحو العام 1639.

(47) انظر شتاين شنيدر، «الترجمات العبرية»، ص 365 – 368.

(48) نسخ هولت، وهو مكتشف الأجزاء المتفرقة لهذه الترجمة (انظر الجزء الثاني من الفصل السابع من هذا الكتاب)، افتتاحية الرواية في الملحق الرقم 8 من ملاحق كتابه المعنون بـ «دراسة العربية في إنجلترا القرن السابع عشر».

(49) «هذا ما كتبه المؤلف، وعلى القارئ أن يقرأ الكتاب كلـه، وأن يُعمل عقله وذكاءه،

ويخرج بعد ذلك بما يراه من الرأي، وأن يفرق بين الزمن الحاضر والزمن الغابر الذي كُتب فيه الكتاب، ولـه أن يختلف معه أو يتفق».

(50) «أن المعرفة بالله لا يمكن تحقيقها إلا عبر التماهي مع الخالق».

'ultra quod, nisi divinae revelationis ope, perveniri vix aut ne vix possit. Ad eam demum confugere cogitur Ratio.'

(51) رَسِلْ، «الفيلسوف المعلم نفسه».

(52) يخمن رَسِلْ (ص 245) أن لوك قد يكون مسؤولا عن اكتشاف هذه الرسالة التي كتبها بوكوك ونشرها، وعن العنوان «الفيلسوف المعلم نفسه»، وهو ما أراه بعيدا عن العقل غاية البعد.

(53) في مخطوطات الجمعية الملكية، «أوراق بويل»، السفر التاسع، الملفات 43 - 44، والسفر الثامن الملفات 206 إلى 207. وأدين بمعرفتي بهذا الكتاب للدكتور لورنس برينتشبه.

(54) ورثنغتون، «المراسلات»، ج1، ص 176.

(55) المرجع السابق، ص 259. هذه الفقرة وفقرات أخرى في الرسائل المُتَبادلة بين هارتلب وورثنغتون وبويل بين العامين 1660 و1662، قد أعاد إنتاجها مايكل نحاس في مقال بعنوان: «ترجمة حي بن يقظان بقلم إدوارد بوكوك الأب» ص 89 - 90.

(56) سُجلت الفقرات المتبقية في العام 1672 وربما بعد ذلك، ولكن هناك إشارات إلى القصة التي وردت في «تأملات عارضة». ويخبرني الدكتور برينتشبه بأنه يميل في تاريخ تلك الفقرات إلى أوائل خمسينيات القرن السابع عشر، والتي سبقت تاريخ معرفة بويل بـ بوكوك.

(57) أفضل من عبر عن الأنجليكانيين هو تشلنغوروث في كتاب بعنوان: «عقيدة البروتستانت»، وكان بوكوك يعرف تشلنغوروث معرفة شخصية (رسالة إلى فوشيوس في الثاني من مارس العام 1630، «الرسائل»، ج 2، الرقم 107).

(58) انظر الجزء الثالث من الفصل السابع في هذا الكتاب.

(59) «رواية حول ظهور الإسلام وتطوره مع سيرة حياة محمد والدفاع عنه وعن دينه في وجه تشهير وافتراء بعض المسيحيين». وهذا ومثله لم يكن من الممكن نشره في حياة ستَب Stubbe لأسباب واضحة. وفيما يتصل بالكتاب والطبعات التي صدرت منه فيما بعد انظر هولت، «أحد المدافعين عن الإسلام في القرن السابع عشر»، فـ هولت يبين أن ستَب لا يُظهر أي معرفة بالعربية.

(60) فيما يتصل بهذا العمل واستفادته من كتاب «اللُّمع»، انظر الفصل التاسع، الجزء السادس في هذا الكتاب.

(61) «النبي الزائف»، انظر: «تصدير ديوان الطغرائي»، وانظر: «لُمع من تاريخ العرب» وخصوصا: مسألة الحديث عن الرسول المزيف، ص 190. وهو يقتبس في المصدر السابق، ص 186 - 187، وفيه فقرة كتبها موسى بن ميمون عن كيف تعرف النبي المزيف، وهو ما يعتبره ينطبق على الرسول محمد.

(62) يقول عن هؤلاء في كتاب «لُمع من تاريخ العرب» ص 186، إن الرسول كان ينهى عن اللجج، وأن من حسن أخلاق المرء تركه ما لا يعنيه». وانظر أيضا الجزء الأول من الفصل الثامن، وما كتبه غروشيوس (ذُكِرَ في السابق في «لُمع في تاريخ العرب»، ص 191 - 192).

(63) كتاب: «لُمع من تاريخ العرب» ص 175، وص 186 - 187.

(64) ديوان الطغرائي، يقول في التصدير: «قام محمد ببناء إمبراطورية إسلامية من خلال التأسيس لديانة فظة تقوم على سفك الدماء»!

(65) على سبيل المثال: «الفيلسوف الكبير والعالم النحرير الغزالي»، التصدير لديوان الطغرائي، وانظر كتاب «لُمع من تاريخ العرب»، ص 269.

(66) كتاب «لُمع من تاريخ العرب»، ص 205.

(67) تــولِز، ص 30 - 31.

(68) أو على الأقل أولئك الذين كان يُطلق عليهم «أهل الكتاب»، وهم: المسيحيون واليهود والمسلمون. ويورد بوكوك في كتاب «لُمع من تاريخ العرب»، ص 256 - 257، من دون تعليق وجهات نظر الفرق الإسلامية التي كانت تنكر العقاب الأزلي.

(69) انظر ص 256 - 7. وكانت رد تــولِز أن الدراسات العربية لم تكن تجد من يقدرها حق قدرها، وهو رأي ضيق النظر إلى مسألة الترقي كلها.

(70) ربما تشابهت مزاعمه بمزاعم والتون على الأقل، وكان والتون قد عُيّن أسقفا لـ تشستر في الغالب بعد عودة الملكية مباشرة في ديسمبر العام 1660. ونستزيد هنا من قراءة رواية وود في كتابه «حياة وأزمان» ج 1، ص 364 - 365، حيث يروي كيف أن توماس بارلو Thomas Barlow، وكان من معاصري بوكوك في أكسفورد، وصاحب السجل الحريص مع حكام الجمهورية، يخطط للظفر بمنصب الأسقف بعد عودة الملكية.

(71) بريسلاو، 1608، (شنورر، الرقم 45).

(72) روما، 1642، (شنورر، الرقم 72، «مجلة فقه اللغة العربية»، الرقم 220).

(73) مادَن، «كتب أكسفورد»، ج3، الرقم 2763. على رغم أن اسم المحقق لا يظهر في المقالة، وليس من شك في أنه اسم كلارك، فقد أورده في رسالته إلى لايتفُت (انظر: لايتْفُت، الرسائل، ص 408، حيث يقول كلارك إن الكتاب في المطبعة، 8 أكتوبر 1667).

(74) في التصدير لكتاب أبي الفداء، يمتن لـ كلارك لإشرافه على النشر يقول: «وهو كتاب يستحق الإشادة، حيث إنه يعرف القارئ على جغرافية الشرق وتاريخه، ويظفر القارئ فيه بمعلومات قيمة عن تاريخ الشرق، وهو مفيد لمن يرغب في هذه العلوم بنوع خاص».

'cujus ideo libentius mentionem facio, quo ad opus, quod meditatur, Chronologicum & Geographicum, omnibus, qui Historias Orientales lecturi sint, utilissimum futurum, perticiendum ipsius fidem obstringam'.

(75) انظر الأرقام من 1006 - 1008، ص 219، والفهرست المختصر للمخطوطات الغربية في مكتبة البودليان ج 2/ 2، ص 788.

(76) مخطوطات مكتبة البودليان الرقم 22805، الملف، 90 (22/12/ فبراير، 1669).

(77) أحدث ما وجدته في رسالة بوكوك إلى كلارك في الخامس والعشرين من يناير العام 1658، (مخطوطة مكتبة البودليان الرقم 4276، الملف 57). وقد بارك والتون مشروع كلارك، لكنه حذره من الصعوبات في الحصول على المخطوطات في الحادي عشر من أغسطس من العام 1659، (مخطوطة المكتبة البريطانية الرقم 4274، الملف 91). وهناك ملحوظة مفيدة لهذا العمل في كتاب تُدْ المعنون بـ «حياة والتون»، ج1، ص 245 - 247.

(78) الصحيفة الرقم 663، الرقم 36. وهذه من دون تاريخ، ولكن هناك دليلا داخليا يوحي بأنها طُبِعت في أوائل ستينيات القرن السابع عشر.

(79) كان هذا إحدى مخطوطات إربنيوس، التي استعارها كلارك بعقد مبرم في العام 1659، وانظر أيضا أوتس، ص 230.

(80) الأرجح أنها إحدى مخطوطات كلية سيون التي ضاعت في الحريق الكبير.

(81) يظهر اسمه كرومهولم Cromeholme في رسائل كلارك.

(82) نوباور Neubauer، «المخطوطات العبرية»، الأرقام من 183 – 4.

(83) مخطوطات المكتبة البريطانية، 22805، الصحيفة الرقم 96. لم تضع الحرب الإنجليزية الهولندية الثانية أوزارها إلا في نهاية يوليو من العام 1667.

(84) لايتْفُت، «الرسائل»، ص 407 – 8.

(85) «ولكلارك دراسات وكتابات في أكسفورد، وهو يستعد لإصدار الكتاب المقدس سباعي اللغة، وإدراج النصوص السريانية ما عدا الكلدانية، ولكن فيها السريانية والإثيوبية والقبطية والعربية والفارسية». في أبريل من العام 1669 قال فِل: «بين أيدينا السفر السابع الذي سوف نضيفه إلى الكتاب المقدس متعدد اللغات» (كارتر، تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد، ص 51).

(86) كارتر، المرجع السابق، ص 49 – 50، والاستشهاد بمخطوطة بالارد الرقم 12، الملف الرقم 125.

(87) وهي محفوظة في مخطوطات مكتبة البودليان، الرقم 22805، وقد اقتبسنا بعضها في الصفحات التالية مع الخطة لنشر كتاب المخروطات لـ أبولونيوس.

(88) مثال على ذلك محاولة أكسفورد الحصول على صحائف كتاب يوليوس المسمى «الفرغاني»، والمتروكة في المطبعة من دون أن تكتمل طباعتها بعد وفاته. يكتب مارشال إلى «كلارك» في الثامن من ديسمبر العام 1667 يقول: «اعلم أن اقتراحاتك فيما يتعلق بالفرغاني اقتراحات كريمة، وستلقى قبولا عند حضورك، ولكني لا أتصور أن مشتري الطبعة غير المكتملة سيقدم على إرسال نسخة منها إلى إنجلترا». وتذكر الرسالة نفسها ترجمة فارسية للعهد القديم، والتي قد تكون متاحة أيضا في هولندا.

(89) كان لايتْفُت، الذي كان معروفا بالحكم الصائب على الأمور، يضع كلارك في مستوى بوكوك عندما يقول عنه: «إنه من أهم مثقفينا في إنجلترا» (في رسالة إلى كلارك بتاريخ 13 أبريل 1662، مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22905، الملف: 52).

(90) روى كارتر هذه القصة باستفاضة في كتابه المعنون بـ «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد» وخصوصا في الفصلين الخامس والسادس اللذين يحيلان القارئ إلى عدد كبير من المصادر والتفاصيل. وانظر مادَن، «كتب أكسفورد»، ج 3، ص 32 والصفحات التي تليها فيها معلومات إضافية.

(91) انظر المراسلات التي جرت بين مارشال وفِل فيما يتصل بشراء المصفوفات والحروف الطباعية من هولندا من أجل جامعة أكسفورد، وقد طُبعت هذه الرسائل في الملحق الرقم 111، ج 2 في هارت/ كارتر. وتغطي الرسائل الأعوام من 1670 – 1672، ولكن مارشال كان يدرس الإمكانيات على الأقل في بداية العام 1668.

(92) «كتب أكسفورد»، ج2، الرقم 2916، التي يمكن الاطلاع عليها لمزيد من التفاصيل.

(93) لندن، (رويكروفت)، ص 168.

(94) لايتْفُت، «الرسائل»، ص 407 – 8.

(95) طبعه كارتر بعنوان «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد».

(96) انظر الجزء الثاني من الفصل التاسع من هذا الكتاب.

(97) انظر شنورر، الرقم 166 من أجل مزيد من المعلومات الشائقة عن محاولات جرت بعد

ذلك لترجمة العمل. وهناك ترجمة أنجزها «فاتييه» منشورة في العام 1658، المرجع السابق، ص 137.

(98) توجد نشرة ليس عليها تاريخ تخص هذا العمل مطبوعة في كتاب هايد بعنوان «رسائل متكررة» Syntagma Dissertationum ج 2، ص 439 – 43.

(99) «موجز تاريخ علماء الرياضيات القديمة من اليونان واللاتين والعرب»، في نهاية كتاب سمث المعنون بـ «حياة برنارد». وأما تاريخها فغير معلوم لأن برنارد – حسب سمث – أضاف إلى التاريخ الحقيقي الكثير بعد تأليفه السريع بقلم فل. لا بد أن التحليل المفصل للمادة العلمية، والذي كان متاحا أمام أبولونيوس في كتاب المخروطات قد جرى تأليفه بعد رحلة برنارد إلى لايدن في العام 1669. وهنا لم أقارن مخطوطة برنارد الأصلية (مخطوطات لاتينية متنوعة، وانظر ص 3 في موجز فهرست المخطوطات الغربية في مكتبة البودليان، الرقم 8767).

(100) كان برنارد يبحث بحماس عن الدعم المالي في يونيو العام 1671 عندما كتب إليه أولدنبرغ يقول: «نحن نفكر معك كيف ستحصل على الرعاية والتشجيع الضروريين لتحقيق مشروع إعادة طبع كتب الرياضيات القديمة». وكان المتبرع الوحيد المذكور هو سث وارد أسقف سالزبوري، الذي كان يقول إنه يود لو يحذو حذوه آخرون (مخطوطات سمث، 45، ص 68).

(101) تبع ذلك صفحتان إضافيتان فيهما قائمة بأعمال يونانية فُقدت، ولكن كان لدى برنارد سبب ليفترض أنها موجودة في الترجمة السريانية أو العربية.

(102) ص 19 – 23.

(103) توجد نسخة مطبوعة من هذه العينة من كتاب إقليدس، انظر الجزء العاشر من الفصل التاسع.

(104) ترجمتي من اللاتينية. على الرغم من أن التصدير غير موقع، مادَن (كتب أكسفورد، ج 3، الرقم 3095) ونسبتها إلى فل صحيحة بالتأكيد.

(105) لم يُنشر كتاب «المعبد» لـ بابوس كاملا حتى ظهرت طبعة هولتش (برلين، 1876 – 1878) وقد استطاع ج. لـ. هايبرغ بمفرده تحقيق الكثير من النصوص التي تركها علماء الرياضيات والفلك اليونانيون والتي وردت في قائمة برنارد.

(106) الاستثناء الوحيد هو كتاب الجغرافيا لأبي الفداء، وكان قد نشره رينو غويار (3 مجلدات، باريس، 1848 – 1883). وأما النسخة الوحيدة الأخرى باللغة العربية التي أدرجها برنارد في قائمته، والتي كانت قد نُشرت في طبعة محققة هي «تذكرة الطوسي» تحقيق البروفسير Ragep (نيويورك، 1993). النسخ العربية لكتب الرياضيات اليونانية والتي استُمدت منها الطبعات المحققة لجميعها أو عدد منها هي: كتاب الميكانيكا لـهيرون السكندري، طبعة نكس (لايبزيغ، 1900)؛ وكتاب «العناصر» لإقليدس، الجزء الأول إلى السادس، وتحرير بثورن وهايبورغ (كوبنهاغن، 1897 – 1932)؛ مينلاوس، الهندسة الكروية، من تحقيق كراوس (غوتنغن، 1936)؛ كتاب بابوس، تفسير كتاب إقليدس العاشر، تحقيق يونغ وتومسون (كيمبردج، ماساسوشتس، 1930)، و«الدوائر المتماسة» لأرشميدس الزائف، تحقيق دولد سامبلونيوس وآخرين (شتوتغارت، 1975)؛ وعلم الحساب لديوفانتوس، الجزء الرابع والثامن، تحقيق سيسيانو (نيويورك: 1982)؛ وكتاب فهرست النجوم في المجسط لـبطليموس، تحقيق كونيتش (فزبادين، 1986)؛ وكتاب المخروطات لأبولونيوس الأجزاء من الرابع إلى السابع، تحقيق تومر (نيويورك 1990).

(107) كان قد طُرد من كلية لنكِن، حيث طرده المفتشون في يوليو العام 1648، (باروز،

«سجل المفتشين»، ص 165)، ولكنه كان عندئذٍ في هولندا (فيما وراء البحار، المرجع السابق).

(108) أنتج الاثنان الطبعة الأصلية لمخطوطة للإنجيل الذهبي (الترجمة القوطية من الأسقف أولفياس) من أربعة أناجيل (دوردركت، 1665).

(109) مخطوطات تانر، ص 45 الرقم 29.

(110) انظر كتاب سمِث: «حياة برنارد»، وعلى الرغم من أنه أفضل من كتب السيرة الأخرى التي كتبها (أو هكذا أتوقع نظرا إلى الصداقة الوطيدة التي استمرت زمنا طويلا بين الرجلين، وهو ما تشهد عليه المراسلات الكثيرة جدا بينهما وهي محفوظة في مخطوطات سمِث في مكتبة البودليان) فإنه يحتاج إلى تصحيح عند بعض المواضع، ويمكن أن يُضاف إليه في بعض المواضع الأخرى.

(111) MS Or. 218 (نيكول – بوسي الرقم 302، ص 301 – 302) هي نسخة برنارد، استُمدت في العام 1659، من كتاب فلكي لأبي الدفاء في كلية القديس جون. استفاد منها فيما بعد في كتابه «دي منشوريس» (انظر ص 219 من الكتاب).

(112) رسالة من كاستِل إلى كلارك، في 4 أو 5 أبريل في العام 1661 (مخطوطات مكتبة البودليان الرقم 22805، ملفات العام 48، 50). كان برنارد عند ذلك في الواحد والعشرين من عمره فقط.

(113) المرجع السابق، الصحيفة الرقم 70. مخطوطة غريفز التي يشير إليها هي كتاب أبولونيوس المسمى «قطع النسب» والذي – كما رأينا – وصل بعد وفاته إلى يد سِلدِن ومنه إلى مكتبة البودليان.

(114) أعلن مارشال هذا لـكلارك في رسالته بتاريخ 17/ 27 أكتوبر، (المرجع السابق، الصحيفة 57).

(115) مثلا طبعة الحقلاني- بوريلي في العام 1661.

(116) من مارشال إلى كلارك، المرجع السابق، الصحيفة الرقم 71.

(117) من مارشال إلى كلارك، في المرجع السابق، الصحيفة الرقم 72. وحتى عدد الأربعين صحيفة لم يكن صحيحا، فعندما كتب أختمان إلى مارشال في الخامس من ديسمبر من العام 1668 أن قندي أكمل نحو نصف المهمة، لم يكن أكمل أكثر من ست وثلاثين صحيفة (مخطوطات المكتبة البريطانية 4277، الصحيفة الرقم 172).

(118) مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22905، الصحيفة الرقم 84. وهناك صورة من هذا الخطاب الشائق جدا مطبوعة في هارت/كارتر، ص 194.

(119) أغلب التفاصيل الدقيقة في هذه القصة كشفها ك. م. بي. أوغسون، بعنوان: «عجائب أبولونيوس» والذي لا يعرف – من ناحية ثانية – شيئا عن ترجمة بِل أو مفاوضات مارشال في هولندا في العام 1668.

(120) كما يسجل في صفحة غلاف المخطوطة (الآن مخطوطة ثيرستون 3)، ‘Liber Bibliothecae Oxonii: quem ex Ratelband cujusdam Bibliopolae officinâ librariâ, propè novum Templum Amstelodami, redimendum pretio persoluto curavit Tho. Marschallus, è Collegio Lincolniensi apud Oxonienses وقد ضل ماكراي، «الحوليات»، ص 129، بسبب هذه العبارات فافترض أن هذه المخطوطة كانت تنتمي في السابق إلى مكتبة البودليان، وأنها سُرِقَت، وأنه الآن يعمل على استردادها.

(121) رسالة كاستِل إلى كلارك، مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22905، الصحيفة

الرقم 79 (24 يونيو 1668): «السيد مارشال من «دورت» زارني مرتين، وهو ذاهب إلى كِيمبردج هذا الأسبوع، بعد أن قضى أسبوعين في أكسفورد يبحث عن الكتب، وظفر فعلا بكتب كثيرة من بينها كتاب لأبولونيوس البرجاوي، الذي يبحث عنه الجميع».

(122) على الرغم من أن مارشال لم يذكر لنا الكتب التي وضع عليها الصور، فإن عدد اللوحات (93) تناسب هذه المخطوطة، فتلك الكتب كانت تتطلب ما يزيد على مائتي رسم.

(123) رسالة مارشال إلى كلارك بتاريخ 9 نوفمبر بالتاريخ الغريغوري العام 1668، مخطوطات المكتبة البريطانية 22905، الصحيفة الرقم 84، وانظر أيضا: الصحيفة الرقم 81.

(124) رسالة إلى كلارك، مخطوطات المكتبة البريطانية، نسخة إضافية الرقم 4275، الصحيفة الرقم 30.

(125) في المخطوطة اللاتينية، فئة «د» لاتيني، ص 2. انظر الجزء الرابع من هذا الفصل.

(126) مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22805، الصحيفة الرقم 86. كان برنارد قد حصل على إجازة من كليته للسفر إلى ما وراء البحار في السادس والعشرين من ديسمبر.

(127) أولدنبورغ، «الرسائل»، ج 5 الرقم: 1038a، ص 233، «هنا نظفر بالعربية» 'quos hic Arabice habemus' يمكن أن يشير فقط إلى مخطوطة رافيوس، الآن موجودة في مكتب البودليان.

(128) كان تيودروس يوليوس وبقية الورثة يحاولون بيع هذه المخطوطات في ذلك الوقت، وكانت الجامعتان أكسفورد وكيمبردج مهتمتين بشرائها، انظر الجزء الثامن في هذا الفصل.

(129) مخطوطة المكتبة البريطانية 22905، الصحيفة الرقم 89.

(130) يوري الرقم (885)، ص 192، حيث تُنسب المخطوطة نفسها خطأ إلى العام 1036 هجرية، يقول يوري: 'Scriptura peregrinam manum redolet' (وهذا لا ينسحب إلا على الجزء الذي نسخه برنارد). يؤكد بوسي (نِكول - بوسي، ص 599)، 'Codex e cod. Marsh. 667 non una manu transcriptus est'.. لا بد أنها المخطوطة العربية، اشتراها السيد برنارد التي دفعت المكتبة مقابلها مبلغ عشرة جنيهات إسترلينية وخمسة عشر سنتا في العام 1669، مَكراي، «الحوليات»، ص 135.

(131) انظر فورهوف، «القائمة»، 180، فهرست لايدن للكتب الشرقية، ج 3، الرقم 979. وقد كتب الدرويش أحمد نسخته في حلب من المخطوطة التي تقبع الآن في مجموعة مخطوطات مارش الرقم 667 قبل أن تُباع الأخيرة لـيوليوس عن طريق دافيد لِليو دي فلهلم.

(132) للمزيد انظر كتاب فِنغولد، «إسحاق بارو»، ص 76 – 77.

(133) «رسائل رجال العلم»، ج 2، ص 217.

(134) المرجع السابق، ج 1، ص 196، رسائل إلى أولدنبورغ، ج 9، أرقام 2093، 2094، ص 316، 319.

(135) رسائل رجال العلم، ج 2، ص 552.

(136) أولدنبورغ، «الرسائل»، ج 11، رقم 2644، ص 316.

(137) المخطوطة اللاتينية، متفرقات، 3، الرقم 65.

(138) للمزيد عن هذه الصفحة المراوغة انظر تومر، «أبولونيوس»، ص 86 – 87.

(139) وسط الكتاب فارغ، ولكن النهاية الأخرى مشغولة بترجمته لكتاب المفروضات لأرشميدس الزائف، مسبوقة بتصدير غاية في التشويق يتصل بتاريخها في اليونانية والعربية، مع بعض التخمينات الذكية حول أصلها الحقيقي.

(140) لدينا رواية قصيرة وممتازة لحياة سمِث، وقائمة مفصلة لكتاباته، فيما كتبه بلوكسام في كتاب «سجل كلية مجدلين»، ج 3، ص 182 – 204.

(141) في العام 1677 كتب إلى برنارد يقول: «أنا وأنت كنا صديقين ما يقرب من عشرين عاما» (مخطوطات سمِث 57، ص 15)، ويكتب إلى أرملة برنارد بعد وفاته في يناير من العام 1679 يقول: «معرفتي به التي امتدت أربعين عاما» (المرجع السابق، ص 617). وفي العام 1661 أصدر الرجلان بعض القصائد في كتاب واحد، بحيث تكون صفحة بالعربية والأخرى المقابلة لها بالعبرية، وذلك في الكتاب التذكاري الذي أصدرته أكسفورد لرثاء الأميرة ماري، أخت الملك تشارلز الثاني (مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 2543).

(142) بلوكسام، «سجل كلية مغدلين»، ج 3، الهامش 182، مقتبس.

(143) مادان، «كتب أكسفورد»، ج3، الرقم 2613. وحول مضمون هذا العمل ومصادره انظر فنغولد، «مدرسة أكسفورد للغات الشرقية».

(144) مخطوطات سمِث 113، و114. وهذه درسها فنغولد الذي يذكر إحالاتها المتفرقة (من مصدر ثاني) إلى المصادر العربية (مدرسة أكسفورد للغات الشرقية).

(145) كان سمِث قد ظفر بتوصية جوزيف ويليامسون (زميل سابق لكلية الملكة)، والذي عمل معه فيما بعد كاهنا. ألقى سمِث خطبته أمام تجار شركة الشام في لندن، قبل رحيله، يستعرض فيها خبرته المعرفية بالعبرية والكلدية، في الثاني من يونيو من العام 1668.

(146) مخطوطات سمِث، 47، الملف الرقم 33.

(147) مخطوطات سمِث، 50، ص 219.

(148) سمِث، «يوميات رحلة من إنجلترا إلى القسطنطينية».

(149) مخطوطات سمث 57، ص 181.

(150) لم أدرس مخطوطة سمِث الرقم 141 (مختصر فهرست المخطوطات الشرقية في مكتبة البودليان، الرقم 29820)، التي تضم يومياته ودفتره من العام 1668 إلى العام 1708.

(151) سمِث، «رسالتان» (مادان، كتب أكسفورد، ج 3، الرقم 2948)؛ وأعيد نشرهما بعد زيادتهما في العام 1674 (المرجع السابق، الرقم 3026).

(152) من المفيد أن نقارن بين الرواية الرصينة والموضوعية للمعتقدات الإسلامية، والممارسات الدينية التي كتبها إسحق بارو في أثناء الأشهر القليلة التي قضاها في القسطنطينية في العام 1658: «الكلام المفيد في عقيدة الأتراك الدينية» (بارو، الأعمال اللاهوتية، 9، ص 386 – 410). من ناحية أخرى نجد أن القصيدة الطويلة التي كتبها في الموضوع نفسه (عقيدة الأتراك في العام 1658، في المرجع السابق، ص 481 – 510، بعيدة كل البعد عن الذم.

(153) انظر سمِث: «ملاحظات حول أخلاق الترك وأحوالهم»، 5، ص 206.

(154) المرجع السابق، ص 16.

(155) المرجع السابق، ص 27، ص 32، ص 55.

(156) المرجع السابق، ص 37، ص 38، ص 59، ص 209.

(157) المرجع السابق، ص 103، ص 107.

(158) مخطوطات سمِث، 57، ص 189.

(159) سمِث، «يوميات رحلة من إنجلترا إلى القسطنطينية»، ص 614، ثم انظر آندرسون، «قنصل إنجليزي في تركيا»، ص 148.

(160) رسالة في 17 مايو العام 1669 في مخطوطات سمِث 53، الملف 153، ذكرها أندرسون في كتاب «قنصل إنجليزي في تركيا»، ص 216.
(161) المرجع السابق، ص 221.
(162) مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقمان 3121، 3279، وانظر: تولز، ص 51، وقد طُبعت هذه الكتب مرة ثانية في متفرقات سمِث (لندن، 1686)، وقد قرأتها جميعا.
(163) بلوكسام، «سجل كلية مغدلين»، ج 3، ص 187.
(164) أغلب هذه المواد موجود في مخطوطات سمِث في مكتبة البودليان.
(165) انظر: سمِث، «حياة برنارد وعمله».
(166) حسب مَذكرات كنتْ في مخطوطات المكتبة البريطانية لاندسون (987)، الصحيفة الرقم 156 يمينا، وكان والـِس حريصا على إخفاء فقرات بعينها في الرسائل التي فك شفراتها، والتي نال من أجلها رضا القصر.
(167) وهذا على النقيض من قوانين سافيل، وفي انتخابات مشكوك فيها جدا، انظر مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقمين 2325، 2371 لمعرفة المزيد عن هذه الواقعة المنطوية على افتراء.
(168) كان والِس أحد المراقبين الذين وردت أسماؤهم في وصية بوكوك.
(169) أولدنبورغ، «الرسائل»، ج 2، ص 310، ص 163.
(170) ج 2، ص 669 – 673. في هذا الصدد تنسب الترجمة لـ بوكوك دون أي تردد.
(171) ليس دون مساعدة «إدوارد بوكوك»، مخطوطات، الصحيفة الرقم 94 يمينا. MS Don. d 45, fo. 94r كما أوردها ولخصها مرسير، «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص 199 – 201، q.v. لمزيد من النقاش حول النسخ المختلفة ودور بوكوك.
(172) انظر والس، «علم الحساب الكوني»، ص 271 – 280، وقد أعيد نشره في كتاب والـِس المعنون بـ «أعمال الرياضيات»، ج 1، ص 159 – 164، وهذه هي الفقرة التي أشار إليها تــولِز، ص 328.
(173) أولدنبورغ، «الرسائل»، ج 4، الرقم 763، ص 141.
(174) انظر: مارشال، «جورج هوبر»، خاصة: ص 2، 5، وص 176، 177. (وفيما يتعلق بكتب هوبر الشرقية، موجودة في مكتبة كاتدرائية وِلز).
(175) تولِز، ص 325.
(176) أشرف، بالاشتراك مع مارشال، على طباعة الأناجيل وسفر الأعمال باللغة الملاوية (من طبعات هولندية قديمة) وصدر في أكسفورد، على نفقة بويل، في العام 1677: مادان، «كتب أكسفورد»، ج3 الرقم 3164.
(177) أخبر باوري في العشرين من نوفمبر العام 1700 أنه كان قد كتب إلى أحد القساوسة في الهند في بعض الأمور تتصل باللغة الهانسكريتية، وأجاب على رسالتي بأني ينبغي أن أنطقها السانسكريتية لا الهانسكريتية، وبناء عليه أرسل لي صفحات باللغة البرهمية القديمة». وفي الرسالة نفسها يتعمل هايد مع لغة سيلان ولغة التيلغو، ورغبته في الحصول على أبجدية لغة التتار في البنجاب) المكتب الهندي المخطوطات الأوروبية، 192، الملف الرقم 2).
(178) مخطوطات المكتب الهندي الأوروبية.. E. 192 11, fo. 1
(179) سلم هايد خطاب التوصية لـبويل عندما غادر أكسفورد (بويل، «الأعمال الكاملة»، ج 6، ص 674). وانظر: مخطوطات هايد، «في مدرسة الدراسات الشرقية، التصدير».
(180) مخطوطات المكتب الهندي الأوروبية E. 192 15, fo. 1.

(181) هايد، أولوغ بيك، «تصدير للقارئ»، وليس من الواضح هل دفع لـه وارد مبلغا ماليّا لهذا العمل، والأرجح أن مرتب كاهن وستمنستر الذي اقتطعه – بوصفه أسقف سالزبوري – لهايد في العام 1666، لم يكن إلا المكافأة المستحقة لـه مقابل الترجمة، ومقابل المديح المسرف في هذا العمل.

(182) انظر النسخة المثال في مكتبة البودليان: Rawl. 156 4° والتي صححها هايد نفسه مستعينا بالتعليقات التي وجدها في مخطوطة غريفز، وقد استفاد شارب من هذه التصحيحات عندما أصدر طبعة جديدة لكتاب أولوغ بيك، في كتاب هايد المعنون بـ Syntagma Dissertationum، المجلد 1.

(183) انظر على سبيل المثال رسالة والس إلى أولدنبورغ في رسائل والـس ج 2، الرقم 310 (6 أبريل العام 1664). والراجح أن الجمعية الملكية أو هفليوس، لم تكن راغبة في استخراج الـعشرين أو الثلاثين جنيها إسترلينيّا التي كان هايد يعتقد أنه يستحقها لقاء عمله. انظر: أرقام الصفحات 313، 314، 316، 321، 344، 352، والرقم 388 في المجلد نفسه.

(184) هايد، «Peritsol»، (1691)، على رغم أن الجزء الأول من كتاب «Historia Shahiludii» «في دراسة اللغات الشرقية»، 1694 وقد صدر في الأساس في العام 1689.

(185) هايد، «Peritsol»، خصوصا التصدير. والراجح أن هذا حدث بعد وفاة كلارك في العام 1669.

(186) انظر ملاحظات ورثنغتون في كتابه «متفرقات»، ص 253، ومقتبس منها في كتاب أبرامز «مشناة كيمبردج لإسحاق أبندانا وتقويم أكسفورد»، ص 103: «إذا كان المسيحيون يريدون التعامل مع اليهود والمسلمين فعليهم التسلح بالمعرفة، ومن أهم عناصر المعرفة، المعرفة بالمشناه والقرآن».

(187) انظر ورثنغتون، «الرسائل»، ج 1/2، 26 (9 سبتمبر، 1661).

(188) «إن العمـــل يجري في المعجم على قدم وساق، ومجرد العمـــل فيـــه متعـــة» «Sic erit ut sudans respiret Lexicon, atque / Laetius hinc totum progrediatur opus». آربري، «مدرسة كيمبردج في اللغة العربية»، ص 11 – 12، وهو يورد مقتطفات مما سماه: «العبارات الغريبة المكتوبة بالعربية والفارسية».

(189) انظر: كاستل في «فن الخطابة»، وتوجد رواية لهذا الموضوع فيما كتبه نورس في كتاب بعنوان «إدمند كاستل والمعجم ذو اللغات السبع»، 79 – 80.

(190) «رسائل إلى كلارك»، 24 يونيو في العام 1668، مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 79.

(191) المرجع السابق، الملفان، 7 و87. وفي 10/ 20 ديسمبر يكرر مارشال التعبير عن قلقه بأن تيفنو، الذي كان في لايدن في ذلك الوقت، ربما يقدم على شراء مخطوطات من كولبرت (المرجع السابق، الصحيفة الرقم 88).

(192) رسالة مارشال إلى كلارك، في المرجع السابق، الصحيفة الرقم 90.

(193) مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 4275، الصحيفة الرقم 40.

(194) «مخطوطات سمث»، 45، ص 133. يوجد نسخة أفضل من الرسالة في كتاب ويكفيلد المعنون بـ «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 138. كان يستشهد بمؤلفين أكثر ثراء من هؤلاء، معناها: طالما كان يستشهد بنصوص أكثر أهمية من تلك النصوص (في الفهرست).

(195) رسالة في يوم 12/ أو 22 فبراير من العام 1669، مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 22805، الصحيفة الرقم 90.

(196) هل كان صادقا في ظنه أن بعض المخطوطات لم تُدرج في الدليل المطبوع؟ يحتاج هذا إلى مقارنة مفصلة لهذا الدليل بدليل المزاد الذي انطلق في العام 1696 وبعض المعلومات عن مخطوطات يوليوس. لم أطلع على دليل العام 1668، ولكن وفق ما جاء في كتاب ويكفيلد «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان» ص 146، الهامش الرقم 197، توجد نسخة في مكتبة «كلية كل الأرواح».

(197) رسالة إلى برنارد في 2 ديسمبر العام 1669، «مخطوطات سمِث»، 45، ص 109.

(198) انظر سمِث، «حياة برنارد»، ص 49، واقتبسه أوتس، ص 431، الهامش الرقم 33.

(199) تولز، ص 291 – 2. هنا نجد أن التواريخ غامضة في رواية تولز.

(200) دي. أختمانوس D. Utchmannus أستاذ اللغة العبرية في جامعة لايدن يقول: «كتب إليّ يوليوس منذ فترة ليست بالطويلة: أظن أنهم سيعودون إليه؛ فهو صاحب مال وفير، فهم لا يكرهون الرجال، بيد أن أيدي الرجال اليوم مغلولة بسبب نقص المال، حتى مع قربهم من جلالته». (انظر: مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 4277، الصحيفة الرقم 19).

(201) «رسائل لايتْفُت»، ص 454 – 459. أخذت اقتباساتي من المخطوطات الأصلية في المكتبة البريطانية لاندسون 1055، الصحيفة الرقم 122، «سمِث» 45، ص 85، و90، «ولاندسون» 1055، الصحيفة الرقم 123.

(202) فيما عدا التركة التي كانت بمبلغ مائة جنيه إسترليني المخصصة لشراء مكتبة يوليوس في وصية روبرت مابلتوفت (أوتس، ص 428 – 30)، والتي سُحبت في العام 1676. وأما تخمين أوتس (ص 432 – 434) بأن المفاوضات الفاشلة للجامعة مع تاجر الكتب روبرت سكوت في العام 1677 من أجل شراء مجموعة من المخطوطات مجهولة المؤلفين مرتبطة أيضا بمخطوطات يوليوس، فيبدو غير معقول في نظري.

(203) لمزيد عن الموضوع انظر نوريس، «إدماند كاستِل»، و«المعجم ذو اللغات السبع»، وفيه كثير من المواد المفيدة، لكنه يفتقر إلى الشمول.

(204) لقد أُصدر المعجم بالقطع نفسه الذي صدر به الكتاب المقدس متعدد اللغات، وكثيرا ما كانت نسخ المعجم التي طُبعت في الفترة نفسها تُباع مع الكتاب المقدس في حزمة واحدة.

(205) انظر، على سبيل المثال، كاستِل في التصدير حيث يقول: «إضافة إلى أنني تلقيت عددا كبيرا من الرسائل من بعض كِبار القوم في الكنيسة وغيرها في الوطن، فاضطررت إلى إنفاذ هذا الأمر اضطرارا، ولا أنكر أنني وجدت من بعضهم تشجيعا ووعودا بالمساعدة، وأيضا بالمكافآت التي كنت أعرض عنها». وفي الثاني عشر من فبراير من العام 1664 أخبر لايتْفُت بأنه استُدعي إلى هذه المهمة البغيضة المدمرة من خلال رسائل ووعود من أكثر الرجال نفوذا في الكنيسة والحكومة» (مخطوطات المكتبة البريطانية لاندسون 1055، الملف الرقم 50 لايتْفُت، «المراسلات»، ص 366 – 367).

(206) مخطوطات المكتبة البريطانية 1055، الملف الرقم 42، ومطبوع في لايتْفُت، «الرسائل»، 387 – 8.

(207) العينة ذكرها والتون في تصديره للكتاب المقدس متعدد اللغات، يقول: «إنه عمل يقوم عليه علماء في اللسانيات، وخبراء مخلصون في عملهم، وهو معجم جامع شامل، يشمل اللغات العبرية والسامرية والكلدانية والسريانية والعربية والحبشية والفارسية، ويجري على منهج الكتاب المقدس متعدد اللغات، يستحق أن تُبذل في سبيل إتمامه الأموال، وأن تُستقطب إليه الأيدي الخيرة الراغبة في استخدامه في المستقبل، وقد نشرنا

مؤخرا عينة منه».

(208) للمزيد في هذا كله انظر كتاب تُدْ، «حياة والتون»، ج 1، ص 269 – 276.

(209) اقتبسه نوريس من نسخة بيكر (كيمبردج مخطوطات - MS Mm. 1.47, pp. 349 50) في كتابه المعنون بـ «إدموند كاستل ومعجمه ذو اللغات السبع»، ص 81 – 82. أورد تولز الجزء الأخير من المذكرة في ص 210.

(210) رسائل من كاستل إلى لايتْفُت، مخطوطات المكتبة البريطانية لاندسون، 1055، الصفحتان الرقمان 62 و 50 (لايتْفُت، الرسائل، ص 368 – 70، وص 366 – 667).

(211) مجلة «فقه اللغات الشرقية»، الرقم 106، مع بعض الصور. يلاحظ تَدْ في كتاب «حياة والتون»، ج 1، ص 176 – 167، أنه في كلية سدني سسكس كيمبردج هناك نسخة من قاموس شندلر، من ثلاثة أجزاء، مع ملاحظات كاستل.

(212) يعطينا كاستل في تصديره للمعجم قائمة مغرقة في التفاصيل بجميع مصادره. وينصب اهتمامي هنا على المصادر التي استُفيد منها إلى درجة كبيرة.

(213) مخطوطات مكتبة جامعة كيمبردج، Dd.6.4, fo. 45 وهي عبارة عن مسوّدة رسالة كاستل إلى يوليوس في 8 أغسطس في العام 1661، يعده فيها بعدد من النسخ من المعجم في مقابل القرض الذي حصل عليه من أجل قاموسه الفارسي. في المخطوطة نفسها، في ص 404، رسالة من كالاندرينوس إلى يوليوس بتاريخ 9 مايو 1665، يعلن فيها أنه يعفي كاستل من دفع قيمة 100 جنيه مادام يُعيد مخطوطة المعجم إلى يوليوس. وقد لخّص ويتكام المفاوضات التي تمت بين يوليوس وكاستل ورويكروفت، والتي توسط فيها مارشال في دوردركت، وذلك في كتاب سمّاه: «يعقوب يوليوس ومخطوطاته»، ص 60 – 61، من الرسائل في مخطوطات مارس الرقم 714. المعجم الفارسي اللاتيني الذي ألّفه يوليوس موجود الآن في مخطوطة مارس 213.

(214) «رسالة كاستل إلى «كلارك»، الأول من يوليو من العام 1658، مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22905، الملف الرقم 13، انظر: «رسالة كلارك إلى لايتفت»، 16 يونيو 1658، «رسائل لايتفت»، ص 402.

(215) انظر «رسالة كاستل إلى كلارك» في 5 أغسطس 1658، («مخطوطات المكتبة البريطانية»، الرقم 22905، الصحيفة 15). الرسالة المرسلة إلى غريفز محفوظة في .NIS BL Add. 4162, fos. 63v - 64r

(216) مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22805، الصحيفة الرقم 15. كان لامب كاهنا في وستمنستر ومات في العام 1664. وقد حصلت مكتبة البودليان على مجموعاته التي تضم كتابا في النحو العربي ومعجما عربيا في تسعة مجلدات (مخطوطات لامب من 1 - 9، انظر يوري، ص 242، 247، وانظر: ماكري «الحوليات»، 135). ولا علم لي بدراساته العربية. وود، («خريجو أكسفورد» Athenae Oxonienses، ج 3، ص 668)، يذكر هذه المخطوطات التي تضمها مكتبة البودليان.

(217) انظر مايور، «جامعة كيمبردج في عهد الملكة آن»، ص 492، مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 22 (23 ديسمبر 1658).

(218) أخبر كاستل، الذي لم يذكر اسم هيويش في التصدير الذي كتبه للمعجم سباعي اللغة، لايتْفُت في الثاني والعشرين من فبراير 1664، أن شريكيه الأصليين هجرا العمل معه، بعد أن قُدّمت لهما عروضٌ أفضل (مخطوطات المكتبة البريطانية، لاندسون، 1055، وانظر ص 50، لايتْفُت، الرسائل، ص 336 – 7).

(219) مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 20.

(220) ذُكِر على أنه كان لايزال في لندن في التاسع من مايو 1665 في رسالة قيصر كالاندرينوس إلى يوليوس، MS CUL Dd.6.4, p. 404.

(221) Moller, Cimbria Literata, ii. 565.

(222) MS BL Add. 22905, fo. 48.

(223) مخطوطات مكتبة جامعة كِمبردج، انظر: Dd.6.4, fo. 211

(224) مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22910، الصحيفة الرقم 79، وكان هنتنغتون يحتقر وانزلبن بسبب تحوله إلى الكاثوليكية ازدراء تاما.

(225) انظر موللر، «Cimbria Literata»، ج1، 491 وأوردها رولز في كتابه «Nissel und Petraeus»، ص 301، الذي يُرجع الواقعة إلى صيف العام 1661.

(226) انظر الجزء الثالث من الفصل الثاني في هذا الكتاب. وانظر: هاملتون، «الاهتمام الإنجليزي بالمسيحيين الناطقين بالعربية»، ص 40، 51، 52 لمزيد من المعلومات حول كتاب وانزلبن في تاريخ القبط.

(227) رسائل كاستِل إلى كلارك، «مخطوطات المكتبة البريطانية»، الرقم 22905، الصحيفة الرقم 35.

(228) انظر رولف، «Nissel und Petraeus»، وفيها سرد جيد لحياته، وجهوده الرائدة في طباعة الكتب الإثيوبية.

(229) ورثنغتون، «الرسائل»، ج 2/ 1، 21.

(230) NIS CUL Dd.6.4, fo. 231 وفيها تعليق يعني موافقة هوش على أن يدفع كاستِل وكلارك كلاهما مائة جنيه استرليني من الرصيد مادام على رأس العمل في المشروع.

(231) NIS BL Add. 22905, fo. 20.

(232) طُبعت هذه الرسائل في التصدير للمعجم سباعي اللغة. انظر كتاب تُـدْ، «حياة والتون»، ج 1، ص 173.

(233) ويقتبس منها توماس سمِث في ص 99 من الترجمة الكلدانية 1663، وطلب لايتْفُتْ نسخة قبل الثاني والعشرين من فبراير من العام 1664، انظر: لايتْفُتْ، «الرسائل»، 366.

(234) ورثنغتون، «الرسائل»، ج 2، 1، ص 104.

(235) ربما كان المثال الفريد على ذلك موجودا في مكتبة كلية سيون ARC A IO.IS, Psalmus Primus Davidis، في صحيفة واحدة «مطبعة توماس رويكروفت»، (1659). وقد تأكد التاريخ بذكره في رسالة من كاستِل إلى كلارك في الحادي والعشرين من نوفمبر من العام 1659، (مخطوطة المكتبة البريطانية، 22905، الصحيفة 35).

(236) «سوف نطبع الزبور كله باللغة المصرية القبطية وباللغة العربية واللاتينية، وما يدل على أن الخير لايزال فينا».

(237) مخطوطات المكتبة البريطانية، 22905، الصحيفة الرقم 57.

(238) في 21 نوفمبر من العام 1659 أخبر كلارك أنه كان يقترض الأموال (المرجع السابق، الملف الرقم 35)، وفي ديسمبر من العام 1660 كتب إلى ورثنغتون يخبره بأنه اضطُر إلى بيع عقار يدر 20 جنيها إسترلينيّا في العام، ويتوقع أن يواصل بيع ما ورثه كله ما لم يحصل على المزيد من الاشتراكات (ورثنغتون، «الرسائل»، ج1، ص 243 – 4).

(239) رسائل إلى كلارك اقتبس منها مايور في كتابه «جامعة كمبردج في عهد الملكة آن»، 493، ثم انظر رسائل كاستِل إلى لايتْفُتْ، 24 أكتوبر 1670 (لايتْفُتْ، الرسائل، ص 399 – 400).

(240) رسالة إلى لايتْفُتْ في 5 أغسطس العام 1667، (المرجع السابق، ص 382 – 4).

(241) مخطوطات المكتبة البريطانية، رقم: 22905، الملف 97.

(242) دار الوثائق القومية، 382/11 الرقم 2. الصحيفة الرقم 15 شمالا، وانظر نورِس في كتابه: «البروفسور إدمند كاستل، المستشرق ورجل الدين»، ص 155 – 158.

(243) ج 4، ص 27.

(244) مخطوطات المكتبة البريطانية، 22905، الصحيفة الرقم 62. قارن تعليقه في التصدير للمعجم حيث يقول: «على رغم العمل الكثير فإني أشك في إمكانية تحقيق الفائدة المرتجاة، أضف إلى ذلك مسؤولياتي في جامعة كيمبردج».

(245) في تصدير المعجم يشير إلى أن بصره قد ضعف، وأن الإجهاد قد نال منه. وقصة أنه فقد بصره فعليًا في أواخر حياته تشير إليها رسائل كان يكتبها أحد النساخين ويوقعها كاستِل بصعوبة بالغة بين العامين 1684 و1685، مخطوطات المكتبة البريطانية، 22905، الملفات من 59 ، 101.

(246) انظر المرجع السابق، الصحيفة 27، وكلمة «هنا» معناها «لندن». وكان «كرومهولم» ناظر مدرسة القديس بولس، و«لتلتون» الناظر الثاني لمدرسة «وستمنستر»، انظر الجزء العاشر من هذا الفصل؛ ولم أتمكن من التعرف على السيد «وود» الذي ذكره معهم.

(247) «معجم إدموند كاستل» سباعي اللغة، وهو عالم متضلع من اللغة السريانية (الأجزاء من 1 – 2، جيتنغن، 1788).

(248) انظر: إيفلين، «اليوميات»، ج 3، ص 287 – 288. وكان الاختيار لكلية المسيح حدث في وستمنستر. وكان «فِل» الذي كان عميدا لكلية المسيح، حاضرا في هذه المناسبة.

(249) NIS Rawl. D. 317A, fo. 17r. والفقرة اقتبسها هولت من نسخة بيكر في كِيمبردج في كتاب بعنوان: «أحد أنصار الإسلام في القرن السابع عشر»، ص 11 – 12. ويزعم هولت أن الأوراق كانت موضوعات إنشاء كتبها تلاميذ مدرسة وستمنستر، ولكني أعتقد أن الأرجح أن الذي كتبها هو بوسبي نفسه.

(250) انظر هول Hoole، «اكتشاف جديد لفن مدرسة التدريس القديم»، ص 194.

(251) كان بوسبي أحد أولئك الذين استفاد كاستِل من نصحهم فيما يتصل بالطريقة الصحيحة للمضي في إنجاز المعجم ذي اللغات السبع، كما يظهر من رسائله إلى كلارك في الخامس من أغسطس والثالث والعشرين من ديسمبر، 1658، (مخطوطات المكتبة البريطانية، 22805، الصحائف 15، 22).

(252) انظر رَسِل «الفيلسوف المعلم نفسه»، ص 236 – 237 حيث يزعم أن بوسبي بدأ يتعلم العربية عندما كان يختلف إلى محاضرات باسور التي كان يلقيها في أكسفورد. من ناحية ثانية، لا أرجح هذا، فباسور – كما علمنا – توقف عن إلقاء المحاضرات في اللغة العربية في العام 1627، في حين لم يحصل بوسبي على الليسانس حتى العام 1628.

(253) للمزيد حول ستَبْ Stubbe انظر الجزء الأول من الفصل الثامن في هذا الكتاب، وهناك قلنا إن الدليل غير موجود على معرفته بالعربية. وأما هوبر فقد عرف العربية بالتأكيد، تعلمها حين كان في وستمنستر من العام 1652 إلى العام 1657، ورأينا كيف ظهر ما تعلمه من اللغة العربية ونحو العبرية فيما كتبه وِلز Wells (مارشال، جورج هوبر، ص 2).

(254) هول، «اكتشاف جديد لفن مدرسة التدريس القديم»، ص 220.

(255) وفق سارجنت، «حوليات مدرسة وستمنستر»، ص 86 (من دون مصدر).

(256) للمزيد حول لتلتون انظر: نكولاس في كتاب: «وقائع أدبية»، ج 2، ص 58 – 60، والذي يقول فيه: «وكان أيضا بارعاً في اللغات الشرقية، وفي علوم العبرية، والتي أنفق من

أجلها جزءا كبيرا من ثروته في شراء الكتب والمخطوطات من جميع أرجاء أوروبا وآسيا وأفريقيا. وبعد وفاته بزمن ما، كتب مقالا قصيرا يحث فيه على تيسير المعرفة بالعبرية والكلدانية والعربية، ولو قدّر لـه العمر لتوسع في تدريسها».

(257) «جاء إنجليزيّا وخرج من المدرسة عربيّا»، مخطوطات راولسون، د. 1111، الصحيفة الرقم 56 شمالا.

(258) انظر رَسِل، «الفيلسوف المعلم نفسه»، ص 236 – 237، وهنا يزعم أنه لا بد أنه تعلم العربية لا لشيء إلا لأنه كان طالبا في وستمنستر. وعلى رغم ذلك، وكما يلاحظ هو نفسه (258 الهامش 57)، وفي حفل الاختيار، ألقى خطبا باللغة اللاتينية والعبرية فقط.

(259) انظر سارجنت، «حوليات مدرسة وستمنستر»، ص 116.

(260) روما، 1624 (شنورر، الرقم 59).

(261) روما، (1631)، انظر شنورر، الرقم 63.

(262) الأبجدية العربية، (1591 – 1592)، الأناجيل باللغة العربية للعام 1591، كتب إقليدس للعام 1594، وطبعة رايموندي لكتاب الإمام إبراهيم الزنجاني المعنون بـ «كتاب التصريف» Liber Tasriphi العام 1610.

(263) وجدت في مكتبة مدرسة وستمنستر دليلا مكتوبا بخط اليد على الكتب التي كتبها «بِل» بخط يده، أعطى أغلبها لـ بوسبي، وأول كتاب مطبوع في هذا الدليل كان في العام 1683، وهو العام السابق على العام الذي مات فيه «بِل».

(264) الرسالة التي تتصل بمعنى الأرقام الهامشية في تلك الطبعة، محفوظة أيضا في مكتبة المدرسة.

(265) على رغم أني لا أعرف دليلا آخر على أن العربية كانت تُدّرس في أي مدرسة أخرى، فجدير بالذكر أنه في الخمسينيات كان كرومهولم، ناظر مدرسة القديس بولص، وجون بونكل، زميل كلية إتون، من المستعربين المنافسين، وللمزيد حول الثاني انظر كاتز في كتابه: «عاشق اللغات السامية»، ص 209 مع الهامش الرقم 62. كان بونكل من بين أولئك الذين كان ويلُك يريد الحكم على نسخته من القرآن (انظر: أوراق هارتلِب، 3/4/33).

الفصل التاسع

(1) انظر تولِز، ص254 – 256.

(2) انظر تولِز، 214 (من توماس بيكر).

(3) توجد اليوميات غير المنشورة في مجموعة مخطوطات المكتبة البريطانية بالرقم 7021، الصحيفة الرقم 354 والصفحات التي تليها.

(4) روبر، «الطباعة والنشر باللغة العربية في إنجلترا»، ص20.

(5) أول من ذكر ذلك سمتسكامب في «فهرست سمتسكامب للمخطوطات الشرقية» ص592، الرقم 296، وجرت مناقشتها مناقشة كاملة، مع إعادة إنتاج حروف الطباعة التي جلبها رافلنغيوس في كتاب سبنسر في فهرسه، ص494، الرقم: 375.

(6) لمزيد من التفاصيل، انظر روبر، «الطباعة العربية والنشر في إنجلترا»، ص20، ولم يتمكن من معرفة حقيقة الحروف الطباعية العربية في كيمبردج، ومقارنتها مع الحروف التي كانت مع سِلدن. من خلال القراءة العابرة للقصيدة التي كتبها أوكلي بالعربية في أنشودة أكاديمية كانتربري Threnodia Academiae Cantabrigiensis في العام

1700، يظهر وجود بعض الحروف الطباعية، بيد أن حروف سِلدِن كانت معروفة للجميع.

(7) انظر بويل، «الأعمال الكاملة»، ج6، ص585. وانظر تولِز، ص290 – 291، ومن الواضح أنه أساء فهم رسائل كاستل إلى بوكوك المتصلة بالموضوع. وفيما يتصل بالعمل الذي أكمله بوكوك قبل ذلك بسبعة وثلاثين عاما، انظر الجزء الثالث من الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(8) سمِث، «حياة برنارد»، ص68، يدرج «الأمثال العربية» ج1، وضع الدكتور بوكوك، مجموعة في النسخة اللاتينية من بين أعمال برنارد المفقودة. وما نجا منها موجود ضمن مخطوطات مكتبة البودليان، تصنيف 573 (نِكول – بوسي الرقم 348، ص344).

(9) الآن مخطوطة بوكوك (الرقم 714، ص174) انظر ستِرن، «مجموعة من الرسائل حررها عبداللطيف البغدادي»، ص56 (وهو مقال قيم لاحتوائه على رواية لحياة البغدادي وفكره).

(10) رسالة من بوشار إلى كلارك موجودة ضمن مخطوطات المكتبة البريطانية (الرقم 22905، صحيفة 60) يقول فيها: «أعبر عن أقصى درجات الامتنان والشكر لصاحب الفضل السيد إدوارد بوكوك الذي أتاح لي الاطلاع على ما لم يكن من الممكن أن أطلع عليه من دونه، وهو التاريخ الذي كتبه عبداللطيف البغدادي، وهو المصدر الذي اعتمدت عليه بعد الدميري».

(11) «اقتراحات لطبع كتاب عبداللطيف»، وهذا المقال النادر توجد منه نسخة بين مجموعة مخطوطات راولنسون في مكتبة البودليان تحت عنوان «مخطوطات راول»، الرسائل 96، الملفات من الرقم 246 إلى 248.

(12) انظر هيرن، «اليوميات»، ج1، ص224.

(13) الخطأ في نسب الترجمة إلى بوكوك الأكبر، وليس الابن، هو مجرد خطأ فني.

(14) تولِز، ص334. ثم يمضي تولِز في ذكر السبب نفسه في عدم إتمام الطباعة كما ذكر هَنْت، وهو أن بوكوك الابن خابَ أمله بسبب هذا الإخفاق في أن يخلف والده كأستاذ كرسي العبرية، والمرجح جدا أنه أخذ هذا الرأي من جون بوكوك.

(15) انظر شنورر، ص150، ولم أكتشف من أين جاء شنورر بهذه المعلومات.

(16) كارتر، «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص423، على أي حال وقع كارتر في اضطراب شديد بالخلط بين هذا الكتاب والنسخة الموجودة (أو جزء منها) المنسوبة إلى بوكوك الابن.

(17) مخطوطات المكتبة البريطانية، هارلي، 3779، الصحيفة الرقم 366.

(18) مخطوطات المكتبة البريطانية، الرقم 4063، الصحيفة الرقم 96، مطبوع في هايد في «كتابات توماس هايد ومخطوطاته»، ج1، ص30-31.

(19) نجد أن نسخة بوكوك المطبوعة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ممهورة في أعلى صفحة العنوان بعبارة «طبعة نادرة أعدها عالم اللاهوت هايد»، والأرجح أنها مستمدة من هامش في نسخة مكتبة البودليان، (ورد في كتاب كارتر «تاريخ مكتبة جامعة أكسفورد» ص423)، التي تذكر أن الكتاب يُعَدُّ من الكتب النادرة، وأن هناك نسخة بدأ في إعدادها هايد، وأن هذه النسخة هي لبوكوك. وفي فهرست مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، بوسطن، (1963)، الرقم 50، أدى ذلك (من بين أخطاء أخرى) إلى خطأ في وصف الكتاب بأنه من ترجمة هايد.

(20) ص150 – 155.

(21) لم أعرف ذلك إلا من تندال هارت في كتاب وليام لويد، ص169، ولم أستطع التأكد من هذا الوصف المبهم. كان بنجامين مارشال، وهو مستعرب منافس، حفيد الأسقف لويد، وحسبما يذكر هيرن في يومياته، ج1، ص240 (5 مايو 1706)، كان مارشال ينوي أيضا نشر طبعة بوكوك لديوان الميداني، ولكنه تخلى عن الفكرة لأن أحدا لم يشجعه.

(22) شنورر، الرقم 177.

(23) وجدت قصاصة ورق ملصقة في مخطوطة رول، «الرسائل»، الرقم 96 تذكر أن «مخطوطة إدوارد بوكوك الابن» المعنونة بـ «مختصر تاريخ مصر لعبد اللطيف البغدادي» لم يُعثر عليها في مجموعة مكتبة البودليان، جورج باركر، فبراير 1895.

(24) انظر «كتب أكسفورد»، ج3، ص413 – 415، ثم انظر كارتر، «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص86 – 87.

(25) مادان، «كتب أكسفورد»، ج3، ص3081.

(26) وذكر هذا بوصفه حقيقة ولده إدوارد الذي قال إن تعليقات أبيه تولدت من هذا (تولِز، ص306). وأما الشكوك التي عبر عنها تولِز ومادان (انظر الصفحات التالية) فليس لها دليل.

(27) «كتب أكسفورد»، ج3، ص353.

(28) يقول في تفسير سفر هوشع بشيء من الحذر: «هدفي الأساس مطابقة ترجمتنا الأخيرة التي نالت الاعتماد عن جدارة مع الأصل». ويشرح تولِز، وهو ما يقتبس منه هذا (هامش 308)، على أنه يعني «الدفاع عن الترجمة المعتمدة»، وهو تشويه للمعنى الذي يقصده بوكوك ومنهجه في الترجمة.

(29) انظر تولِز، ص309 وص336. ويسعنا أن نقول: إن مناقشة تولِز (328 – 336، و306 – 309) لطرائق بوكوك في التفسير، خصوصا فيما يتصل بالتناقضات المزعومة بين الترجمة السبعينية والنص العبري، مناقشة قيمة، وإن كان فيها شيء من التشيع للأرثوذكسية.

(30) يستدل مادان في كتابه «كتب أكسفورد»، ج3 وج353، من التوقيعات التي وجدها في تفسيرات ميخا وملاخي أن بوكوك، في العام 1677 كان يفكر في نشر نحو 1500 صفحة من القطع المتوسط في مجلدين، وذلك نصف عدد ما تحتويه صفحات التفسيرات الأربعة المنشورة، ولكنه لا يكفي لبناء أي فرضية علمية.

(31) رسائل جون بوكوك إلى توماس رولنز، 20 سبتمبر، 1734 (مخطوطات بالارد 28، الصحيفة 25).

(32) باسل، 1629، «مجلة فقه اللغات الشرقية»، العدد الرقم 174.

(33) تولِز، ص290 – 291.

(34) انظر الجزء الثالث في الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(35) لوك، «الرسائل»، ج2، ص185.

(36) ذكر أبندانا أن الترجمة كانت جاهزة للمطبعة في رسالة إلى برنارد في أكتوبر 1673، نشرها ماكري بعنوان: «رسالة من إسحاق أبندانا». وكان إسحاق أبندانا قد أصدر قبل ذلك ترجمة لاتينية للمشناة في كيمبردج، انظر آبرامز في «مشناة كيمبردج وتقويمات أكسفورد لصاحبهما إسحق أبندانا»، وانظر ما كتبه كاتز «الإخوان أبندانا وعلماء العبرية النصارى في إنجلترا القرن السابع عشر».

(37) لا أعرف المخطوطة التي كان يستخدمها هايد، ولكن في ظل الظروف التي عرفناها لا نرجح أن تكون من مخطوطات بوكوك. ومن المرجح جدا أن تكون نسخة من النسخ التي كان يحتفظ بها «هنتنغتون» (من مخطوطات هنتنغتون الرقم 162، نوبور،

المخطوطات العبرية الرقم 1237). في هذه الحالة قد تكون من بين المخطوطات التي تبرع بها هنتنغتون لمكتبة البودليان بين العامي 1678 و1683.

(38) Bodleian 4° M 13(2) Th. أو انظر «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص 415.

(39) مخطوطات سمِث، 50، ص 225.

(40) من سمِث إلى برنارد، (7 فبراير، 1691) يقول: «أتمنى من كل قلبي أن يُقْدِم هايد على نشر كتاب موسى بن ميمون بالعربية، كما أوافقك تماما على نصيحتك بطباعة الترجمة العبرية والترجمة اللاتينية التي أنجزها بكستورف في الصفحة نفسها (مخطوطة سمِث الرقم 57، ص 189).

(41) مخطوطة مارشال الأصلية، الرقم 113.

(42) أعلن عن شرائه للمخطوطة (التي كان يسعى لشرائها كلٌّ من بتريوس وتيفينو أيضا) لحساب كلارك في التاسع والعشرين من نوفمبر من العام 1668، (مخطوطات المكتبة البريطانية الرقم 22905، الملف الرقم 85).

(43) وقد جرى الحصول على مزيد من المخطوطات في العام 1686 من قِبَل «نكولاس وتسون من خلال وساطة برنارد، انظر سمِث، «حياة برنارد»، ص 43 – 44.

(44) انظر الجزء الثالث من الفصل الثامن في هذا الكتاب.

(45) انظر «سائح من مصر»، ص 146.

(46) قارن بملاحظات المنشق البولندي والمترجم ألبرتس بوبوفيوس (بوبوزكي) حول العادات المتباينة للأتراك، التي أتى بها توماس سمِث من القسطنطينية، وأعطاها بعد ذلك لـهايد لينشرها مع كتابه المعنون بـ «برستول» (1691).

(47) مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 3041، وهو لا يذكر إلا «معجم أعلام الوطن» للتدليل على تأليف مارشال للتصدير.

(48) لمزيد من التفاصيل عن كل ذلك، انظر كتاب هاملتون المعنون بـ «سائح من مصر»، ص 147 – 150.

(49) مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3 الرقم 3216، ومنها تفاصيل لطبعات تالية والترجمة إلى اللغة الويلزية.

(50) انظر ماكري، «الحوليات»، 154 وويكفيلد، «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 134.

(51) وردت هذه التفاصيل فيما كتبه سمِث فيما يتصل بحياة هنتنغتون التي كتبها بناء على طلب من أرملته ماري هنتنغتون (كما جاء مثلا في رسالتها إلى سمِث في 22 مايو من العام 1702، مخطوطات سمِث 50، ص 197). وقد نُشر هذا في كتابه المعنون بـ «حياة برنارد»، ومختارات من رسائل هنتنغتون، ولاتزال من أكمل الروايات عن حياته، على الرغم من أن كثيرا يمكن أن نضيفه من الرسائل الكثيرة التي أرسلها هنتنغتون الباقية في مجموعة سمِث ومواضع أخرى.

(52) الرسائل التي نشرها سمِث في كتابه المعنون بـ «حياة برنارد» تتصل بمسائل أكاديمية، ولا تنطق بالكثير من طباع الرجل. وهنا نخص بالذكر الرسائل التي أرسلها إلى بوكوك والتي اقتبس منها أو فسرها تولز، وأما الرسائل الأدل على شخصية هنتنغتون فهي الرسائل الشخصية التي أرسلها إلى أصدقائه مثل برنارد وسمِث وكوفل، وهي رسائل غير منشورة، ولكني استطعت تكوين فكرة عن أسلوبه من الرسالة التي كتبها إلى جون لوك بعد وصوله مباشرة إلى حلب (لوك، «الرسائل»، ج 1، 352 – 3).

(53) يظهر ذلك في العمل الوحيد المطبوع لـه، وهو الوصف القصير للأعمدة الرخامية

في مصر، والذي ظهر في كتاب «مداولات فلسفية» Philosophical Transactions المنشور في العام 1684، لا شك من خلال جهود برنارد.

(54) مخطوطات سمِث الرقم 50، ص 195.

(55) فيما يتصل بذلك انظر كتاب مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 3480، ومادان يضع لها تاريخا مشكوكا فيه وهو 1660، ولا يعرف إذا ما كان سيمان هو المترجم. التاريخ 1661 (أو 1660 بالتقويم القديم)، يثبت وجود سيمان كمؤلف رسائل أرسلها سيمان إلى كلارك في فبراير ومارس من ذلك العام تتصل بأدلة على الكتاب (مخطوطات المكتبة البريطانية، ملحق 22905، ملفات 44، 45).

(56) على سبيل المثال ص 44، وص 45.

(57) مخطوطات «سمِث» الرقم 50، ص 187. وكلمة Hodgiet تعني حكما قضائيّا، وكلمة Avania معناها غرامة كانت تفرضها السلطات التركية.

(58) للمزيد عن هذا الرجل، انظر ما كتبه هاملتون في كتابه المعنون بـ «الاهتمام الإنجليزي بالمسيحيين الناطقين بالعربية»، ص 46 مع الهامش الرقم 51.

(59) انظر «رسائل هنتنغتون» Huntingtoni Epistolae في كتاب «حياة سمِث»، ج 3، وانظر رسائل ستيفن، 3 يوليو 1675 في المرجع السابق، ص 106 – 107.

(60) من المفترض أنها ترجمة بوكوك العربية للكتاب.

(61) «مخطوطات المكتبة البريطانية»، النسخة الإضافية الرقم 23206.

(62) قام سمِث بنشر هذه المعلومات في كتاب «حياة هنتنغتون» في هيئة رسائل من أنجيلوس يوسف وأغاثانجليوس س. تيريزا.

(63) فيما يتصل بمناظرته العامة الأخيرة مع هايد في مكتبة البودليان، انظر الجزء التاسع من هذا الفصل.

(64) رسالة في 18 يوليو من العام 1677، «رسائل هنتنغتون»، ص 39 – 41.

(65) للمزيد عن أغاثانجليوس، انظر غولانز، «تاريخ الحوادث المتصلة بنشاط الكرمل في بلاد الرافدين»، وتتألف في أغلبها من يوميات كتبها أغاثانجليوس، وأكملها التابعون فيما بعد. رسالة أغاثانجليوس الرقم 28 نوفمبر 1681 إلى هنتنغتون عن المندائيين مطبوعة في رسائل هنتنغتون، ص 84.

(66) تولز، ص 326 – 367.

(67) انظر تولز، ص 302 – 303.

(68) نجد ذلك في المخطوطة التي قام على نشرها سلفتسر دي ساسي بعنوان «رسائل أهل نابلس من السامريين».

(69) مخطوطات المكتبة البريطانية، «لاندسون، 1055، الملف الرقم 122، مطبوع في لايتْفُتْ، «الرسائل»، 452، 454.

(70) هناك نسخة من مخطوطة ترجمة برنارد لبعض هذه الرسائل موجودة في البودليان (ملخص فهرست المخطوطات الغربية في مكتبة البودليان، الرقم 15635).

(71) على سبيل المثال، انظر ويكفيلد في كتاب «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، 145، الرقم 169.

(72) مخطوطات هنتنغتون الرقم 117 (الجزء الخاص بموسى بتفسير موسى بن ميمون للمشناه، وقد استطاع بوكوك أن يظفر بأجزاء أخرى من هذه الطبعة من التوقيعات والتي استثمرها في كتاب بوابة موسى، انظر أيضا مخطوطات هنتنغتون 80 (جزء من المشناه والتوراه): انظر أيضا سترن، «توقيعات موسى بن ميمون في مكتبة البودليان»،

ص 182، 191.

(73) للاطلاع على ملخص موجز لهذه الرسائل، انظر ويكفيلد: «المخطوطات العربية في مكتبة البودليان»، ص 135 – 136. وللاطلاع على رسائل أخرى بما فيها كتب المندانيين، انظر مكري، «الحوليات»، ص 161 – 163.

(74) كوكس، «فهرست مخطوطات الكلية»، ج1، مرتون، ص 130 – 132؛ وأغلب هذه الرسائل بالعبرية.

(75) فيليب، «مكتبة البودليان في القرنين السابع عشر والثامن عشر»، ص 60 والهامش الرقم 125، 52. وأما مبلغ الـ 700 جنيه الذي ذكره مكري في «الحوليات»، ص 161 فغير صحيح.

(76) نعرف سعيه لبيع مخطوطاته قبل ذلك بوقت طويل في رسالة من برنارد إلى بويل، غير مؤرخة، في أوائل ثمانينيات القرن السابع عشر، لم يمنعه عن ذلك إلا عودة هنتنغتون من الشرق، وكان يُشار إليه بلقب السيد، أو الدكتور (فقد حصل على شهادة الدكتوراه في اللاهوت في العام 1683). وكان برنارد يتمنى ألا تتلف المخطوطات، وأن تقع في يد واحد من الأشراف من الذين كانوا يهمهم الارتقاء بدراسة اللغات الشرقية، والتي «تتيح لنا فهم كلمة الله الحي» (انظر بويل، «الأعمال»، ج 6، ص 585). ولم يفهم بويل الإشارة، وظلت المخطوطات في ذلك الوقت في حوزة هنتنغتون.

(77) من المصادر المهمة التي نعود إليها لمعرفة المزيد عن حياة مارش يومياته التي كان يكتبها من العام 1690 إلى العام 1696، والمحفوظة في مكتبة كلية ترِنتي في دبلن، ونشرها ج. هـ ت. بعنوان: «يوميات مارش كبير الأساقفة». وقد صدر مارش مذكراته هذه بملخص للأحداث المهمة في حياته حتى العام 1690.

(78) انظر الجزء الثالث من الفصل الثامن من هذا الكتاب. ومن المؤكد أن فِل كانت له همومه فيما يختص بـمنافسة بيفردج.

(79) انظر الجزء الثاني من هذا الفصل.

(80) انظر مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 3173. وكان مادان غير واعٍ بما ألفه مارش، وهو ما رواه في يومياته.

(81) «مخطوطات سمِث» الرقم 45، وتتضمن كثيرا من الرسائل من مارش إلى برنارد في المسائل الفلكية، وللمزيد حول رسائله إلى بوكوك انظر تولز، بصفة خاصة 313 – 318.

(82) كانت فرانسيس، ربيبة الدكتور بوري، رئيس كلية أكسترَ، والتي مكث معها مارش في العام 1689 عندما هرب من أيرلندا في أثناء الاضطرابات التي أعقبت الثورة المجيدة the Glorious Revolution في العام (1688). كان برنارد هو الشاهد أيضا على صداقة مارش بـ غايز (انظر: تصدير غايز لزرئيم).

(83) رسالة إلى برنارد في فبراير من العام 1693، «مخطوطات سمِث»، 45، ص 19).

(84) طالع رسالة هالفاكس إلى هايد وبرنارد في 7 ديسمبر العام 1694، («مخطوطات سمِث»، 45، ص 49). كان هالفاكس – مثل بوكوك – زميلا لكلية كوربس كرستي، وبُعِث مثله قسا على نصارى حلب بين العامين 1688 و1695. وهو يُذكر خاصة لرحلاته الاستكشافية لمدينة تدمر، والنسخ التي جلبها من هناك من المخطوطات التدمرية. وقد نشر سمِث هذه المخطوطات بعد أن حققها هو وبرنارد («نقوش يونانية وتدمرية»، أوترخت 1698)، وهو ما أحنق هالفاكس وقال عندئذ إنهما لم يجيدا التحقيق، وأنه كان يمكن أن يحققها بصورة أنفع (رسالة إلى سمِث في 17 ديسمبر العام 1698، انظر: «مخطوطات سمِث»، الرقم 50، ص 13).

(85) «مخطوطات سمِث»، الرقم 45، ص 24أ.

(86) «رسالة برنارد إلى سمِث» في 15 يناير العام 1696، («مخطوطات سمِث» الرقم 47 صحيفة الرقم 188 يمينا). في هذه الرسالة يخبر برنارد سمِث أن هدف مارش هو التبرع مثلما فعل رئيس الأساقفة لـود.

(87) يوميات مارش رئيس الأساقفة، ص 132.

(88) وقد نُشرت هذه الرسالة مع رسائل أخرى بين مارش وسمِث حول خطط رئيس الأساقفة من أجل تطوير المكتبة في كلية الثالوث، دبلن، نشرها مانت Mant في كتابه المعنون بـ «تاريخ كنيسة أيرلندا» ج 2، ص 110 – 119.

(89) آل ما تبقى من مكتبة مارش الأصلية إلى كلية الثالوث (ترنتي)، دبلن. انظر سيرة حياة مارش التي كتبها ستوكس في كتابه المعنون بـ «بعض الشخصيات ذوي الحيثية في الكنيسة الأيرلندية»، المحاضرات من الثالثة إلى السادسة، وتحتوي في ص 262 – 274، على ملاحظة مثيرة كتبها محرر الكتب الشرقية التي قام مارش بطبعها، وهي تشير إلى أنه جمع أغلب الكتب العربية التي كانت متاحة في زمانه.

(90) وقد عبر عن سعادته في رسالة إلى آرثر تشارلت في الثالث من مارس العام 1708، (مخطوطات بالارد، 8، الصفحة الرقم 14)، ومنها يتضح أنه أرسل المخطوطة بالفعل إلى أكسفورد لتكون تحت أمر هالي. وليس من شك في أن ذلك حدث في الأول من نوفمبر من العام 1707، وعندما لوحظ أن المخطوطة تعود إلى رئيس الأساقفة، وممهورة بتوقيع مارش نفسه (مخطوطات مارش الرقم 667، الصحيفة الرقم 2 يمينا).

(91) في أوائل ديسمبر من العام 1672 كان أبوه يستفسر من آرثر تشارلت الأب عن إمكانية الحصول على وظيفة لـ تُدْ (مخطوطات تانر 43، الصحيفة الرقم 56 يمينا).

(92) يعتبر كتاب «حياة برايدو» - مجهول المؤلف – أكثر غناءً بالمعلومات فيما يتصل بالجانب الكنسي أكثر مما يتصل بعمله الأكاديمي، ولكنه لا يخلو من فائدة.

(93) انظر «رسائل برايدو»، 22 (27 سبتمبر، 1674)، ثم انظر: «حياة» ج 3: «وكان يعتقد أنه كتاب عديم القيمة ضحل المعرفة ولا يستحق الطبع، وهو حكم جعله ينحي الكتاب جانبا.

(94) انظر النقاش الذي أداره مادان في كتاب «كتب أكسفورد»، ج 3، الرقم 3092، وفيه اقتباس مما قاله هيرن في الحملة على الكتاب حيث يقول: «كتاب الدكتور برايدو ممتلئ بالعيوب». وفي العام 1710 أخبر هيرن دودوِل أن برايدو كان يقصد من نشره كتاب «كنوز أكسفورد» أن يظفر بمجد شخصي حين يكتب الكثير من الملاحظات والتعليقات، أكثر من إصداره طبعة دقيقة من نقوش متعددة (انظر «رسائل من أشخاص بارزين»، ج1، ص 204).

(95) انظر «رسائل برايدو»، ص 28. وقد كتب هيرن في العام 1710، وفي العام 1719 أنه كان في الواقع خجلا من الكتاب.

(96) انظر كتاب «موسى بن ميمون اليهودي الفقير إلى الله» (أكسفورد، 1679، مادان: «كتب أكسفورد»، ج. 3، الرقم 3215).

(97) برايدو، «حياة»، ص 8.

(98) برايدو، رسائل 43 (2 سبتمبر 1675). وليس من شك في أنه تلقى مساعدة كهذه في طبعته لموسى بن ميمون (انظر التحليل المفيد لهذا الكتاب الذي أنجزه فنغولد «مدرسة أكسفورد للدراسات الشرقية»).

(99) برايدو، «الرسائل»، ص 132.

(100) انظر: المصدر السابق، ص 144 – 145، وحسبما زعم موند تومبسون: «هذا القريب هو هايد»، وهو أمر لا أظنه صحيحا».

(101) انظر ص 150 (12 أكتوبر 1691)، يُظهِر السبب الثاني أن «المكان» المشار إليه كان هو مقعد أستاذية العبرية.

(102) انظر المرجع السابق، 185 (مايو 1697).

(103) حكاية أن برايدو كانت لديه معرفة مباشرة بالعربية، أو حتى بالقرآن، أنكرها هولت في كتاب لـه بعنوان: «دراسة تاريخ العرب، عند برايدو وأوكلي وسال»، وهو كتاب فيه تحليل رائع للمصادر التي اتكأ عليها برايدو، واستفادته من هذه المصادر خاصة: في صفحتي 51 و54.

(104) انظر كتاب «حياة محمد» واقرأ التصدير، ص 22. وهذا ما أكدته بعض أخطاء الخط مثل كلمة «الفرغاني». قال ألدرتش في نقده القاسي لـبرايدو كباحث: «على رغم أن المهارة الرئيسية لهذا الرجل فارغ الرأس تتركز في الدراسات العربية، ... فإنه حتى في هذا التخصص يبدو أنه بعيد جدا عن الكمال» (هيرن، «اليوميات»، الرقم 11، ص 382).

(105) آربري، «سيمون أوكلي»، ص 13.

(106) كتبت تهجية اسمه كما يعرفه الجميع، على أي حال يبدو أنه هو نفسه كان يفضل تهجية اسمه Gise (انظر على سبيل المثال: هامش في كتاب وود عن أعلام جامعة أكسفورد Athenae Oxonienses، ج 4، ص 114).

(107) لا علم لي بصلة القرابة، لكن يُرجح أنها كانت من طرف زوجة غايز، السيدة فرانسيس المولودة في ساوثكوت من أعمال بركشاير، والتي كانت – مثل برايدو – من الغرب الجنوبي. يزعم برايدو أن غايز قريبه في رسالة إلى إِلس في 8 نوفمبر 1681، «الرسائل»، ص 119.

(108) كان الأخير يقول عنه «أعظم معجزة سمعت عنها في معرفة العربية، فقد بنى نفسه بنفسه كأستاذ كبير في تلك اللغة الثرية الصعبة» (المصدر السابق، ص 43، كُتِب عندما كان غايز في الخامسة والعشرين من عمره).

(109) مادان، «كتب أكسفورد»، ج 3، ص 249 – 250. في ذلك الوقت كان غايز طالبا عاديّا في كلية أوريل، وعمره 18 عاما.

(110) كان هذا اقتراح برنارد في جملة وردت لـه في تصديره للعمل تقول إن غايز كان عالما بفقه اللغة العربية وعالما بلغوييها وشعرائها خاصة القدماء منهم، وكان دائم الاستفادة من علمائها».

(111) نِكول – بوسي الرقم 390، ص 386، وانظر مخطوطات مارش الرقم 533 (Uri no. 46, p. 52)، وقد أعد غايز النسخة التي كانت معه من القرآن من ثلاث مخطوطات مختلفة.

(112) انظر كوكس، «فهرست مخطوطات الكلية»، ج 2، كل الأرواح، الرقم 387، ص 76 – 77. انظر: شرح شارب الذي أورده في كتاب مجمع الحوار Syntagma Dissertationum، ج 1، ص 14 - 20.

(113) طبقا لـ هيرن في يومياته، ج 1، ص 228، حصل ألثام على المنصب من خلال نفوذ الدكتور رادكليف لدى عمدة بورتلاند. وفي العام 1674 كان برايدو يتحدث عن ألثام بشيء من الازدراء، وكان معاصره في وستمنستر وكلية المسيح بوصفه «العالم الوضيع» (الرسائل، ص 28). انظر وود في كتابه: «حياة وأزمان»، ج 3، ص 375 (ألثام هو أستاذ العبرية، «ولكنه لا يقرأ لأنه لم يكن عبريّا». وفيما يتعلق بالشائعات التي دارت حول

انتخاب أستاذ اللغة العبرية وأسماء المرشحين المحتملين، منهم برنارد وبرايدو، وكلاهما صرح بأنه لن يستمر. انظر فنغولد في «مدرسة الدراسات الشرقية».

(114) انظر الجزء الثاني من هذا الفصل.

(115) انظر «يوميات هيرن»، ج 2، 63 (18 أكتوبر 1707).

(116) ص 31 – 33، انظر: الفصل الخامس من هذا الكتاب للحصول على ترجمتي الجزئية.

(117) على سبيل المثال تلك الترجمات التي جاءت في رسالته إلى بويل في الرابع عشر من فبراير العام 1667، (بويل، «الأعمال»، ج 4، ص 557). وفي العام 1663 تطوع لترجمة بعض الأجزاء من كتاب أبي الفداء في الجغرافيا من أجل بويل بعد أن رفض بوكوك أن يفعل ذلك. وقد علق والِس بحكمة بقوله: «افترض أنه يتوقع بعض المردود لجهوده» (انظر المرجع السابق، 456 – 457)، والحق أن هايد كان يتمتع برعاية بويل فيما بعد.

(118) في رسالته إلى سمِث في الثامن من يونيو العام 1668، («مخطوطات سمِث» ص 20، ص 219) طلب منه أن يرسل لـه من القسطنطينية «أي كتب تتناول الألعاب والمباريات أو الشطرنج والجداول». وقد أعلن نيته لنشر كتاب في الموضوع في رسالة إلى تيفينو في العام 1673، وهو مطبوع في كتاب هايد المعنون بـ Syntagma Dissertationum.

(119) في الحادي والثلاثين من ديسمبر من العام 1694 كتب برنارد رسالة طويلة إلى أيوب لدولف يضع فيها يده على أخطاء في فقرات (أغلبها عن الشطرنج) في كتاب هايد المعنون بـ «في مديح الشرق» (موجودة في كتاب هايد المعنون بـ Syntagma Dissertationum ج 2، 475 – 8).

(120) «مخطوطات سمِث»، ص 47، ملف الصحيفة 92 يمينا.

(121) لمزيد من المعلومات حول أبراهام فاريسول انظر كتاب شتاين شنيدر المعنون بـ «ترجمات عبرية» Hebräischen Übersetzungen، ص 81. والكتاب معروف بأنه ذكر للاكتشافات الأخيرة في أمريكا. انظر: «مجلة فقه اللغات الشرقية»، العدد الرقم 372 (النسخة التي أعطاها هايد لسمِث).

(122) يرى شارب (هايد، Syntagma Dissertationum ج1 ص25) أن هايد أضاف بعض الملاحظات التي جلبها من مصادر عربية إلى تحقيق بوبارت لكتاب مورِسون المعنون بـ «تاريخ أكسفورد لنباتات العالم الجزء الثالث» Plantarum Historiae Universalis Oxoniensis pars tertia (1699)، انظر كارتر، «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص433)، ولكنه لم يكن متأكدا من هذه الأجزاء قد أضيفت إلى الأصل. لم يُذكر اسم هايد في هذا العمل، ولكن مقصده أكده برنارد في رسالة إلى سمِث في العام 1692: «الدكتور هايد»... أيضا يدلي بملاحظات استمدها من كتب شرقية على كتاب الدكتور مورسون في النبات (مخطوطات سمِث الرقم 47، الصحيفة 118 يمينا).

(123) المحاضرة الاستهلالية بوصفه أستاذا في اللغة العربية (وهي مطبوعة في كتاب Syntagma Dissertationum، ج2، ص449 – 59)، ليست لها أهمية كبيرة إلا فيما يتصل بالفقرة التي أوردناها في مستهل الجزء الثاني من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(124) انظر «تاريخ الدين في بلاد فارس القديمة» (كارتر: تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد، ص435، انظر أيضا ص390 – 391).

(125) أنفق هايد الكثير من المال للحصول على حروف الطباعة المصنوعة خصيصا من أجل الحروف الفارسية القديمة، وقد سعى سعيا حثيثا إلى الحصول على كتاب زرادشت المقدس من الجالية الفارسية في بومباي (رسالة إلى بويل في العام 29 نوفمبر 1677؛ بويل، الأعمال، الرقم 6، ص567)، وللمزيد من المعلومات حول أونكتيل دوبرون، أول

محرر أوروبي لأعمال هايد، انظر مارشال، «الدراسات الشرقية»، ص558.

(126) ورد فيما كتبه نكولاس في كتاب «حكايات أدبية»، ج2، ص457.

(127) وود، «حياة وأزمان»، ج3، ص213.

(128) برايد، «الرسائل»، ص46 – 47.

(129) هيرن، «اليوميات»، ج11، ص368 – 369.

(130) برايدو، «الرسائل»، ص132 – 133.

(131) انظر هوبكنز، «رسائل من باربري»، ص93، ثم انظر الرسائل التي وردت في كتاب Syntagma Dissertationum، ج1، ص22 – 24.

(132) انظر سذرلاند، «أصل أستاذية اللورد ألمونر وتاريخه الباكر»، ص167 – 169، وكان هايد بصفة خاصة ناقما بسبب المكافأة القليلة التي حصل عليها.

(133) لا علاقة له بكرسي سافيل. وكان الطالب الآخر هو بنجامين مارشال، وكان معروفا بمعرفته العميقة بالعربية، على رغم أنه لم ينشر أي شيء لإثبات ذلك.

(134) رسالة في 9 مارس 1701 إلى رئيس الأساقفة تِنِسون، والتي نشرها تُدْ بعنوان «حياة والتون»، ج1، ص265 – 6.

(135) طبعها ماكري، «الحوليات»، ص170 – 171.

(136) انظر مادان، «كتب أكسفورد»، ج3، الرقم 3141، مع إشارات إلى مجموعات أخرى ملك برنارد متصلة بإقليدس التي لم أرَها قط.

(137) هناك رسالة مشجعة كتبها بويل إلى برنارد في العام 1684 («مخطوطات سمِث»، الرقم 45، ص141 – 143).

(138) «مخطوطة سمِث» الرقم 47، ص147 – 154. ليس من شك في أن هذا هو السبب الذي جعل كارتر في كتاب «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، الرقم 423، يؤرخ للعينة لمخطوطة البودليان رقم 887 إلى العام 1694، وهو خطأ بطبيعة الحال.

(139) المرجع السابق، ص88 – 99، محتذيا في ذلك هفركامب في طبعته للعام 1726 لكتاب جوزيفوس (والذي لم أرجع إليه).

(140) هذا كما ورد فيما كتبه هيرن في «اليوميات»، ج4، ص235.

(141) لمزيد من التفاصيل انظر الببليوغرافيا («جوزيفوس» لبرنارد)، وكارتر في كتاب «تاريخ مطبعة جامعة أكسفورد»، ص435.

(142) «مخطوطات سمِث» الرقم 57، ص15 (1 نوفمبر). وبالنسبة إلى موضوع عمله كواعظ فلم يُعرض على برنارد في البداية، ولكن عُرض على وليام لويد ثم عُرض على جورج هوبر، وكلاهما كانا من أصحاب الحظ السيئ في هذا المنصب (انظر مارشال، جورج هوبر، ص20 – 28).

(143) برايدو، «الرسائل»، ص58.

(144) «حياة برنارد»، ص44، وكان هذا هو الدليل الوحيد لديَّ على وجود هذه المحاولة، غير أن العلاقة الوثيقة بين سمِث وبرنارد تُعتبر ضمانا كافيا على الحقيقة.

(145) «مخطوطات سمِث»، الرقم 57، ص281.

(146) منشور في أكسفورد، تقريبا في العام 1697، ولكن التصدير الذي يتحدث عن دور برنارد في المشروع مؤرخ بالعام 1698. وقد طُبع متن الكتاب قبل وفاة برنارد.

(147) برنارد، «الموازين والمقاييس».

(148) المجلد الرقم 14 (1684)، ص 567 – 76 وص 721 – 5. وقد قام بتحليلها مرسر في كتاب: «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص178 – 89، مع وصف محدود

للمخطوطات الشرقية التي رجع إليها برنارد.

(149) جاءت النتيجة في نهاية المقال مفادها أن انحراف الأبراج كان دائما بالمستوى نفسه، وهو ما يناقض تماما البرهان المستنبط: كان برنارد يكتفي بتبني اعتقاد فلامستيد الخاطئ.

(150) لمزيد من التفاصيل حول الرسائل التي تُبودلت بين فلامستيد وبرنارد انظر فوربس، «محاضرات جون فلامستيد في كلية غرِشم»، ص75 الهامش 149. وانظر مرسير، «المستشرقون الإنجليز وعلم الفلك الرياضي»، ص190، والذي يناقش أيضا رسائل برنارد حول هذه الأمور مع جون كولنز وتوماس ستريت.

(151) كانت الورقة المخطوطة التي انتقلت إليّ من خلالها انحرافات البروج (فوربس، ص213) هي – ببساطة – الرسالة التي نشرها برنارد فيما بعد في مجلة «مشروعات فلسفية» وليست (كما يتخيل فوربس، ص396) «المخطوطة العربية التي جيء بها من الشرق والتي تصف الأدوات التي استُخدمت من قِبل الإغريق والعرب القدامى» (ص392). والأخيرة هي نسخة هنتنغتون من عمل من إنجاز أبي علي الحسن المراكشي (والآن مخطوطة هنتنغتون، ص201)، والتي لم يكن فلامستيد ليعرف عنها شيئا إلا من خلال برنارد. انظر تشابمان في «تصدير السجل البريطاني للنجوم»، ص44، ومنها ظهر أن برنارد كان يفكر في إصدار جزء من هذه الرسالة.

(152) هناك نسخة منقحة ومزيدة من هذا العمل نشرها تشابمان في كتاب «التصدير لكتاب فلامستيد بعنوان السجل البريطاني للنجوم» (ولسوء الحظ معتمدة على ترجمة إنجليزية معيبة جدا)، انظر خاصة الصفحات: ص44، 49، والتي تليها.

(153) حصل توماس سمِث على رسائل برنارد من أرملته بعد وفاة صديقه، ولذا نجد أن عددا كبيرا جدا من رسائله إلى برنارد، ورسائل برنارد إلى سمِث، محفوظة بين مخطوطات سمِث في مكتبة البودليان.

(154) بنتلي، «الرسائل»، ج1، ص13.

(155) «جغرافية اليونان القديمة» لصاحبها إستيفانوس البيزنطي (لايدن، 1681)
Fragmentum Stephani Byzantini Grammatici de Dodone (Leiden, 1681) .

(156) من بين مخطوطات سلدن، على رغم أنها كانت مملوكة في الأصل لجون غريفز: انظر الجزء السادس من الفصل السابع من هذا الكتاب. وأما مقتبسات برنارد فهي موجودة في مخطوطات البودليان، الأصل الرقم 250 (نكول بوسي، الرقم 372، ص364).

(157) هالي، أبولونيوس «في تقسيم النسب»، التصدير (حيث يقول إن برنارد أكمل أقل من عُشر العمل)؛ وقد تُرجِم جزئيا من قِبل مولاند، «الجاذبية المحدودة لعلوم الرياضيات العربية»، ص221.

(158) انظر الجزء الرابع في الفصل الثامن من هذا الكتاب.

(159) جون واليس، يكتب إلى سمِث في 8 سبتمبر يقول: «لا أخفي عليك قلقي من الرحلة» (رسائل مكتوبة بأقلام أشخاص بارزين، 1، ص77).

(160) «مخطوطات سمِث»، الرقم 47، الصحيفة الرقم 207، مخطوطات مكتبة البودليان، الرقم 4275 الصحيفة الرقم 43.

(161) الرسائل بين سمِث وبرنارد حول هذا الموضوع موجودة في مخطوطات سمِث الرقم 47، صفحة الرقم 204 والصفحات التالية (رسائل برنارد)، والرقم 97، والصفحات من 613 وما يليها (خطابات سمِث).

الفصل العاشر

(1) ليس هدفي هنا أن أقدم ولو صورة سريعة للدراسات العربية في القرن الثامن عشر، وأرى أن كتاب الدكتور مارشال الأستاذ بجامعة أكسفورد بعنوان: «الدراسات الشرقية»، لا يفي بالغرض، على رغم أن فيه بعض الإيضاحات المفيدة للإهمال في تدريس العربية في ذلك الوقت. لم أطلع على رسالة الدكتوراه غير المنشورة التي أنجزتها شيرين نجيب خيرالله بعنوان «الدراسات العربية في إنجلترا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر» (لندن، 1972).

(2) تعاون مع تــولز في نشر أعمال بوكوك في اللاهوت. انظر الفصل التاسع، الجزء الأول، للاطلاع على محاولته الفاشلة في نشر كتاب عبد اللطيف. وفي العام 1760 أُعيد طبع كتاب هايد المعنون بـ «تاريخ الأديان في بلاد فارس القديمة» بفضل جهوده الشخصية.

(3) نسخة من كتاب عبد اللطيف (1800)، ونسخة أخرى من كتاب بوكوك المعنون بـ «لُمع من تاريخ العرب» (1806).

(4) هناك رواية لحياة أوكلي وعمله ألفها آربري، بعنوان «سيمون أوكلي»، وفيما يتصل بكتاب أوكلي المعنون بـ «تاريخ المسلمين»، انظر كتاب هولت المعنون بـ «تناول التاريخ العربي عند برايدو وأوكلي وسال»، ص 54 – 57 (وفيها صفحات عن المؤرخين العرب الذين رجع إليهم أوكلي في مكتبة البودليان)، وانظر كتاب «أوروبا والعالم العربي»، ص 114 – 117.

(5) آربري، «مدرسة كِمبردج في العربية»، ص 16 – 22، يعطينا مسحا شاملا لهذه الفترة الحالكة. وقد أُدرج في قائمته الدكتور دافيد ولكنز، الذي لم يجب إدراجه في هذه القائمة، فعلى رغم أن ولكنز كان يشغل منصب أستاذ كرسي آلمونر فعلا، فإنه كان يُدَرِّس اللغة الأنجلوساكسونية القديمة وليس العربية (انظر سثرلاند، «تاريخ كرسي أستاذية اللورد آلمونر»، ص 170 – 172).

(6) انظر «شنورر»، ص 118 – 119.

(7) توجد نُبذة عنهما في كتاب فوك المعنون بــ «الدراسات العربية في أوروبا»، ص 95 – 97 (وهو يتحدث عن نشاطهما في ألمانيا أكثر من حديثه عنه في إنجلترا)، ولم أطلع على السيرة الذاتية التي كتبها نِجري وذكرها شنورر، ص 218.

(8) يلاحظ في التصدير أن التعلِيقات التي أضافها «مراتشي» ذات فائدة كبيرة في الحقيقة، ولكن تفنيداته التي ضاعفت حجم الكتاب حتى أصبح مجلدا ضخما، لم تكن لها إلا فائدة قليلة جدا (سيل، «القرآن»، ص 14).

(9) «أوترخت»، (1705)، الطبعة الثانية (1717) (شنورر، الرقمان 388، و389). انظر: بروجمان وشرودر في كتاب بعنوان: «الدراسات العربية في البلاد المنخفضة»، ص 23 – 25. يستشهد سيل بهذا الكتاب بصورة متكررة.

(10) مجلدان مطبوعان في لندن بين العامين 1725 – 1726، انظر: كلاين فرانك في كتابه المعنون بــ «تقاليد الإسلام في العصور القديمة»، ص 98.

(11) جرى تصوير بعض أدق الأمثلة على تلك في كتاب «أوروبا والعالم العربي».

(12) انظر ورثنغتون في كتابه «الرسائل»، ج 1/2، 103 – 104. كان واربرتون يعرف الفقرة من تــولز، ومنه نسخ الرقم الخطأ.

(13) الطبعةَ الأولى (1772)، في ذلك الوقت كان جونز زميلا لكلية الجامعة، أكسفورد. ونستطيع أن نقول إنه قد تأثر بـ توماس هَنْتْ صديق أبيه، وأستاذ كرسي لـود للغة العربية حتى العام 1774. ولكن يبدو أن الحقيقة هي أن جونز حصل على خبرته في

اللغات الشرقية من أبناء اللغات أنفسهم خارج أكسفورد. وأما آراء جونز وشهرته فلم يكن لها وزن كبير في جامعته نفسها، حتى إنه في العام 1780 كان مرشحا لكرسي آلمونر للغات الشرقية، وجرى تجاوزه ظلما لمصلحة شخص غير معروف يُدعى هنري فورد.

(14) انظر هولت، «الدراسات العربية في القرن السابع عشر في إنجلترا»، ص 93 – 100، ذكرها بشيء كثير من الاختصار في فصل بعنوان «مستعرب في أكسفورد»، ص 19 – 22.

(15) انظر الجزء السابع في الفصل الثالث من هذا الكتاب لمزيد من آراء مشابهة عبر عنها أشر، وكان من كبار الداعمين للكتاب المقدس متعدد اللغات.

(16) انظر الجزء الخامس من الفصل السابع، لمزيد حول ملاحظات جون غريفز عن انعدام الثقة في أبي الفداء.

(17) وَتُنْ، «تأملات في العلوم القديمة والحديثة»، ص 142 – 143.

(18) انظر المقتبس من «لُمع من أخبار العرب»، في الباب السابع، الفصل الثالث.

(19) انظر وود، «حياة وأزمان»، ج 1. 360 – 361، وانظر ص 423.

(20) انظر الجزء الخامس من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(21) انظر كتابه المعنون بـ «العصا المحطمة» The Broken Staff، وخاصة ص 228 وما بعدها، من أجل مزيد عن أعمال «أغسطين كالمت» المنشورة من العام 1719 وما بعده.

(22) تجد حديثا مفصلا عن رايسكه في كتاب فوك المعنون بـ «الدراسات العربية في أوروبا»، ص 108 – 124. ولكن الوقوف على مأساة حياته يحتاج إلى قراءة سيرته الذاتية ورسائله.

(23) رسالة إلى ويزلنغ، 12 يونيو 1748 (رايسكه، «الرسائل»، 270 – 271).

ببليوغرافيا

ABRAHAMS, I., 'Isaac Abendana's Cambridge Mishnah and Oxford Calendars', *Transactions of the Jewish Historical Society of England* (1915–17), 98–121.

Abudacnus, *Historia Jacobitarum*: Historia Jacobitarum, Seu Coptorum, In Ægypto, Lybia, Nubia, *Æthiopia* tota, & parte *Cypri* Insulae habitantium. Opera *Josephi Abudacni*, seu *Barbati*, nati Memphis Ægypti Metropolii (Oxford, 1675).

ADLER, MICHAEL, *Jews of Medieval England* (London, 1939).

AL-HĀSHIMĪ, 'ALĪ IBN SULAYMĀN, *The Book of the Reasons behind Astronomical Tables (Kitāb fi 'ilal al-zījāt)* . . . A facsimile reproduction of the unique Arabic text contained in the Bodleian ms. Arch. Seld. A. 11 with a translation by Fuad I. Haddad and E. S. Kennedy and a commentary by David Pingree and E. S. Kennedy (New York, 1981).

AL-SHARĪF AL-IDRĪSĪ, *Kitāb Nuzhat al-Mushtāq*, Reprint of the Edition Rome 1592, ed. Fuat Sezgin (Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Islamic Geography, 1; Frankfurt am Main, 1992).

ALTANER, BERTHOLD, 'Die Durchführung des Vienner Konzilsbeschlusses über die Errichtung von Lehrstühlen für orientalischen Sprachen', *Zeitschrift für Kirchengeschichte*, 52 (1933), 226–36.

—— 'Raymundus Lullus und der Sprachenkanon (can. 11) des Konzils von Vienne', *Historisches Jahrbuch*, 53 (1933), 190–219.

D'ALVERNY, M. T., 'Deux traductions latines du Coran au Moyen Age', *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age*, 16 (1948), 69–131.

—— 'Avicenne et les médecins de Venise', in *Medioevo e Rinascimento: Studi in onore di Bruno Nardi*, i (Florence, 1955), 177–98.

—— 'La Connaissance de l'Islam en Occident du IX^e au milieu du XII^e siècle', in *L'Occidente e l'Islam nell'alto medioevo* (Settimane di studio del Centro Italiano di studi sull'alto medioevo 12; Spoleto, 1965), ii. 577–602.

ANDERSON, SONIA P., *An English Consul in Turkey: Paul Rycaut at Smyrna, 1667–1678* (Oxford, 1989).

ANNERSTEDT, CLAES, *Upsala Universitets Historia*, 2 parts with appendices (Uppsala, 1877–1909).

ARBERRY, ARTHUR J., *The Cambridge School of Arabic: An Inaugural Lecture delivered on 30 October 1947* (Cambridge, 1948).

—— 'The Pioneer Simon Ockley', in his *Oriental Essays* (London, 1960), 11–47.

'Archbishop Marsh's Diary': 'Diary copied from a MS. in Archbishop Marsh's Library, Dublin' [edited by J. H. T.], *The British Magazine, and Monthly Register of Religious and Ecclesiastical Information, Parochial History*, etc., 28 (1845), 17–36 and 115–32.

Bainbridge, *Canicularia*: Cl. V. IOHANNIS BAINBRIGII Astronomiae, *In celeberrimâ Academiâ Oxoniensi Professoris Saviliani* CANICVLARIA. Unà cum demonstratione Ortus *Sirii* heliaci, Pro parallelo inferioris Ægypti. *Auctore* IOHANNE GRAVIO, *Quibus accesserunt Insigniorum aliquot Stellarum Longitudines, & Latitudines* Ex Astronomicis Observationibus *Vlug Beigi, Tamerlani Magni* nepotis (Oxford, 1648).

BARANOWSKI, BOHDAN, 'F. Mesgnien-Meninski et l'enseignement des langues orientales en Pologne vers la moitié du XVIIe siècle', *Rocznik Orjentalistyczny*, 14 (1938), 63–71.

BARKSDALE, CLEMENT, *Memorials of Worthy Persons . . . The Fourth Decad* (Oxford, 1663).

Barrow, *Theological Works*: The Theological Works of Isaac Barrow, D.D. In nine volumes. Ed. Alexander Napier (Cambridge, 1859).

BATAILLON, MARCEL, 'L'Arabe à Salamanque au temps de la Renaissance', *Hespéris*, 21 (1935), 1–17.

Bedwell, *Via Regia*: Via Regia ad Geometriam. The VVay to Geometry. Being necessary and usefull, FOR Astronomers . . . Written in Latine by Peter Ramus, and now Translated and much enlarged by the Learned Mr. William Bedwell (London, 1636).

BENFEY, THEODOR, *Geschichte der Sprachwissenschaft und orientalischen Philologie in Deutschland seit dem Anfange des 19. Jahrhunderts mit einem Rückblick auf die früheren Zeiten* (Geschichte der Wissenschaften in Deutschland, Neuere Zeit, 8; Munich, 1869).

Bentley, *Correspondence*: The Correspondence of Richard Bentley, D.D. Master of Trinity College, Cambridge [ed. C. Wordsworth] (2 vols., London, 1842–3).

BERNARD, AUGUSTE, *Antoine Vitré et les caractères orientaux de la Bible polyglotte de Paris* (Paris, 1857).

Bernard, *De Mensuris*: EDVARDI BERNARDI DE MENSURIS ET PONDERIBUS ANTIQUIS LIBRI TRES. *Editio altera, purior & duplo locupletior* (Oxford, 1688).

Bernard, *Josephus*: *FLAVII JOSEPHI* Antiquitatum Judaicarum LIBRI QUATUOR PRIORES, *Et Pars magna Quinti*, Gr. Lat. Cum Exemplaribus MSS. collati, & illustrati Notis amplissimis D. *EDVARDI BERNARDI* S.T.P. ITEM HISTORIARUM DE BELLO JUDAICO LIBER PRIMUS, *Et Pars secundi*. Gr. Lat. Ad Codices MSS. itidem recogniti & emendati (Oxford, 1700).

BERNARD, NICHOLAS, *The Life & Death of the Most Reverend and Learned Father of our Church Dr. James Usher . . .* (London, 1656).

BLOXAM, JOHN ROUSE, *A Register of the Presidents, Fellows, Demies, Instructors in Grammar and in Music, Chaplains, Clerks, Choristers, and other members of Saint Mary Magdalen College in the University of Oxford, from the foundation of the College to the present time, 2: The Instructors in*

Grammar (Oxford, 1863).

BOCHART, SAMUEL, *Hierozoicon Sive bipartitum opus de animalibus Sacrae Scripturae* (2 parts; London [Roycroft], 1663).

Bodley, *Letters to James*: Letters of Sir Thomas Bodley to Thomas James First Keeper of the Bodleian Library. Edited with an Introduction by G. W. Wheeler, M.A. (Oxford, 1926).

Bodley, *Letters to Oxford*: Letters of Sir Thomas Bodley to the University of Oxford, 1598–1611. Edited by G. W. Wheeler (Oxford, 1927).

BOURNE, HENRY RICHARD FOX, *The Life of John Locke* (2 vols., London, 1876).

BOUWSMA, WILLIAM J., *Concordia Mundi: The Career and Thought of Guillaume Postel (1510–1581)* (Harvard Historical Monographs, 33; Cambridge, Mass., 1957).

Boyle, *Works*: The Works of the Honourable Robert Boyle in six volumes. To which is prefixed The Life of the Author. 2nd edition (London, 1772).

BRAHE, TYCHO, *Historia Coelestis . . . cum Commentariis Lucii Barretti et Paralipomenis ex Rec. et Mss. Guil. Schikardi* (Augsburg, 1666).

BRODRICK, GEORGE C., *Memorials of Merton College* (Oxford Historical Society, 4; Oxford, 1885).

BRUGMAN, J., and SCHRÖDER, F., *Arabic Studies in the Netherlands* (Publications of the Netherlands Institute of Archaeology and Arabic Studies in Cairo, 3; Leiden, 1979).

BUC, SIR GEORGE, *The Third Vniversitie of England, or A treatise of the Foundations of all the Colledges, ancient Schooles of Priuiledge, and of Houses of Learning, and liberall Arts, within and about the most famous City of London . . . by G. B. Knight* [printed at the end of] Iohn Stow, *Annales, or a Chronicle of England* (London, 1631) [and also earlier editions].

BURNETT, CHARLES (ed.), *Adelard of Bath: An English Scientist and Arabist of the early Twelfth Century* (Warburg Institute Surveys and Texts, 14; London, 1987).

BURROWS, MONTAGU (ed.), *The Register of Visitors of the University of Oxford from A.D. 1647 to A.D. 1658, with some account of the state of the University during the Commonwealth* (Camden Society, 1881).

CABANELAS RODRÍGUEZ, DARIO, *El Morisco Granadino Alonso del Castillo* (Granada, 1965).

CALAMY, EDMUND, *An Account of the Ministers, Lecturers, Masters and Fellows of Colleges and Schoolmasters, who were Ejected or Silenced after the Restoration in 1660* [Vol. 2 of *An Abridgment of Mr. Baxter's History of his Life and Times*], 2nd edn. (London, 1713).

CARTER, HARRY, *A History of the Oxford University Press, Vol. I to the year 1780* (Oxford, 1975).

Casaubon, *Letters*: Isaaci Casauboni Epistolae, insertis ad easdem Responsionibus quotquot hactenus reperiri potuerunt [3rd edition] curante Theodoro

Janson, ab Almeloveen (Rotterdam, 1709).

CASIRI, MICHAEL, *Bibliotheca arabico-hispana Escurialensis, sive Librorum omnium mss. quos arabice ab auctoribus magnam partem arabo-hispanis compositos bibliotheca coenobi Escurialensis complectitur, recensio et explanatio* (2 vols., Madrid, 1760, 1770).

Castell, *Lexicon*: LEXICON HEPTAGLOTTON, HEBRAICUM, CHALDAICUM, SYRIACUM, SAMARITANUM, ÆTHIOPICUM, ARABICUM, Conjunctim; Et PERSICUM, Separatim . . . *Authore* EDMUNDO CASTELLO, *S.T.D. Regiae M. à Sacris, linguae Arabicae apud Cantabrigienses Professore, Atque Ecclesiae* CHRISTI *Cantuarensis praebendario* (2 vols., London, 1669).

Castell, *Oratio*: ORATIO IN Scholis Theologicis HABITA AB *EDMUNDO CASTELLO* S.T.D. ET LINGUÆ ARABICÆ IN Academia Cantabrigiensi PROFESSORE, CUM Praelectiones suas in secundum Canonis Avicennae Librum auspicaretur, quibus via praestruitur ex Scriptoribus Orientalibus ad clarius ac dilucidius enarrandum Botonologicam S.S. Scripturae partem, Opus a nemine adhuc tentatum (London, 1667).

DE CASTRIES, HENRY (ed.), *Les Sources inédites de l'histoire du Maroc. Première Série — Dynastie Saadienne. Archives et Bibliothèques de France*, 3 (Paris, 1911); *Archives et Bibliothèques d'Angleterre*, 2 (Paris and London, 1925); *Archives et Bibliothèques des Pays-Bas*, 3 (Paris and The Hague, 1912).

Catalogi Librorum Manuscriptorum Angliæ et Hiberniæ in unum collecti (2 vols., Oxford, 1697).

CHAPMAN, ALLAN (ed.), *The Preface to John Flamsteed's Historia Coelestis Britannica or British Catalogue of the Heavens (1725)* (Maritime Monographs and Reports, 52; Greenwich, 1982).

CHARRIÈRE, ERNEST (ed.), *Négociations de la France dans le Levant* (Collection de documents inédits sur l'histoire de France, 1; Paris, 1848).

CHAUVIN, VICTOR, and ROERSCH, ALPHONSE, *Étude sur la vie et les travaux de Nicolas Clénard* (Mémoires couronnés par la Classe des lettres de l'Académie Royale de Belgique, Tome 60 in-8°; Brussels, 1900).

CHEW, SAMUEL C., *The Crescent and the Rose, Islam and England during the Renaissance* (New York, 1957).

Clarke, *Scientia Metrica*: علم العروض والقوافي SCIENTIA METRICA & RHYTHMICA Seu TRACTATVS DE Prosodia Arabica, EX Authoribus probatissimis eruta, Operâ SAMUELIS CLERICI, inclytae Academiae *Oxoniensis* Architypographi (Oxford, 1661).

CLÉNARD, NICOLAS, *Correspondance*, ed. Alphonse Roersch (Académie Royale de Belgique, Classe des Lettres, Collection des Anciens Auteurs Belges, NS 2), 1 (Brussels, 1940).

CODAZZI, ANGELA, 'Leone Africano', in *Enciclopedia Italiana*, XX (1932), 899.

COLL, JOSÉ MA., 'Escuelas de lenguas orientales en los siglos XIII y XIV

(Periodo Raymundiano)', *Analecta Sacra Tarraconensia*, 17 (1944), 115–38.

COLOMESIUS, PAULUS, *Gallia Orientalis sive Gallorum qui linguam Hebraeam vel alias Orientales excoluerunt vitae, Variis hinc inde praesidiis adornatae* (The Hague, 1665).

——*Italia et Hispania Orientalis sive Italorum et Hispanorum qui linguam Hebraeam vel alias orientales excoluerunt Vitae* ex ΑΥΤΟΓΡΑΦΩι Auctoris nunc primum editae et notis instructa a Jo. Christophoro Wolfio (Hamburg, 1730).

CORNELISSEN, J. D. M., 'Thomas Erpenius en de "Propaganda"', *Mededeelingen van het Nederlandsch Historisch Instituut te Rome*, 7 (1927), 121–46.

Correspondence of Scientific Men of the Seventeenth Century, including letters of Barrow, Flamsteed, Wallis, and Newton, printed from the originals in the collection of the right honourable the Earl of Macclesfield [ed. Stephen Jordan Rigaud] (2 vols., Oxford, 1841).

Coxe, *Catalogue of College MSS*: Catalogus Codicum MSS. qui in Collegiis Aulisque Oxoniensibus hodie asservantur confecit Henricus O. Coxe (2 vols., Oxford, 1852).

COX-JOHNSON, ANN, 'Lambeth Palace Library, 1610–1664', *Transactions of the Cambridge Bibliographical Society*, 2 (1954–8), 105–26.

Crosfield, *Diary*: *The Diary of Thomas Crosfield*, selected and edited by Frederick S. Boas (London, 1935).

DANIEL, NORMAN, *Islam and the West: The Making of an Image* (Edinburgh, 1958; 2nd rev. edn. Oxford, 1992).

DANNENFELDT, KARL H., 'The Renaissance Humanists and the Knowledge of Arabic', *Studies in the Renaissance*, 2 (1955), 96–117.

DAVIES, HUGH WM., *Bernhard von Breydenbach and his journey to the Holy Land 1483–4: A Bibliography* (London, 1911).

DELISLE, LÉOPOLD, *Le Cabinet des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale [Impériale]* (4 vols., Paris, 1868–81).

Dickenson, *Delphi Phoenicizantes*: DELPHI PHOENICIZANTES, *sive*, Tractatus, in quo Graecos, quicquid apud Delphos celebre erat . . . è *Josuae* historia, scriptisque sacris effinxisse . . . ostenditur . . . *Authore* EDMUNDO DICKINSONO (Oxford, 1655).

DNB: *The Dictionary of National Biography*, founded in 1882 by George Smith, edited by Sir Leslie Stephen and Sir Sidney Lee. From the Earliest Times to 1900 (22 vols., Oxford, 1921–2).

Doctrina Christiana en lengua Arauiga y Castellana: compvesta, e impressa por mandado del Illustrissimo y Reuerendissimo Señor don Martin de Ayala Arcopispo de Valencia, para instrucción de los nueuamente conuertidos deste Reyno (Valencia, 1566) (Photographic reproduction of original edition, ed. Roque Chabás, Valencia, 1911).

DOZY, R. P. A. (ed.), *Catalogus Codicum Orientalium Bibliothecae Academiae*

Lugduno Batavae, i (Leiden, 1851).
DSB: *Dictionary of Scientific Biography*, ed. C. C. Gillispie (16 vols., New York, 1970–80).
DUVERDIER, GÉRALD, 'Savary de Brèves et Ibrahim Müteferrika, Deux drogmans culturels à l'origine de l'imprimerie turque', *Bulletin du Bibliophile* (1987), 322–59.
—— 'Les Impressions orientales en Europe et le Liban', in *Le Livre et le Liban*, 157–279.
Ecchellensis–Borelli: Apollonii Pergaei Conicorum Lib. V.VI.VII. Paraphraste Abalphato Asphahanensi Nunc primùm editi Additus in calce Archimedis Assumptorum Liber, Serenissimi Magni Ducis Etruriae Abrahamus Ecchellensis Maronita In Alma Vrbe Linguar. Orient. Professor Latinos reddidit. Io. Alfonsus Borellus In Pisana Academia Matheseos Professor curam in Geometricis versioni contulit, & notas vberiores in vniuersum opus adiecit (Florence, 1661).
Ecchellensis, *Eutychius Vindicatus*: EVTYCHIVS PATRIARCHA ALEXANDRINVS VINDICATUS, Et suis restitutus Orientalibus; Siue Responsio *AD IOANNIS SELDENI ORIGINES in duas tributa Partes*, Quarum Prima est *De Alexandrinae Ecclesiae Originibus* Altera *De Origine nominis PAPÆ;* Quibus accedit Censura in Historiam Orientalem IOHANNIS HENRICI HOTTINGERI Tigurini à pag. 283 ad 495. *Omnia ex Orientalium excerpta monumentis AUCTORE ABRAHAMO ECCHELLENSI* Maronita è Libano (2 vols., Rome, 1661, 1660).
EKHTIAR, SHELLEY, '*Hayy ibn Yaqzan*, the eighteenth-century reception of an oriental self-taught philosopher', *Studies on Voltaire and the Eighteenth Century*, 302 (1992), 217–45.
ELLIS, SIR HENRY (ed.), *Original Letters of Eminent Literary Men of the Sixteenth, Seventeenth, and Eighteenth Centuries* (Camden Society, 1843).
Enciclopedia Italiana di Scienze, Lettere ed Arti (36 vols., Milan and Rome, 1929–39).
Evelyn, *Diary*: *The Diary of John Evelyn*, ed. E. S. de Beer (6 vols., Oxford, 1955).
FEINGOLD, MORDECHAI, 'Isaac Barrow, Divine, Scholar, Mathematician', in *Before Newton, The Life and Times of Isaac Barrow*, ed. M. Feingold (Cambridge, 1990), 1–104.
—— 'Patrons and Professors, the Origins and Motives for the Endowment of University Chairs—in Particular the Laudian Professorship of Arabic', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 109–27.
—— 'The Oxford Oriental School', in *The History of the University of Oxford*, iv: *The Seventeenth Century* [forthcoming].
FORBES, ERIC G. (ed.), *The Gresham Lectures of John Flamsteed* (London, 1975).
FOSTER, JOSEPH, *Alumni Oxonienses, The Members of the University of Oxford,*

1500–1714 (4 vols., Oxford and London, 1891–2).

FOSTER, SAMUEL, *Miscellanea, sive Lucubrationes Mathematicae* (London, 1659.

FÜCK, JOHANN, *Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts* (Leipzig, 1955).

GABRIELI, FRANCESCO, and SCERRATO, UMBERTO (eds.), *Gli Arabi in Italia. Cultura, contatti e tradizioni* (Milan, 1979).

GARCIA BALLESTER, LUIS, 'The Circulation and Use of Medical Manuscripts in Arabic in 16th Century Spain', *Journal for the History of Arabic Science*, 2 (1979), 183–99.

GAUTHIER, LÉON, *Ibn Thofail, sa vie, ses œuvres*, Publications de l'École des Lettres d'Alger, Bulletin de Correspondance Africaine, 42 (Paris, 1909).

——(ed. and tr.), *Hayy ben Yaqdhân, roman philosophique d'Ibn Thofaïl*, 2nd edn. (Beirut, 1936).

GIOVANNOZZI, GIOVANNI, 'La versione Borelliana di Apollonio', *Memorie della Pontificia Accademia Romana dei Nuovi Lincei*, serie 2, vol. 2 (1916), 1–32.

GOLDSTEIN, BERNARD R., *The Arabic Version of Ptolemy's Planetary Hypotheses*, Transactions of the American Philosophical Society NS, 57.4 (Philadelphia, 1967).

Golius, *Auction Catalogue*: *Catalogus Insignium in omni facultate, linguisque, Arabica, Persica, Turcica, Chinensi, etc. librorum M.SS, quos . . . Jacobus Golius . . . ex variis Regionibus . . . collegit. Quorum auctio habebitur . . . Ad diem XVI. Octobris St. Novo* . . . (Leiden, 1696).

Golius, *Catalogus*: Catalogus rarorum Librorum, quos ex Oriente nuper advexit, et in publica Bibliotheca inclytae Leydensis Academiae deposuit Clariss. et de bonis artibus meritiss. vir Jacobus Golius, in illa eadem Academia et Linguarum orientalium et matheseos Professor insignis (Paris [Vitray], 1630).

Golius, *Lexicon*: JACOBI GOLII LEXICON ARABICO-LATINUM, CONTEXTUM EX PROBATIORIBUS ORIENTIS LEXICOGRAPHIS. ACCEDIT INDEX LATINUS COPIOSISSIMUS, QVI LEXICI LATINO-ARABICI VICEM EXPLERE POSSIT (Leiden, 1653).

GOLLANCZ, SIR HERMANN (ed. and tr.), *Chronicle of Events between the years 1623 and 1733 relating to the Settlement of the Order of Carmelites in Mesopotamia (Bassora)* . . . (London, 1927).

GÓMEZ DE CASTRO, ALVAR, *De Rebus Gestis a Francisco Ximenio, Cisnerio, Archiepiscopo Toletano, libri octo* (Complutum [Alcalá de Henares], 1569); [Spanish translation by José Oroz Reta:] *De las Hazanas de Francisco Jiménez de Cisneros* (Madrid, 1984).

GOODMAN, LENN EVAN, *Ibn Tufayl's Hayy Ibn Yaqzân: A Philosophical Tale*, translated with introduction and notes, 3rd edn. (Los Angeles, 1991).

GRAFTON, ANTHONY, *Joseph Scaliger: A Study in the History of Classical*

Scholarship (2 vols., Oxford, 1983, 1993).

Greaves, *Astronomica quaedam*: Astronomica quaedam ex traditione Shah Cholgii Persae una cum Hypothesibus Planetarum, Studio et opera Johannis Gravii nunc primum publicata (London, 1650).

Greaves, *Chorasmiae Descriptio*: Chorasmiae et Mawaralnahrae, hoc est, Regionum extra fluvium Oxum Descriptio, Ex Tabulis *Abulfedae Ismaelis*, Principis Hamah (London, 1650).

Greaves, *Elementa*: Elementa Linguae Persicae, authore Johanne Gravio, Item Anonymus Persa de Siglis Arabum & Persarum Astronomicis (London, 1649).

Greaves, *Pyramidographia*: Pyramidographia, OR A DESCRIPTION OF THE PYRAMIDS IN ÆGYPT By IOHN GREAVES, Professor of Astronomy in the University of OXFORD (London, 1646).

Greaves, *Roman Foot*: A DISCOVRSE OF THE ROMANE FOOT AND *DENARIVS*, From whence, as from two principles, THE MEASVRES AND WEIGHTS, used by the Ancients, may be deduced. *By* IOHN GREAVES, *Professor of Astronomy in the Vniversity of Oxford* (London, 1647).

Greaves, *Tabulae Geographicae*: Binae Tabulae Geographicae una Nassir Eddini Persae, altera Vlug Beigi Tatari. Operâ, & Studio Johannis Gravii nunc primùm Publicatae, et Commentariis ex Abulfedae Aliisque Arabum Geographis illustratae (London, 1648).

Greaves, *Works*: Miscellaneous Works of Mr. John Greaves, Professor of Astronomy in the University of Oxford . . . Published by Thomas Birch (2 vols., London, 1737).

GREAVES, THOMAS, *De Linguae Arabicae Vtilitate & Praestantia. Oratio Oxonii habita 19. Jul. 1637* (Oxford, 1639).

Gregory, *Notes and Observations*: NOTES AND OBSERVATIONS UPON SOME PASSAGES OF SCRIPTVRE. *By* I. G. *late Master of Arts of* Christ=Church OXON. *The second edition* (London, 1650) [first edition Oxford, 1646].

Gregory, *Posthuma*: *GREGORII Posthuma*, OR, Certain Learned Tracts, VVRITTEN By JOHN GREGORIE, M.A. and Chaplain of *Christ-Church* in *OXFORD*. . . . Published by his Dearest Friend *J.G[urgany]*. B.D. of *Merton* College (London, 1650) [first issued 1649].

GRIFFITHS, JOHN (ed.), *Statutes of the University of Oxford Codified in the Year 1636 under the Authority of Archbishop Laud* (Oxford, 1888).

GRONOVIUS, JOH. FREDERICUS, *Laudatio Funebris, recitata in exsequiis cl. Viri Jacobi Golii Arabicae Linguae & Mathematicorum professoris ante diem IV, Nonas Octobr. MDCLXVII* (Leiden, 1668).

Grotius, *Correspondence*, xii: *Briefwisseling van Hugo Grotius*, Twaalfde deel 1641 uitgegeven door Drs. Paula P. Witkam (Assen and Maastricht, 1986).

DE GUBERNATIS, ANGELO, *Matériaux pour servir à l'histoire des études orientales en Italie* (Paris, Florence, Rome, Turin, 1876).

DE GUIGNES, J., *Essai historique sur l'origine des caractères orientaux de l'Imprimerie Royale, sur les ouvrages qui ont été imprimés à Paris, en Arabe, en Syriaque, en Arménien, &c., et sur les caractères grecs de François Ier appelés communement Grecs du Roi*, Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque du Roi, 1, ix–cii (Paris, 1787).

Guise, *Zeraim*: Misnae Pars, Ordinis Primi Zeraim Tituli Septem. Latinè vertit & Commentario illustravit *GVLIELMVS GVISIVS, Accedit* Mosis Maimonidis *Praefatio* in Misnam Edv. Pocockio *Interprete* (Oxford, 1690).

GUNTHER, R. T., 'The First Observatory Instruments of the Savilian Professors at Oxford', *The Observatory*, 60 (1937), 190–7.

Halley, Apollonius' *Conics*: *Apollonii Pergaei* Conicorum Libri Octo et Sereni Antissensis de Sectione Cylindri & Coni Libri Duo. Opera & studio Edmundi Halleii (2 vols., Oxford, 1710).

Halley, Apollonius' *Cutting off of a Ratio*: Apollonii Pergaei de sectione Rationis Libri Duo Ex Arabico MSto. Latine Versi. Opera & studio Edmundi Halley (Oxford, 1706).

Halliwell, *Collection of Letters*: *A Collection of Letters illustrative of the Progress of Science in England from the Reign of Queen Elizabeth to that of Charles the Second*, edited by James Orchard Halliwell (London [Historical Society of Science], 1841).

HAMILTON, ALASTAIR, 'The Victims of Progress, the Raphelengius Arabic type and Bedwell's Arabic Lexicon', *De Gulden Passer, Bulletin van de 'Vereeniging der Antwerpsche Bibliophielen'*, 61–3 (1983–5), 97–108.

—— '"Nam Tirones Sumus". Franciscus Raphelengius' *Lexicon Arabico-Latinum* (Leiden 1613)', *De Gulden Passer, Bulletin van de 'Vereeniging der Antwerpsche Bibliophielen'*, 66–7 (1988–9), 557–89.

—— *William Bedwell the Arabist 1563–1632*, Publications of the Sir Thomas Browne Institute, NS 5 (Leiden, 1985).

—— 'Eastern Churches and Western Scholarship', in *Rome Reborn: The Vatican Library and Renaissance Culture*, ed. Anthony Grafton (Washington and New Haven, 1993), 225–49.

—— 'The English Interest in the Arabic-Speaking Christians', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 30–53.

—— 'An Egyptian Traveller in the Republic of Letters: Josephus Barbatus or Abudacnus the Copt', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, 57 (1994), 123–50.

HAMMOND, PAUL, 'Thomas Smith, a Beleaguered Humanist of the Interregnum', *Bulletin of the Institute for Historical Research*, 56 (1983), 180–94.

Harmar, *Vindiciae Academiae Oxoniensis*: Vindiciae ACADEMIÆ OXONIENSIS, SIVE ORATIO APOLOGETICA, Quâ Exercitiorum Academicorum in Trimestre VACATIO A crimine vindicatur; nec non Academiae fama, &, ἐν παρόδῳ, Ἐπισκοπῇ asseritur; habita *OXONIÆ*

Postridie Iduum Octobris in pleno Termino, A *JOANNE HARMARO* Lingue Gr. apud *Oxonienses* Praelectore Regio, & M. L. (Oxford, 1662).

Hart/Carter: Hart, Horace, *Notes on a Century of Typography at the University Press Oxford, 1693–1794*. A photographic reprint of the edition of 1900 with an Introduction and additional notes by Harry Carter (Oxford, 1970).

HARTWIG, O., 'Die Uebersetzungsliteratur Unteritaliens in der normannisch-staufischen Epoche', *Centralblatt für Bibliothekswesen*, 3 (1886), 161–90, 223–5, and 505–6.

HARVEY, JOHN, 'Coronary Flowers and their "Arabick" Background', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 297–303.

HASKINS, C. H., *Studies in the History of Medieval Science*, 2nd edn. (Cambridge, Mass., 1927).

HAYWOOD, JOHN A., *Arabic Lexicography: Its History, and its Place in the General History of Lexicography* (Leiden, 1960).

Hearne, *Diaries*: *Remarks and Collections of Thomas Hearne*, ed. C. E. Doble, D. W. Rannie, H. E. Salter, *et al.*, Oxford Historical Society, vols. 1, 7, 13, 34, 42, 43, 48, 50, 65, 67, 72 (11 vols., Oxford, 1884–1921).

Hefele–Leclercq: Hefele, Charles-Joseph, *Histoire des conciles d'après les documents originaux*, nouvelle traduction française faite sur la deuxième édition allemande corrigée et augmentée de notes critiques et bibliographiques par Dom H. Leclercq, 6 pt. 2 (Paris, 1915).

HENKEL, WILLI, *Die Druckerei der Propaganda Fide: Eine Dokumentation* (Munich, Paderborn, and Vienna, 1977).

D'HERBELOT, BARTHÉLEMY, *Bibliothèque orientale, ou Dictionnaire universel, contenant généralement Tout ce qui regarde la connoissance des Peuples de l'Orient. Leurs Histoires et Traditions véritables ou fabuleuses. Leurs Religions, Sectes et Politique. Leurs Gouvernements, Loix, Coutumes, Moeurs, Guerres, & les Révolutions de leurs Empires. Leurs Sciences, et leurs Arts... Les Vies et Actions remarquables de tous leurs Saints, Docteurs, Philosophes, Historiens, Poètes, Capitaines, & de tous ceux qui se sont rendus illustres parmi eux, par leur Vertu, ou par leur Savoir. Des jugemens critiques, et des extraits de tous leurs Ouvrages* ... (Maastricht, 1776) [reprint of original edition, Paris, 1697].

d'Herbelot (Reiske): Orientalische Bibliothek oder Universalwörterbuch, welches alles enthält, was zur Kenntniss des Orients nothwendig ist. Verfasst von Bartholom. D'Herbelot (4 vols., Halle, 1785–90) [essentially the same in content as the French version published The Hague, 1777–9, for which see *L'Europe et le monde arabe*, 36].

HERVEY, MARY S. F., *The Life Correspondence & Collections of Thomas Howard Earl of Arundel* (Cambridge, 1921).

HILL, CHRISTOPHER, *The World Turned Upside Down: Radical Ideas During the English Revolution* (London, 1972).

Holsten, *Epistolae*: Lucae Holstenii Epistolae ad diversos, quas ex editis et

ineditis codicibus collegit atque illustravit Jo. Franc. Boissonade (Paris, 1817).

HOLT, P. M., 'Arabic Studies in Seventeenth-Century England with special Reference to the Life and Work of Edward Pococke', B.Phil. thesis (Oxford, 1952).

——*A Seventeenth-Century Defender of Islam: Henry Stubbe (1632–76) and his Book*, Friends of Dr. Williams's Library, 26th Lecture (London, 1972).

——'An Oxford Arabist, Edward Pococke (1604–91)', in Holt, *Studies in the History of the Near East* (London, 1973), 3–26.

——'The Study of Arabic Historians in Seventeenth-Century England, the Background and the Work of Edward Pococke', *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 19 (1957), 444–55, reprinted in Holt, *Studies in the History of the Near East* (London, 1973), 27–49.

——'The Treatment of Arab History by Prideaux, Ockley and Sale', in *Historians of the Middle East*, ed. Bernard Lewis and P. M. Holt (London, 1962), 290–302, reprinted in Holt, *Studies in the History of the Near East* (London, 1973), 50–63.

HOOLE, CHARLES, *A New Discovery Of the old Art of Teaching Schoole* (London, 1660) [reprinted as no. 133 of English Linguistics 1500–1800 (Menston, 1969)].

HOPKINS, J. F. P., *Letters from Barbary 1576–1774: Arabic Documents in The Public Record Office*, Oriental Documents, 6 (London and New York, 1982).

HOTTINGER, J. H., *Promtuarium; sive Bibliotheca Orientalis exhibens Catalogum, sive Centurias aliquot, tam authorum, quam librorum Hebraicorum, Syriacorum, Arabicorum, Aegyptiacorum, Aethiopicorum &c. Addita Mantissa Bibliothecarum aliquot Europaearum* . . . (Heidelberg, 1658).

——*Bibliothecarius Quadripartitus. I. Pars quae Prolegomenis absolvitur, agit de officio Bibliothecarij, Bibliothecis, &c. II. De Theologia Biblica. III. De Theologia Patristica: cum Appendice Leonis Africani hactenus ἀνεκδότῳ, de Scriptoribus Arabicis. IV. De Theologia Topica; Symbolica, & Systematica; tam universali, quàm Particulari* (Zurich, 1664).

HOUTSMA, M. TH., *Uit de Oostersche Correspondentie van Th. Erpenius, Jac. Golius en Lev. Warner: Eene bijdrage tot de geschiedenis van de beoefening der oostersche letteren in Nederland*, uitgegeven door de Koninklijke Akademie van Wetenschappen te Amsterdam (Amsterdam, 1887).

HOWARTH, DAVID, *Lord Arundel and his Circle* (New Haven and London, 1985).

[HUDSON, JOHN (ed.)], GEOGRAPHIÆ VETERIS SCRIPTORES GRÆCI MINORES. *Accedunt Geographica Arabica &c.*, vol. 3 (Oxford, 1712).

Hunt, *Laudian Manuscripts: Bodleian Library, Quarto Catalogues II. Laudian Manuscripts*, by H. O. Coxe. Reprinted . . . with an historical introduction by R. W. Hunt (Oxford, 1973).

[HUNT, THOMAS], Proposals For Printing by Subscription, Abdollatiphi

Historiae Aegypti Compendium quod, Sexaginta abhinc annis, Ab EDVARDO POCOCKIO, clarissimi EDVARDI filio, A.M. Aedis Christi Alumno, Ex Linguâ Arabica in Latinam versum, Nunc Primum Utrâque edidit, Notisque illustravit THOMAS HUNT, S.T.P. *Lingue Arabicae* Professor, & R.S.S. è Collegio Hertfordiensi ([?Oxford], 1746).

——*De usu dialectorum orientalium, ac praecipue Arabicae in Hebraico Codice Interpretando, Oratio Habita Oxonii, in Schola Linguarum, VII Kalend Martii MDCCXLVIII* (Oxford, 1748).

R[OBERT] H[UNTINGTON], '*A Letter from* Dublin *to the* Publisher *of these Tracts, concerning the* Porphyry Pillars *in* Egypt', *Philosophical Transactions*, vol. 14, no. 161 (20 July 1684), 624–9. Reprinted by John Ray, *Collection of Curious Travels and Voyages*, ii (1693), 149–55.

Hyde, *De Ludis Orientalibus*: De Ludis Orientalibus libri duo, quorum prior est duabus partibus, viz. 1. Historia Shahiludii Latine, deinde 2. Historia Shahiludii Heb. Lat. per tres Judaeos. [Mandragorias *etc.* horis succisivis olim congessit Thomas Hyde.] Liber posterior continet historiam reliquorum ludorum orientis [Historia Nerdiludii, hoc est dicere, Trunculorum cum quibusdam aliis Arabum, Persarum, Indorum, Chinensium, & aliarum Gentium ludis *etc.*] (Oxford, 1694) [The second part was first printed separately in 1689, *De Història Shahiludii Tria Scripta Hebraica*].

Hyde, *Peritsol*: אגרת אורחות עולם ID EST, ITINERA MUNDI, SIC DICTA NEMPE COSMOGRAPHIA, AUTORE ABRAHAMO PERITSOL Latinâ VERSIONE donavit & NOTAS passim adjecit THOMAS HYDE S.T.D. è Coll. Regine *Oxon*. Protobibliothecarius Bodlejanus. Calce exponitur Turcarum LITURGIA, PEREGRINATIO MECCANA, ÆGROTORUM VISITATIO, CIRCUMCISIO, &c. Accedit CASTIGATIO In *Angelum à S^to^ Joseph*, al. dictum *de la Broße*, Carmelitam discalceatum, sui Ordinis in Ispahân Persidis olim Praefectum (Oxford, 1691).

Hyde, *Syntagma Dissertationum*: SYNTAGMA DISSERTATIONUM QUAS OLIM AUCTOR DOCTISSIMUS THOMAS HYDE S.T.P. SEPARATIM EDIDIT ACCESSERUNT NONNULLA EJUSDEM OPUSCULA HACTENUS INEDITA; NECNON DE EJUS VITA SCRIPTISQUE ΠΡΟΛΕΓΟΜΕΝΑ. CUM APPENDICE DE LINGUA SINENSI ALIISQUE LINGUIS ORIENTALIBUS UNA CUM QUAMPLURIMIS TABULIS ÆNEIS, QUIBUS EARUM CHARACTERES EXHIBENTUR. OMNIA DILIGENTER RECOGNITA A GREGORIO SHARPE LL. D. REG. MAJ. A SACRIS TEMPLI MAGISTRO. SS.R ET A.S. (2 vols., Oxford, 1767).

Hyde, *Ulugh Beg*: جداول مواضع ثوابت در طول وعرض كه برصد يافته است الغ بيك بن شاهرخ بن تيمور SIVE TABVLÆ LONG. AC LAT. STELLARUM FIXARVM EX OBSERVATIONE ULUGH BEIGHI TAMERLANIS Magni Nepotis, Regionum ultra citráque GJIHUN (i. Oxum) Principis potentissimi. Ex tribus invicèm collatis MSS Persicis jam primùm Luce ac Latio donavit, & Commentariis illustravit, THOMAS HYDE A.M. è Coll. Reginae Oxon. In

Calce Libri accesserunt MOHAMMEDIS TIZINI TABULÆ Declinationum & Rectarum Ascensionum. Additur demum ELENCHUS Nominum Stellarum (Oxford, 1665).

INNES SMITH, R. W., *English-Speaking Students of Medicine at the University of Leyden* (Edinburgh and London, 1932).

Isaacson, *Lancelot Andrewes*: An exact Narration OF THE LIFE and DEATH OF THE Reverend and learned Prelate, and painfull DIVINE, LANCELOT ANDREWES, Late Bishop of WINCHESTER. [By the Rev. H. Isaacson] (London, 1650).

Jacob, *Philologiae ἀνακαλυπτήριον*: PHILOLOGIAE ἈΝΑΚΑΛΥΠΤΉΡΙΟΝ *Oratione celebratum Inaugurali*, Quam *publicè habuit ad Oxonio-Mertonenses* HENRICUS IACOBIUS; Publicavit à Quindecennio H.B. è Coll. Omn. Animar. Cum Appendice *luculentâ* (Oxford, 1652).

James, *Catalogus*: Catalogus Librorum Bibliothecae Publicae quam Vir Ornatissimus Thomas Bodleius Eques Auratus in Academia Oxoniensi nuper instituit . . . Autore Thoma James (Oxford, 1605) [facsimile reprint:] *The First Printed Catalogue of the Bodleian Library 1605: A Facsimile* (Oxford, 1986).

JOHNSON, JOHN, and GIBSON, STRICKLAND, *Print and Privilege at Oxford to the year 1700* (Oxford, 1946).

JONES, JOHN ROBERT, 'The Arabic and Persian Studies of Giovan Battista Raimondi (c. 1536–1614)', M.Phil. dissertation (Warburg Institute, June 1981).

—— 'Learning Arabic in Renaissance Europe (1505–1624)', Ph.D. thesis (School of Oriental and African Studies, London University, July 1988), forthcoming in the series 'Brill's Studies in Intellectual History'.

—— 'Thomas Erpenius (1584–1624) on the Value of the Arabic Language', *Manuscripts of the Middle East*, 1 (1986), 15–25.

—— 'The Medici Oriental Press (Rome 1584–1614) and the Impact of its Arabic Publications on Northern Europe', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 88–108.

JUSTEL CALABOZO, BRAULIO, *La Real Biblioteca de El Escorial y sus manuscritos arabes* (Madrid, 1978).

JUYNBOLL, WILHELMINA MARIA CORNELIA, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars van het Arabisch in Nederland* (Utrecht, [1931]).

KATZ, DAVID S., 'The Abendana Brothers and the Christian Hebraists of Seventeenth-Century England', *Journal of Ecclesiastical History*, 40 (1989), 28–52.

—— *Philo-Semitism and the Readmission of the Jews to England 1603–1655*, Oxford Historical Monographs (Oxford, 1982).

KAYSERLING, M., 'Richelieu, Buxtorf père et fils, Jacob Roman. Documents pour servir à l'histoire du commerce de la librairie juive au XVIe siècle', *Revue des Études Juives*, 8 (1884), 74–95.

KEMKE, JOHANNES, *Patricius Junius (Patrick Young): Mitteilungen aus seinem Briefwechsel*, Sammlung Bibliothekswissenschaftlicher Arbeiten, 12 (Leipzig, 1898).

KEPLER, JOHANNES, *Gesammelte Werke*, vols. 13–17: *Briefe*, ed. Max Caspar (Munich, 1945–59).

KLEIN-FRANKE, FELIX, *Die klassische Antike in der Tradition des Islam*, Erträge der Forschung, 136 (Darmstadt, 1980).

Knös, *Analecta Epistolarum*: ANALECTA EPISTOLARUM, IN PRIMIS *HISTORIAM ET RES LITTERARIAS* SVECIÆ ILLUSTRANTIUM. . . . COLLEGIT, RECENSUIT ET EDIDIT OLAVUS ANDREAE KNOES (9 parts; Uppsala, 1786–96).

Koran (Bibliander): MACHVMETIS SARACENORUM PRINCIPIS, EIVSQVE SUCCESSORVM VITAE, AC DOCTRINA, IPSEQUE ALCORAN . . . opera & studio Theodori Bibliandri (Basel, 1543).

KRITZECK, JAMES, *Peter the Venerable and Islam*, Princeton Oriental Studies, 23 (Princeton, 1964).

KUNITZSCH, PAUL, *Der Almagest: Die Syntaxis Mathematica des Claudius Ptolemäus in arabisch-lateinischer Überlieferung* (Wiesbaden, 1974).

Laud, *Works*: *The Works of the Most Reverend Father in God, William Laud, D.D.* (7 vols., London, 1847–60).

LEFRANC, ABEL, *Histoire du Collège de France* (Paris, 1893) [reprint, Geneva, 1970].

Leiden Oriental Catalogue: *Catalogus Codicum Orientalium Bibliothecae Academicae Lugduno Batavae* ediderunt P. de Jong et M. J. de Goeje, iii (Leiden, 1865).

Le Livre et le Liban: Camille Aboussouan (ed.), *Exposition Le livre et le Liban jusqu'à 1900* (Paris, 1982).

Leo Africanus, tr. Épaulard: Jean-Léon l'Africain, *Description de l'Afrique*, nouvelle édition traduite de l'italien par A. Épaulard et annotée par A. Épaulard, Th. Monod, H. Lhote et R. Mauny (2 vols., Paris, 1956).

Letters written by Eminent Persons in the Seventeenth and Eighteenth Centuries . . . now first published from the originals in the Bodleian Library and Ashmolean Museum, with biographical and literary illustrations. [By Rev. John Walker, M.A., Fellow of New College] (2 vols., Vol. II in 2 parts; London, 1813).

L'Europe et le monde arabe. Cinq siècles de livres de lettrés et voyageurs européens choisis dans les bibliothèques de l'Arcadian Group, ed. Alastair Hamilton (Paris, 1993).

LEVI DELLA VIDA, G., *Ricerche sulla formazione del più antico fondo dei manoscritti orientali della Biblioteca Vaticana*, Studi e Testi, 92 (Città del Vaticano, 1939).

——*Documenti intorno alle relazioni delle chiese orientali con la S. Sede durante il pontificato di Gregorio XIII*, Studi e Testi, 143 (Città del Vaticano,

1948).

Levinus Warner and his Legacy: Three Centuries Legatum Warnerianum in the Leiden University Library (Leiden, 1970).

Lightfoot, *Letters*: The Whole Works of the Rev. John Lightfoot, D.D. Master of Catharine Hall, Cambridge. Edited by John Rogers Pitman. Volume XIII, containing the Journal of the Proceedings of the Assembly of Divines, from January 1, 1643 to December 31, 1644, and letters to and from Dr. Lightfoot (London, 1824).

LLOYD, DAVID, *Memoires of the Lives, Actions, Sufferings and Deaths of those . . . Personages That suffered . . . In our late Intestine Wars, . . . with the Life and Martyrdom of King Charles I* (London, 1667).

LLOYD JONES, G., *The Discovery of Hebrew in Tudor England: A Third Language* (Manchester, 1983).

——(ed. & tr.), *Robert Wakefield on the Three Languages [1524]*, Medieval and Renaissance Texts and Studies, 68 (Binghamton, 1989).

Locke, *Correspondence*: *The Correspondence of John Locke*, ed. E. S. de Beer (8 vols., Oxford, 1976–89).

LONG, P., *A Summary Catalogue of the Lovelace Collection of the Papers of John Locke in the Bodleian Library*, Oxford Bibliographical Society Publications, NS 8, 1956 (Oxford, 1959).

LOSSEN, MAX (ed.), *Briefe von Andreas Masius und seinen Freunden 1538 bis 1573*, Publikationen der Gesellschaft für Rheinische Geschichtskunde, 2 (Leipzig, 1886).

LUCCHETTA, FRANCESCA, *Il Medico e filosofo bellunese Andrea Alpago (†1522) traduttore di Avicenna: Profilo biografico* (Padua, 1964).

MCKITTERICK, DAVID, *Cambridge University Library: A History*, ii: *The Eighteenth and Nineteenth Centuries* (Cambridge, 1986).

MACLAUGHLIN, TREVOR, 'Une lettre de Melchisédech Thévenot', *Revue d'Histoire des Sciences*, 27 (1974), 123–6.

MACRAY, WILLIAM DUNN, *Annals of the Bodleian Library with a notice of the earlier library of the University*, 2nd edn. (Oxford, 1890).

——'A letter from Isaac Abendana', in *Festschrift zum achtzigsten Geburtstage Moritz Steinschneider's* (Leipzig, 1896), 89–90.

——*A Register of the Members of St. Mary Magdalen College, Oxford. From the Foundation of the College*, New Series, 4: *Fellows, 1648–1712* (London, 1904).

MADAN, FALCONER, *Oxford Books: A bibliography of printed works relating to the University and City of Oxford or printed or published there*, vol. 1, *The Early Oxford Press, 1468–1640* (Oxford, 1895); vol. 2, *Oxford Literature 1450–1640, and 1641–1650* (Oxford, 1912); vol. 3, *Oxford Literature 1651–1680* (Oxford, 1931).

MALLET, CHARLES EDWARD, *A History of the University of Oxford*, ii: *The Sixteenth and Seventeenth Centuries* (London, 1924).

MANT, RICHARD, *History of the Church of Ireland* (2 vols., London, 1840).

MANUEL, FRANK E., *The Broken Staff: Judaism through Christian Eyes* (Cambridge, Mass., and London, 1992).

MARSHALL, P. J., 'Oriental Studies', in *The History of the University of Oxford*, v: *The Eighteenth Century* (Oxford, 1985), 551–63.

MARSHALL, WILLIAM M., *George Hooper 1640–1727 Bishop of Bath and Wells* (Sherborne, 1976).

MATTHEWS, A. G., *Walker Revised ('Sufferings of the Clergy during the Grand Rebellion 1642–60')* (Oxford, 1948).

MAYOR, J. E. B., *Cambridge under Queen Anne illustrated by Memoir of Ambrose Bonwicke and Diaries of Francis Burman and Zacharias Conrad von Uffenbach* (Cambridge, 1911).

MERCIER, RAYMOND, 'English Orientalists and Mathematical Astronomy', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 158–214.

Mersenne, *Correspondance*: Correspondance du P. Marin Mersenne, religieux minime, publiée par Mme. Paul Tannery, éditée et annotée par Cornelis de Waard [*et al.*] (17 vols., Paris, 1932–88).

Mersenne, *Synopsis*: VNIVERSÆ GEOMETRIÆ, MIXTÆQVE MATHEMATICÆ SYNOPSIS ET BINI REFRACTIONVM DEMONSTRATARVM TRACTATVS. *Studio & Operâ* F.M. MERSENNI M. (Paris, 1644).

METLITZKI, DOROTHEE, *The Matter of Araby in Medieval England* (New Haven, 1977).

[Michaud], *Biographie universelle ancienne et moderne*, nouvelle édition (45 vols., Paris, n.d.).

MILLIES, H. C., 'Over de Oostersche Vertalingen van het beroemde Geschrift van *Hugo Grotius, De Veritate Religionis Christianae*', *Verslagen en Mededeelingen der Koninklijke Akademie van Wetenschappen*, Afdeeling Letterkunde, 7 (1863), 109–34.

MOLLAND, GEORGE, 'The Limited Lure of Arabic Mathematics', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 215–23.

Moller, *Cimbria Literata*: Johannis Molleri Flensburgensis *CIMBRIA LITERATA, sive Scriptorum ducatus utriusque Slesvicensis et Holsatici, quibus et alii vicini quidam accensentur, historia literaria tripartita* (3 vols., Copenhagen, 1744). Tomus Primus. *Scriptores universos Indigenas, hisqve immistos complures, qvorum Patria explorari necdum potuit, comprehendens*. Tomus Secundus. *Adoptivos sive Exteros, in Ducatu utroque Slesvicensi & Holsatico vel officiis functos publicis, uel diutius commoratos, complectens*.

MONNERET DE VILLARD, UGO, *Lo Studio dell'Islam in Europa nel XII e nel XIII secolo*, Studi e Testi, 110 (Città del Vaticano, 1944).

——*Il Libro della Peregrinazione nelle Parti d'Oriente di Frate Ricoldo da Montecroce*, Institutum Historicum FF. Praedicatorum, Dissertationes Historicae, 13 (Rome, 1948).

Mores, Edward Rowe, *A Dissertation upon English Typographical Founders and Founderies (1778) with A Catalogue and Specimen of the Typefoundry of John James (1782)*, edited with an Introduction and Notes by Harry Carter and Christopher Ricks (Oxford [The Oxford Bibliographical Society], 1961).

Morison, Stanley, *John Fell, the University Press and the 'Fell' Types* (Oxford, 1967).

Müller, Max, *Johann Albrecht v. Widmanstetter 1506–1557: Sein Leben und Wirken* (Bamberg, 1907).

Mynors, R. A. B., *Catalogue of the Manuscripts of Balliol College* (Oxford, 1963).

Nahas, Michael, 'A Translation of Ḥayy B. Yaqẓān by the elder Edward Pococke (1604–1691)', *Journal of Arabic Literature*, 16 (1985), 88–90.

Nallino, C. A., 'Il valore metrico del grado di meridiano secondo i geografi arabi', in *Raccolta di Scritti editi e inediti*, 5 (Rome, 1944), 408–57.

—— 'Le fonti arabe manoscritte dell'opera di Ludovico Marracci sul Corano', in *Raccolta di Scritti editi e inediti*, 2 (Rome, 1940), 90–134.

—— 'Filosofia «orientale» od «illuminativa» d'Avicenna?', in *Raccolta di Scritti editi e inediti*, 6 (Rome, 1948), 218–56.

Neubauer, Ad., *Catalogue of the Hebrew Manuscripts in the Bodleian Library and in the College Libraries of Oxford*, Catalogi Codd. Mss. Bibliothecae Bodleianae, 12 (Oxford, 1886).

Nichols, John, *Literary Anecdotes of the Eighteenth Century* (9 vols., London, 1812–16).

Nicoll: *Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium Catalogi, Partis Secundae Volumen Primum Arabicos complectens* confecit Alexander Nicoll (Oxford, 1821).

Nicoll–Pusey: *Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium Catalogi, Partis Secundae Volumen Secundum Arabicos complectens* confecit Alexander Nicoll, J. C. D. edidit et catalogum Urianum aliquatenus emendavit E. B. Pusey, S. T. B. (Oxford, 1835).

Nijenhuis, Willem, *Matthew Slade 1569–1628: Letters to the English Ambassador*, Publications of the Sir Thomas Browne Institute, New Series, 6 (Leiden, 1986).

Norris, H. T., 'Professor Edmund Castell (1606–85), Orientalist and Divine, and England's Oldest Arabic Inscription', *Journal of Semitic Studies*, 29 (1984), 155–67.

—— 'Edmund Castell (1606–86) and his *Lexicon Heptaglotton* (1669)', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 70–87.

Nuovo, Angela, 'Il Corano arabo ritrovato', *La Bibliofilia*, 89 (1987), 237–71; reprinted in Angela Nuovo, *Alessandro Paganino (1509–1538)*, Medioevo e Umanesimo, 77 (Padua, 1990), 107–31, chapter 'Il Corano'.

Oates: *Cambridge University Library: A History*, i: *From the Beginnings to the Copyright Act of Queen Anne*, [by] J. C. T. Oates (Cambridge, 1986).

OATES, J. C. T., *The Manuscripts of Thomas Erpenius*, Bibliographical Society of Australia and New Zealand, Occasional Publications, 1 (Melbourne, 1974).

OEHME, RUTHARDT, 'Der Geograph und Kartograph', in Seck, *Wilhelm Schickard*, 310–75.

Oldenburg, *Correspondence*: *The Correspondence of Henry Oldenburg*, Edited and Translated by A. Rupert Hall and Marie Boas Hall (13 vols., Madison and London, 1965–86).

[OMONT, HENRI], *Missions archéologiques françaises en Orient aux XVII et XVIII siècles*, Documents publiés par Henri Omont (2 vols., Paris, 1902).

Pasor, *Inaugural Lecture*: ORATIO *PRO* LINGVÆ ARABICÆ *PROFESSIONE, PVBLICE* ad Academicos habita in Schola Theologica *Universitatis Oxoniensis* XXV Octob. 1626. à MATTHIA PASORE (Oxford, 1627).

Pasor, *Vita*: Parentalia in piam memoriam Reverendi & Clarissimi D. Matthiae Pasoris . . . Oratio Funebris ab Abdia Widmario, in Choro Templi Academici 6. Febr. Ann. 1658; Vita Matthiae Pasoris, ab hoc ipsomet vivo pleniùs consignata . . . (Groningen, 1658).

PEARSON, JOHN B., *A Biographical Sketch of the Chaplains to the Levant Company, maintained at Constantinople, Aleppo and Smyrna. 1611–1706* (Cambridge and London, 1883).

PEILE, JOHN, *Biographical Register of Christ's College 1505–1905 and of the earlier foundation God's House 1448–1505* (2 vols., Cambridge, 1910, 1913).

Peiresc, *Dupuy Correspondence*: Lettres de Peiresc aux Frères Dupuy, publiées par Philippe Tamizey de Larroque (Collection de Documents Inédites sur l'Histoire de France, Deuxième Série, Paris, I, 1888; II, 1890; III, 1892).

PHILIP, IAN, *The Bodleian Library in the Seventeenth and Eighteenth Centuries* (Oxford, 1983).

Philologia Arabica. Arabische studiën en drukken in de Nederlanden in de 16de en 17de eeuw, onder redactie van Dr. Francine de Nave, Catalogus. Tentoonstelling Museum Plantin-Moretus 25 oktober – 21 december (Antwerp, 1986).

PINKE, WILLIAM, *The Triall of a Christian's Sincere Love unto Christ*, 5th edn. (Oxford, 1659) [1st edn. 1630].

Pococke, *'Abd al-Laṭīf*: مختصر اخبار مصر لعبد اللطيف البغدادى *ABDOLLATIPHI* HISTORIÆ ÆGYPTI *COMPENDIUM* [tr. Edward Pococke junior (Oxford, ?1685)].

Pococke, *Abū 'l-Faraj*: تاريخ مختصر الدول HISTORIA COMPENDIOSA DYNASTIARVM, AUTHORE Gregorio Abul-Pharajio *Malatiensi Medico* Historiam complectens universalem, à mundo condito, usque ad Tempora Authoris, res Orientalium accuratissimè describens *Arabice edita, & Latine versa*, ab EDVARDO POCOCKIO Linguae Hebraicae in Academia Oxoniensi Professore Regio, nec non in eadem L. Arabicae Praelectore (Oxford, 1663).

Pococke, *Carmen Tograi*: لامية العجم Lamiato'l Ajam CARMEN TOGRAI, Poetae ARABIS Doctissimi; Unà Cum *versione Latina, & notis* Operâ EDVARDI POCOCKII, *LL HEBR. & ARAB. Profess.* Accessit TRACTATUS DE PROSODIA ARABICA (Oxford, 1661).

Pococke, *Commentary on Hosea*: A Commentary on the Prophecy of Hosea, by Edward Pocock, D.D. (Oxford, 1685).

Pococke, *Commentary on Joel*: A Commentary on the Prophecy of Joel, by Edward Pocock, D.D. (Oxford, 1691).

Pococke, *Commentary on Malachi*: A Commentary on the Prophecy of Malachi, by Edward Pocock, D.D. (Oxford, 1677).

Pococke, *Commentary on Micah*: A Commentary on the Prophecy of Micah, by Edward Pocock D.D. (Oxford, 1677).

Pococke, *Eutychius*: نظم الجوهر *Contextio Gemmarum* SIVE, EUTYCHII Patriarchae Alexandrini ANNALES. Illustriss. IOHANNE SELDENO, τοῦ μακαρίτου, *Chorago*. Interprete EDWARDO POCOCKIO Linguarum *Hebraicae & Arabicae* in Academia OXONIENSI Professore Publico (2 vols., Oxford, 1656, 1654).

Pococke, *Grotius*: كتاب في صحة الشريعة المسيحية نقل من اللاطيني الى العربي Hugo Grotius de Veritate Religionis Christianae. Editio Nova cum Annotationibus, Cui accessit versio Arabica (Oxford, 1660).

Pococke, *Philosophus Autodidactus*: PHILOSOPHUS AUTODIDACTUS SIVE EPISTOLA ABI JAAFAR, EBN TOPHAIL *DE HAI EBN YOKDHAN*. In quâ Ostenditur quomodo ex Inferiorum contemplatione ad Superiorum notitiam Ratio humana ascendere possit. *Ex Arabicâ in Linguam Latinam versa* Ab EDVARDO POCOCKIO A.M. (Oxford, 1671).

Pococke, *Porta Mosis*: באב מושי Porta Mosis, sive, Dissertationes aliquot à R. Mose Maimonide, suis in varias Mishnaioth, sive textus Talmudici partes, Commentariis praemissae . . . Nunc primùm Arabicè prout ab ipso Autore conscriptae sunt, & Latinè editae . . . operâ & studio Edvardi Pocockii (Oxford, 1655).

Pococke, *Specimen*: Specimen Historiae Arabum; auctore Edvardo Pocockio. . . . Edidit Josephus White (Oxford, 1806) (original edition, لمع من اخبار العرب Specimen Historiae Arabum, sive Gregorii AbulFarajii Malatiensis, de *Origine & Moribus* Arabum *succincta Narratio, in linguam Latinam conversa, Notisque è probatissimis apud ipsos Authoribus, fusiùs illustrata*. Operâ & Studio Edvardi Pocockii . . . Oxford, 1650).

Pococke, *Syriac Epistles*: Epistolae Quatuor, Petri secunda, Johannis secunda & tertia & Iudae, fratris Jacobi, una Ex Celeberrima Bibliothecae Bodleianae Oxoniensis MS. exemplari nunc primum depromptae et Charactere Hebraeo, versione Latina, notisque quibusdam insignitae, Operâ & studio EDVVARDI POCOCKE, Angli-Oxoniensis (Leiden [Elzevirs], 1630).

K. M. P[OGSON], 'The Wanderings of Apollonius', *The Bodleian Quarterly Record*, 3 (1921), 152–3.

Pope, Walter, *The Life of the Right Reverend Father in God, Seth, Lord Bishop of Salisbury* . . . (London, 1697) [repr. Oxford, 1961].

Postel, Claude, *Les Écrits de Guillaume Postel publiés en France et leurs Éditeurs 1538–1579* (Geneva, 1992).

Prescott, William H., *History of the Reign of Philip the Second, King of Spain* (Boston, 1859).

Prideaux, *Letters*: *Letters of Humphrey Prideaux to John Ellis 1674–1722*, ed. Edward Maunde Thompson (Camden Society, 1875).

Prideaux, *Life*: The Life Of the Reverend *Humphrey Prideaux*, D.D. Dean of *Norwich*. With several tracts and letters of his upon various subjects (London, 1748).

Prideaux, *Mahomet*: The True *Nature of Imposture* Fully Display'd in the Life of Mahomet. With A Discourse annexed, for the Vindication of Christianity from this Charge; Offered to the Consideration of the Deists of the present Age. By Humphrey Prideaux, D.D. The Second Edition Corrected (London, 1697).

Prynne, William, *Canterburies Doom, or the first part of a complete History of the Commitment, Trial, . . . of William Laud* (London, 1646).

Rademaker, C. S. M., *Life and Work of Gerardus Joannes Vossius (1577–1649)* (Assen, 1981).

Rahlfs, Alfred, 'Nissel und Petraeus, ihre äthiopischen Textausgaben und Typen', *Nachrichten der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, Phil.-hist. Kl.* (1917), 268–348.

Ramusio: Gian Battista Ramusio, *Navigationi et Viaggi* (photographic reprint of edn. of Venice, 1563–1606), Mundus Novus, First Series, 2–4 (3 vols., Amsterdam, 1967–70).

Ravius, *Alcoran*: Prima XIII Partium Alcorani Arabico Latini Versionis geminae, alterius parallelae loco interlinearibus, textualis alterius; ubi Arabicae voces 6400, ob defectum typorum Arabicorum, Latinis litteris sunt expressae . . . Praemittitur gemina Dissertatiuncula, 1. de vastissimo campo S. orientalis lingvae, 2. de ratione versionis suae. Accedit Catalogus CCLXI. MSStorum Arabicorum Bibliothecae S. Laurentii in Escuriali Regis Hispaniae, a Licent. Castillio A. 1583 confectus . . . opera et studio Christiani Ravii Berlinatis (Amsterdam, 1646).

Ravius, *Apollonius*: Apollonii Pergaei Conicarum Sectionum Libri V, VI. & VII in Graecia deperditi jam vero ex Arabico Manuscripto ante quadringentos annos elaborato operâ subitaneâ Latinitate donati à CHRISTIANO RAVIO Berlinate Oriental. LL. Prof. Reg. Upsal. (Kiel, 1669).

Ravius, *De scribendo Lexico*: CHRISTIANI RAVII BERLINATIS *DE* SCRIBENDO LEXICO Arabico-Latino DISSERTATIO. AD Nobilissimum & Amplissimum SENATVM TRAIECTINVM Orientalium Rerum & Linguarum PATRONUM (Utrecht, 1643).

Ravius, *Discourse*: A Discourse of the Orientall Tongues viz. Ebrew,

Samaritan. Calde, Syriac, Arabic, and *Ethiopic. Together with a Generall Grammar for the Said Tongues.* By Christian Ravis (London, 1649).

Ravius, *Generall Grammer*: A Generall Granmer For the ready attaining of the Ebrew, Samaritan, Calde, Syriac, Arabic, and the Ethiopic Languages. With a Pertinent Discourse of the Orientall Tongues. Also a Sesquidecury, or a number of Fifteene Adoptive Epistles sent together out of divers parts of the World concerning care of the Orientall Tongues to be promoted. By Christian Ravis of Berlin (London, 1650).

Ravius, *Orthographia*: CHRISTIANI RAVII BERLINATIS ORTHOGRAPHIÆ ET ANALOGIÆ (vulgò Etymologiae) EBRAICÆ Delineatio juxta vocis partes abstractas. I CONSONAS II. VOCALES III. ACCENTVS (Amsterdam, 1646).

Ravius, *Panegyrica Prima*: CHRISTIANI RAVII BERLINATIS PANEGYRICA PRIMA ORIENTALIBVS LINGVIS *DICTA* Illustrissimo & Frequentissimo Auditorio *RHENO-TRAIECTINO* Propridie Nonarum Octobris ANNI MDCXLIII (Utrecht, 1643).

Ravius, *Panegyrica Secunda*: CHRISTIANI RAVII BERLINATIS PANEGYRICA SECVNDA, ORIENTALIBUS LINGVIS DICTA, In Splendidissimo & Florentissimo Auditorio Rheno-Trajectino, *Postridie Nonarum Octobris Anni* MDCXLIII (Utrecht, 1644).

Ravius, *Sesqui-Decuria*: Christiani Ravii Berlinatis Sesqui-Decuria Epistolarum adoptivarum. Ex Varijs orbis partibus commissarum Circa Orientalium Studiorum promovendorum Curam (London, 1648).

RAVIUS, CHRISTIANUS, *Specimen Lexici Arabico-Persici-Latini* (Leiden, 1645).

Reading, *Sion-College*: The History of the Ancient and Present State of Sion-College Near CRIPPLEGATE, London; and of The London-Clergy's Library there. By W. Reading, M.A. Library-Keeper (London, 1724).

REED, TALBOT BAINES, *A History of the Old English Letter Foundries*, new edition revised and enlarged by A. F. Johnson (London, 1952).

Reiske, *Autobiography*: D. Johann Jacob Reiskens von ihm selbst ausgesetzte Lebensbeschreibung (Leipzig, 1783).

Reiske, *Letters*: Johann Jacob Reiske's Briefe herausgegeben von Richard Foerster, Königl. Sächs. Ges. d. Wiss., phil.-hist. Cl. Abh. 16 and 34.4 (Leipzig, 1897, 1917).

REX, RICHARD, 'The Earliest Use of Hebrew in Books Printed in England, Dating some Works of Richard Pace and Robert Wakefield', *Transactions of the Cambridge Bibliographical Society*, 9 (1990), 517–25.

DE RICCI, SEYMOUR, *English Collectors of Books and Manuscripts (1530–1930) and their Marks of Ownership* (Cambridge, 1930).

ROBERTS, JULIAN, and WATSON, ANDREW G., *John Dee's Library Catalogue* (London, 1990).

ROPER, G. J., 'Arabic Printing and Publishing in England before 1820', *British Society for Middle Eastern Studies Bulletin*, 12 (1985), 12–32.

ROSENTHAL, FRANZ, 'An Ancient Commentary on the Hippocratic Oath', *Bulletin of the History of Medicine*, 30 (1956), 52–87.

—— 'Al-Mubashshir ibn Fâtik. Prolegomena to an abortive edition', *Oriens*, 13–14 (1961), 132–58.

—— *The Classical Heritage in Islam* (Berkeley and Los Angeles, 1975).

ROSSI, ETTORE, *Elenco dei manoscritti persiani della Biblioteca Vaticana*, Studi e Testi, 136 (Città del Vaticano, 1948).

ROSTENBERG, LEONORA, 'Republican Credo, William Dugard, Pedagogue & Political Apostate', in her *Literary, Political, Scientific, Religious & Legal Publishing, Printing & Bookselling in England, 1551–1700, Twelve Studies* (2 vols., New York, 1965), i. 131–59.

ROTH, CECIL, 'Jews in Oxford after 1290', *Oxoniensia*, 15 (1950), 63–80.

—— 'Edward Pococke and the First Hebrew Printing in Oxford', *Bodleian Library Record*, 2 (1948), 215–19.

RUSSELL, G. A., 'The Impact of *The Philosophus Autodidactus*, Pocockes, John Locke, and the Society of Friends', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 224–65.

—— (ed.), *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers in Seventeenth-Century England*, Brill's Studies in Intellectual History, 47 (Leiden, 1994).

SABRA, A. I., 'Simplicius's Proof of Euclid's Parallels Postulate', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, 32 (1969), 1–24.

Sachau–Ethé: *Catalogue of the Persian, Turkish, Hindûstânî, and Pushtû Manuscripts in the Bodleian Library*, begun by Ed. Sachau, continued, completed, and edited by Hermann Ethé. Part I: *The Persian Manuscripts*, Catalogi Codd. Mss. Bibliothecae Bodleianae, 13 (Oxford, 1889).

Sale, *Koran*: The Koran, commonly called the Alcoran of Mohammed, translated into English . . . with . . . a Preliminary Discourse, by George Sale, Gent. A new Edition (2 vols., London, 1825) [original edition London, 1734].

Salmasius, *Epistolae*: Claudii Salmasii, Viri Maximi, Epistolarum Liber Primus Accurante Antonio Clementio (Leiden, 1656).

SALMASIUS, CL., *De Annis Climactericis et Antiqua Astrologia Diatribae* (Leiden, 1648).

SALMON, VIVIAN, 'Arabists and Linguists in Seventeenth-Century England', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the Natural Philosophers*, 54–69.

SALTINI, GUGLIELMO ENRICO, 'Della Stamperia Orientale Medicea e di Giovan Battista Raimondi', *Giornale Storico degli Archivi Toscani*, 4 (1860), 257–308.

SARGEAUNT, JOHN, *Annals of Westminster School* (London, 1898).

SAYILI, AYDIN, *The Observatory in Islam and its Place in the General History of the Observatory*, Publications of the Turkish Historical Society, Series VII, No. 38 (Ankara, 1960).

SC: *A Summary Catalogue of Western Manuscripts in the Bodleian Library at*

Oxford which have not hitherto been catalogued in the Quarto series, by Falconer Madan, H. H. E. Craster, N. Denholm-Young, R. W. Hunt, and P. D. Record (7 vols., Oxford, 1895–1953).

SCHIAPARELLI, C. (ed.), *Vocabulista in Arabico pubblicato per la prima volta sopre un codice della Biblioteca Riccardiana di Firenze* (Florence, 1871).

Schnurrer: Bibliotheca Arabica. Auctam nunc atque integram edidit D. Christianus Fridericus de Schnurrer (Halle, 1811) [reprinted Amsterdam, 1968, together with Victor Chauvin, 'Table Alphabétique de la Bibliotheca Arabica de Chr. Fr. de Schnurrer', Réimpression du Tome I de la Bibliographie des Ouvrages Arabes (Liège, 1892)].

Sclater, *Crown of Righteousnes*: THE CROWNE OF RIGHTEOUSNES; OR. The glorious Reward of FIDELITY In the Discharge of our DUTY. As it was laid forth in a Sermon, preached in S. *Botolphs Aldersgate, London*, Sept. 25. 1653. At the solemn Funerall of Mr. *Abrah. Wheelock*, B.D. The first Publick Professor, and Reader of *Arabick*, and of the *Saxon*, in the University of CAMBRIDGE. Whereunto is added, An ENCOMIUM of HIM. By WILLIAM SCLATER Doctor in Divinity . . . (London, 1654).

SECK, FRIEDRICH (ed.), *Wilhelm Schickard 1592–1635: Astronom Geograph Orientalist Erfinder der Rechenmaschine*, Contubernium, Beiträge zur Geschichte der Eberhard-Karls-Universität Tübingen, 25 (Tübingen, 1978).

SECRET, F., 'Guillaume Postel et les études arabes à la Renaissance', *Arabica*, 9 (1962), 21–36.

Selden, *De Dis Syris*: IOANNIS SELDENI I. C. DE DIS SYRIS SYNTAGMATA II. EDITIO ALTERA; emendatior & tertia parte auctior (Leiden, 1629).

Selden, *De Synedriis Liber Tertius*: *Ioannis Seldeni* De Synedriis & *Praefecturis Iuridicis* Veterum Ebraeorum *Liber Tertius & Vltimus* (London, 1655).

Selden, *Eutychius*: Eutychii *Aegyptii*, Patriarchae Orthodoxorum *Alexandrini* . . . Ecclesiae suae Origines. Ex ejusdem Arabico nunc primùm typis edidit ac Versione & Commentario auxit *Ioannes Seldenus* (London, 1642).

Selden, *Mare Clausum*: *Ioannis Seldeni* MARE CLAUSUM SEU *De* Dominio Maris *Libri Duo* (London, 1635).

Selden, *Opera*: Joannis Seldeni Jurisconsulti Opera Omnia, Tam Edita quam Inedita. In tribus voluminibus Collegit ac Recensuit, Vitam Auctoris, Praefationes, & Indices adjecit, David Wilkins (3 vols. in 6 parts; London, 1726).

SILVESTRE DE SACY, [Baron Antoine Isaac], 'Correspondance des Samaritains de Naplouse, pendant les années 1808 et suiv.', *Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliothèque du Roi et autres bibliothèques*, 12 (1831), 1–235.

SIRAISI, NANCY, *Avicenna in Renaissance Italy: The Canon and Medical Teaching in Italian Universities after 1500* (Princeton, 1987).

Smith, *Life of Bernard*: Admodum Reverendi & Doctissimi Viri, D. Roberti Huntingtoni, Episcopi Rapotensis, Epistolae, et Veterum Mathematicorum, Graecorum, Latinorum, & Arabum, Synopsis, Collectore Viro Clarissimo & Doctissimo, D. Edwardo Bernardo, Astronomiae in Academia Oxoniensi Professore Saviliano. Praemittuntur D. Huntingtoni & D. Bernardi Vitae. Scriptore Thoma Smitho, S. Theologiae Doctore (London, 1704).

Smith, *Remarks upon the Manners of the Turks*: Remarks Upon the Manners, Religion And Government of the Turks. Together with A Survey of the Seven Churches of Asia, As they now lye in their Ruines, and A Brief Description of Constantinople. By Tho. Smith; B.D. and Fellow of St. Mary Magdalen College, Oxon. (London, 1678).

Smith, *Sermon*: A SERMON Preached before the RIGHT WORSHIPFUL Company OF MERCHANTS Trading into the LEVANT, AT St. *OLAVES HART-STREET* LONDON, Tuesday *JUNE*, 2. M.DC.LXVIIII, BY THO. SMITH, MA *Fellow of MAGDALEN COLLEGE in Oxford, and* CHAPLAIN *to the* RIGHT HONOURABLE Sr. *DANIEL HARVEY*, *His* MAJESTIES EMBASSADOUR TO CONSTANTINOPLE (London, 1668).

Smith, *Vitae*: Vitae Quorundam Eruditissimorum et Illustrium Virorum . . . Scriptore Thoma Smitho (London, 1707). (The biographies are separately paginated.)

SMITH, THOMAS, *Epistolae Duae, Quarum altera de Moribus ac Institutis Turcarum agit: Altera Septem Asiae Ecclesiarum notitiam continet* (Oxford, 1672).

——'*A Journal of a Voyage from* England *to* Constantinople, *made in the Year* 1668. *by* T. Smith *D.D. & F.R.S.*', *Philosophical Transactions*, 19 (1695–7) [published 1698], 597–619.

——*An Account of the Greek Church . . . to which is added . . . An Account of the State of the Greek Church, under Cyrillus Lucaris Patriarch of Constantinople, with a Relation of his Suffering and Death* (London, 1680).

——*Miscellanea* [including] *Brevis & succincta narratio de vita, studiis, gestis, & Martyrio D. Cyrilli Lucarii, Patriarchae Constantinopolitani* (London, 1686).

SMITSKAMP, RIJK, *Philologia Orientalis: A description of books illustrating the study and printing of Oriental languages in 16th- and 17th-century Europe* (Leiden, 1992) [Titelauflage, with additions, of an E. J. Brill catalogue originally published in three parts, 1976, 1983, and 1991].

Spencer, *De Legibus Hebraeorum*: De legibus Hebraeorum ritualibus et earum rationibus, libri tres. . . . Authore Joanne Spencero, S.T.D. Ecclesiae Eliensis Decano & Colleg. Corp. Christ. apud Cantabrig. Praefecto (Cambridge, 1685 [in fact 1683–5]).

Stationers' Registers: *A Transcript of the Registers of the Worshipful Company of Stationers 1640–1708 A.D.*, i: *1640–1655*, ed. Eyre and Rivington (London, 1913).

STEINSCHNEIDER, MORITZ, *Die arabischen Übersetzungen aus dem Griechischen* (Graz, 1960) [reprint of four periodical articles from 1889–96].

——*Die hebräischen Übersetzungen des Mittelalters und die Juden als Dolmetscher* (Berlin, 1893; repr. Graz, 1956).

STERN, S. M., 'Autographs of Maimonides in the Bodleian Library', *Bodleian Library Record*, 5 (1955), 180–202, reprinted in S. M. Stern, *Medieval Arabic and Hebrew Thought*, ed. F. W. Zimmermann (London, 1983), no. xix.

——'A Collection of Treatises by 'Abd al-Laṭīf al-Baghdādī', *Islamic Studies*, 1 (1962), 53–70, reprinted in S. M. Stern, *Medieval Arabic and Hebrew Thought*, ed. F. W. Zimmermann (London, 1983), no. xviii.

STOKES, GEORGE THOMAS, *Some Worthies of the Irish Church*, ed. H. J. Lawlor (London, 1900).

STROTHMANN, WERNER, *Die Anfänge der syrischen Studien in Europa*, Göttinger Orientforschungen, I. Reihe, Syriaca, 1 (Wiesbaden, 1971).

SUTHERLAND, L. S., 'The Origin and Early History of the Lord Almoner's Professorship in Arabic at Oxford', *Bodleian Library Record*, 10 (1978–82), 166–77.

Taswell, *Autobiography*: Autobiography and Anecdotes by William Taswell, D.D. . . . A.D. 1651–1682, edited by George Percy Elliot, The Camden Miscellany, vol. 2 [6th item] (Camden Society, 1852).

Thomason Tracts: *Catalogue of the Pamphlets, Books, Newspapers etc collected by George Thomason, 1640–1661* (2 vols., London, 1908).

TINDAL HART, A., *William Lloyd 1627–1717: Bishop, Politician, Author and Prophet* (London, 1952).

TINTO, ALBERTO, *La Tipografia Medicea Orientale*, Studi e Ricerche di Storia del Libro e delle Biblioteche, 1 (Lucca, 1987).

Todd, *Life of Walton*: Memoirs of the Life and Writings of Right Rev. Brian Walton, D. D. Lord Bishop of Chester, Editor of the London Polyglot Bible, with notices of his coadjutors in that illustrious work; of the cultivation of oriental learning, in this country, preceding and during their time . . . To which is added, Dr. Walton's own vindication of the London Polyglot. By the Rev. Henry John Todd (2 vols., London, 1821).

Toomer, *Apollonius*: *Apollonius Conics Books V to VII: The Arabic Translation of the Lost Greek Original in the Version of the Banū Mūsā*, edited with translation and commentary by G. J. Toomer (2 vols., New York, 1990).

TOOMER, G. J., 'The Solar Theory of az-Zarqāl, A History of Errors', *Centaurus*, 14 (1969), 306–36.

——'Lost Greek Mathematical Works in Arabic Translation', *The Mathematical Intelligencer*, 6 (1984), 32-8.

TREVOR-ROPER, HUGH, *Archbishop Laud 1573–1645* (London, 1940).

——*Catholics, Anglicans and Puritans: Seventeenth Century Essays* (London and Chicago, 1987, 1988).

TURNBULL, G. H., *Hartlib, Dury and Comenius: Gleanings from Hartlib's Papers* (London, 1947).

Twells, *Life of Pococke*: in The Theological Works of the Learned Dr. POCOCK, Sometime Professor of the HEBREW and ARABICK Tongues, in the University of Oxford, and Canon of Christ-Church, CONTAINING His PORTA MOSIS, And ENGLISH COMMENTARIES on HOSEA, JOEL, MICAH, and MALACHI, To which is prefixed, An Account of his LIFE and WRITINGS, never before printed; In Two Volumes, I, By Leonard Twells (London, 1740).
[The Life is reprinted in] THE Lives OF DR. EDWARD POCOCK, THE CELEBRATED ORIENTALIST, BY DR. TWELLS; OF DR. ZACHARY PEARCE, BISHOP OF ROCHESTER, AND OF DR. THOMAS NEWTON, BISHOP OF BRISTOL, BY THEMSELVES; AND OF THE REV. PHILIP SKELTON, BY MR. BURDY, i (London, 1816), 1–356.

ULLMANN, MANFRED, 'Arabische, türkische und persische Studien', in Seck, *Wilhelm Schickard*, 109–28.

UNTERKIRCHER, FRANZ, 'Sebastian Tengnagel (1608–1636)', in *Geschichte der Österreichischen Nationalbibliothek*, ed. Josef Stummvoll, i, Museion, NF Reihe II, 3 (Vienna, 1968), 129–145.

Uri: Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium, videlicet Hebraicorum, Chaldaicorum, Syriacorum, Arabicorum, Persicorum, Turcicorum, Copticorumque Catalogus jussu curatorum Preli Academici a Joanne Uri Confectus. Pars Prima (Oxford, 1787).

Ussher, *Letters*: A Collection of Three Hundred Letters Written between the most Reverend Father in God James Usher, Late Lord Arch-bishop of Armagh, and Primate of all Ireland, and others . . . Collected and published from Original Copies . . . by Richard Parr, D.D. his Lordship's Chaplain many Years (London, 1686) [published with, but separately paginated from] The Life Of the Most Reverend Father in God, James Usher . . . by Richard Parr (London, 1686).

Ussher, *Works*: The Whole Works of the Most Rev. James Ussher, D.D, Lord Archbishop of Armagh, and Primate of all Ireland. Now for the first time collected, with a life of the Author, and an Account of his Writings, by Charles Richard Elrington, D.D. (17 vols., Dublin, 1829–64).

VACCARI, ALBERTO, 'I Caratteri Arabi della «Typographia Savariana»', *Rivista degli Studi Orientali*, 10 (1923–5), 37–47.

VAN DER WALL, ERNESTINE G. E., '"Without Partialitie Towards All Men", John Durie on the Dutch Hebraist Adam Boreel', in *Jewish-Christian Relations in the Seventeenth Century: Studies and Documents*, ed. J. van den Berg and Ernestine G. E. van der Wall, International Archives of the History of Ideas, 119 (Dordrecht, 1988), 145–9.

VAN KONINGSVELD, P. SJ., *The Latin-Arabic Glossary of the Leiden University Library*, Asfār, 1 (Leiden, 1977).

van Maanen, Johannes Arnoldus, *Facets of Seventeenth Century Mathematics in the Netherlands*, Proefschrift ter Verkrijging van de Graad van Doctor in de Wiskunde an Natuurwetenschappen aan de Rijksuniversiteit te Utrecht (Utrecht, 1987).

Vaughan, Robert, *The Protectorate of Oliver Cromwell and the State of Europe during the early part of the reign of Louis XIV illustrated in a series of letters between John Pell . . . Sir Samuel Morland, Sir William Lockhart, Mr. Secretary Thurloe, and other distinguished men . . .* (2 vols., London, 1839).

Velschius, *Dodecas Epistolarum*: Gerardi Joan. Vossii et Clarorum Virorum ad eum Epistolae, collectore Paulo Colomesio, . . . Nunc accuratius recussae, . . . Quibus accessit Dodecas Epistolarum Clarissimi Viri Georgii Hieronymi Velschii (Augsburg, 1691).

Venn, John, and Venn, J. A., *Alumni Cantabrigienses*, Part I (4 vols., Cambridge, 1922–7).

Vervliet, H. D. L., 'Robert Granjon à Rome (1578–1589). Notes préliminaires à une histoire de la typographie romaine à la fin du XVIe siècle', *Bulletin de l'Institut Historique Belge de Rome*, 38 (1967), 177–231.

——(ed.), *The Type Specimen of the Vatican Press 1628: A Facsimile* (Amsterdam, 1967).

——*Sixteenth Century Printing Types of the Low Countries* (Amsterdam, [1968]).

Viccars, *Decapla*: DECAPLA IN PSALMOS: SIVE COMMENTARIUS EX DECEM LINGUIS MSS. ET IMPRESSIS, Heb. Arab. Syr. Chald. Rabbin. Græc. Rom. Ital. Hispan. Gallic. CUM Specimine linguæ Cophticæ, Pers. & Ang. MSS. Ex Antiquis Patribus S. *August*. S. *Chrysost*, S. *Theod*. &c. Rab. Historicis & Poetis In Duodecim SECTIONES digestus. . . . A JOANNE VICCARS Anglo (London, 1639).

Vogel, E. G., 'Ueber Wilh. Postel's Reisen in den Orient', *Serapeum, Zeitschrift für Bibliothekwissenschaft, Handschriftenkunde und ältere Litteratur*, 14 (1853), 49–58.

Voorhoeve, P., *Handlist of Arabic manuscripts in the library of the University of Leiden and other collections in the Netherlands* (Leiden, 1957).

Vossius, *Epistolae*: *Gerardi Joan. Vossii et Clarorum Virorum ad eum Epistolae, collectore Paulo Colomesio* (London, 1690).

Vossius, *Funeral Oration*: GERARDI JOANNIS VOSSII ORATIO IN OBITUM *Clarissimi ac praestantissimi viri*, THOMÆ ERPENII, Orientalium linguarum in Academia Leidensi Professoris. Habita statim ab exsequiis in auditorio Theologico, XV Novemb. Anno MDCXXIV, in *Gerardi Joannis Vossii Opuscula varii Argumenti* (Amsterdam, 1698), 84–91 (Vossius, *Opera*, iv), originally published Leiden, 1625.

Wakefield, Colin, 'Arabic Manuscripts in the Bodleian Library, the Seventeenth-Century Collections', in Russell, *The 'Arabick' Interest of the*

Natural Philosophers, 128–46.

Wakefield, *De laudibus trium linguarum*: ROBERTI VVAKFELDI SAcrarum literarum professoris eximij oratio de laudibus & vtilitate trium linguarum Arabicę Chaldaicæ & Hebraicę atque idiomatibus hebraicis quæ in vtroque testamento inueniuntur. Londini apud VVinandum de Vorde (n.d. [*c.*1528]).

Wallis, *Archimedes' Sandreckoner*: ΑΡΧΙΜΗΔΟΥΣ ΤΟΥ ΣΥΡΑΚΟΣΙΟΥ Ψαμμίτης, καὶ Κύκλου Μέτρησις, ΕΥΤΟΚΙΟΥ ΑΣΚΑΛΩΝΙΤΟΥ εἰς αὐτὴν ὑπόμνημα ARCHIMEDIS SYRACUSANI Arenarius, Et Dimensio Circuli. EUTOCII ASCALONITÆ, in hanc Commentarius. Cum Versione & Notis *Joh. Wallis*, SS. Th. D. Geometriae Professoris Saviliani (Oxford, 1676).

Wallis, *Aristarchus*: ΑΡΙΣΤΑΡΧΟΥ ΣΑΜΙΟΥ Περὶ μεγεθῶν καὶ ἀποστημάτων Ἡλίου καὶ Σελήνης ΒΙΒΛΙΟΝ. ΠΑΠΠΟΥ ΑΛΕΞΑΝΔΡΕΩΣ Τοῦ τῆς Συναγωγῆς ΒΙΒΛΙΟΥ Β΄ Απόσπασμα. ARISTARCHI SAMII De Magnitudinibus & Distantiis Soli & Lunae, LIBER *Nunc primum Graece editus cum* Federici Commandini *versione Latina, notisque illius & Editoris*. PAPPI ALEXANDRINI SECUNDI LIBRI MATHEMATICÆ COLLECTIONIS, *Fragmentum* Hactenus Desideratum. *E Codice MS. edidit, Latinum fecit, Notisque illustravit JOHANNES WALLIS*, S.T.D. Geometriae Professor Savilianus; & *Regalis Societatis Londini, Sodalis* (Oxford, 1688).

Wallis, *Mathesis Universalis*: in Johannis Wallisii, . . . Geometriae Professoris *Saviliani* in Celeberrimâ Academia Oxoniensi; *Operum* Mathematicorum *Pars Prima* (Oxford, 1657).

WALLIS, JOHN, *Opera Mathematica* (3 vols., Oxford, 1695, 1693, 1699).

WALTON, BRIAN, Introductio ad lectionem linguarum Orientalium Hebraicae, Chaldaicae, Samaritanae, Syriacae, Arabicae, Persicae, Aethiopicae, Armenae, Coptae. Consilium de earum Studio foeliciter instituendo, & de libris quos in hunc finem sibi comparare debent studiosi. In usum tyronum qui linguas istas addiscere desiderant, præcipuè eorum qui sumptus ad Biblia Polyglotta (jam sub prelo) imprimenda contulerunt. Praemittitur praefatio, in qua de hisce linguis, & de Textuum & versionum, quæ in dictis Bibliis habentur, Antiquitate, Authoritate & Usu, breviter disseritur, quidque in hac Editione præ reliquis expectandum sit. Editio secunda priori emendatior (London, 1655).

WARD, G. R. M. (tr.), *Oxford University Statutes*. Vol. I *containing the Caroline Code or Laudian Statutes* (London, 1845).

WARD, JOHN, *The Lives of the Professors of Gresham College, To which is prefixed The Life of the Founder, Sir Thomas Gresham* (London, 1740).

WEBSTER, CHARLES, *The Great Instauration: Science, Medicine and Reform 1626–1660* (London and New York, 1975).

WEISS, ROBERT, 'England and the Decree of the Council of Vienne on the teaching of Greek, Arabic, Hebrew, and Syriac', *Bibliothèque d'Humanisme*

et Renaissance, 14 (1952), 1–9.

W[HEELER], G. W., 'Bibliotheca Rabbinica (1629)', *Bodleian Quarterly Record*, 3 (1921), 144–6.

WIEGERS, G. A., *A Learned Muslim Acquaintance of Erpenius and Golius: Aḥmad b. Kâsim al-Andalusî and Arabic Studies in the Netherlands* (Leiden, [1990]).

WIJNMAN, H. F., 'De Hebraicus Jan Theunisz. Barbarossius alias Johannes Antonides als lector in het Arabisch aan de Leidse universiteit (1612–1613)', *Studia Rosenthaliana*, 2 (1968), 1–29, 149–77.

WIJNNE, J. A., *Resolutiën, genomen bij de Vroedschap van Utrecht, betreffende de Illustre School en de Akademie in hare stad, van de jaren 1632–1693*, Werken van het Historisch Genootschap, gevestigt te Utrecht, Nieuwe Serie, 52 (Utrecht, 1888).

WITKAM, J. J., *Jacobus Golius (1596–1667) en zijn Handschriften*, Oosters Genootschap in Nederland, 10 (Leiden, 1980).

WOOD, ALFRED C., *A History of the Levant Company* (Oxford, 1935; reprinted London, 1964).

Wood, *Athenae Oxonienses*: Athenae Oxonienses. An exact history of all the writers and bishops who have had their education in the University of Oxford. To which are added the Fasti, or Annals of the said University. By Anthony a Wood, M. A. of Merton College. A new edition, with additions and a continuation by Philip Bliss (4 vols., London, 1813–20).

Wood, *History and Antiquities*: The History and Antiquities of the University of Oxford in two books, by Anthony à Wood . . . now first published in English . . . by John Gutch, Vol. 2 (2 parts, Oxford, 1796).

Wood, *Life and Times*: *The Life and Times of Anthony Wood, antiquary, of Oxford, 1632–1695, described by Himself*, collected by Andrew Clark, Oxford Historical Society, vols. 19, 21, 26, 30, 40 (5 vols., Oxford, 1891–1900).

WORTHAM, JOHN DAVID, *British Egyptology 1549–1906* (Newton Abbot, 1971).

Worthington, *Correspondence*: Diary and Correspondence of Dr. John Worthington edited by James Crossley, Vols. 1 & 2 Part 1 (Printed for the Chetham Society, 1847, 1855).

WOTTON, WILLIAM, *Reflections upon Ancient and Modern Learning* (London, 1694).

هذا الكتاب...

في هذا الكتاب يتابع القارئ واحدة من رحلات اللغة العربية إلى العالم الغربي، وإلى إنجلترا بصفة خاصة، وكيف حرص الغربيون عامة والإنجليز بنوع خاص على الإلمام باللغة العربية، وبذل الغالي والنفيس بحثًا عن مخطوطاتها، والوقوف على عبقريتها. يقدم الكتاب فرصة للباحثين الذين يريدون رصد ما أنجزه العرب في مجال نقل الحضارة اليونانية والرومانية إلى اللغة العربية، وكيف استفاد الغربيون من هذا الإنجاز بعد يأس من معرفة تلك الحضارة في نصوصها الأصلية.

تأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يحقق أكثر من فائدة: فمن جهة يذكرنا برحلة اللغة العربية في إنجلترا خاصة، والعالم الغربي بصفة عامة، وهي رحلة ماتعة مثيرة تبدأ في أواخر القرن السادس عشر، حين كان وجود اللغة العربية في إنجلترا ضعيفًا، إلى أواخر القرن السابع عشر حين استقر وجودها في الجامعات والمعاهد الإنجليزية والأوروبية. ومن جهة ثانية يضع الباحث أمام بحر زاخر من الموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي، وكلها متصلة باللغة العربية وآدابها. ومن جهة ثالثة، يذكرنا بأولئك المستشرقين الذين عشقوا اللغة العربية وآدابها: بِدوِل وسِلدِن ولود وإدوارد بوكوك وغريفز ورافيوس وجون بِلّ وصامول كلارك وتوماس هايد وكاستل وكثيرين غيرهم.

يمكننا أن نقول بشيء من الفخر: إن هذا البحث صفحة مشرقة من صفحات اللغة العربية، وفي الوقت نفسه صفحة من صفحات تاريخنا الثقافي والمعرفي، يصور فيها الكاتب عهودًا كان العالم يسعى فيها إلى المعرفة بالعربية وآدابها، حين كانت العربية وسيلة كلِ ساعٍ إلى المعرفة، ومقصد كل محتاجٍ إلى العلوم التي كانت لا تُلتَمس إلا من خلال لغتنا الجميلة.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 555 - 6

إصدارات المجلس متوافرة إلكترونيا على موقعنا :
www.nccal.gov.kw/publications